
الثورة العراقية الكبرى
سنة (١٩٢٠)



الثورة العراقية الكبرى

سنة (١٩٢٠)

تأليف:

الدكتور عبد الله الفياض

استاذ التاريخ الاسلامي كلية الآداب - جامعة بغداد

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	DS79 .F39 2020
المؤلف الشخصي :	الفياض، عبد الله، ١٩١٧-١٩٨٤ - مؤلف.
العنوان :	الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ = The Iraqi Revolution Of 1920/
العنوان الموازي :	The Iraqi Revolution Of 1920.
بيان المسؤولية:	تأليف الدكتور عبد الله الفياض.
بيانات الطبع:	الطبعة الاولى.
بيانات النشر:	كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٢٠ / ١٤٤١ للهجرة.
الوصف المادي:	٤١٣ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر:	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧١٠).
سلسلة النشر:	(مركز كربلاء للدراسات والبحوث ؛ ١٣٣).
تبصرة عامة:	يتضمن ملاحق.
تبصرة ببليوجرافية:	يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٣٩٥-٤٠٠)، كذلك كشافات.
موضوع جغرافي:	العراق - تاريخ - العصر الحديث - ثورة ١٩٢٠.
موضوع جغرافي:	العراق - تاريخ - الاحتلال البريطاني، ١٩١٨-١٩٢١.
موضوع جغرافي:	العراق - تاريخ - العصر الحديث.
اسم هيئة اضافي:	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مركز كربلاء للدراسات والبحوث. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية



الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الكتاب: الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠

المؤلف: د. عبد الله الفياض

الاشراف العلمي: مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الطبعة: الاولى

السنة: ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

جمهورية العراق/كربلاء المقدسة

00964 7719491210
00964 7814187625

www.c-karbala.com

info@c-karbala.com
karbala.center1@gmail.com
karbala.center1@yahoo.com

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٨٢٣) لسنة ٢٠١٥م

الإهداء

الى والدين رحيمين...

اقدم هذه الثمرة المتواضعة التي هي وحي منهما.



ولد سنة ١٩١٧

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير:

(الثورة العراقية الكبرى)

بقلم سماحة العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

ماضي الثورة وحاضرها، خصوم الثورة، محكمة التاريخ، عاقبة الطيش والغرور، الانتفاضة الكبرى أصل الانتفاضات، عوامل الثورة، عامل سياسي، عامل اقتصادي، وعود الحلفاء، النكث بالعهود، صراع بين الحاكم والمحكوم، اندلاع الثورة، حادث خليق بالدرس، كيف انقلبت الآية، بحوث عن الثورة.

يوشك أن ينقضي نحو من نصف قرن على الثورة العراقية الكبرى، محصت أحداثه ووقائعه تلك الآراء المضطربة والأحكام المتباينة التي ذهب إليها الناس بشأن الثورة ومخضتها مخضاً دفع محاولات المكابرين المنددين بها المستخفين بأهدافها النبيلة، ومن ذلك أنها حركة مرتجلة أو ضرب من الشغب منبعثٌ عن الأغراض الشخصية.

ها هو التاريخ - وهو الحكم العادل - ينصف تلك الانتفاضة الشعبية ويزيف أقوال خصومها الألداء. أجل ها هو التاريخ يفضح أغراض اولئك الذين ناوأوا الوثيقة الأولى نحواً من نصف قرن وظلموا قادتها وألصقوا بهم التهم الباطلة ولم يرقبوا فيهم إلًّا ولا ذمة.

ويلاحظ إن جلَّ اولئك المتنكرين للثورة العراقية من الخونة المارقين وصنائع المستعمرين وفيهم - ويا للأسف البالغ - من ينتحل العروبة وفيهم عراقيون كذلك،

وكان لهذا النمط من الناس ان يتربعوا في المناصب العالية جزاءً وفاقاً لخيانتهم وغدرهم وتجنيهم على أبطال الثورة المغاوير فاقتنوا الأموال الطائلة وحازوا الثروات الجسيمة على حساب النكاية بالأمة الثائرة والعبث بمصالحها واهتضام حقوقها المشروعة، حتى أنهم لغلبة الغرور والطيش عليهم امنوا يوم العقاب والحساب.

أجل لم يبق لأحد بعد فترة الاختبار والتمحيص هذه شك بأن الانتفاضة العراقية الكبرى شقت لأبناء هذه البلاد نهج التحرير والانطلاق والسير قدماً لتحقيق حقهم في الحرية والعدالة الإجتماعية واختيار نظام من نظم الحكم الشعبية.

لقد جدَّت - كما لا يخفى - بعد الثورة الكبرى ثورات، وتعددت انتفاضات شعبية معروفة تميزت بالبذل والفداء وإرخاص المهج والأرواح؛ للتخلص من تعسف المتعسفين وإثرة المستأثرين ودسائس الإستعمار والمستعمرين، ولكنها على خطر شأنها ما كانت إلا فروعاً تشعبت عن الثورة العراقية الكبرى، فهذه الثورة هي أصل كل ثورة أو انتفاضة شريفة حدثت بعد ذلك التاريخ في العراق.

إن الثورة العراقية الكبرى في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠ - حسب رأيي - وليدة عاملين خطيرين أولهما الضغط والاستغلال الاقتصادي واستنزاف جهود العاملين في ميدان الزراعة خاصة - والعراق قطر زراعي قبل كل شيء - والاستيلاء على مواردها من الخامات بأبخس الأثمان وردِّها بعد استخدامها في الصناعة الحديثة لتصريفها في أسواق هذه البلاد بأعلى الاثمان وهذا هو جوهر الإستعمار الحديث، ومن هذه الناحية أدرك العراقيون أن حياتهم الإقتصادية او المعاشية مهددة بضرب من الضنك والفقر المدقع والعوز ولهذا تأثرت بهذا العامل طبقة الزراع والفلاحين قبل غيرها حتى حفزها هذا التأثير البليغ لأن تكون في طليعة القائمين بتلك الثورة المجيدة بل كانت في مقدمة من بذل وضحى في سبيل مقاومة ذلك الضغط والاستغلال. ولم يكن لهؤلاء الثوار الريفيين البواسل بدٌ من ملاذ يلوذون به ويفرون إليه في سبيل تسويغ الانتفاضة وإقامة

الحجة على شرعية هذه الحركة فوجدوا ذلك العون والملاذ في عدد غير قليل من العلماء الاعلام المجاهدين وخصوصاً علماء النجف وكربلاء في ذلك الحين وفي مقدمتهم الشيخ المجاهد محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة والشيخ مهدي الخالصي تغمدهم الله برحمته، تؤازرهم طبقة مثقفة من شباب الاسر العلمية المعروفة في النجف، فأفتوهم بضرورة الدفاع عن الشرف والكرامة وعن الحقوق العامة وعن حوزة الفضيلة والدين.

أما العامل الثاني في اندلاع الثورة فهو ذلك الضغط السياسي أو الحجر على الافكار والحيلولة بين أبناء البلاد وبين التعبير عن آرائهم والمطالبة بحقوقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم واختيار حكامهم وحكوماتهم بملء إرادتهم، ثم للمحاولات التي بذلتها السلطة المحتلة لفرض نوع من السيطرة الإستعمارية المباشرة على العراق، وقد تأثر بهذا العامل الثاني أبناء المدن والحواضر أكثر من غيرهم، ولذلك بادر قادة الرأي في جملة من أُمات المدن إلى تنسيق جهودهم وتنظيمها لمقارعة الإستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى والمطالبة بحقوقهم الطبيعية في تقرير المصير.

ولا يخفى ان الحلفاء الظافرين في الحرب الدولية وهم بريطانيا وحليفتاها فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية أذاعوا فور إعلان الهدنة بياناً رسمياً مذيّلاً بتوقيع لويد جورج وكليمانصو كان له أثره وخطره في دول الشرق وفي أرجاء البلاد المنتزعة بقوة السلاح من الامبراطورية العثمانية خصوصاً الأقطار العربية وفي مقدمتها العراق. وقد نص بيان الحلفاء على الاعتراف بحقوق الشعوب المذكورة في تقرير مصيرها بنفسها، هذا بالإضافة إلى بيان أو أكثر من بيان سبق أن أذاعته السلطات المحتلة على شعوب البلدان ((المحررة)) كما كانوا يسمونها في تلك الفترة.

وما أكثر الأمثلة على تلك البيانات السياسية المعسولة، ومن أشهرها بيان الجنرال ((مود)) الذي أذاعه فور استيلائه على بغداد، وكان - والحق يقال - نموذجاً رائعاً في بلاغة الالفاظ، وخلاصة هذا البيان أن البريطانيين ما جاؤوا إلى هذه البلاد فاتحين

وإنما دخلوها محررين تحدوهم رغبة صادقة في إقالتها من عثرتها وتمكينها من بعث معالم حضارتها الباذخة، وهذا يعني أن الإنجليز الذين صاغوا فقرات ذلك البيان كانوا يؤمنون بأن لنا ماضياً مجيداً في تاريخ الحضارة. بيد أن هنالك طبقة آخرى من ساسة الإنجليز وغلاتهم في حب السيطرة والإستعمار كان لهم رأي آخر يختلف عما ورد في بيان الجنرال مود، ولا نبالغ أنهم كانوا يسخرون من رأي ذلك الجندي المغوار الذي لفظ أنفاسه الأخيرة في بغداد بعد إصابته بوباء الهيضة. وهكذا دلت التجارب على أن العبرة ليست بالألفاظ المعسولة أو الاقوال الخلابة. وهكذا اتضح بأن السلطة البريطانية المحتلة تبيت للعراقيين شراً مستطيراً وسيطرة استعمارية غاشمة.

وعلى كل حال كان للبلاغات أو البيانات المذكورة وقعها الخطير في نفوس الطبقة الواعية من أبناء العراق وإليها استند الشعب العراقي لدى المطالبة بحقه في تقرير مصيره طبقا للمبادئ التي وردت في متن تلك البيانات فواصل الشعب جهده المضني حتى أكره السلطة البريطانية على إجراء استفتاء عام في للبلاد أسفر عن رغبة الشعب العراقي في الحكم الذاتي والإستقلال التام.

هذا ولا يخفى ان الإنجليز جنحوا بعد ذلك إلى المماطلة والتسويف هذا من جهة وثابر العراقيون من جهة أُخرى على المطالبة بحقوقهم المقطوعة لهم وإن لم يجدوا من المحتلين أُذناً مصغية. ولم يأل هؤلاء جهداً في الدس والنكث بالعهود وبذر بذور الشقاق، فكان ذلك إيذاناً باندلاع نيران الثورة، وقد سجل واقع الثورة العراقية - كما لا يخفى - أن في العراق شعباً بذل كل ما عز وهان في سبيل حريته وكرامته وفي مقارعة الفساد والطغيان إلى أن اعترف الإنجليز مكرهين بأن العراق دولة مستقلة ذات سيادة.

هذا حديث مقتضب عن مجريات ما قبل الثورة وعن الثورة العراقية نفسها، أما ما جرى بعد ذلك وكيف انقلبت الآية في فترة معينة من الفترات التي انتقل الحكم فيها إلى أيدي أبناء البلاد وكيف لوحق المجاهدون وكيف أُوذي الأحرار وامتحن الثوار وفي

مقدمتهم العلماء الأعلام وكيف عوقبت المنطقة الثائرة بالعسف والحرمان وذلك وفق خطة استعمارية مرسومة فأنه حديث طويل يثير الشجون ويمري الجفون.

كانت الثورة العراقية وما زالت حادثاً خطيراً خليقاً بالدرس، وقد تناولها عدد غير قليل من الكتاب والباحثين في كتب ورسائل ظهر أكثرها بالعربية لكتّاب عراقيين وبعضها بالإنجليزية لباحثين من الإنجليز، وأخيراً ظهر عنها بحث باللغة الروسية، هذا عدا ما نشر عنها في الصحف والمجلات من مقالات وبحوث بلغات عدة. وكان آخر مَنْ تناول موضوع الثورة بالبحث الاستاذ عبد الله الفياض في كتابه هذا وهو كتاب يتضح لقارئه أيّ جهد مضنٍ بذله المؤلف في تأليفه فلم يَفُتْهُ مأخذٌ من المآخذ أو المظان المحررة في هذا الموضوع باللغتين العربية والانجليزية. وعلاوة على ذلك فانه ظفر بجملة من الوثائق والمستندات النادرة، ولم يكتف السيد الفياض بهذا وإنما لاحظنا أنه قتل تلك الكتب بحثاً ونقداً وعرَّف كل كتاب تعريفاً كافياً وذكر خصائصه ومميزاته في فصل تضمنته مقدمة الكتاب فجاء بحثاً من البحوث المقارنة في تاريخ الثورة. لذلك لا يسعنا إلا إكبار الجهد الذي بذلة المؤلف ونحثُّ هواة البحوث التاريخية لا سيما ما يتصل منها بالعراق على اقتناء هذا الكتاب الممتع ونرجو أن يحالف مؤلفه التوفيق.

بغداد

محمد رضا الشبيبي

٢٠ شعبان ١٣٨٢هـ/ ١٦ كانون الثاني ١٩٦٣م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تصدى كثير من الكتاب، من عرب[1] وأجانب[2] للكتابة عن الثورة العراقية في سنة عشرين وتسعمائة وألف، وقد ظهر لي أن معظم المؤلفات المذكورة لم تسلم من النقص، وأعتقد أن كتاب البصير كان أفضل ما كُتب عن الثورة بالعربية ولكنه – مع ذلك – لا يخلو من هنّات، ويظهر نقص كتاب البصير في ناحيتين: إحداهما أن الدكتور البصير أغفل الوثائق المتعلقة بالثورة فلم يحاول أن يثبتها أو يشير إليها على الأقل، وقد فقد البصير بإغفاله للوثائق وسيلة مهمة من وسائل التحقيق التأريخي، وأعتقد أن البصير كان بوضع يستطيع معه أن يجمع أكبر كمية من هذه الوثائق لصلته الوثيقة بالثوار أولاً، ولأنه من العاملين في الحقل الوطني ثانياً، ولأنه كتب عن الثورة في عهد مبكر حين كانت هذه الوثائق متوفرة ثالثاً.

---

(١) البصير، محمد مهدي، تاريخ القضية العراقية، جزءان (بغداد، ١٩٢٤)؛ الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى (صيدا ١٩٥٢) ؛ الفرعون، فريق المزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العرقية سنة ١٩٢٠، جزءان (بغداد، ١٩٥٢)؛ البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية (بغداد، ١٩٥٢)؛ علي، عباس، زعيم الثورة العراقية (بغداد، ١٩٥٢)؛ سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، الجزء الثاني (القاهرة، ١٩٣٥)؛ العمري، محمد طاهر، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ثلاثة أجزاء (بغداد ١٩٢٥).

(٢) **Wilson, A.T.A Clash of Loyalties. 2 Vols. London, 1939; Ireland, P.W., Iraq: A Study in Politcal Development, London, 1937 ; Haldane, Sir A. L., The Insurrection in Mesopotamia, 1920. Edinburgh, 1922**

بيل، المس، فصول من تاريخ العراق الحديث – تعريب جعفر خياط (بيروت، ١٩٤٩؛ كوتولوف، ل. ن، الثورة التحررية الوطنية العراقية في سنة ١٩٢٠ (موسكو، ١٩٥٨). (أصل هذا الكتاب باللغة الروسية، واثبت عنوانه بالعربية كما ترجمه مؤلفه وذلك لعدم توفر حروف طباعة روسية في المطبعة).

أما ناحية الضعف الثانية في كتاب الدكتور البصير فهي أنه اقتبس جلَّ معلوماته عن الحركة العسكرية للثورة من كتاب الجنرال هالدن سالف الذكر ولم يُشِرْ إلى وجهة نظر الثوار حول القضايا العسكرية إلا نادراً، وقد يعتذر البصير عن اتخاذه هذا الموقف بأن الثوار كانت تنقصهم السجلات التي تتعلق بإمكانياتهم العسكرية لأن قواتهم ما كانت على شكل جيش نظامي ولهذا تعذرت عليهم معرفة عدد القتلى والجرحى في المعارك. هذا فضلاً عن الخسائر المادية للمحاربين في الاموال والعتاد، وعلى الرغم من وجاهة هذه الحجة فان الثوار أو بالأحرى هيأة الدعاوة والنشر للثورة التي كان مركزها النجف كانوا يصدرون بلاغات حربية مطبوعة وخاصة عند وقوع المعارك المهمة بينهم وبين قوات العدو. وكان بعض هذه البلاغات يتضمن معلومات طريفة وقريبة للتدقيق أحياناً ولهذا تصلح لأن تكون من بين المصادر التي تساعد الكاتب إلى الوصول إلى الحقيقة، وقد أثبت نماذج أثناء البحث على سبيل المثال لا الحصر.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن البصير بالغ أحياناً في الدور الذي لعبته الأحزاب السياسية في الثورة كجمعية العهد وجمعية حرس الإستقلال، وعلى الرغم من كل ما ذكرت فان كتاب الدكتور البصير يبقى في الطليعة بين الكتب التي بحثت في الثورة.

ويعد كتاب الحسني سالف الذكر من بين الكتب الجيدة التي تناولت موضوع الثورة. وقد أورد الحسني في كتابه هذا تحقيقات شخصية مفيدة تدل على الجهد الذي بذله المؤلف في هذه الناحية، وأخص بالذكر الإستفتاء الذي عمله لاستحصال آراء مجموعة من الشخصيات المثلة بمختلف وجهات النظر، وقد دوَّن الحسني ما توصل إليه بهذا الصدد بفصل خاص من كتاب أسماه آراء وأفكار).

ولم يخلُ كتاب الحسني من نقصٍ، منها أن المؤلف لم يورد إلا نادراً أمثلة أو حالات واقعية تدعم الأحكام التي أصدرها، ويظهر ذلك بوضوح في الفصل المتعلق بأسباب الثورة، فالحسني يسرد في فصله المذكور أسباباً عديدة للثورة مثل سوء إدارة الحكام

وظلمهم للناس، وغلاء المعيشة في العراق حينذاك، واغتصاب الحكومة لأقوات الشعب، وذلك بشرائها بأثمان رخيصة وبيعها بأثمان عالية إلى آخر ما هنالك من الاسباب، ولكنه لم يدعم أقواله بمثال مقرون بزمان أو مكان أو الإثنين معاً.

وعندما حاولت أن أسدَّ هذه الثغرة عثرت على أمثلة كثيرة أوردتها في الفصلين الثالث والرابع من هذا الكتاب.

وهناك ناحية آخرى تتعلق بترتيب المعلومات لا أقرّ الحسني عليها وهي أنه بحث المفاوضات التي حصلت أثناء الحرب بين الإمام شيخ الشريعة والسلطات البريطانية في العراق قبل أن يبحث الحركات العسكرية التي سبقت هذه المفاوضات وربما استدعتها، وكنت اُفضل أن يشير الحسني إلى هذه المفاوضات في محلها، أي بعد انسحاب القوات الإنجليزية من الديوانية وذلك في ٣٠ تموز ١٩٢٠ حتى يستطيع القارئ أن يقدر أهمية هذه المفاوضات ويفهم موقف كل فريق من المتفاوضين.

ولا أعلم كيف تصور الحسني أن القارئ يستطيع الوقوف على أهمية المفاوضات وهو لم يقرأ بعد عن أعمال الفريقين عسكرياً، وقد اتبع بعض من كتبوا عن الثورة الطريقة التي اتبعتها ومن هؤلاء الدكتور البصير.

وكان السيد عباس علي من بين الذين ألفوا عن الثورة، وكان كتابه يدور حول حياة السيد محمد الصدر الذي أعطاه المؤلف لقب زعيم الثورة)، ولما كان إسهام السيد الصدر في الثورة محدوداً فإني لا أقر المؤلف على هذه التسمية، ثم إن الكتاب مشحون بعبارات المدح المفرط لذا لا أرى حاجة لمناقشة آراء الكتاب.

وكان الشيخ فريق الفرعون من بين الكتّاب الذين كتبوا عن الثورة، ويمتاز كتاب الشيخ فريق بكثرة الوثائق وتنوعها، ويظهر لي أن احتكاك الشيخ فريق بالثوار واشتراكه شخصياً مع أفراد اُسرته بالحركات العسكرية للثورة وقرابته من أحد زعماء الثورة

البارزين وهو الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، مكَّنه من الحصول على هذه الوثائق التي لم يستطيع أن يحصلها غيره ممن كتبوا عن الثورة.

وهناك ميزة أُخرى يكاد أن ينفرد فيها الشيخ فريق الفرعون وهي أنه يمثل وجهة نظر أبناء العشائر الذين قامت الحركات العسكرية للثورة على أكتافهم في الغالب، ولكن صفة الحياد مفقودة في كثير مما كتبه الشيخ فريق، فأراد الشيخ فريق أن يجعل الثورة فراتية لا عراقية، وقد يكون مع الشيخ فريق عذرٌ في هذه الناحية إذا نظر إلى الجانب العسكري من الثورة، إذ من المعلوم أن الغالبية العظمى من العمليات العسكرية تمت في منطقة الفرات الأوسط، ولكن الثورة لا تقتصر على الجانب العسكري كما لا تقتصر من حيث الزمان على الأشهر الخمسة التي اشتبك بها الثوار مع القوات البريطانية في العراق، ونحيل القارئ على الفصول القادمة من هذا الكتاب ليرى أهمية الناحية الفكرية والسياسية للثورة التي تمخضت عنها الأعمال العسكرية بعد أكثر من سنتين.

وليت الشيخ فريق الفرعون وقف عند هذا الحد، بل أن القارئ يلمح في ما كتبه الشيخ فريق تعصباً لمنطقته وقبيلته، وعندي أن الشيخ فريق أساء لمنطقته وقبيلته من حيث أراد الإحسان لهما، ولا أدري كيف يستطيع كاتب أن يكتب عن الثورة العراقية ويغفل أو يتناسى دور الفراتيين فيها؟ إنه إن تناساهم فلا يبقى له إلا الهيكل العظمي للثورة، وأيّ مؤلف يستطيع أن يكتب عن الثورة دون أن يبحث عن الأعمال الباهرة التي قامت بها قبائل الفرات الأوسط وخاصة قبائل الرميثة والسماوة والكفل والشامية والدغارة وغيرها؟ كما يكون المؤرخ قد جانب الحق إذا أغفل قبيلة الشيخ فريق آل فتلة وزعيمها الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، ومع كل هذا فإني لا أرى مبرراً للشيخ فريق في أن يؤكد على دور الفراتيين عامة وآل فتلة خاصة ولكنه يمر مروراً سريعاً أحياناً بجهود الآخرين الذين قاموا بواجبهم المقدس في الثورة كلٌ حسب ظروفه وقدرته.

وكتب الاستاذ علي البازركان كتابه المذكور كتعليق على كتاب الشيخ فريق سالف

الذكر ولكن لهجة الاستاذ البازركان كانت لا تفضُل لهجة الشيخ فريق في كثير من الأحيان فهما قد عقدا مناظرة ولم يكتبا تاريخاً.

أما الأُستاذ العمري فإنه مرَّ بالثورة العراقية سنة ١٩٢٠ مرور الكرام فكتب تفصيلات كثيرة عن حوادث دير الزور وتلعفر وغيرهما، وفي الوقت الذي نجده يطنب في ذكر جهود جمعية العهد في سوريا والعراق يورد معلومات مقتضبة عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠. يضاف إلى ذلك أن العمري خصص أكثر من نصف كتابه الذي هو عن العراق للبحث في شؤون البلاد العربية المجاورة.

اما كتاب أمين سعيد فهو يفضُل كتاب العمري مادة واسلوباً ولكنه يتفق معه في الغالب في وجهة نظره عن الثورة.

ومن أهم ما لاحظته في المؤلفات العربية التي كتبت عن الثورة هو خلوها من بحث عن الحالة الإقتصادية في العراق خلال فترة الإحتلال البريطاني وأثر ذلك في قيام الثورة، ولم تورد هذه المؤلفات عن هذه الناحية المهمة إلا معلومات عابرة لا تستند على أرقام إحصائية في الغالب، وقد حاولت سد هذا الفراغ فأوردت معلومات غير قليلة في أماكنها من هذا الكتاب.

وكان السير آرنولد ولسن نائب الحاكم الملكي العام أبان الثورة من بين الكتّاب الذين كتبوا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، وكان ولسن من بين الساسة البريطانيين الذين يعارضون السياسة الحرة في العراق وكان يعد التصريح الإنجليزي الفرنسي المعروف الصادر في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ بمثابة (قنبلة حقيقية أُطلقت فحطمت مقدماً الجهاز الإستعماري الجسيم الذي كان يحلم بتشميله منذ مدة طويلة على جميع بلاد الشرق الأوسط)[١]. ولم يستطع ولسن إخفاء عواطفه حين كتب كتابه سالف الذكر عن العراق،

(١) فيلبي، هـ سنت جون، أيام فيلبي في العراق (بيروت ١٩٥٠) ص ١٧.

فمرة يصف العراقيين بأنهم لا يتحلون بروح المواطنة الحقة، ومرة يصف القبائل العراقية بأنها شبيهة بالقبائل نصف المتوحشة، ثم يضطرب تحت ضغط الحقيقة لأن يعجب من اتحاد هذه القبائل لدوافع وطنية ودينية لمقاومة السلطات البريطانية عند قيام الثورة، ويظهر أن عواطفه طغت على حب الحقيقة حتى في تقاريره الرسمية فهو قبيل قيام الثورة بأيام زار الحلة فظهر له أن الناس مرتاحون للحكم البريطاني وأن المجتهدين فشلوا في حث الناس على القيام بوجه سلطات الإحتلال. وقد اشرت إلى هذا ونحوه مما أشرت إليه أثناء البحث.

أما الجنرال هالدن القائد العام للقوات البريطانية في العراق خلال الثورة فكان من بين الكتّاب الذين كتبوا مجلداً ضخماً عن الثورة، وكان هالدن أكثر تحرياً للحقيقة من السير ولسن ولم يتردد في الثناء على الثوار في بعض المناسبات التي تستوجب الثناء، ولكنه يهجم على الثوار أحياناً دون مبرر ويصفهم بأوصاف تقترب من أوصاف ولسن في بعض الاحيان.

وهناك ناحية أُخرى في كتاب هالدن المذكور لاحظتها أثناء البحث وهي أن أعداد القتلى والجرحى الإنجليز التي أوردها بكتابه تقل كثيراً عما ورد في رواية الثوار الخطية أو الشفهية، كما أن عدد قتلى الثوار كان مبالغاً فيه أحياناً.

وكانت المس بيل من أشهر من كتب عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، وعلى الرغم من أنها لم تتجنب الشطط في بعض ما كتبت بهذا الخصوص فهي أكثر تدقيقاً وأرقُّ لهجة من السير آرنولد ولسن، وكان وصفها للاستفتاء في الحلة بأنه معبرٌ عن آراء السكان من الأمثلة على ذلك، فقالت إن أهل الحلة عبروا بصورة قلبية عن رغبتهم في أن يكون السير برسي كوكس ملكاً على العراق، وقد روى لنا الدكتور البصير الذي كان حاضراً في الحلة عند إجراء الإستفتاء قصة التعبير القلبي لأهل الحلة، وقد أوردتُ ذلك في مكانه من هذا الكتاب.

وقد جانبت المس بيل الحقيقة حين وصفت الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي بالرجل الخرف) [1] وهذا النوع من التعبير لا يقرّه العرف التاريخي من جهة ولا يتناسب مع مركز الإمام في نفوس الملايين من المسلمين من جهة آخرى، ولا يبرر كون الإمام عدو الإنجليز اللدود للكاتبة أن تصفه بهذا الوصف.

أما كتاب المستر فليب ويلارد آيرلند سالف الذكر فيمتاز بالإنصاف والتدقيق في ترتيب الأحداث ولذا فهو ذو قيمة علمية بارزة [2]. ومع هذا فأن آيرلند لم يطلع على كثير من المصادر المحلية للثورة، فهو قلّما أجرى تحقيقات محلية مع أهل العراق مع أنه كان بوضع يستطيع معه أن يفعل ذلك لأنه اشتغل مدة في العراق، والتحقيقات المحلية كمصدر من مصادر التاريخ لا تخلو من الخطر ولكنها ضرورية في كثير من الأحيان، وقد استفدت منها عند كتابتي لهذا الكتاب.

وكان المسيو ليو كوتلوف من بين الذين كتبوا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وكان جهلي باللغة الروسية سبباً في عدم قدرتي على الإطلاع على جميع محتويات الكتاب، وقد ترجم لي بعض الأفاضل أجزاء من هذا الكتاب وخاصة الفصل المتعلق بالنتائج التي توصل لها المؤلف عن الثورة، ولم أكن بمركز من يستطيع أن يعطي حكماً عن هذا الكتاب [*].

وقد جريتُ في كتابي هذا على تقسيم الحركة الوطنية في العراق خلال هذه الفترة إلى دورين: أحدهما فكري وسياسي وثانيهما سياسي وعسكري، فالدور الفكري يتمثل بما دخل هذه البلاد من وسائل الثقافة الحديثة سواء كان ذلك من الغرب مباشرة أو عن طريق بلدان الشرق الأوسط وخاصة البلاد العربية مثل سورية ومصر. كما يتمثل الدور

---

(١) بيل. المس، فصول من تاريخ العراق، ص ١٧٠.

(٢) انطونيوس، جورج، يقظة العرب. ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس (بيروت ١٩٦٢) ص ٤٣٠.

(*) لقد علقتُ في مقدمة الطبعة الثانية على الكتاب المذكور بعد أن ترجم إلى العربية.

الفكري في نهضة صحافية محدودة نشأت على الأكثر بعد الإنقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ وخاصة في المراكز الثقافية المهمة مثل بغداد والبصرة والموصل والنجف الأشرف. ويظهر النشاط السياسي في هذا الدور بالحركة الدستورية التي باركها جماعة من المجتهدين في النجف الأشرف وعملت لها نخبة من المثقفين في العراق، كما يظهر النشاط السياسي في ما أُنشيء من جمعيات وأحزاب سياسية مبعثرة هنا وهناك وإن كانت النجف الأشرف وبغداد في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى مركزين للحركة الفكرية والسياسية معاً، فإن البصرة كانت موطناً رئيساً لحركة سياسية معروفة، وقد أوردتُ تفصيلات وافية عن هذا الدور في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

وقد كانت ظروف الحرب من الأسباب الرئيسة في تنشيط الحركة السياسية في العراق إذ كثُر المشتغلون بالسياسة كما أخذت أعمالهم تتركز في أهداف معينة وهي العمل من أجل تحرير البلاد وإقامة حكم وطني فيها، وقد أخذت بغداد تشاطر النجف الأشرف قيادة الحركة الوطنية، أما الموصل فإن الثورة العربية في الحجاز وسورية أولاً، والحركة الكمالية في تركيا ثانياً بعثتا فيها روحاً وطنيةً ظهرت آثارها في الحركات التي أعقبت الهدنة في سنة ١٩١٨ سواء كان ذلك في ولاية الموصل نفسها أو في دير الزور. أما البصرة خلال الحرب وبعدها فإنها أخذت تتخلى عن مركز القيادة السياسية الذي أحرزته قبل الحرب ثم سيطرت عليها حالة من الفتور امتدت طيلة فترة الإحتلال بما فيها قيام الثورة العسكرية في يوم ٣٠ حزيران ١٩٢٠. وخصصت الفصل الثالث من هذا الكتاب لبحث دور الإحتلال البريطاني للعراق، كما بحثت فيه أحوال البلاد السياسية والإقتصادية خلال هذا الدور.

اما الفصل الرابع من كتابي هذا فقد خصصته لبحث أسباب الثورة المختلفة فظهر لي أن السبب الديني كان في الصدارة من بين هذا الاسباب. وتعرضت في الفصل الخامس إلى بحث الحركات العسكرية خلال ثورة العشرين فظهر لي أن إسهام مدن البصرة

وبغداد والموصل فيها كان ضئيلاً ما عدا جهود فردية لبعض الذين هربوا من وجه سلطات الإحتلال ولبعض الضباط الذين كانوا في الجيش العثماني وقد التحق هؤلاء بمناطق الثورة الرئيسة في الفرات الأوسط.

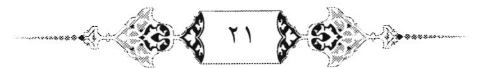
اما الجهات الوسطى والجنوبية من العراق ما عدا الفرات الأوسط[١] فقد كان إسهامها في الحركات العسكرية خلال ثورة ١٩٢٠ محدوداً، فلولا جهود الشيخ ضاري المحمود وبعض الوطنيين في لواء الدليم وعدد من الأهالي في ديالى وعلى رأسهم الشيخ حبيب الخيزران، ولولا الحوادث المبعثرة في لواء الناصرية (المنتفك) لكانت الأعمال العسكرية للثورة من نصيب سكان الفرات الأوسط فقط. يضاف إلى ذلك أن جماعات مبعثرة وأفراداً ضحوا بأموالهم ودمائهم في سبيل الوطن أمثال عبد المجيد كنّة الذي شنقته السلطات الإنجليزية ببغداد، وما ورد في بلاغ أصدروه في ٢ ذي الحجة ١٣٣٨هـ عن ضحايا حركة حصلت ببغداد. ويقول هذا البلاغ إتصل بنا أن نار الثورة استعرت في بغداد فقُتل في الجانب الغربي عشرون جندياً من البريطانيين وذلك عندما أرادوا القبض على الشيخ يوسف السويدي...

وقد تزعم الثورة رجال الدين ورؤساء القبائل، فكان القطب الذي دارت حوله الثورة الإمام محمد تقي الشيرازي أولاً وآية الله شيخ الشريعة ثانياً والإمام مهدي الخالصي ثالثاً.

وظهرت شخصيات كانت أبرز من غيرها في الحقلين السياسي والعسكري، فكان السيد محمد الصدر ويوسف السويدي وجعفر أبو التمن من أبرز العاملين في الحركة الوطنية ببغداد، وكان الشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد علوان الياسري والشيخ عبد الواحد الحاج سكر والسيد نور الياسري من أهم العاملين في الحركة الوطنية سياسياً

---

(١) يقدر الجنرال هالدن على النص ٣٣١ من كتابه سالف الذكر خسائر الثورة بـ (٨٤٥٠) شخصاً بين قتيل وجريح. وان (٥٥٠) من هذا العدد قتلوا أو جرحوا في المناطق العراقية الآخرى عدا الفرات الأوسط والأعلى. اما الباقون فقد قتلوا أو جرحوا في منطقة الثورة الرئيسة وهي الفرات الأوسط.



وعسكرياً في منطقة النجف الأشرف والشامية. اما في منطقة الديوانية فكانت شخصية الحاج مخيف والسيد هادي مكوطر والشيخ شعلان أبو الجون والشيخ غثيث الحرجان من أبرز العاملين في الحركات العسكرية للثورة، وكانت شخصية السيد كاطع العوادي من أشهر الشخصيات العاملة في الحقل الوطني بالحلة، أما في الدليم وديالى فكان الشيخ ضاري المحمود والشيخ حبيب الخيزران من أبرز العاملين في الحركات العسكرية للثورة.

إن تأكيدي على هذه الشخصيات لا يعني إهمال الجهود التي قام بها الآخرون، كلا فإن جميع الذين أسهموا بالثورة ينظرهم الشعب العراقي نظرة تقدير وإجلال وستنظرهم الأجيال القادمة نظرة ملؤها الإحترام والفخر.

أما الفصل السادس من هذا الكتاب فقد دونتُ فيه النتائج الرئيسة للثورة.

وقبل أن اختم مقدمتي هذه أُقدم جزيل شكري لأُستاذي الدكتور نقولا زيادة أحد أساتذة التاريخ في الجامعة الأمريكية ببيروت الذي كان خير معين لي أثناء كتابتي لهذه الرسالة وقد كان لإرشاداته القيمة وتوجيهه أثر واضح في إخراج هذه الثمرة المتواضعة إلى حيز الوجود.

كما إنني أتقدم بجزيل الشكر للمؤسسات والأفراد الذين مدّوا لي يد المساعدة سواء بتزويدي بالمصادر أو الوثائق، وأخص بالذكر هيأة المدارس الجعفرية ببغداد التي زودتني بوثائق تأسيس أول مدرسة جعفرية أهلية تحت إسم مكتب الترقي الجعفري العثماني)، والسيد محمد علي كمال الدين الذي زودني بأعداد جريدتي ((الفرات)) و ((الإستقلال)) النجفيتين فصورتهما واتخذت منهما نواة لمجموعة الوثائق التي جمعتها عن الثورة العراقية التي أصبحت ملكاً لمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت، والشيخ أسد حيدر الذي زودني بوثيقة موقعة بتوقيع الامام شيخ الشريعة. ولا يفوتني أن أشكر مؤسسة فلبرايت، كما أشكر جامعة بغداد التي منحت هذا الكتاب منحة مالية سخية مكنتني من نشره.

وختاماً أشكر ولدي المهندس سالم الذي ساعدني في تصحيح مسودات هذا الكتاب.

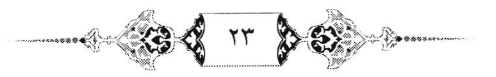
وأقول قبل الختام: إنني حاولت أن أدرس الثورة العراقية دراسة موضوعية ولكنني لا أدّعي أنني وفيت الموضوع حقه إذ إنني أحتمل وجود وثائق لم أتمكن من العثور عليها خاصة الوثائق الرسمية الموجودة في الهند وبريطانية والوثائق التي يحتفظ بها أهلها في العراق.

وكل ما أرجوه أن تكون دراستي هذه محفزاً لحضرات الباحثين لينبروا لإتمام هذه الصفحة التي دونتها من تاريخ العراق، كما يعملوا على تدوين الصفحات الأُخرى من تاريخ العراق الحديث التي أشعر أن تدوينها بصورة علمية لم يتم بعد[١].

بغداد – في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٢م

عبد الله الفياض

(١) كان أصل هذا الكتاب اطروحة قدمت للجامعة الأمريكية ببيروت في ١ حزيران ١٩٥٤. وقد أضفتُ إليها معلومات كثيرة عثرت عليها مؤخراً.



مقدمة الطبعة الثانية

في خلال السنوات العشر التي مضت على صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ظهرت مجموعة من الكتب والمقالات تناول فيها مؤلفوها من عرب واجانب ناحية أو أكثر من نواحي موضوع الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ووردت في تلك الكتب والمقالات طائفة من المعلومات ذات العلاقة بالثورة لم يتضمنها كتابنا في طبعته الأولى، يضاف إلى ذلك أن مجموعة من الوثائق تيسر لنا العثور عليها بعد الانتهاء من طبع الكتاب، وسنشير في هذه المقدمة إلى ما اطلعنا عليه من وثائق، كما ندون ما نراه ضرورياً من تعليقات على طائفة من الكتب والمقالات التي صدرت بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب. وإليك أهم تلك الوثائق:

أولاً – وثيقة عن الملاحة في دجلة والفرات عنوانها:

Navigation of the Tigris and Euphrates By British Merchant Vessels

وأُصدرت الوثيقة في الخامس من مايس ١٨٨١م لغرض استعمال وزارة الخارجية البريطانية[١] وكانت موجهة من القنصل البريطاني ببغداد. **T. C. Plowden** ت. سي. بلاودن إلى الايرل كرانفيل **Earl Granville**.

وتتكون الوثيقة المذكورة بعد تكبيرها من المايكروفلم من عشر صحائف تضمنت الرسائل المتبادلة بين المسؤولين البريطانيين في بغداد واستانبول ولندن والمسؤولين العثمانيين في بغداد واستانبول حول الامتياز الذي منح لبريطانية والذي يخولها حق

(١) **printed for the use of the foreign office. May 5. 1881 confidential (4438) (crown Copyright)**

الملاحة في انهر العراق، وقد نص في الوثيقة على ان تلك الملاحة مباحة لأغراض التجارة فقط. وجاءت تفصيلات في القسم الاول من الوثيقة منها:

الاول - للحكومة البريطانية حق تسيير السفن في دجلة والفرات.

ثانياً - يحق للتجار البريطانيين الملاحة لأغراض تجارية في أحد نهري العراق أو كليهما.

ثالثاً - يحق لشركة ملاحة السادة لنج **(Lynch)** وشركاء تسيير البواخر في النهرين المذكورين.

رابعاً - بينت الوثيقة أن الحكومة البريطانية منذ حملة جسني في سنة ١٨٣٤ كانت مهتمة في تأسيس طريق للملاحة بين البحر المتوسط والهند البريطانية، ووردت الرسائل المتبادلة بين الحكومتين العثمانية والبريطانية حول موضوع الملاحة في النهرين تباعاً في الوثيقة المذكورة.

ومن المعلوم أن شركة لنج للملاحة في لعبت دوراً مهماً في تثبيت النفوذ البريطاني في العراق في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن، وكانت سيطرتها على شؤون الملاحة في هذه البلاد موضع اهتمام جماعات كبيرة من السكان، وطالبت تلك الجماعات الحكومة العثمانية بتصفية أعمال الشركة المذكورة. وسنشير إلى ذلك في موضعه من هذا الكتاب.

ثانياً - رسالة تنبيه الأُمة وتنزيه الملّة للشيخ حسين النائيني.

تتكون الرسالة المذكورة من مقدمة مفصلة وخمسة فصول. وتناول الكاتب في المقدمة تفصيل حقيقة الاستبداد والمشروطية (الدستور)، كما بحث ضرورة وجود قانون أساسي للدولة يشرف على تطبيقه مجلس أُمة، وأوضح المؤلف أن ما قرره بشأن تلك المفاهيم في أعلاه أمر مسلَّم به من جميع الأُمم، وأن عقلاء العالم إتفقوا عليه، وأن نظام العالم وتعايش نوع البشر يقتضيه.

وسنقتبس من الرسالة المذكورة ما يهمنا بالدرجة الأولى وهو الدعوة إلى وجود دستور يشرف على تطبيقه مجلس للامة في موضعه من هذا الكتاب.

وإذا علمتَ أن المؤلف هو أحد مجتهدي عصره وإن ثمانين مليوناً من الشيعة المسلمين بما فيهم أغلبية سكان العراق يلتزمون بقوله وإن الكتاب نُشر في مدينة النجف الأشرف المحافظة من جهة، وذات المركز الديني المرموق من جهة أُخرى، تقدر أهمية تلك الآراء في حينها، كما يتبين لك دورها المهم في إيقاظ شعور المسلمين وإثارة تفكيرهم في قضايا عصرهم بما فيها ضرورة تقيد الحكام بالدستور وحق الأفراد بالتمتع بالحرية والمساواة.

ومما يقوم دليلاً على تأثير تلك الآراء رغم حداثتها وسبقها لعصرها أنها وجدت آذاناً مصغية من قبل معاصريها فانقسم الناس حيالها إلى جماعات الأحرار وهم مؤيدو الدستور والمساواة بين الناس، وجماعات مؤيدي الاستبداد والرجوعية.

ومن الجدير بالذكر إن أهم مجتهدين من مجتهدي العصر هما الشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني أيّدا آراء المؤلف التي ضمّنها في رسالته المذكورة بدليل خطي نُشر في الصفحة الأولى من الرسالة، وقال الشيخ محمد كاظم «الرسالة الشريفة تنبيه الامة وتنزيه الملّة التي هي من إفاضة.... مدار الشريعة، صفوة الفقهاء والمجتهدين، ثقة الإسلام والمسلمين..... محمد حسين النائيني...أجَلُّ من التمجيد وجديرة بالتعلم والتعليم وأن يستفاد منها أخذ أُصول المشروطية من الشريعة المحقة...»، وقال الشيخ عبد الله المازندراني ما ملخصه: أن الرسالة الشريفة تنبيه الامة وتنزيه الملّة كما قرر في أعلاه أجَلّ من التمجيد، وأنها كافيه لتكميل العقائد وتصديق المسلمين الوجداني بأخذ كل الاصول والقواعد السياسية من الدين الإسلامي القويم. ويفهم من تقريض المازندراني لتلك الرسالة أنه يعترف بأن محتوياتها مطابقة لمقتضيات الشريعة.

ثالثاً - تقرير رسمي[1] عن المدرسة العلوية الإيرانية الأهلية في النجف الأشرف.

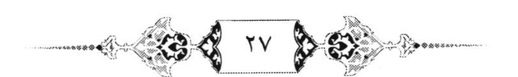
وتضمن التقرير المذكور معلومات مفيدة عن تأسيس المدارس الحديثة بما فيها العلوية في النجف الأشرف، كما أشار إلى تأييد علماء الدين ومن بينهم حجج الإسلام: الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند ثم الشيخ حسين النائيني والسيد ابو الحسن الموسوي وغيرهم للمؤسسات المعنية بالثقافة الحديثة ومن ضمنها المدرسة العلوية. وسنورد ماله علاقة بموضوعنا عند الكلام عن تأسيس المدارس الحديثة في النجف الأشرف وفي غيرها من المدن العراقية.

رابعاً - فتاوى ودعوات لمقاومة الحكم المطلق في الداخل وللجهاد ضد الأعداء في الخارج.

أصدرت تلك الدعوات والفتاوى طائفة من علماء الشيعة الإمامية في النجف والكاظمية ووجهتها لحكام المسلمين وشعوبهم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وأهم الوثائق التي عثرنا عليها في هذا الصدد ما يأتي:

أ. برقيتان أرسلهما المجتهدان محمد كاظم الخراساني وعبد الله المازندراني، واحدة منهما إلى جمعية الإتحاد والترقي الإيرانية في استانبول، أما الثانية فوجهاها إلى عموم المسلمين في ممالك قفقاسية وباطوم وغيرهم. وكانت البرقيتان موقعتين بختم كل من المجتهدين المذكورين ومؤرختين في العشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٦هـ. وسنثبت صورتيهما في موضعهما من هذا الكتاب.

(١) طبع التقرير المذكور على الآلة الكاتبة، ولغته الفارسية، ولا يحمل التقرير إسم كاتبه ولا تاريخ تدوينه، وربما كان كاتبه هو مرتضى علائي أحد العاملين في المدرسة العلوية، وقد وردت في التقرير عند ترجمته لعلاي العبارة التالية (وهو الذي كتب هذا المقال) وأعارني الاستاذ عبد الرحيم محمد على نسخة التقرير فصورته بالاوفست في الشعبة المختصة في المجمع العلمي العراقي ولا أعلم أبي توجد في الوقت الحاضر نسخته الأصلية.



ب. فتوى طائفة من علماء الشيعة في النجف[١]، وضمّنها اولئك العلماء حكمهم بوجوب الدفاع عن طرابلس الغرب حينما هاجمها الإيطاليون سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ). وسننشر صورتها مذيلة بإسماء الموقعين عليها في موضعها من هذا الكتاب.

ج. مجموعة فتاوى طائفة من علماء الشيعة في العراق حول وجوب جهاد الإنجليز الذين هاجموا العراق في بداية الحرب العالمية الأولى وسنثبت نماذج من تلك الفتاوى في موضعها من هذا الكتاب. ويناهز عدد تلك الفتاوى والرسائل الثلاثين، وكل وثيقة من تلك الوثائق كانت مصدرة بإسم الشخص المرسلة إليه ومذيلة بتوقيع العالم أو العلماء الذين أرسلوها إليه.

خامساً - كراسان صغيران أحدهما بقلم حجة الإسلام القطيفي المشار إليه في الهامش ذي الرقم (٣) وكانت لغته العربية، بينما كان الكراس الثاني بقلم شيخ الشريعة الاصفهاني ولغته الفارسية.

ويتألف الكراس من (٧) صحائف بالحجم الصغير، ورد على الصفحة الأولى إسم مؤلفه ((شيخ الشريعة)) وأنه يبحث در خصوص وجوب رفع غائلة خلاف ونفاق ولزوم اتحاد واتفاق در حفظ إستقلال اسلام ورفع تعديات أجانب)[٢]أ.

ويبدو من عنوان الرسالة أن كاتبها شيخ الشريعة كان يدعو المسلمين إلى وجوب ترك الخلاف والنفاق والتمسك بالإتحاد والوفاق لغرض حفظ إستقلال البلاد الإسلامية وردّ تعديات الأجانب عنها. وكانت المشكلة الكبرى التي تشغل بال المسلمين حين كتابة الرسالة، أي في مطلع العقد الثاني من هذا القرن، هي هجوم إيطالي على طرابلس الغرب وفصلها عن الدولة العثمانية، ثم تعديات روسيا على شمال إيران وسعيها لاقتطاع

(١) نشرت صورة الفتوى ملحقة بكراس أصدره الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي تحت عنوان (دعوة الموحدين إلى حماية الدين) وطبع الكراس في النجف سنة ١٣٢٩هـ.

(٢) طبع الكراس المذكور ببغداد بمطبعة الآداب دون ذكر تاريخ الطبع.

أقسام من تلك البلاد لضمها للبلاد الروسية، وقد أشارت الرسالة المذكورة (ص٥) إلى تلك المشكلة ودعت إلى اتحاد المسلمين وضرورة الوقوف صفاً واحداً لرد تعدي هاتين الدولتين.

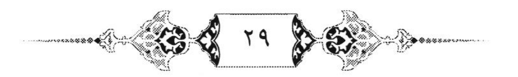
أما الرسالة القطيفية فإنها كما يظهر من عنوانها المشار إليه في الهامش الثالث من هذا البحث، تبحث في وجوب الجهاد لإنقاذ طرابلس الغرب من الإيطاليين، ويظهر ذلك، فضلاً عما جاء في متنها، مما أُلحق في العنون وهو أن مؤلفها صنّفها أيام هجوم إيطاليا على طرابلس الغرب ١٣٢٩هـ).

وجاء في صفحتها الثالثة: إن المسيحين أخذوا يشنون الغارات على أوطاننا ويوقعون الوقائع الفضيعة بإخواننا حتى استولوا على الهند والسند والأندلس وتونس واستعمروا مصر القاهرة وأنشبوا مخالبهم بالبحرين وعمان وغيرهما من أغلب سواحل جزيرة العرب وشوشوا إيران وأخذوا قفقازية، انتزعوا منا هذه الأقطار العظيمة... ولم يزالوا يجدّون ونتثاقل... حتى بسطوا أكّف عدوانهم إلى طرابلس الغرب... كأنهم قد أمنوا ثورة الأُمة المحمدية ولم يرهبوا هيجان رجال الدول الإسلامية، ألم يعلموا أن المسلمين عضو واحد...) يضاف إلى ذلك أن المؤلف أثبت فتوى العلماء في وجوب الجهاد لحماية طرابلس من إيطاليا التي سنثبت صورتها في موضعها من هذا الكتاب.

سادساً - جريدة النجف الأشرف[(١)ب].

تناولت الجريدة المذكورة عدداً من مشكلات العصر كما يظهر من الأمثلة التي سنوردها بعد قليل. يبدو أنها كانت معنية في المقام الأول بشؤون الدفاع عن البلاد الإسلامية بعامة

(١) كانت الجريدة المذكورة تصدر في النجف الأشرف ولغتها الفارسية. وكان مديرها المسؤول الحاج محمد بن الحاج حسين، أما صاحب امتيازها ومديرها فهو الشيخ حسين الطهراني. وكانت الجريدة تطبع في مطبعة حبل المتين في النجف وهي اسبوعية يتألف عددها من (٨) صحائف. وصدر عددها الأول في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٢٨هـ.



وعن منطقتي شمال إيران التي كانت عرضة لتعديات الروس وطرابلس الغرب في ليبيا التي عمل الإيطاليون على اقتطاعها من الدولة العثمانية.

وقد تصدت الجريدة المذكورة للبحث في جهود علماء العصر من الشيعة الرامية إلى حث المسلمين على الإتحاد في وجه الغزاة من جهة وإلى ضرورة إعلان الجهاد لصد الاعتداء على المنطقتين المنكوبتين في ليبيا وإيران من جهة أُخرى.

وإليك طائفة من الأمثلة المقتبسة من الجريدة المشار إليها في أعلاه:

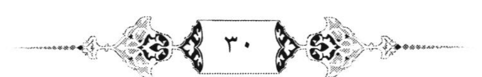
أولاً - نشرت الجريدة ([1]ج) البرقية التالية الموجهة إلى مجموعة من الجرائد العثمانية المعاصرة في استانبول الإستانة - جمعية السعادة الإيرانية - جريدة: (يكي اقدام) طنين (ترجمان حقيقت) (ترون ترك) (علمدار) (العدل) (الخضار) (مدير أثر انص عثماني).

نص البرقية: ظهرت منذ سنوات فكرة استيلاء إيطاليا وروسيا على طرابلس وإيران واستعباد المسلمين من أهلها وإذلالهم. وعملت الدولتان على فتح تلك الأراضي الإسلامية المقدسة. نقول انه بعد أن أصبحت نوايا الدولتين معلومة للجميع في الوقت الحاضر إذا اضمحلت كرامة إيران وقوميتها وقُضي على إستقلالها وأُذل شعبها لا سمح الله فإن ذلك سيكون ضربة مهلكة للعالم الإسلامي.

ومهما أمعنت الدولتان اللئيمتان في تقطيع الممالك الإسلامية إرباً إرباً فإن تمسك المسلمين بدينهم الحنيف كفيلٌ بإرجاعهما خائبتين خاسرتين، ونحن بصفتنا علماء المسلمين نؤكد ضرورة تخليص إيران ونطلب منكم إعلان حكمنا المتضمن وجوب الدفاع بصفكم إلى جميع المسلمين في شتى أنحاء العالم، ونعلمكم بأننا ملزمون ومستعدون لإراقة آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الإسلام والوطن الإسلامي.

التوقيع: محمد كاظم الراخاساني - السيد إسماعيل صدر الدين العاملي - عبد الله

(١) (٢ج) - العدد (٣٠) ٢٣ ذو الحجة ١٣٢٩ هـ. ص ٥.



المازندراني - محمد حسين الحايري المازندراني - شيخ الشريعة الاصفهاني.

ثانياً - نشرت في الجريدة[1]. المشار إليها في أعلاه برقية مؤرخة في ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ. وجهها عدد من كبار العلماء الشيعة في النجف الأشرف إلى السلطان العثماني محمد الخامس. واليك نصها:

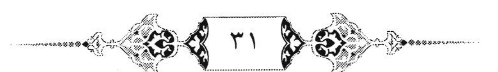
إلى المقام المقدس ملك المسلمين السلطان محمد الخامس خلّد الله ملكه. بسم الله الرحمن الرحيم. رُوِّع العالم الإسلامي نتيجة لتعرض بلاده للغزو من جميع الأطراف. نحن بصفتنا رؤساء المذهب الجعفري الذي ينتمي إليه ثمانون مليوناً من المسلمين من سكان إيران والهند وسائر المناطق الأُخرى وقد اتفقنا وحكمنا بوجوب الجهاد لغرض الدفاع والهجوم، ونرى أن عموم المسلمين مكلّفون بإراقة الدماء لصيانة دين محمد ﷺ وان ذلك العمل فرض عين، ونعرض على أعتاب الملك حامل الأمانات المقدسة وخادم الحرمين الشريفين وخليفة الإسلام ونطلب منه أن لا يتضايق من إعطاء لواء النبي ﷺ إلى المسلمين الذين سيتقاطرون من أنحاء العالم للدفاع عن بلادهم، وأن محافظة السياسة الاوربية[2]هـ قد ولى ونسترحم بمقتضى الشريعة وشأن الخلافة إعطاء الأمر.

التوقيع: محمد كاظم الخراساني - عبد الله المازندراني - سيد إسماعيل صدر الدين العاملي - محمد حسين الحائري المازندراني.

وقد وردت في الجريدة المذكورة برقية موجهة من جماعة علماء الشيعة نفسها إلى المسلمين في بومبي بخاصة وإلى عموم المسلمين في الهند بعامة تدعوهم فيها إلى إعلان الجهاد، وجاء في مستهل تلك البرقية التي سنثبت نصها ونصوص غيرها من المواد المماثلة في مواضعها من الكتاب: إن هجوم الروس على إيران وإيطاليا على طرابلس كانا من

(١) أيضاً ص٥.

(٢) من المحتمل أن العلماء كانوا يقصدون بالسياسة الاوربية إن امتناع السلطان فيما سبق من إعلان الجهاد يعود إلى رغبته في تجنب إثارة الدول الاوربية التي تحكم جماعات من المسلمين في مناطق مختلفة من البلاد الإسلامية لا ضرورة لذلك لامتناع في الوقت الذي هم فيه بعد ان تكشفت نوايا تلك الدول.



أسباب ذهاب الديانة الإسلامية واضمحلال الشريعة والقرآن لذا كان من الواجب واللازم على الأُمة الإسلامية أن تجتمع وتقرر الدفاع عن وطنها وتعمل على رفع تلك التعديات الروسية والإيطالية... وإن هذا التحرك الإسلامي بمثابة جهاد في سبيل الله وإن القائمين به مشابهين لمجاهدي بدر وحنين).

تواقيع الجماعة المشار إليهم في أعلاه مضافاً إليها توقيع شيخ الشريعة الاصفهاني. ويمكننا أن نستنتج من النماذج التي نشرناها في أعلاه ومن المحتويات الأُخرى للجريدة المذكورة ما يلي:

أولاً - إن جماعة العلماء الشيعة في النجف الأشرف والكاظمية وفي غيرهما من المدن العراقية المقدسة كانت واعية ومدركة للأخطار التي حاقت في العالم الإسلامي حينذاك وحكمت بوجوب الجهاد لدرء تلك الأخطار.

ثانياً - إن النماذج السابقة كانت موجهة لجماعات وأشخاص ومؤسسات لها الصدارة في العالم الإسلامي حينذاك فإحداها - كما يظهر من النماذج المشار إليها في أعلاه - كانت موجهة لكبريات الصحف في الإمبراطورية العثمانية، والثانية للخليفة العثماني، والثالثة لعموم المسلمين في الهند، مما يدل على وعي أُولئك العلماء وقدرتهم على تقدير أهمية الجهات التي خاطبوهم ببرقيتهم المتضمنة لفتاواهم وبخاصة جماعة مسلمي الهند لأن مخاطبتهم ودعوتهم للجهاد كانت تقلق بريطانيا وهي أعظم دولة في ذلك الحين لأ نها كانت تسعى للحفاظ على سلطتها في الهند وتعمل على إبعاد الهنود عن كل ما يوقظ شعورهم الوطني والديني حتى تحتفظ بسيطرتها على بلادهم.

ثالثاً - حَوَت الجريدة المذكورة - فضلاً عما ذكر - مواد ومعلومات كان الهدف من إيرادها بعث روح الإتحاد بين المسلمين حيث كانوا وحثهم على مقاومة الدول الإستعمارية بما فيها روسيا وإيطاليا التي كانت حينئذ تسعى لتمزيق العالم الإسلامي واستعمار أرضه.

الكتب المنشورة والمترجمة بعد صدور الطبعة الأولى

أولاً - كتاب (معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠) للسيد محمد علي كمال الدين المطبوع ببغداد ١٩٧١، وهو من منشورات دار البيان. يعد الكتاب المذكور من الكتب المهمة في موضوعه لأن كاتبه كان شاهد عيان لكثير من الحوادث التي ضمّنَها في كتابه وبخاصة ثورة النجف سنة ١٩١٨م، ثم الحوادث التي تتعلق بدور النجف في ثورة العشرين. وإذا علمنا أن المؤلف كان حينذاك من بين أفرادالطبقة المثقفة والعاملة في القضايا الوطنية في الوقت نفسه، نقدر أهمية المعلومات التي أوردها في كتابه.

ومن الجدير بالذكر أن المرحوم المؤلف لم يترك كتابه بشكله النهائي، بل ترك مجموعة من الجذاذات التي تتضمن معلومات تكاد تكون مبعثرة كما يبدو من التعليق الذي أورده الناشر في نهاية الكتاب. يضاف إلى ذلك أن الناشر الرئيس وهو الاستاذ علي الخاقاني استعان بزميل له وهو الاستاذ كاظم المظفر على إعداد الكتاب للنشر، ونخشى أن تكون مهمة الناشر الرئيس ومساعده معا تعدت حدودها التي رسمتها لها قواعد النشر العلمي، تلك الحدود التي تفرض عرض النص الأصلي بالشكل الذي أراده المؤلف دون زيادة أو نقص. ومن خلال تصفحنا للكتاب نقرر - على سبيل الترجيح لا الجزم - إن دور الناشر الرئيس وهو الخاقاني تعدى حدود النشر المعتادة سواء كان ذلك بالإضافة إلى النص أو الحذف منه أو إعادة تنسيقه أو تزويده ببعض ما ورد فيه من صور ووثائق وربما الأغلبية العظمى منها وما إلى ذلك مما لا يخفى على المختصين من قراء الكتاب بصورته التي وصلت إلينا. ولا شك عندي إن إضافات الاستاذ الخاقاني للكتاب كانت يسيرة، ولكنها رغم قلتها غير مباحة في نظر أهل صناعة التحقيق والنشر العلميين.

ثانياً - كتاب (العشائر العراقية) الجزء الأول للدكتور عبد الجليل الطاهر[1].

يبحث الكتاب المذكور في أنساب مجموعة من العشائر العراقية وفي أحوالها الإجتماعية والإقتصادية ومواقفها السياسية وعلاقتها بالإدارتين العثمانية والبريطانية قبل الحرب العالمية الأولى وحتى سنة ١٩٢٠م.

وقد ضم الكتاب طائفة من المعلومات المهمة عن العشائر العراقية وبخاصة سكان الأقسام الجنوبية والوسطى من البلاد. وللكتاب ملحق نافع كتبه الشيخ باقر الشبيبي عن تاريخ الشطرة. وراجع المؤلف مجموعة من المصادر كان من بينها مجموعة من التقارير التي كان الحكام السياسيون البريطانيون يزودون فيها مراجعهم سواء كان ذلك في بريطانيا أو الهند أو بغداد. ومما مكّن الدكتور الطاهر من الإستفادة من التقارير المذكورة هو أنها أصبحت في الآونة الأخيرة متيسرة في دار الوثائق العراقية ببغداد، وقد استطاعت الدار المذكورة جمع طائفة كبيرة من تلك الوثائق وتيسيرها للباحثين، واستطاع الدكتور الطاهر، فضلاً عما سبق، من إجراء مقابلات شخصية لعدد من الأفراد الذين عاصروا الحوادث التي تضمّنها الكتاب ومنهم من أسهموا في صنعها. وقد دوّن الدكتور الطاهر ما حصل عليه من معلومات في هوامش فضلاً عن المقدمة وردت في مواضع عدة من كتابه وبذا قام بخدمة علمية نافعة. وعلى الرغم مما سبق فإن كتاب الدكتور الطاهر لا يخلو من هفوات منها:

١. إن الغالبية العظمى من محتويات الكتاب مترجمة عن التقارير البريطانية ولكنّ الكاتب عد الكتاب مؤلَّفاً لا مترجَماً كلاً أو جزءاً، وكاد الطاهر أن يغفل ذكر الكتّاب الذين ترجم عنهم ما عدا إشارات أوردها عنهم هنا وهناك. وأعتقد أن الكاتب بعمله هذا بخس أصحاب تلك المعلومات شيئاً من حقوقهم، ولو أنه عمد إلى الفصل بين المعلومات المترجمة سواء كان ذلك في المتن أو في الهوامش، والمعلومات التي كتبها هو لكان ذلك أفضل للقارئ من جهة، وأجدر بأن يحقق الامانة العلمية

(١) طبع الكتاب المذكور ببيروت ١٩٧٢.

من جهة آخرى.

٢. لقد ورد في مطاوي الكتاب تصحيف وتحريف في طائفة كبيرة من أسماء الأشخاص أو البقاع لم يمكّن القارئ من أن يعلم بأنها وردت مصحّفة ومحرّفة بالأصل المترجَم عنه أم أن الدكتور الطاهر قد حرّفها وصحّفها؟ ولو التزم الكاتب بذكر مصادره التي ترجم عنها تلك الأسماء مقرونة بالصفحات لأمكن الرجوع للأصل لمعرفة مصدر التحريف والتصحيف. وقد جمعت طائفة من تلك الأسماء [1] المحرّفة والمصحّفة أوردتها هنا على سبيل التمثيل لا الحصر.

(١)

الخطأ	الصواب	الصفحة
الحضرة	الحارة	٥١
الخريطة	الطينة	٥١
ابو كهنم	ابو غنم	٥١
العبيد	العبد	٥١
قمر الرزق	كمر آل زراك (كاف فارسية)	٥٢
الفاميات	الفياضيات	٥٣
العابد	العبد	٥٣
مزبد	مزيد	٥٣
العتاب	عتاب	١٩١
الراشد	آل رشيد	٢٠٢
محمد الحسن	محمد حسن الموسى	١٨٩
الحجام	حجام (جيم فارسية)	٥١، ١٩١
طراد الكهف	اطراد الجهف (جيم فارسية)	٥١، ١٩١
البو عظام	البو عظم	١٩٥
الدائرة	الدايرة	١٩٥
لكاد	اللكادة	١٩٥
عبد السيد	آل عبد السيد	٢٠٠
شياع الدهام	اشياع الدحام	٢٠٠
الطلاحية	الطلاحبة	٢٠١
الفضيل	آل فضيل	٢٠٢
الحيوان	آل حيوان	٢٠٣
مجذب	مجذاب (ميذاب في لغة العامة)	٥١

٣. أثار الدكتور عبد الجليل الطاهر قضية تأييد الشيخ خيون العبيد للثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ أو عدمه.

وقرر في الهامش الذي أورده على الصفحة (٢٣٨) من كتابه المشار إليه في أعلاه أن المعاصرين للأحداث يذكرون خلافاً لما ورد في الطبعة الأولى من كتابي عن الثورة حول تقاعس الشيخ خيون العبيد زعيم قبيلة العبودي في الشطرة عن تأييد الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠. ولو تتبع القارئ ما أورده الدكتور الطاهر وما تبناه من نصوص لكتّاب عرب وأجانب لوجد تناقضاً واضحاً بين ما قرره في هامشه المشار إليه في أعلاه وبين النصوص التالية التي وردت في مواضيعها من كتابه. قال الطاهر: وطلب الثوار من الشيخ خيون الإلتحاق بهم فاعتذر لهم). نقل الطاهر تثمين الجنرال هالدين لجهود الشيخ خيون المبذولة في مساعدة بريطانيا، وإن تلك الجهود كانت السبب الرئيس في عدم توسع الثورة وشمولها لمنطقة الغراف حيث يمتد نفوذ الشيخ خيون. ثم إن الطاهر نقل أبياتاً من الشعر الشعبي استشهدنا بها على تقاعس الشيخ المذكور ووصف قائلُ تلك الأبيات الشيخَ خيونَ بأنه عطّل فريضة الجهاد التي هي بمثابة الصلاة والصوم على حد قوله. وعند كلامه عن جهود حاكم الشطرة موطن الشيخ خيون، البريطاني في عزل عشائر الغراف عن عشائر الفرات، قال الطاهر إن جهود الحاكم المذكور كادت تفشل ولكن بفضل المساعدات التي قدمها خيون أقام توماس جداراً من العشائر الموالية ضد انتشار الثورة) [١].

وبعد ما قدمنا لا نرى ضرورة لسوق الأدلة على ضعف الرواية التي استند الطاهر لا سيما أن الموقف المتقاعس الذي اتخذه الشيخ خيون من الثورة يكاد يكون معروفاً لدى جمهرة المعاصرين لتلك الأحداث.

(١) الطاهر، المصدر السابق، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

ثالثاً – الثورة العراقية للسير ارنولد ولسن[1].

ويتألف الكتاب المذكور من فصول[2] مختارة اختارها الخياط من كتاب[3] ألفّه ولسن عن العراق وترجمها وزودها بتعليقات وملاحق نافعة.

كان ولسن مؤلف الكتاب الحاكم الملكي البريطاني في العراق قبيل نشوب الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وفي أثنائها، لذا يعد كتابه الذي نحن بصدد التعليق عليه ذو أهمية خاصة لأن كاتبه كان معاصراً للأحداث ومشتركاً في صنعها أولاً، وإن آراء الكاتب تمثل في الغالب وجهة نظر المدرسة الهندية البريطانية بصفة احد العاملين من اعضائها، تلك المدرسة التي لا تعطف كثيراً على الحركات الوطنية الناشئة في المناطق التابعة لنفوذها ومن بينها العراق ثانياً.

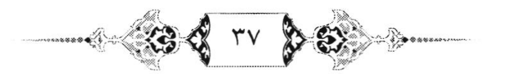
ويستطيع القارئ أن يجد بين دفتي كتاب ولسن أكثر من مثال على تنكر مؤلفه للحركة الوطنية في العراق قبيل نشوب الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، ثم مجانبته للحقيقة حين ينكر وجود تلك الحركة، وأخيراً حطه من شأن العاملين في الحقل الوطني حينذاك. يقول ولسن: ((لم يكن للحركة (الوطنية) في العراق خلال سنة ١٩١٩ قادة يوجهونها حتى ولا ممثلون مفوضون لها)) [4] وسيرى القاريء بعد الإطلاع على المعلومات التي ضمّنها في مواضعها من الكتاب الذي نقدمه في طبعته الثانية أن ولسن أهمل ذكر النشاط السياسي والعسكري لجمعية العهد العراقية في سورية ودير الزور وفي مناطق من شمال العراق، كما أهمل ثورة النجف الأشرف التي نشبت في سنة ١٩١٨ والتي تبنتها جمعية النهضة

(١) ترجم محتويات الكتاب المذكور جعفر الخياط وطبع ببيروت سنة ١٩٧١.

(٢) أشار المترجم إلى تلك الفصول والصفحات التي شغلتها من أصل الكتاب في الهامش الثاني من الصفحة العاشرة من كتاب الثورة.

(٣) عنوان الكتاب المكون من مجلدين أولهما يسمى: **Loyalties, Mesoptamia 1914-17 (1930).** الثاني: **Mesopotamia 1914-1920, A Clash of Loyalties (1931).**

(٤) الثورة العراقية، ص ١٧.



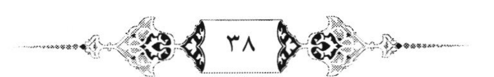
الإسلامية التي كانت تضم بين أعضائها جماعة من رجال الدين والمثقفين والعاملين في الحركة الوطنية، يضاف إلى ما سبق أن المؤلف أهمل الحركات الكردية بما فيها حركة الشيخ محمود التي قامت في شمال العرق ضد الإنجليز.

يقول ولسن في معرض كلامه عن فعالية القوة الجوية البريطانية في العراق خلال عهده أنها أسهمت ((في قصف القرى الكردية التي قتل سكانها الحكام السياسيين، وفي إصلاء العصاة من أتباع الشيخ محمود بنيران الرشاشات، وبذلك وقفت على شيء من الامكانيات المنطوية في هذا السلاح الجديد)) وينحى ولسن باللائمة على رؤسائه من البريطانيين لأنهم لم يطلقوا يده في استعمال تلك القوة فيقول ((على أن هذا الرأي لم يحظ إلا بقليل من الدعم والتأييد في سملا أو في المقر العام ببغداد))[1].

ويظهر مما سبق أن ولسن تارة ينكر وجود ممثلين للحركة الوطنية في العراق، وتارة يعترف بأن جماعات من الأكراد قتلوا الحكام السياسين، وأنه قصف قراهم، كما يعترف بثورة الشيخ محمود ولكنه نعت القائمين بها بالعصاة وأمر بإصلائهم بنيران الرشاشات على حد قوله، ولا ندري كيف يمكن التوفيق بين نشاط جمعية العهد في الحقل الوطني، وثورة النجف، وثورة الشيخ محمود، وجماعات الأكراد الذين قتلوا الحكام السياسيين، وبين نكران المؤلف لوجود ممثلين للحركة الوطنية في العراق سنة ١٩١٩ مع أن الحوادث التي أشار إليها الكاتب حصلت قبل التاريخ الذي حدده هو، وأن ثورة العشرين التي نحن بصدد البحث فيها حصلت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ أي بعد أشهر من التاريخ الذي أشار إليه فيما سبق.

ويستطيع القارئ أن يقف على نوايا ولسن تجاه الحكم الوطني من دراسة التقرير الذي قدمه لحكومته الذي أورد نصه على الصفحات (٤٥-٤٩) من كتابه الذي نحن

(١) أيضاً، ص ٣٥.



بصدد البحث فيه. أشار ولسن في تقرير سالف الذكر إلى ضرورة تشكيل مجلس دولة أو مجلس وزراء [1]، ولكنه جرّده من السلطة وجعله تابعاً للمندوب السامي بقوله: يعين كل واحد منهم (الأعضاء) المندوب السامي ويقيه عن المجلس متى شاء)، ثم أشار إلى تشكيل المجلس التشريعي وبسط صلاحيته ولكنه جرّده من السلطة أيضاً فقال في (ف - ب - من م٢) من واجبات المجلس التشريعي ولكن إذا رفض المجلس إمرار القانون بالطريقة التي يطلبها مجلس الدولة تكون لمجلس الدولة... صلاحية الإصدار من دون موافقه المجلس التشريعي) [2]

رابعاً - ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق للأُستاذ ل، ن كوتلوف [3].

بحث الاستاذ كوتلوف في كتابه المذكور ثورة العشرين العراقية بصورة تفصيلية. ويمتاز الكتاب الذي نحن بصدد الكلام عنه بما أورده كاتبه من تحليل عميق للعلاقات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في العراق في بداية هذا القرن. كما يمتاز بكثرة المصادر وتنوعها وأن طائفة منها بخاصة الروسية كانت جديدة لم يستعملها - كما أعلم - غيره ممن كتبوا عن الثورة.

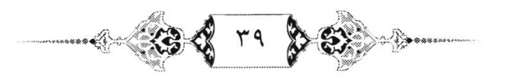
وحاول الكاتب أن يكون موضوعياً خلال سرده لوقائع الثورة وأحداثها، ولكنه اشتط في بعض التحليلات التي وردت في مواضع من كتابه، وسنضرب أمثلة على النواحي التي لمسنا فيها ذلك النوع من الشطط والمبالغة. قال المؤلف: ((أن الثورة كانت من صنع الجماهير الثائرة من أفرادالقبائل...)). وقال: ((تحول الإقطاعيون والكومبرادور إلى جانب المحتلين)) وقال: ((الطبقات الغنية هربت من الثورة))[4].

(١) أيضاً، ص ٤٥.

(٢) أيضاً، ص ٤٨.

(٣) ترجم الكتاب المذكور عن الروسية الدكتور عبد الواحد كرم وطبع ببغداد سنة ١٩٧١م.

(٤) الصفحات: ١٨٩، ١٢٠، ١٨٣.



وسيجد القارئ في متن الكتاب الذي نقدمه أن دور رجال الدين والإقطاعيين في الثورة كان بالغ الأهمية، والفئتان المذكورتان لا يمكن أن يكونا من طبقة الجماهير، كما أن أفراداً من الاغنياء أمثال السيد نور الياسري أنفقوا مبالغ طائلة لتمويل الثورة.

وسنوضح كثيراً من هذه القضايا وأمثالها في مواضعها من كتابنا. وبعد ما قدمناه من ملاحظات عامة عن الكتاب ومؤلفه نورد فيما يلي طائفة من الملاحظات التفصيلية عما ورد في الكتاب بصورته المترجمة إلى العربية عن الروسية:

١. وردت حادثة مقتل الكولونيل البريطاني لجمن بصورة خاطئة في الكتاب. قال كوتلوف ((قامت جماعات من أفرادالقبيلة - بمهاجمة الوحدات البريطانية، ثم التحق بهم الشيخ مع حرسه، وقد قتل ليجمان في المعركة من قبل (خميس) ابن الشيخ ضاري.

وتابعت فصائل الثوار من قبيلة الزوب (كذا) بقيادة الشيخ ضاري بمساعدة فصائل الاسناد التي أُرسلت من الفرات الأوسط تطهير المنطقة الممتدة بين دجلة والفرات من القوات البريطانية...))[(١)] ومن المعلوم أن لجمن لم يقتل في معركة كما ذهب المؤلف بل اغتاله الشيخ ضاري المحمود في محلٍ يعرف بخان ضاري[(٢)].

٢. وردت معلومات في هامش الصفحة السابعة والعشرين عن السنة والشيعة من المسلمين، قال كاتبها: ((ويعترف الشيعة بالقرآن إلا أنهم يرفضون السنة))[(٣)] وخطأ القول المذكور واضح لأن الأدلة الشرعية لتحصيل الأحكام الفرعية عند الشيعة هي: ١. القرآن؛ ٢. السنة؛ ٣. الإجماع؛ ٤. العقل.

---

(١) ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ص ٢٠٠.

(٢) ولسن، الثورة العراقية، ص ١٢٨.

(٣) كوتلوف، المصدر السابق، ص ٢٠٠.

٣. وردت طائفة من الأعلام[1] في مطاوي الكتاب بصورته المترجمة، محرفة ومصحفة ولا نستطيع الجزم فيما إذا كان مصدر ذلك التحريف والتصحيف هو المؤلف أو المترجِم وذلك لأننا نجهل اللغة الروسية.

سادساً - ثورتنا في شمال العراق للأستاذ عبد المنعم الغلامي[2].

بحث المؤلف في كتابه المشار إليه أعلاه الانتفاضات والحركات التي حصلت في شمال العراق بين سنتي ١٩١٩ - ١٩٢٠م، وحاول المؤلف أن يدعم المعلومات التي ضمّنها كتابه بوثائق أورد نصوص طائفة منها على شكل ملاحق لكتابه. ومن أشهر الوثائق المذكورة:

١. المضبطة الكردية التي وقعها فريق من زعماء الأكراد. وكانت المضبطة موجهة إلى مؤتمر الصلح ومجلس عصبة الأُمم في باريس، وطالب فيها موقعوها تحقيق إستقلال العراق كدولة واحدة لا انفصام لها، كما طالبوا توثيق الروابط بالأقطار العربية [3]

٢. نموذج لأحد المناشير التي كانت ترسلها جمعية العهد في الموصل إلى المناطق الجبلية الكائنة شرقي الموصل وشمالها الشرقي.

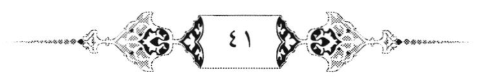
---

(١)

الخطأ	الصواب	الصفحة
قبيلة الدافر	الضفير	١٢٦،٣٢
المستشرق زاخاو اوساخادو	سخو اوساخو	٥٠ ،٣٢
الجنرال كاونشند	طاونزند	١٠٥
الجنرال لوندين	هولدين	١٤١
لجنة كينكا - كرينا	كمنك (كاف فارسية) كراين	١٧٨
الشيخ فهدبي	بيك (كاف فارسية)	١٨٤
قبيلة الزوب	زوبع	٢٠٠
قبيلة الزوالم	الظوالم	١٨١

(٢) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٦٧.

(٣) المصدر السابق، الملحق رقم (١) ص ١١٢ - ١١٤.



وقد حاول المؤلف توضيح الجهود التي بذلها الوطنيون في الشمال للخلاص من كابوس الإحتلال البريطاني، كما حاول توضيح الوسائل التي استعملتها السلطات الإنجليزية المحتلة لإضعاف الحركة الوطنية في شمال العراق وتضييق الخناق على المتذمرين من الإحتلال فضلاً عن العاملين على كسر الطوق الإستعماري دون هوادة، وبذا قدم الغلامي مؤلف الكتاب نافعه للتاريخ.

وقد يكون من المفيد أن أُسجل الملاحظتين التاليتين على الكتاب المذكور وهما:

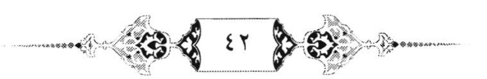
١. أن المؤلف ساوى بين الإضطرابات والحوادث المنعزلة التي عالجها وبين الثورات والحركات ذات الأهداف الوطنية الواضحة فجعل ما حصل من اضطراب في منطقة زاخو ثورة) على حد قوله، وما حصل من اضطراب في العمادية ثورة(١) ثم جعلها على صعيد واحد مع ثورة الشيخ محمود في السليمانية بالرغم من أن الأخيرة كانت ذات أهداف وطنية واضحة.

وفشلت ثورة الشيخ محمود لا بسبب غموض في هدفها بل لقلة تنظيمها وفقر دعواتها وعدم قدرتها على تحقيق الإتصال بالمشتغلين بالحركة الوطنية في بقية أنحاء العراق، والتناسق بين نشاط قادتها ونشاطهم الوطني.

٢. كنت أود أن يحاول المؤلف - نظراً لصلة عائلته وإسهام طائفة من افرادها باحداث الشمال حينذاك - أن يوضح نقطة غامضة وهي الصلة بين الحركات التي أرّخها في شمال العراق وبين ما كان يجري من حركات مماثلة في بغداد والنجف الأشرف والفرات الأوسط فيثبت تلك الصلة إن وجدت وينفيها في حالة عدم وجودها، ثم يبين الأسباب التي يراها لظاهرة إنعزال حركات الشمال عن الحركات المماثلة في الجنوب، وأعتقد إن حركات الشمال التي تناولها الكتاب الذي نحن بصدده وإن كانت موجهة ضد الإنجليز المحتلين ولكن غالبيتها كانت محلية وأنها كانت ضعيفة

---

(١) أيضاً، ص ٧٠.



الصلة - إذا استثنينا ما حوته بعض المضابط ومن بينها المضبطة التي أشرنا إليها في أعلاه من دعوة لإستقلال العراق - بمثيلاتها من الحركات والانتفاضات فضلاً عن ثورة العشرين التي جرت في المناطق الأُخرى من العراق، ونعتقد إن ذلك يعود إلى:

١. إن جمعية العهد التي نشرت رايتها على معظم الحركات التي جرت في الشمال وبخاصة المناطق العربية منه كانت بعيدة عن مسرح الأحداث، وكان فرعها في الموصل رغم إخلاص معظم العاملين فيه ومن بينهم جماعة من آل الغلامي لم يستطع ان يقوم بالدور الذي فرضته عليه الاحداث بصورة كاملة ومثمرة، وكان الأجدر بقادة جمعية العهد - إن هم أرادوا إنقاذ العراق من الإنجليز - أن يتركوا وظائفهم المريحة بالشام وحلب وينقلوا مقرهم إلى الموصل حيث يتواجد مؤيدو مبادئ جمعيتهم ليشرفوا على الأحداث عن كثب، وأعتقد أن بقاءهم في الشام يدل على ضعف في جديتهم، وإن ذلك البقاء أفقد الحركة الوطنية في الشمال خبرتهم ونفوذهم المعنوي وجعلهم على هامش الأحداث لا في صميمها، وأعتقد أن معظم الجهود الوطنية التي بُذلت في الشمال حينذاك وإن جرت الغالبية منها بإسم جمعية العهد وتحت رايتها كان من صنع السكان المحليين ونتيجة لتضحياتهم في الأموال والنفوس، يضاف إلى ذلك إن معظم قادة العهديين في الشام كانوا ميالين إلى التعاون مع الإنجليز في العراق ولا يرون إخراجهم منه، ومما يعزز النتيجة التي توصلنا إليها عن دور المركز الرئيس في الشام لجمعية العهد هو أن فرع الجمعية في الموصل وهو اللولب الذي دارت حوله الأحداث الوطنية في شمال العراق لم يكن على وفاق مع قادة جمعية العهد العراقي في الشام حول طريقتهم في معالجة القضايا الوطنية، وان الحل الذي اقترحه قادة فرع الموصل للقضية الوطنية في العراق - كما يظهر من الوثيقة التي نشرنا نصها في الطبعة الأولى من كتابنا[1] الذي نقدمه للقارئ - كان

(١) كانت الوثيقة مؤرخة في ٨ تشرين الثاني ١٩١٩. وأثبتنا جزءاً من نصها على الصفحات ١٥٨ وما بعدها من الطبعة الأولى من كتابنا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ المطبوع ببغداد ١٩٦٣.

يقوم على التعاون مع الأتراك والروس لا مع الحلفاء كما يرى قادة العهد العراقي في الشام، وكان معتمد جمعية العهد العراقي في الموصل الاستاذ رؤوف الغلامي يرى أن قادة العهد في الشام مخطئون إذا تصوروا أن القضية العربية بما فيها قضية العراق تحل بالتعاون مع الحلفاء. قال الغلامي: ((والذي نتصوره أنْ لا خلاص للعرب خاصة ولا للاسلام عامة بعد أن كشف الحلفاء عن مكنوناتهم... إلا باتفاق العرب والترك مع البلشفيك وألمانيا والنمسا...))، وقال أيضاً: ((ونقول لكم بكل صراحة أنه إن كان في الموصل نوع من الأمل في الاخلاص من الإنجليز عند الكثير من الناس فإنما يتوقعونه من مصطفى كمال...))[1].

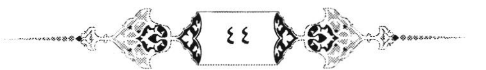
وكان الجدير بالاستاذ عبد المنعم الغلامي أن ينشر الوثيقة المشار إليها وأن يزودنا بما عنده من المعلومات عنها وعن غيرها من الوثائق المعاكسة لمحتويات التاريخ الرسمي الذي نسب لقادة جمعية العهد في الشام أمجاداً لا يستحقون كثيراً منها، وكم يكون مفيداً أن نعرف عن الرأي الذي لا يخلو من ابتكار والذي دونه رؤوف الغلامي قبل ما يزيد على نصف قرن من الزمن، ذلك الرأي القائم على التعاون بين العرب والقوى العالمية الجديدة ومنها روسيا وتركيا الكمالية.

وكان تنكر الأتراك الكماليين للحلفاء واستفادتهم من تأييد روسيا الجديدة ومعاونتها من بين العوامل التي ساعدتهم على نيل الإستقلال، بينما كان صمت العرب عن الفكرة التي دونها الغلامي من بين العوامل التي حرمتهم من الإستفادة من القوة الروسية الجديدة التي كانت تسير تجاه الشعوب المضطهدة على نهج إيجابي يختلف عن النهج المعروف للحلفاء تجاه تلك الشعوب.

٢. إن رداءة المواصلات والفوارق المذهبية بين العراقيين من سكان الشمال والعراقيين من سكان الوسط والجنوب كانا أهم عاملين لبعثرة الجهود الوطنية التي قام بها كل

---

(١) الزعيم التركي المعروف.



من الفريقين أثناء الإحتلال الإنجليزي للعراق، ونتج عن ذلك اختناق الحركات الوطنية في مهدها كلٌ على انفراد، وليس غريباً أن نجد ثورة العشرين التي نحن بصدد تدوين تأريخها تقوم في الدرجة الأولى على أكتاف سكان بغداد والفرات الأوسط وبعض مناطق ديالى والفلوجة، بينما نجد إسهام سكان شمال العراق فيها كان ضئيلاً إن لم يكن معدوماً.

الفصل الأول:

أحوال العراق الإجتماعية والإقتصادية في نهاية القرن التاسع عشر

لم يكن هدفي من كتابة هذا الفصل التمهيدي الإلمام بأحوال البلاد الإجتماعية والإقتصادية في مطلع هذا القرن، بل كل ما كنت أتوخاه هو أن ألقي نظرة سريعة على هذا النوع من العلائق التي كانت شائعة بين سكان هذه البلاد في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن.

كان العراق لقرون خلت خاضعاً للحكم العثماني ولكن قبضة العثمانيين على هذا البلد - إذا استثنيا المدن الكبيرة كبغداد والموصل والبصرة - لم تكن قوية ويكاد نفوذ العثمانيين أن يكون إسمياً في بعض المناطق التي تكونت فيها إتحادات قبيلية قوية كبعض أجزاء ولاية البصرة التي تكوّن فيها إتحاد قبائل المنتفك(1)، والفرات الأوسط الذي

(1) تكوّن إتحاد قبائل المنتفك من قبائل كثيرة مبثوثة من أعالي الناصرية إلى ظهر البصرة نهراً وبراً، وفي القرن الثاني عشر للهجرة احتلت هذه القبائل قسماً من نهر الغراف وهو غراف الشطرة وقلعة سكر وقرى حطامان. وكانت هذه المجموعة من القبائل تسكن أرضاً أُطلق عليها ديرة المنتفك نستطيع أن نقدرها بما لا يقل عن عشرة آلاف ميل مربع، وذلك بالإستناد إلى معرفتنا التقريبية لحدودها الشمالية والجنوبية حيث كانت تمتد من الفاو عند مصب شط العرب إلى أعالي السماوة. أما عدد نفوسها فيقدره سليمان فائق على الص ١٤٩ من كتابه الموسوم بـ (تاريخ بغداد) المطبوع ببغداد ١٩٦٢ بمائتي ألف نسمة، كما قدره الشيخ ثامر السعدون نائب المنتفك السابق بنصف مليون. ولكنني أعتقد أن هذه التقديرات لا تخلو من مبالغة وذلك لقلة نفوس العراق في العهد العثماني، وقد قدر نفوس العراق في نهاية القرن التاسع عشر الاستاذ عبد الرزاق الهلالي على الص ٣٣ من كتابه الموسوم بـ (تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني) المطبوع ببغداد ١٩٥٩ بمليون وربع نسمة. وكان لهذه القبائل أهمية كبيرة في سياسة البلاد إلى درجة أن الجنرال هالدن على الص ٢١٦ من كتابه سالف الذكر عد مدينة الشطرة إحدى المدن التي تقطن حولها هذه القبائل بمثابة بارومتر للوضع السياسي في أواسط الغراف خلال العهد التركي، ويعتقد أن هذه المدينة التي تمتعت بتاريخ طويل من الفوضى والاضطراب كانت مثار قلق للموظفين الأتراك الذين لاقى بعضهم حتفه فيها.

تكوَّن فيه إتحاد الخزاعل، وبعض الأقسام الساحلية من دجلة الواقعة جنوب بغداد حيث تكوَّن إتحاد بني لام وقبائل ربيعة، ويعزى ضعف سيطرة العثمانيين على معظم أنحاء العراق إلى بعد وادي الرافدين عن الأستانة ورداءة المواصلات من جهة، ولشيوع النظام القبيلي الذي لا ينسجم مع وجود سلطة مركزية من جهة أُخرى، وقد خيم الجهل والفقر والمرض خلال أكثر فترات الحكم العثماني فصارت البلاد ساحة للحرب والمنازعات وما لحقها من الكوارث العظيمة مما أدى إلى خراب الديار واندثار مؤسسات الري التي يتوقف عليها رفاه هذه البلاد بالدرجة الأولى.

وكان طبيعياً تحت ظروف كهذه أن تكون القبيلة هي التنظيم السياسي والإجتماعي الذي يمكن أن يعيش في ظله الأفراد وأن يمنح هؤلاء الأفراد إخلاصهم وولاءهم لذلك التنظيم دون غيره، وكان لكل قبيلة من هذه القبائل منطقة خاصة بها تسمى ((الديرة))[١].

وقد اقتضت سياسة الحكومة العثمانية في العراق أن تبقى القبائل على ما كانت عليه من تشاحن وخلافات فظلّت هذا القبائل تتنازع فيما بينها مرة، وأُخرى مع الحكومة، وكانت الحكومة تستعين ببعض القبائل الموالية لها لضرب القبائل الثائرة، وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر أي في عهد ولاية مدحت باشا على العراق ثارت قبائل الدغارة وقتلت متصرف الديوانية فاهتم الوالي لهذا الأمر وجهز جيشاً كبيراً لقمع هذه الحركة مستعينا بالقبائل الموالية للحكومة [٢]، وكانت هذه القبائل لا تعترف بسلطة الحكومة إلا قليلاً، وبالرغم من محاولات الحكومة المتكررة في سبيل تثبيت سلطتها في المناطق القبيلية فأنها لم تنجح بذلك مما دعاها إلى الإكتفاء من رؤساء القبائل بدفع مبالغ معينة لقاء منحها الأراضي الزراعية بطريقة الإلتزام.

---

(١) منطقة مخصصة لرعي الحيوانات أو الزراعة لقبيلة أو لمجموعة من القبائل.

(٢) البصير، محمد، مهدي، القضية العراقية، ج١، ص٧.

وكان رؤساء القبائل كثيراً ما يماطلون في دفع هذه المبالغ فحينئذ تلجأ الحكومة لاستعمال القوة لتحصيل ضرائبها من العشائر، فكانت مجموعة قبائل الخزاعل في الفرات الأوسط في نهاية القرن الماضي لا تدفع للحكومة إلا ١٪ من الضرائب المستحقة عليها وعندما تجمع الحكومة ضرائب الرز في هذه المنطقة ترسل مفارز عسكرية لهذا الغرض(١).

وكان المجتمع العشائري قائماً على نوع من العلاقات والروابط الإجتماعية التي تدور حول ((وحدة الدم)) أو ((العصبية)) التي تفرض بعض الحقوق والإلتزامات المتبادلة والتي تعمل على توحيد وجهات النظر المختلفة وشد القبائل والعشائر فتتميز بعضها عن بعض(٢).

ولم تقم الحكومة العثمانية خلال حكمها الطويل في العراق إلا نادراً بإصلاحات إدارية واقتصادية من شأنها حل مشكلات القبائل المستعصية، فهي لم تستطع نشر الأمن في البلاد ولم توطن القبائل وتيسر لها العيش عن طريق تنظيم الري، وكرست الحكومة معظم جهودها لشن الحملات التأديبية على هذه العشائر، وعلى الرغم من كثرة هذه الحملات وقساوتها فأنها لم تؤد إلى تفكك الروابط القبيلية والقضاء على نظم القبائل وأعرافها وإنما دفعت الأفراد إلى البحث عن الطمأنينة في التنظيم القبيلي(٣).

ولعل أهم محاولة للإصلاح خلال الحكم العثماني في عهد مدحت باشا الذي قدم والياً على العراق سنة ١٨٦٩، وقد حاول هذا الوالي أن يقوم بإصلاحات إدارية واقتصادية

---

(١) **British Government, Reports of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia. Vol 1. P. 66.**

(٢) تقرير سري لدائرة الإستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة ترجمة عبد الجليل الطاهر، بغداد، ١٩٥٨، ص ٥.

(٣) الطاهر، عبد الجليل، البدو والعشائر في البلاد العربية، بغداد ١٩٥٤، ص ٢٧.

وثقافية، ويعد إدخاله لنظام تسجيل العقارات بطابو من أهم أعماله [(١)]، وكان مدحت يستهدف من وراء إدخال نظام الطابو معالجة مشكلة التوطين والقضاء على فتنة الثورات بتدابير إيجابية وتحويل القبائل إلى مواطنين بتوفير سبل العيش وتحسين وسائل الري [(٢)]، وتميزت ولاية مدحت باشا بمحاولته في تفويض الأراضي الأميرية لطالبيها بأثمان بخسة وبأقساط طويلة المدى، وعندما شرع مدحت باشا ببيع الأراضي التي عدها أميرية تقدم عدد من سكان المدن [(٣)] ورؤساء العشائر ومن بينهم السعدون لشراء الأراضي.

ولسنا هنا بصدد بحث الظروف التي تم فيها تفويض الأراضي في عهد مدحت، بل يهمنا آثار سياسة مدحت فيما يتعلق بالأرض في تطوير العلاقات الإجتماعية والإقتصادية في أجزاء كبيرة من العراق وخاصة في ولاية البصرة، ولعل أبرز هذه الآثار ما حصل من تضارب في المصالح الإقتصادية بين الملاكين الجدد وبين الفلاحين، ولنضرب مثلاً على ذلك ما حصل بين زعماء مشيخة المنتفك آل سعدون وأفرادعشائر المنتفك.

فعندما رغب مدحت باشا في تطبيق سياسة توطين العشائر إستقدم الشيخ ناصر إلى

---

(١) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد ١٩٤١، ص ٣٣٣؛ (٣) الطاهر، عبد الجليل، البدو والعشائر، ص ٣٧.

(٢) الحكومة العراقية، الإصلاح الزراعي وإعمار الأراضي، بغداد ١٩٥٦، ص ش.(٥)؛ لونكريك، ن، م، ص٣٣٢ - ٣٣٣.

(٣) لقد حصلت مناقشات طويلة بين الباحثين حول نظرة الحكومة العثمانية للأرض التي فوضها مدحت باشا بعد اعتدادها أميرية صرفة يجوز لها بيعها. فلونكريك، على الص ٣٣٣ من كتابه الموسوم بـ (أربعة قرون) وعبد الرزاق الظاهر على الص ٧٦ من كتابه الموسوم بـ (الاقطاع والديوان في العراق) المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٤٦، يريان أن الحكومة باعتدادها هذه الأراضي أميرية تجاهلت حقوق المزارعين التي اكتسبوها عن طريق السكنى والتصرف، ومن الناحية الثانية يرى يعقوب سركيس على الص ٨٠ من الجزء الأول من كتابه الموسوم بـ (مباحث عراقية) المطبوع ببغداد ١٩٤٨ أن وجهة نظر الحكومة صحيحة وإن الأرض سالفة الذكر أميرية لم يكتسب السكان فيها أية حقوق. وقد أوردت تفصيلات وافية عن قضية تفويض الأراضي الأميرية في عهد مدحت باشا في كتابي الموسوم بـ (مشكلة الأراضي في لواء المنتفك) المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٦.

بغداد وأطلعه على سياسة الحكومة الجديدة، تلك السياسة التي تنطوي على تحويل المشيخة إلى متصرفية بالفعل لا بالإسم فقط، وعدَّد الوالي للشيخ ناصر حسنات الإستقرار في موضع معين وما يتبع ذلك من رقي في الزراعة، ووعد الباشا شيخ المنتفك بأن يسهّل له ولعائلته عملية تفويض الأراضي في لوائي البصرة والمنتفك، وقد وافق الشيخ ناصر على سياسة الحكومة وقَبِل تفويض مساحات شاسعة في لوائي ذي قار (الناصرية) والبصرة بإسمه وأسماء أفراد أسرته. وأود أن أشير هنا إلى أن آل سعدون بتفاهمهم مع الحكومة وتحولهم من شيوخ يشاركون أفراد العشائر في حروبهم القبيلية التي كان من أهم دوافعها حماية ديرة المنتفك من هجمات القبائل الأُخرى أو من هجمات الحكومة، إلى ملاكين يجبون إيجار الأرض، وضعوا حجر الأساس في الخلافات الطبقية بينهم وبين أتباعهم من أفراد قبائل المنتفك.

وفي معرض كلامه عن اضطراب العلاقات القائمة بين المزارعين وآل سعدون يقول لونكريك: ((كان تبدل الوضع هذا شيئاً فجائياً لسكان الأهوار، فعندها كانت أراضي المنتفك الواسعة ينعم بها إنعاماً رسمياً على هذا السعدوني أو ذاك، أخذت تبدأ معها المنازعات بين المالك والملتزم))[١] وقد أشار تقرير أصدرته الحكومة البريطانية سنة ١٩١٦ إلى المنازعات الجديدة بين الشيوخ المنتفك وأفراد قبائلهم بقوله: ((بعد أن وزعت أرض العشائر بين الدولة والسعدون وسجلت في السجلات الرسمية على هذا الوجه وجد أفراد القبائل انفسهم بأنهم انحدروا إلى مجرد مستأجرين، ولكن أفراد القبائل لم يعترفوا بهذا التغيير وأظهروا تذمرهم منه، ذلك التذمر الذي تحول إلى ثورة دائمية، فان محاولاتها هذه باءت بالفشل. وكان انشغال الحكومة في فترة ما قبل الحرب العالمية (يقصد الحرب العالمية الأولى) بالحروب البلقانية والإيطالية من الأسباب الرئيسة في فشلها سالف الذكر. وقد نجم عن الحالة التي وصفناها عجز الحكومة والسعدون

(١) لونكريك، أربعة قرون، ص ٣٣٣.

معاً عن جباية أُجرة الأرض من المزارعين بكاملها، ولم يتيسر لهما إلا الحصول على جزء يسير منها))(١).

ولما عُيِّن ناظم باشا والياً على بغداد سنة ١٩١٠ ((طار السعدون فرحاً)) ولكن أفرادالعشائر ((جزموا بأن السعدون يكونون عوناً ويداً للحكومة، ومنذ ذلك اليوم أخذ أفراد العشائر ينظرون إلى السعدون نظرهم إلى أعدائهم وكابحي جماحهم))(٢).

وكان سعدون باشا زعيم عائلة السعدون في ذلك الحين، وكان هو وابنه عجيمي يقسون على عشائر المنتفك. وفي سنة ١٩١١ زار تسعة من شيوخ البدور في عيد الأضحى من هذه السنة عجيمي بك بن سعدون باشا ولعلهم فعلوا ذلك حباً بالسلام والرجوع إلى اتفاق والوئام، لا سيما وأن اعجيمي المذكور أمنهم على أنفسهم وعاهدهم العهود الوثيقة أن لا يؤذيهم ثم بعد ذلك غدر بهم كما غدروا هم بأبيه فقتل سبعة منهم وفدى إثنان نفسيهما بمال طائل فافلتا، ولما سمعت العشائر بهذه الخيانة هاجت وماجت وآلت على نفسها أن تنتقم من سعدون مهما كلفها من المال والرجال وخلعت طاعته ولم يبق من العشائر الموالية له سوى الضفير وهذه أيضاً لم تبق على حبها له... وكانوا له بمقام الخدم والعبيد منقادين لجميل أوامره وزواجره وما كان يكرم أحداً منهم غير رؤسائهم فأنه كان يكسوهم ثياباً في السنة مرة لا غير... وأصبح سعدون وحيداً شريداً طريداً....

ولما كان بقاء سعدون باشا في مقامه مما يزعج الخواطر ويقلقها ويديم الإضطراب في أرجاء المنتفك كتب رؤساء العشائر رسالة وانفذوها إلى ولايتي البصرة وبغداد وقد ذيّلها أربعة عشر رئيساً بأسمائهم، وهذا بعض ما فيها ((من المعلوم أن الدور البائد باستبداد حمولة آل سعدون على لواء المنتفك كانت حياة عموم الرعية مستغرقة، ولما تحقق لدى الحكومة جهزت جنداً كافياً فآخرجتهم إلى جهة الشامية وبقوا مدة سنين فاستراحت

(١) **Arabs of Mesopotamia, p. 54 - 55.**

(٢) (لغة العرب) ج٣، رمضان ١٣٢٩هـ، ايلول ١٩١١، ص ١١٢ - ١١٣.

الأهالي وكسبت الأمنية وكانت الأميرية تعطى من قبل الاهالي.

أما من مدة ثمان سنين، فبواسطة أهل الغرض عبر سعدون من الشامية إلى جزيرة الغراف وذلك في زمان ولاية مصطفى نوري باشا، وأخذ العهود عليهم لإحياء مشيخة آبائه وأجداده، والذي يمتنع ينهب ماله ويسفك دمه فصارت السلطة عليهم، ولما يمكن هجم على قضاء الشطرة وقتل رهطاً من الجند وضايقها حتى اضطر الأهالي إلى دفع الأموال لخلاصهم من القتل، ثم اتحل وهجم على قضاء السوق (سوق الشيوخ) ونهب وأحرق، ولما تحققت معاملة لدى الحكومة ساقت الجند مع الفريق محمد باشا بعد أن استغاث اللواء وعشائره ففر إلى الكويت ثم عاد بواسطة العفو وشيد قلعة المائعة ووضع فيها ما تمكن من الذخيرة، ثم تسلط على العشائر وأخذ يجلب رؤساءهم والذي لم يوافقه يقتله، وهكذا استمرت أفعاله، والحكومة كانت تراها ولم تعاقبه لأطماعها فيه إلى زمن الوالي السابق مخلص باشا فساق عليه الجند وأمر بلقع المائعة، ولما انفصل من وظيفته رجع واستمر على جوره حتى بزغ الدستور وتلطف البارئ علينا بالعدل فما لبث أن عاد لحالته الأولى أيضاً وجرى من سفك الدماء وقتل الأنفس.

ونظراً لما شاهدته العشائر من انتصار حكومة المركز (الناصرية) أخيراً وإعطاء القوة إلى سعدون وولده صاروا مأيوسين ومحاذرين من تسلط سعدون وولده لعلمهم بمعاملته السابقة من قتل النفوس والفعل الشنيع الذي صدر من عجمي... وقد سحبوا (رؤساء قبيلة البدور) تلغرافات إلى المقامات العالية شارحين الحال طالبين آخراجه من المائعة ووضع مفرزة فيها من العساكر المظفرة لإصلاح الطرق فيها والأمنية منتظرين الجواب.

فإذا لم يصدر الأمر بإجراء الإيجاب على النظام تتحد عشائر البدور مع الضفير والشيخ مبارك الصباح، وأما عشائر البدور وقبائل لواء المنتفك ففي المخابزة والمذاكرة وإذا بقي هذا الحال ولم يصدر أمرٌ بإجلاء سعدون وقلع المائعة لقطع دابر الفساد وإصلاح الحال ووضع مفرزة من الحكومة في قلعة المائعة يسري هذا الداء في عموم العراق فنلفت أنظار

الحكومة إلى إصلاح أحوال العراق وحقن دماء المسلمين وتخليصهم من يد سعدون وأولاده وتعيين مأمورين إلى اللواء خالين من الغرض محافظين حقوق الدولة والملّة فيسعون إلى إصلاح هذه المفاسد قبل أن تكون ولاية البصرة مرسحاً للأجانب ١٠هـ.

ولما تريثت الحكومة في إصدار أمرها تحالفت العشائر على مناهضة سعدون... وبعد أن تحققت العشائر وجود سعدون في اللواء حاصرته أشد الحصار لإكراهه على الخروج من تلك الديار فخرج بعد حصار دام يوماً وليلتين وبخروجه انتهى الحصار. أما العشائر التي ناوأته في تلك الواقعة فكانت البدور والغزي والحسينات والبوعظم والعساكر[١].

وبعد أن أوردنا نص العريضة التي رفعها رؤساء العشائر المذكورون نورد الملاحظات التالية:

١. كان الخلاف القائم بين السعدون والقبائل الذي بسطته العريضة التي أوردنا نصها في أعلاه نتيجة لاعتقاد ممثلي القبائل بأن الحكومة سلبت حقوقهم الناتجة عن السكنى والتصرف في الأرض

وفوضت تلك الأراضي بالطابو لشيوخ السعدون، وتحول أفرادالقبائل نتيجة لإجراء الحكومة المذكورة من مساهمين في غلة الأراضي إلى مجرد مستأجرين فيها، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في أعلاه، كما أوردنا تفصيلات عن الموضوع في كتابنا الموسوم بـ (مشكلة الأراضي في لواء المنتفك)[٢].

والذي يهمنا أيضاًحه هنا هو الوعي السياسي والشعور بتضارب المصالح الإقتصادية بين رافعي العريضة سابقة الذكر وبين الملاكين من شيوخ السعدون.

٢. أظهر الموقعون على العريضة ميلاً للتخلص من سلطة السعدون شيوخهم القدماء

(١) لغة العرب، ج٣، ايلول ١٩١١، ص ١١٦ - ١١٩

(٢) طبع الكتاب المذكور ببغداد، ١٩٥٦.

وملاكيهم الحاضرين، كما رغبوا في الوقت نفسه التخلص من سلطة الحكومة العثمانية التي كانت لا تؤيد تمرد العشائر تجاه ملاكيهم الجدد[١]، ولكنها لا تتردد في الوقوف ضد أُولئك الملاكين إن خالفوا الحكومة أو تماهلوا بدفع الضرائب لها. ويرى الاستاذ علي الشرقي إن قبائل المنتفك في عهد الشيخ سعدون المنصور تحولت عن رؤسائهم السعدون، وإن كثيراً من هذه القبائل كانت ميالة للثورة عليهم للتخلص من وطأتهم[٢]، وكان عداء القبائل في تلك الفترة موجهاُ نحو الحكومة العثمانية والسعدون معاً. ومن ما قرروه أنهم لايحتملون حكومتين معاً، حكومة السعدون والحكومة العثمانية، وقال شاعرهم في لغتهم الدارجة (الله بلانا ابذبتين[٣] ما بين افندم ومحفوظ)[٤]. وترمز كلمة أفندم للحكومة التركية. وكلمة محفوظ للشيخ السعدوني.

٣. تشير العريضة المذكورة إلى أن التطلعات السياسية للموقعين عليها تعدت حدود مناطقهم فهددوا الحكومة بالتحالف مع أمير الكويت ضد سعدون المنصور، وإن أضرار تصرفات سعدون ستعم البلاد العراقية بأسرها، وإن ولاية البصرة بكاملها ستكون – على حد قولهم – مرسحاً للأجانب إذا لم يطرد سعدون من المنطقة وتهدم قلعته المعروفة بالمايعة.

ولما تماهلت الحكومة في إيقاف تصرفات الشيخ سعدون عند حدها تجمهرت طائفة كبيرة من قبائل المنتفك ضده وآخرجته قسراً من الناصرية إلى صوب الشامية من الفرات، وبهذه المناسبة هوَّس[٥] أفرادعشيرة آل ازيرج (سكناه والله او خلكه ايشوفه).

(١) ذكرى السعدون، بغداد ١٩٢٩، ص ٤٨.

(٢) لغة العرب، تموز ١٩١١، ١: ٧٨.

(٣) تعني في اصطلاحهم بلية أو مصيبة وقد رواها بعضهم (بلوتين)

(٤) الفياض. عبد الله، المصدر السابق، ص ٦٧.

(٥) هوس بالاصطلاح العراقي تعني الألفاظ التي يترنم بها الناس أو أفراد العشائر غالباً عند الهياج، ولهذا النوع من الألفاظ تأثير كبير في تهيج الناس وتحمسهم، ولم نعثر على كلمة فصيحة تدل على هذا المعنى

ولما لبثت تلك القبائل أن هاجمت حصن المايعة الذي ورد ذكره في عريضتهم وآخرجته منه[١].

وقد أثمرت سياسة توطين العشائر التي اتبعها مدحت باشا في أماكن متعددة، فأصبح شيخ عنزة مالكاً لبساتين في سقي الفرات الأعلى، واستقر رئيس قبائل شمر الجربا في أراضيه بالشرقاط، وكوَّن السادة (أنصاف العشائريين) في أنحاء الشامية والموحشة نواة للسكن والتوطن، وحصل بين أفراد قبائل شمر ورؤسائهم وضع شبيه بالوضع الذي حصل بين آل سعدون وأفراد قبائل المنتفك، إذ أن (فرحان بن صفوك أصبح باشا كناصر (السعدون) فوجب عليه أن يكون واسطة لإسكان البدو التابعين له، وزار استانبول فغاظ قبيلته بتخلقه بالعادات التركية وتزوجه بأزواج مدنيات وبإقامته لأجل الزراعة والفلاحة على دجلة بكل خضوع)[٢].

وكان الهدف السياسي من بين الأهداف التي توختها سياسة توطين العشائر التي بدأها مدحت باشا في العراق، إذ أن الحكومة تستطيع أن تجبي الضرائب وتفرض الجندية على القبائل المستقرة بشكل أسهل مما لو كانت متنقلة، ثم أن الحكومة بتفويضها الأرض لرؤساء القبائل دون الأفراد خلقت وسيلة للنزاع الدائم بين أفراد القبيلة وزعمائها وبذا يسهل عليها السيطرة على الفريقين عند الحاجة. ومن الواضح أن الحكومة فرطت بمصلحة أفراد القبيلة وبمقتضيات العدالة في سبيل هدفها السياسي، إذ من المعلوم أن الحكومة تجاهلت حقوق الأفراد الناشئة عن السكنى والتصرف وعدَّت الأرض أميرية صرفة يحق لها تفويضها لمن أرادت.

بالضبط، ويقرب منها ما جاء في تاج العروس (والهوس - المشي الذي يعتمد فيه صاحبه على الأرض اعتماداً شديداً، وقوله والهوس الدوران يقال يهوس أي يدور ص ٢٧٥- ٢٧٦.

(١) الفياض، المصدر السابق، ص ٦٧.

(٢) لونكريك. ن. م، ص ٣٣٣- ٤.

وكانت الأرض التي فوضتها الحكومة للشيخ والتجار ملكاً مشاعاً في الواقع لا في القانون لأفراد القبائل، إذ كانت القبائل فيما مضى تسكن أرضاً معينة إن كانت مستقرة أو تعدها لها إن كانت متنقلة أطلقت عليها كلمة (ديرة)، وقد حصلت هذه الديرة عن طريق الإحتلال العسكري[1] أو الإحياء والسكنى أو الشراء من أصحاب التيمار الذي كانوا يتلقون أرضهم على شكل هبات من الحكومة. ومما يؤيد حصول القبائل على الديرة عن طريق المنازعات مع القبائل الأُخرى هو إشارة تقرير رسمي إلى أن (دماء كثيرة سفكت من المجموعات القبلية نتيجة للتطاحن فيما بينها لإحتلال مناطق معينة من الأرض[2])، ولما أخذت مياه الفرات قبيل نهاية القرن التاسع عشر تتحول إلى فرع الهندية كاد الفرع الثاني (فرع الحلة) يجف شيئاً فشيأ، وقد نجم عن ذلك أن نزحت قبيلة (البو سلطان) الساكنة على فرع الحلة إلى أرض الجحيش على سقي دجلة وأقنعت الحكومة بإحالة قسم من أرض الجحيش وزبيد إليها بطريق الإلتزام، وقد أثار هذا العمل ثائرة الجحيش ورفعوا شكاواهم إلى الحكومة المحلية فلم تصغ لهذه الشكوى، وبعد أن توترت الحالة بين الفريقين حذرت (جريدة الرقيب)[3] الحكومة من مغبة تماهلها وبيّنت لها أن كلا الفريقين يتأهب للحرب، وإن قائممقام المنطقة (يقول عندما بلغه ذلك بأسهم بينهم) وكانت النتيجة أن وقعت الواقعة بين القبيلتين (وقتل وجرح من الفريقين نحو ألف أو يزيدون)[4].

---

(١) كانت العشائر القوية في العهد العثماني تطمع بأرض جاراتها من القبائل الضعيفة فكانت تحتاج إلى رجال محاربين يستخدمون للاستيلاء على الأرض المجاورة أو لحماية أرضهم من القبائل الآخرى، وكان أفراد القبيلة يقسّمون الأرض التي يحصلونها بهذه الوسيلة على مجموعهم، ويسمى الفرد الذي ينال حصته عن هذه الطريقة في لواء الناصرية حصاصاً عن طريق التفك أي البنادق. ومن أمثلة ذلك قبيلة أبو نجيم في قضاء الشطرة التي استولت على أرض آل برغش عن طريق التفك ووزعتها بين أفرادها.

(٢) الحكومة العراقية، الاصلاح الزراعي واستثمار الأرض، ص ر.

(٣) العدد (٤) السنة الأولى ٢٧ محرم ١٣٢٧هـ، ١٨ شباط ١٩٠٩.

(٤) العدد (٥) السنة الأولى، ٤ صفر ١٣٢٧هـ، ٢٥ شباط ١٩٠٩.

أما حصول القبائل على الديرة عن طريق الإحياء فهو أمر طبيعي في بلاد تكثر فيها الأهوار والمستنقعات كأرض العراق. وحصول القبائل على الديرة عن طريق الشراء هو الآخر ممكن (لأن المقاطعات كانت توهب هبة مطلقة من جانب داود باشا وعلي رضا، فظل أحفاد أصحاب وحدات التيمار الإقطاعيين متمسكين بالوثائق والعقود التي خوّلتهم منزلتهم الإقطاعية وسوغت لهم حفظها، وكان بيع الأراضي الحكومية وشراؤها جاري العادة منذ أجيال من غير علم الحكومة أو اعترافها)[١].

وكان السلطان عبد الحميد وأسرته من بين الملاكين الجدد الذين ظهروا في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، إذ عمدت الحكومة إلى تسجيل أراضي واسعة من ديار القبائل بإسم السلطان وعائلته، ومن أمثلة ذلك أن قطعاً من الأراضي الزراعية واقعة في منطقة المشخاب كانت فيما سبق لقبيلة الخزاعل وحلفائهم (قد حولت إلى أراضي سَنية سنة ١٩٠٠ وأُعطيت إلى فرعون (أحد رؤساء الفتلة) لزراعتها)[٢]. وفي سنة ١٨٨٢ أشيع بأن السلطان عبد الحميد قد اشترى أرضاً كانت تعود للخزاعل (واعتبرت منذ ذلك الحين أراضي سَنية. وعلى ما يظهر ان الحكومة العثمانية لم تدفع تعويضاً عن امتلاكها للأراضي المذكورة، ولذلك أثارت هذه المعاملة السخط والتذمر بين أفراد العشائر، وكنتيجة لهذا التذمر وضعت الحكومة العثمانية تدابير لتوزيع النتائج على الفلاحين وتضرير آل [٣] زوين)[٤]، وعند اندلاع الحرب (العالمية الأولى) اغتنم الفلاحون فرصة ضعف الحكومة وانكروا الـ حصة آل زوين.

ويظهر من هذا المثال وغيره أن الفلاحين كانوا يعدون أنفسهم أصحاب الديرة ولم

(١) لونكريك، أربعة قرون، ص ٣٣١.

(٢) تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة ص ٧٠.

(٣) عائلة من السادة العلويين يعرفون بالأعرجي، وكان رئيسهم السيد هادي زوين من رجال الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ البارزين كما سنرى.

(٤) تقرير سري، ص ١٥٠.

يسّلموا أجرة الأرض للملاكين الجدد بما فيهم موظفي الحكومة إلا بالقوة.

وكانت أرض أسرة السلطان عبد الحميد في العراق واسعة، أي حوالى ثلث أراضي العراق الخصبة، وقد عملت لها الحكومة إدارة خاصة أُطلق عليها إسم (الإدارة السَّنية)[١]، ويظهر أن الإدارة كانت تسيء معاملة الفلاحين فكتبت جريدة (الرقيب البغدادية) تحت عنوان (حالة الزراع في الجعارة (الحيرة)) تقول: إن إدارة السَّنية طلبت ((من الزراع ثلث حصة الميري على الحساب وذلك قبل إدراك الحاصلات خلافاً لما أمر الله به في قوله عز وجل (وآتوا حقه يوم حصاده) بل على العادة السابقة فالتزموا على العادة أن يبيعوا حاصلاتهم سلفاً (وعلى تعبيرهم على الاخضر) بسعر التغار[٢] بخمس ليرات. وفي ابتداء كانون الثاني سنة ٣٢٤ رومية طلبوا منهم القسط الثاني فطلبوا قطع السعر ليسلموا، فجرت المخابرات على الاصول وأعطت بلدية النجف قراراً بأن السعر ستة ليرات ونصف وعلى ذلك جرى الحساب بين الفلاحين والملاكين ووفى بعضهم ذممهم والآن على ما يقولون إن الحكومة المحلية تطلب منهم الحساب على سعر التغار (٧٤٠) غرشاً باعتبار الليرة مائة قرش، وفي هذا من الجور ما لا يحسن معه السكوت فأن الأسعار لا تقف عند حد... فنؤمل من الولاية واللواء تحقيق هذا الأمر وأن لا يدعوا مجالاً لغدر الرعايا...))[٣].

ومن الملاحظ أن هذه الحادثة حصلت بعد تحويل أملاك السلطان عبد الحميد رسمياً إلى أراضي أميرية سنة ١٣٢٤ رومية الموافقة إلى سنة ١٩٠٨م[٤]. ومما يجدر ذكره إن واردات الأراضي السَّنية ((ما كانت تدخل خزينة الدولة في الولايات العراقية وأن هذه

(١) الحكومة العراقية، تقرير رسمي، ص ش.

(٢) التغار أو الطغار يساوي ٢٠٠٠ كغم.

(٣) السنة الأولى، العدد (٧)،، ١٨ صفر ١٣٢٧هـ.

(٤) البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد ١٩٥٤، ص ٣١.

الواردات كانت تزيد على عشرات الألوف من الليرات ولعلها بلغت مئات الألوف))[1].

وكانت مؤسسة الأوقاف من بين الملاكين الكبار، وانتشرت أراضي الوقف على نطاق واسع جنوب ولاية البصرة، وكانت تدار من قبل المؤسسات الدينية وتعود إيراداتها إلى الجهات التي رصد الوقف لخدمتها بعد خصم نسبة ضئيلة منها للمشرفين عليها، وكان الفلاحون يرصدون أراضيهم للوقف خوفاً من مساعي الإقطاعيين نقل ملكيتها إليهم.

وإضافة إلى الأوقاف الإسلامية فقد كانت للكنائس حيازات واسعة من الأراضي حيث اكتسب رجال الدين البطارقة والمطارنة في القرى المسيحية في الموصل حقوقاً إقطاعية على الأراضي[2].

ويظهر أن طريقة الإلتزام لم تكن شائعة في الأراضي التي تزرع بالحبوب حسب، بل كانت شائعة في مناطق النخيل أيضاً، وفي سنة ١٢٨٦هـ أخذت الحكومة تعدل عن هذه الطريقة حين ((ارتبطت أكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب[3] فارتفعت من بين الأهالي المنافسات والمنازعات التي كانت تنجم عن الإلتزام، ثم فوضت أكثر الأراضي منها ببدل المثل ومنها بشرط الإعمار واُلغيت بعض الرسوم التي كانت تؤخذ من الأهالي فدبت روح الحياة في ثورة البلاد))[4].

ونتج عن سياسة الحكومة في تفويض أجزاء كبيرة من الأراضي الزراعية إلى من تقدم لشرائها ظهور طبقة من الملاكين الجدد، وكان بعض هؤلاء لا يمتّون بصلة للزراعة والمزارعين، ففي لواء الناصرية (المنتفك) فوضت الحكومة حوالي (٢٠٠) ألف دونم لعائلة سركيس البغدادية الأصل والمسكن، كما فوضت أرضاً واسعة في اللواء نفسه

(١) سركيس،، يعقوب، مباحث عراقية، ج٢، بغداد ١٩٥٥، ص ٢٠٨.

(٢) كوتلوف. ل.ن، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق (بغداد ١٩٧١)، ص ٦٥.

(٣) الجريب يساوي ٣٩٦٧م٢.

(٤) الغملاس. ابن، ولاة البصرة ومتسلموها، بغداد ١٩٦٢، ص ٧٥

إلى مناحيم دانيال. وعندما احتل الإنجليز منطقة الشامية في سنة ١٩١٧ وجدوا أن أراضي (المويحي) في هور الدخن قد فوضت إلى مناحيم دانيال وعائلة سادن حضرة الامام علي عليه السلام (الكليدار)، كما وجدوا أرضاً واسعة في الشامية تملكها عائلة حفظي الملي الساكنة في استانبول[١]، ونال بعض الملاكين الجدد أرضهم من الحكومة عن طريق الهبة إذ أن الولاة قاموا ((بعد مدحت باشا بتفويض الأراضي إلى كبار الموظفين ورجال الجيش))[٢]. ويظهر أن مشكلة الملاكين الجدد وخاصة المتغيبين منهم كانت من المشكلات التي جابهت الحكومة البريطانية بعد إحتلالها للعراق، فكتب الحاكم السياسي للحلة في سنة ١٩١٨ يقول ((إن مشكلة الملاك المتغيب **The Absentee Landlord** تتطلب حلاً سريعاً، وغالبا ما يكون هؤلاء من البغداديين الذين استحصلوا على سندات طابو لأراضي خصبة وواسعة بأساليب ٥٠٪ منها على الأقل كانت ملتوية **Shady** ولم يتيسر لمعظم هؤلاء الملاكين أن يروا الأرض التي يملكونها))[٣].

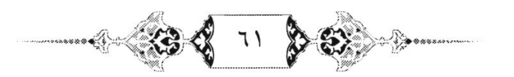
وصحبت ظهور طبقة الملاكين الجدد تغييرات إجتماعية واقتصادية عميقة الأثر كان من شأنها أن تتناول العلائق بين المزارعين الفعليين والملاكين الجدد بالتغيير، كما تناولت العلائق القديمة بين الشيخ وأفراد قبيلته، فأفراد القبائل الذين تناولهم هذا التغير تحولوا من مشاركين فعليين حسب العرف على الأقل في ديرة القبيلة إلى مجرد إجراء عند صاحب الأرض الجديد سواء كان هذا الأخير من شيوخ القبائل كالسعدونيين ورؤساء شمر أو من تجار المدن أو من قواد الجيش والموظفين، وقد أخذ هؤلاء الملاكون يقتربون من الحكومة ويعملون على تأييد سلطتها رغبة في حفظ مصالحهم، وقد ضربنا مثلاً على ذلك من السعدون من ولاية البصرة الذين طاروا فرحاً عند قدوم ناظم باشا سنة ١٩١٠

---

(١) **Reports, I, p. 73.**

(٢) الحكومة العراقية، ن. م، ص ش.

(٣) **Reports, I, p. 121.**



بينما اغتم المزارعون لقدومه خوفاً من أن يلزم جانب السعدون ضدهم، وعندما احتل الإنجليز العراق اقتضت سياستهم خاصة في ولاية البصرة أن يبعدوا السعدون عن الأرض ويضعفوا نفوذهم ويحلوا محلهم شيوخ العشائر والسراكيل، ولكنهم لم يعملوا شيئاً ذا قيمة للفلاحين الفعليين.

ولعل أهم آثار التغيير الذي نجم عن ظهور طبقة الملاكين الجدد هو إن الاقتصاد الزراعي – كما سنرى عند كلامنا عن التجارة العراقية في هذه الفترة – في العراق أخذ يتحول تدريجياً من اقتصاد قائم على أساس (اشباع الحاجات) في الغالب إلى اقتصاد قائم على أساس (الربح)، وكانت سلطة الملاكين الجدد بما فيهم شيوخ العشائر على الفلاحين في نهاية القرن التاسع عشر تختلف تبعاً لقوة نفوذ الحكومة في المنطقة من جهة وتبعاً لنوع الزراعة الذي يشيع في تلك المنطقة، ففي المناطق الحديثة الاعمار كانت سلطة الملاك يشيع في تلك المنطقة، وكان فلاحو الزراعة الشتوية أقل خضوعاً لملاكهم ولشيخهم أيضاً لأن وسائل الري الحديث كالمضخات لم تكن شائعة الإستعمال ولم يتطلب هذا النوع من الزراعة حينذاك توظيف رؤوس أموال كبيرة، ولهذا كان هذا النوع من الفلاحين يتمتعون بنوع من الإستقلال، وأما فلاحو النخيل والرز فكانوا أكثر الفلاحين خضوعاً لملاكيهم لأن زراعة هذين النوعين من المحصولات تتطلب عملاً مستمراً ومنظماً، كما تتطلب زراعة النخيل رؤوس أموال كبيرة، وقد عرف فلاح الرز خاصة أن قلة التنظيم في الزراعة ينتج عنها محصول قليل وإن عليه إطاعة الشيخ الملاك أو الملتزم من الملاك إن أراد محصولاً جيداً[١].

وكانت أساليب الإنتاج الصناعي والزراعي في أواخر القرن التاسع عشر أولية، هذا إذا استثنينا دخول عدد ضئيل من المضخات الزراعية، ولكن تطوراً طرأ على الاقتصاد الزراعي فأخذ يتحول من اقتصاد قائم على أساس اشباع الحاجات إلى إقتصاد قائم على

(١) Ibid, p. 67.

أساس الربح، وفيما سبق ((كانت الزراعة العراقية قائمة تقريباً على أساس الإقتصاد القبيلي فكانت القبيلة تنتج كل ما تحتاج إليه... إلا أنه بعد منتصف القرن الماضي بدأت عوامل عدة تعمل من أجل إتصال العراق إقتصادياً بالعالم الخارجي عن طريق خليج البصرة، ومن هنا قام بعض شيوخ القبائل في المناطق الجنوبية من العراق خاصة بتحويل أراضي قبائلهم إلى إنتاج المحاصيل التجارية من أجل بيعها في الأسواق الخارجية تدفعهم إلى ذلك الرغبة في الأرباح))[١].

ومن دلائل تحول الإقتصاد الزراعي إلى إقتصاد قائم على أساس الربح هو أن صادرات العراق من التمور كانت تتراوح بين (٤٠ – ٥٠) ألف طن حسب تقدير الرحالة الهولندي ((لكاما آ. نيجهولت)) **Nijeholt** الذي زار العراق في عام ١٨٦٦–١٨٦٧. وقد ارتفعت هذه الصادرات في فترة قصيرة فوصلت في عام ١٩٠٦ إلى (٦٠) ألف طن[٢]. وسنشير إلى علامات هذا التحول عند كلامنا عن تجارة العراق في هذه الفترة وعن زيادة الصادرات الزراعية وارتباط أسعارها صعوداً وهبوطاً بالأسواق العالمية.

أما تجارة العراق الخارجية فقد سجلت تقدماً في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن يعود إلى عوامل أهمها:

١. فتح قناة السويس في خريف سنة ١٨٦٩. ويقول يعقوب سركيس أن فتح قناة السويس سهّل ((علينا وعلى أوربا الإتصال ببعضنا البعض في مبادلة الأموال وقلل نفقات نقلها فغدت أوربا تنتفع بما كان لا يصل إليها من محصولاتنا الأرضية كالحبوب والتمور وغيرها من المحصولات وأصبحنا نجلب منها عوضاً عن أثمان أموالنا أموالاً كثيرة من منتوجاتها الصناعية لم نكن قادرين على شرائها ليس لبعد

---

(١) الحكومة العراقية، ن. م، ص ج.

(٢) الدباغ، عبد الوهاب، النخيل والتمور في العراق، بغداد ١٩٥٦، ص ١٩٣.

الشقة حسب بل لقلة ما في يدنا يوم لم تكن شارية لمحصولاتنا إلا لشيء لا يذكر))[١].

٢. سير البواخر التجارية في دجلة. وقد افتتح هذا الطريق قبل افتتاح القناة بنحو إحدى عشرة سنة. وكانت تسير فيه باخرتان عثمانيتان هما بغداد والبصرة، ثم دخلته بواخر بيت لنج **Lynch** الإنجليزية[٢]. وقد أورد الاستاذ سركيس قائمة في البواخر التي كانت تستعملها الحكومة العثمانية لأغراض تجارية وعسكرية في أنهر العراق وفي الخليج العربي. وهي كما يلي: أسماء البواخر البحرية: نجد[٣] وقوتها (١٥٠) حصاناً. آثور وقوتها (١٢٠) حصاناً. أما النهرية فهي: ديالى، موصل، رصافة، بغداد مسكنة، تلعفر، بصرة. وقواتها (١٢٠، ٨٠، ٦٠، ٥٠، ٤٠، ٣٠، ٢٥) حصاناً على التناظر[٤].

٣. نمو المصالح التجارية الأجنبية وخاصة البريطانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن. ويقول لونكريك)) بينما كان القنصل التاجر في القرن الثامن عشر غير قادر على طلب شيء سوى دوام الإمتيازات وتركه حراً دون تعرض له، أصبح ((مقيم)) القرن التاسع عشر وهو المتكلم نيابة عن شركات البواخر وجماعات إنشاء التلغراف والآثاريين ومؤسسات الهبات الخيرية... ولم يكن ليغيب عن بال الجميع في العراق... أن مستقبل بريطانيا في العراق سائر إلى الأهمية لا محالة وربما ليصير شيئاً أعظم))[٥]. ونقلت جريدة (العراق) عن (التايمس) البغدادية قولها ((إن بريطانيا وسّعت تجارة الخليج وأوجدت علاقة تجارية واسعة مع داخلية العراق))[٦].

ويروي الاستاذ مير بصري إن نيجهولت الذي وصل البصرة في ٢٨ تشرين الثاني

---

(١) سركيس، يعقوب. ن. م، ج٣، ص ٢٧٦.

(٢) سر كيس. ن. م، ج٢، ص ٢٨١.

(٣) كانت هذه الباخرة حربية.

(٤) سركيس. ن. م ج٢، ص ٢٩٦.

(٥) أربعة قرون، ص ٢٦٦

(٦) العدد (٣٦) السنة الأولى، ١٣ تموز ١٩٢٠.

١٨٦٦ قال ((إن تلك المدينة قد احتفظت بأهمية لا شك فيها، وإن تكن قد هوت من مجدها السالف، فمنذ سنوات معدودة نظمت مصلحة انجليزية للبواخر بينهما وبين ميناء بومباي ومسقط وبندر أبي شهر فزادت تجارتها على وجه محسوس. والبصرة ترسل إلى بغداد بجميع البضائع التي تردها من الخليج على وجه التقريب ومن ثم توزع على العراق العربي والموصل وأنحاء إيران الغربية والشمالية، ويرد من الهند عن طريق البصرة السكر والقهوة والصبغ والبهارات والأنسجة القطنية والأخشاب الفاخرة، أما البضائع الاوربية فأهمها الأقمشة القطن والحرائر... والمعادن الخام والمشغولة... وقد وردت إلى البصرة خلال سنة ١٨٦٦ – ٦٧ سواء من الشمال أو الجنوب بضائع بقيمة ٤، ٢١٤ مليون فرنك (أي ما يساوي٥، ٨ ملايين باون إنجليزي ذهب)، والتمور في طليعة مواد التصدير، ويشحن منها أصناف مختلفة، وتبلغ صادرات هذه المادة سنوياً (٤٠–٥٠) ألف طنٍ. ويأخذ جزء من هذا التصدير منذ عهد قصير سبيله إلى أوربا)). ويخمن نيجهولت قيمة المواد المحلية أو المجاورة الأصل المصدَّرة من البصرة في سنة ١٨٦٧ بمبلغ (١١،٥) مليون فرنك منها (٤) ملايين من التمور ومثلها من الحنطة والشعير ومليونان من الرز وما تبقى صوف ومواد مختلفة، وفي السنة نفسها بلغ دخل الكمارك نحواً من (٩٠٠) ألف فرنك (الفرنك كان يساوي آنذاك ٢٥ للباون الاسترليني الواحد). ويقول نيجهولت أن ولاية بغداد تستورد القهوة من جزيرة العرب والعطور والصموغ، ومن إيران حرير رشت والصوف وجلود الحملان والشالات ومواد الادوية. وولاية بغداد نفسها تنتج كميات كبيرة من الأصواف والتمور المشهورة في كل آسيا، وفيها صناعة محلية للصوف والأنسجة المتنوعة[١].

ومن الملاحظ إن واردات الكمارك في العراق حسب تقدير السالنامات [٢] كانت

(١) تجارة العراق قبل تسعين عاماً، البلاد، العدد ٤٨٧٢،٣١ كانون الثاني ١٩٥٧.

(٢) اقتبست معلوماتي عن السالنامات من مقال تحت عنوان ((وارادات العراق بين عهدين)) للأستاذ يعقوب سركيس نشر في العدد (٨) من مجلة غرفة تجارة بغداد، العدد (٨)، السنة (٤)، تشرين الأول

تساوي في السنوات ١٣١١- ١٣١٥هـ (١٨٩٣- ١٨٩٨م) (١٣،٥٦٨) مليون غرش[١] لكل سنة، وفي ١٣١٦-١٣١٧هـ (١٨٩٩-١٩٠٠م (١٢،٦٩٩) مليون غرش لكل سنة، وفي ١٣١٨ / ١٩٠١ (١٠،٣٠١) ملايين غرش، وفي ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢م (١٦،٤٤٦) مليون غرش، وفي ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م (١٦،٤٤٦) مليون غرش، وفي ١٣٢٣هـ -١٩٠٥ م (١٦،٦٤٦) مليون غرش، وفي ١٣٢٤هـ -١٩٠٦م (١٥،٩٠٤) مليون غرش، وفي ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م (٢١،٩٢٧) مليون غرش.

ويظهر من هذا الجدول إن واردات الكمارك بعد أن كانت في (١٨٩٨م) (١٣،٥٦٨) مليون قرش أصبحت (٢١،٩٢٧) مليون قرش في (١٩٠٧م). وإذا عددنا زيادة واردات الكمارك دليلاً على زيادة التجارة تكون تجارة العراق قد تقدمت تقدماً كبيراً خلال هذه السنوات.

ولم تكن زيادة واردات الكمارك ناتجة عن التوسع التجاري حسب، بل كان لتنظيم إدارة الكمارك أثر في ذلك إذ أن العثمانيين لم يتشبثوا ((بتنظيم إدارة الكمارك إلا في سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٨١م)). وقد بلغ دخل الكمرك ببغداد سنة ١٨٩٢م أو حوإليها (١٣٠٠٠٠) ليرة عثمانية وفي سنة ١٣٦٦ مالية / ١٩٠٦م بلغ (١٦) مليون قرش أي نحو (١٦٥،٠٠٠) ليرة عثمانية[٢].

ويقول كوتلوف إن الإنتاج العام في العراق ارتفع في بداية القرن العشرين، ويعود ذلك إلى توسع التجارة الخارجية لأن رؤوس الأموال الأجنبية دخلت العراق بكثرة، كما إن الإقطاعيين أخذوا يرهقون الفلاحين رغبة بزيادة الإنتاج بالرغم من إن وسائل الإنتاج لم

١٩٤١. ص٦٦٤ وما بعدها.

(١) كانت الليرة العثمانية تساوي (١٠٨) قروش في سنة ١٩٠٣.

(٢) غنيمة، يوسف، تجارة العراق قديمًا وحديثاً، بغداد ١٩٢٢ ص ١١٢.

تتبدل[1] وكان تأسيس البنوك من أسباب تقدم التجارة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر لأن وجودها كان سبباً لزيادة ثقة التجار الأوربيين في التجار العراقيين.

وفي سنة ١٨٩٠ فتح البنك الشاهي ببغداد ولكنه رحل سنة ١٨٩٣ بعد أن اتفق مع البنك السلطاني العثماني. وبقي البنك العثماني وحده في العراق ففتح له شعبة في البصرة واخرى في الموصل[2].

وبعد أن تطورت أساليب الصناعة في أوربا بعد الثورة الصناعية خرج «الاوربيون في طلب المواد الأولية لمعاملهم الكبرى وكان العراق من الأقطار التي وجهت أنظارهم لشهرة خصبه وريّه وكثرة مواشيه»[3]. ويظهر أن التجار العراقيين كوّنوا علاقات وثيقة مع أوربا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكان الألمان بعد أن نالوا امتياز سكة حديد بغداد ((قد علقوا الآمال الطيبة السياسية والعسكرية والتجارية على هذا الخط الخطير الذي به يسودون على الشرق ويزاحمون سياسة بريطانية وتجارتها))، كما أنهم سيّروا بواخر شركة (همبورك أميركة) بين بلادهم والبصرة.. ((وكانت تجارة الألمان تزداد في العراق زيادة مطردة فبلغت قيمة الأموال الألمانية الواردة إلى ميناء البصرة سنة ١٩٠٦م (١٠٨،٦٥٠) ليرة إسترلينية، وبلغت (٥٢٨٤١٥) ليرة في سنة ١٩١٢م، وبلغت صادرات العراق إلى ألمانيا (١٠٠٩٠٠) ليرة إسترلينية في سنة ١٩٠٦م، وكان يرد إلينا من المانيا السكر والبن والنحاس والورق ومضخات الري، ويصدّر العراق إلى ألمانيا العفص والصوف والكثيراء والجلود والتمر واللوز الحنظل وريش الطيور))[4].

وكان لبريطانيا المنزلة الأولى في البضائع التي تصدّر من العراق وترد إليه. وقد كانت

(١) ن. م، ص ٤٨.

(٢) غنيمة، يوسف. ن. م، ص ١١٠.

(٣) أيضاً، ص ٧٩.

(٤) أيضاً، ص ٩٠ - ٩٣.

النسبة المئوية لتجارتها من مجموع تجارة بغداد سنة ١٩٠٩م (٣٣،٤) بالمائة للصادرات و(٥٨،٨) بالمائة للواردات، أما ثمن البضاعات التي صدرت من بغداد إلى بريطانيا ووردت إلى العراق منها فكان في سنة ١٩١٠م (٣٣٠٣٦١) ليرة إسترلينية للصادرات و(١،٣١٧،٧٦٢) ليرة للواردات. ويصدر من العراق إلى انجلترا الصوف والصمغ العربي والكردي والكثيراء والجلود والعفص والحنظل والتمر والافيون والحنطة والشعير وغيرها. ويرد من بريطانيا للعراق مصنوعات مانجستر ولنكشاير القطنية (*).

وكان للعراق صلات تجارية مع البلدان الشرقية وخاصة مع إيران والهند ((ولولا إيران لفقدت تجارة العراق خطورتها لا بل حياتها)). ويسر التاجر في السنوات التي يكثر فيها الزوار الإيرانيون الذي يؤمون الأماكن المقدسة في العراق فيبلغ عددهم ١٠٠،٠٠٠ زائر ينفقون مدة إقامتهم في العراق مبالغ طائلة ويشترون من أسواقنا بضاعات مختلفة[٢]، وكانت خيول الموصل من أجود الجياد العربية وكانت تجارتها رائجة في الهند[٣].

ومن الأدلة على تحول الاقتصاد الزراعي والحيواني عندنا في بداية هذا القرن من إقتصاد قائم على أساس إشباع الحاجات إلى إقتصاد قائم على الربح، إنَّ كل ما أُرسل من المرعز إلى بغداد والموصل أُرسل به إلى لندن وأمريكا ولم يبع منه شيء في العراق، وكان عدد الفردات في ١٩٠٣ التي نقلت عن طريق الموصل وبغداد (١٨٠٠) فردة وإن ألف فردة إصدار من الصوف العرابي ومن الكرادي (١٠) آلاف فردة ومن العواسي (١٥) ألف فردة، ثم صعدت الأسعار في لندن ومرسيليا وأمريكا فكان لها صدى في بغداد[٤]، وكنا

(*) أيضاً، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) أيضاً، ص ١٠٤.

(٣) الجلبي، داود (مكانة الموصل في الاقتصاديات العامة)، مجلة غرفة تجارة بغداد، السنة الرابعة، العدد (٨) تشرين الأول، ١٩٤١، ص ٥٩٧.

(٤) الكرملي، الأب انستاس (الزراعة والتجارة في العراق سنة ١٩٠٣) مجلة غرفة تجارة بغداد، السنة الرابعة العدد (٨)، ١٩٤١، ص ٦٥٢.

نرسل الحنظل إلى ألمانيا وإنجلترا[1]. وفي سنة ١٩٠٣ ألحّت ألمانيا في طلب رجيع الكلب فاشترت منه كميات عظيمة فوضع في أكياس وبعث به إليها. وطلبت أيضاً أمريكا وبلغ المبعوث منه (٢٠،٠٠٠) كيس وزن الكيس ٦٠ كيلو غراما[2]، وأُرسل نوى المشمش في سنة ١٩٠٣ إلى مرسيليا وكان مقدار ما أُرسل منه (٣٠٠٠) كيس وزن الكيس (٦٠) كيلوغراما[3]. ورغبت ألمانيا والنمسا وأمريكا في مصارين الغنم سنة ١٩٠٣ فبيع منها مقادير وافرة، وكانت المائة تباع منه سابقاً بـ (٦٥-٧٠) غرشاً فصعدت إلى (١٠٥) بل (١١٠) غروش وحمل منها (٠٠٠، ٥) صندوق، وطلبت لندن وبومباي الذرة البيضاء فأرسل إليهما منه (٢٠،٠٠٠) كيس زنة كل كيس (٦٠) كغم وبيعت الوزنة (١٠٠) كغم بـ (١٠٨) غروش[4].

وفي سنة ١٩٠٣م كان حاصل التمر جيداً وطلب من بلاد عدة لاسيما من مصر وسوريا والاستانة وبيع الطغار منه (٢٠٠٠) كغم بسعر ٩٠٠ - ١٠٠٠ غرش على سعر الليرة (١٠٨) غروش[5].

ومن الجدير بالذكر إن وسائل التمدن الحديث المادية دخلت للعراق قبيل الحرب العالمية الأولى. وكان لدخولها أثر في تنوير أفكار الناس وتذوقهم لمنجزات المدنية الحديثة فكانت في بغداد شركة لصنع المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية. ويظهر أن منسوجاتها كانت متينة الصنع، فقماش ((الفاصونه (نوع من المنسوجات الصوفية) يفوق على عمل أوربا صنعاً ولطافة))[6]. وكان ((في محلة قاضي الحاجات وسوق الشورجة

(١) غنيمة. ن. م، ص ١٠١ و ٩٣.

(٢) الكرملي. ن. م، ص ٦٥٦.

(٣) أيضاً، ص٦٥٧ -٩.

(٤) أيضاً، ص ٦٥٦.

(٥) أيضاً، ص ٦٥٤.

(٦) (الرقيب) العدد (٨) السنة الأولى، ٢٥ صفر ١٣٢٧، ١٨ مارت ١٩٠٩م.

عدة ماكينات تشغل بالغاز (النفط) للطحن وتهبيش التمن (تقشيره) وقد تضررت الأهالي من قعقعتها ورائحتها وهزها للأبنية))[١].

وكانت دار للسينوموتوغراف (السينما) في محلة الميدان ببغداد سنة ١٩٠٩. ويظهر ان الاقبال عليها كان شديداً إلى درجة أن معظم ذوي الدخول القليلة ينفقون معظم إيراداتهم لهذا الغرض[٢].

أما أول سيارة فقد دخلت العراق عن طريق حلب سنة ١٩٠٨، وفي سنة ١٣٢٩-١٩١١ سافر جاويد باشا إلى النجف وأبي صخير بسيارته الخاصة [٣]، وقد بلغ عدد السيارات حوالي (١٢) سيارة في سنة ١٩١٤ [٤].

وفي سنة ١٩١٢ إتخذت الحكومة العثمانية إجراءات كان الهدف منها تقصير المدة اللازمة لنقل البريد من بغداد إلى أوربا. جاء في مجلة لغة العرب ((كان يدوم سير البريد الذي يجري بين بغداد وديار الإفرنج مدة ٢٨ يوماً إذا سار سيراً حثيثاً، وأما اليوم فإن الدولة العثمانية وقد اشترطت شروطاً جديدة... على أحد أصحاب البريد لتكون المدة بين الزوراء وباريس ولوندرة وهامبورغ تختلف بين ١٧ و ٢١ يوماً لا أزيد... فأصبحت المدة بين دار السلام وحلب ٨ أيام ومنها إلى دمشق الشام يوم ومنها إلى بيروت ومنها إلى أوربا ٤ أو ٥ أيام...))[٥].

وفي سنة ١٩١٢ ربطت بغداد بالكاظمية بواسطة التلفون. جاء في مجلة لغة العرب ((وضع التلفون بين بغداد والكاظمية في نحو أوائل شهر كانون الاول عن قريب يقام

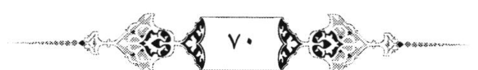
(١) (الرقيب) العدد (٦) السنة الأولى، ١١ صفر ١٣٢٧، ٤ مارت ١٩٠٩م.

(٢) (الرقيب)، العدد (٨).

(٣) البزركان، علي. ن. م، ص ٣٤.

(٤) **Longrigg, S. H., lraq, 1900 To 1950, London, 1953, p. 64**

(٥) العدد ٧ (كانون الثاني ١٩١٢) ص ٢٧٠.



بين بغداد وخراسان))[١].

أما المضخات التي تستعمل لرفع مياه السقي إزداد عددها من (١٢) في ١٩٠٠ إلى عدة عشرات في سنة ١٩١٤ وقد نصبت عدة مكائن لصنع الثلج واقيمت معاصر لعرق السوس والصوف[٢].

ولم تكن في العراق سنة ١٩١٤ مصافي حديثة للنفط ولكن وجود منابع غزيرة للنفط في ولايتي الموصل وبغداد قد أثار اهتماماً عالمياً، وفي ١٩٠٧ أكد ذلك جماعة من الخبراء الألمان[٣]. وقد وردت تفصيلات وافية عن ظهور النفط في العراق في مظانها[٤].

ولعل أعظم ما شهده العراق من تطورات في بداية القرن العشرين حصل في حقل الري، وكانت أوضاع الري في سنة ١٩٠٠ شبيهة بما كانت عليه لقرون خلت، فكانت الفيضانات السنوية تجلب الدمار إلى البلاد بينما تقل المياه في وقت الصيهود رغم حاجة المزروعات الشديدة إليها. ولم تكن الحكومة قادرة على السيطرة على تنظيم المياه كما كانت عنايتها بالمبازل قليلة. واستناداً إلى تقدير شتيمروخ رئيس اللجنة الإقتصادية الألمانية التي زارت العراق في الفترة من ١٨٩٩-١٩٠٠ كانت مساحة الأراضي التي تستغل سنوياً في مختلف الولايات في العراق تتراوح بين ٢-٧٪ من مجموع الأراضي الزراعية، وقد أدى انهيار منظومة الري بشكل كامل إلى حدوث فيضانات في حوضي دجلة والفرات كبدت العراق خسائر فادحة... ففي عام ١٨٩٦ - مثلاً - أهلكت الفيضانات أكثر من مليون نخلة [*]، أما أساليب الزراعة فكانت أولية لم يدخل عليها تطور جديد، وحصل

---

(١) العدد ٨ (شباط ١٩١٢) ص ٣٢٠.

(٢) **Longrigg, Op. cit, p. 65.**

(٣) **Ibid p. 64.**

(٤) ابراهيم. عبد الفتاح، على طريق الهند، بغداد ١٩٣٥.

(*) كوتلوف. ل. ن، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، تر: عبد الواحد كرم (بغداد ١٩٧١) ص٢٨.

أن ساءت الحالة في الفرات الأوسط في هذه الفترة فهجرت المزارع وجفت القنوات وأخذت القبائل تتقاتل من اجل البحث عن وسائل الرزق. ومن أمثلة ذلك ما حصل بين قبيلتي أبو سلطان والجحيش وزبيد سنة ١٩٠٩، وقد ذهب ضحية هذه الحادثة ألف قتيل أو يزيد[١]. وكان سبب سوء الحالة في الفرات الأوسط هو تحويل معظم مياه الفرات من فرع الحلة إلى فرع الهندية بحيث أصبح ما يسير في فرع الهندية يعادل ٩/١٠ مياه الفرات، ونتج عن هذه الحالة أن تُلفت معظم مزارع الحلة والديوانية والدغارة ولم تجِد تدابير الحكومة نفعاً لقلة المبالغ المخصصة لتنظيم الري ولسوء الإدارة المحلية.

وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ دعت الحكومة العثمانية مهندس الري السير ويليم ويلكوكس **Willam Willcoks** وعينته مستشاراً للري في العراق فجاء للعراق مع (١٢) مهندساً ومكث في هذه البلاد سنتين ونصف درس في خلالها أحوال الري وطبيعة الأراضي، وقام مع هيأة المهندسين برسم الخرائط والتصاميم لمختلف المشاريع التي يتوقف على تحقيقها إعمار الأراضي وانتعاش البلاد وتخليصها من أخطار الفيضانات. وبعد أن انتهى من عمله رفع تقريره إلى الحكومة العثمانية في نهاية نيسان سنة ١٩١١ وقد وردت تفصيلات عن مقترحاته في تقريره[٢]. وعهدت إليه الحكومة العثمانية بناء سدة الهندية وقد تم افتتاحها سنة ١٩١٣ وكانت كلفتها تقل عن نصف مليون ليرة انجليزية[٣].

ويظهر من العرض العام الذي قدمناه لبعض نواحي تاريخ العراق في هذه الفترة أن نوعاً من التحسن المحدود طرأ على الأوضاع العامة في العراق بالقياس إلى بداية القرن التاسع عشر وما قبلها. ويظهر هذا التحسن في بعض النجاح الذي أحرزته سياسة

(١) الرقيب، العدد ٥، ٤ صفر ١٣٢٧، ٢٥ شباط ١٩٠٩.

(٢) طبعته الحكومة العراقية ببغداد سنة ١٩٣٧.

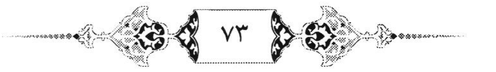
(٣) أنظر: **Longrigg, op. cit, p. 64.**

مدحت باشا الرامية إلى توطين العشائر حيث استقرت جماعات قليلة وأخذت تعمل في الزراعة وتربية الحيوانات، يضاف إلى ذلك أن تحسناً محدوداً ظهر في طرق المواصلات فمُدَّت أسلاك البرق[1] وأخذت البواخر تمخر عباب دجلة، ولكن بالرغم من كل ذلك فإن عوامل التأخر لا تزال عميقة الجذور ومتشعبة في جميع نواحي الحياة العامة في هذه البلاد. ويقول لونكريك: ((إن العثمانيين بعد أن فتحوا ممتلكات الدولة الكلدانية والآشورية التي اشتهرت خصوبتها في التاريخ مرة وثانية وبعد أن تمسكوا بها مدة قرون أربعة بإسم السلطان، تركوها ولا تزال متآخرة جاهلة وظلت فقيرة غير مستقرة تعمها الفوضوية وهي ساخطة على حكامها ولم توجه إلى أي طريق من طرق التقدم. ولم يجد السياح في أي ولاية تركية غير الولايات العراقية بلاداً تكثر فيها القابليات الكامنة التي ظلت مهملة، كما أنهم لم يجدوا في غيرها سوء الحكم وهو آسن لا يتبدل))[2].

هذا هو العراق في نهاية القرن التاسع عشر الذي سنحدثك في الفصول القادمة عن نهضته الفكرية والسياسية في بداية القرن العشرين، تلك النهضة التي أثمرت في ثورة العشرين التي هي موضوع هذا الكتاب.

(١) أنشأت الدولة العثمانية في العراق إدارة البرق ومدّت أسلاك التلغراف سنة ١٨٦١.

(٢) أربعة قرون، ص ٣٥١.



الفصل الثاني :

حركة التحرر العراقية في بداية القرن العشرين

قد يكون من الصعب أن نفصل حركة التحرر العراقية في هذا الدور عن حركات التحرر السياسية[1] والفكرية في البلدان العربية والاخرى وخاصة الواقعة منها في الشرق الأوسط، فحركة الوعي العربي في هذه الفترة من تاريخ العرب كانت تسير ببطء لأنها اقتصرت على الطبقة المثقفة دون الجمهور، وكانت هذه الحركة تعمل على إحياء تراث العرب الثقافي لا سيما اللغة وتدعو إلى بعث كيانهم السياسي. والحركة هذه وإن اختلفت من حيث القوة والإنتشار بين قطر عربي وآخر تبعاً لأحواله الإجتماعية والسياسية والثقافية، كان لها أنصار في مختلف البلدان العربية ومن بينها العراق.

وكانت حركة الوعي العربي في سورية أقدم عهداً وأقوى تنظيماً وأكثر أنصاراً بالقياس إلى الأقطار العربية الأُخرى، ويمكن أن نرجع الأسباب الممهدة لنمو الوعي العربي في

---

(١) لقد فكر كثير من المفكرين السياسيين في نهاية القرن التاسع عشر في حل المشاكل السياسية ضمن إطار الدين ومن أمثلة ذلك السيد عبد الرحمن الكواكبي الذي شك في حق السلاطين العثمانيين بالخلافة ودعا إلى إختيار خليفة عربي يحكم بلاد العرب، ولم يكن هذ النوع من التفكير مقتصراً على الكتاب المسلمين، بل قام بين مفكري المسيحيين العرب مَنْ فكر في حل المشاكل السياسية ضمن دائرة الدين، ومن هؤلاء نجيب عزوري الذي فكر بايجاد كنيسة كاثوليكية عربية، كما دعا إلى إيجاد اتحاد يضم البلاد العربية في الشرق الأوسط على أن يكون الحجاز مستقلاً عن هذا الإتحاد ليكون مقر خليفة عربي، ومن هذا يظهر أن النجيب عزوري نظر إلى مشكلة سياسية من زاوية الدين، وهو أمر ألفه المسلمون، فهو نادر الحصول عند المسيحيين لأن الدين منفصل عن السياسة عندهم وللاستاذ نقولا زيادة مقال حول هذا الموضوع بعنوان:
((Recent Arabic Litorature on Arabism))
منشورات على ص ٤٦٨ وما بعدها من مجلة **The Middle East Journal** المجلد الرابع، ١٩٥٢.

سورية قبل غيرها إلى تأثير الحملة المصرية على سورية بقيادة إبراهيم باشا وما صحبها من إصلاحات شبيهة بتلك التي أنشأها محمد علي باشا في مصر، وإلى الجهود الثقافية للإرساليات التبشيرية، تلك الجهود التي تمخضت عن تسرب بعض نواحي الثقافة الغربية، وعن حركة ثقافية ساعدت على إحياء اللغة العربية وتيسير الطباعة فيها.

وبالرغم من الرقابة الشديدة التي فرضتها حكومة السلطان عبد الحميد على النشر والتأليف، وعلى الرغم من رداءة المواصلات عبر الصحراء السورية فقد تسربت إلى العراق أضواء فكرية وسياسية من سورية عن طريق المطبوعات والإتصال المباشر في مواسم الحج والتجارة؛ لانَّ الوعي القومي العربي الذي نمت جذوره في سورية قد امتدت فروعه إلى الأقطار التي تتكلم العربية، وما لبث أن تحول هذا الوعي بعد أن زال عهد السلطان عبد الحميد(١)؛

(١) يقول سليمان فيضي، وهو أحد المعاصرين بعبد الحميد على الص ٤٥، ٤٦ من كتابه الموسوم بـ (في غمرة النضال) المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٢: (لقد قال المؤرخون في السلطان عبد الحميد أنه كان من دهاة الملوك، بل هو أدهى معاصريه. وقال فيه الشعب أنه ظالم متجبر خنق الحريات وأزهق الاحرار وأنفق مال الدولة على بطانته الفاسقة. لقد عشق الحكم وتمسك بالعرش فحكم البلاد حكماً فاسداً مدة ثلاث وثلاثين سنة، ذاقت فيها الأمرّين فعمّها الخراب وقضى المخلصون نحبهم في أعماق السجون والمنافي وعلى أعواد المشانق، وكان الشعب يرسف في قيود الذل والعبودية، أما أصوات الغوث والإستنجاد فلم تكن تطرق سمع السلطان إذ حال بينه وبين المستغيثين ستار منيع من رجال البلاط والجواسيس ممن أجزل لهم السلطان العطاء وأغدق عليهم من نعمه وآلائه وترك حبل الحكم لهم على غاربه فحالوا بين الرعية والراعي ووسوسوا له بالخوف من مطاليب الامة وارتكبوا بإسمه المنكرات والموبقات.

وتصف جريدة (الرقيب) البغدادية بعددها الثاني الصادر في ٢٨ كانون الثاني ١٩٠٩، ١٣ محرم ١٣٢٧هـ حكومة السلطان عبد الحميد بقولها: (ليس من الامور الخافية على العموم ما كانت الحكومة السابقة (يقصد حكومة السلطان عبد الحميد) تجريه من اختلاق الحجج على الرعايا المساكين لأجل نفيهم وتبعيدهم، بل محوهم، فلا يكاد الإنسان يتفوه بكلمة إلا وعليه ألف عين، والغالب من كان يساق إلى المنفى الذي يكون له قبراً يقبره وهو على قيد الحياة إلى أن يوافيه الأجل الموعود، وصار التجسس وسيلة لترقي جملة من الأسافل، وكم من بريء صار طعماً للإسماك، وكم من ذي حمية ذهب ضحية، وكم من مخلص للملك والملة قضى به الحال إلى التلف حتى لم يخل محل من عدة من أولئك المبعدين بلا حق، ومن جملة الولايات التي كانت تتخذ مقراً للمنفيين ومنزلاً للمبعدين ولايتنا بغداد وذلك لبعدها عن مركز السلطة حتى كان

إلى حركة تذمر واسعة الانتشار وذات هدف معيّن[١].

ويظهر أن التقدم الذي أحرزته سورية كان معروفاً لدى بعض المفكرين العراقيين في ذلك العصر وأنهم كانوا يتطلعون إلى تقليده والإستفادة منه، كما اعتقدوا أن الأتراك لم يكونوا أكثر تقدماً من السوريين خاصة والعرب عامة وبالتالي ليسوا على حق في فرض ثقافتهم ولغتهم على العناصر غير التركية التي تنضوي تحت العلم العثماني، وقد ظهر هذا الشعور في مقال اقتبسه محرر مجلة (تنوير الأفكار) البغدادية من مجلة (المقتبس) السورية، وقد جاء المقال السالف الذكر: ((أما السعي في تتريك[٢] العرب في سورية وفي غيرها من الأقاليم العربية كاليمن والحجاز والعراق فسعي باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لا تعليمهم بغير لسانهم[٣] يطول معه زمان نهوضهم الحقيقي، والأتراك

يُعدُّ مَنْ فيها منهم بالمئات فضلاً عن العشرات...) هذا هو عبد الحميد الذي كان خليفة المسلمين وحامي الحرمين الشريفين ورئيس الدولة العثمانية في الوقت نفسه.

(١) انطونيوس. ن. م، ص ١٢٨.

(٢) يظهر ان فكرة التتريك لم تكن واضحة في ذهن الكاتب إذ أنه يحاول أن يقرنها بفرض اللغة التركية على غير الأتراك من مواطني الدولة العثمانية، والواقع أن فرض اللغة التركية يسبق حركة التتريك بكثير وقد تكون الصلة بين الإثنين ضعيفة، إذ من المعلوم أن حركة التتريك تقوم على تفضيل العنصر التركي على غيره من العناصر المكونة للإمبراطورية العثمانية.

وقد ذكر سليمان فيضي على الص ٨٣، ٤ من كتابه سالف الذكر تفصيلات عن هذا الحركة وقال: (لم تكن العنصرية التركية ذات موضوع قبل عهد جمعية الإتحاد والترقي) وكانت العاطفة الدينية عند غالبية الأتراك قوية، وقد أمعن الإتحاديون بحركتهم العنصرية وساهمت صحفهم في ذلك، فنشرت صحيفة (الإقدام) التركية مقالاً جاء فيه: (إن العرب يبيعون كل شيء بالمال حتى العرض... إلى غير ذلك من الطعن بشرفهم والدس على شهامتهم وتقاليدهم). وقد استخدم الإتحاديون، فضلاً عن الصحافة والمنظمات السياسية الدين لتحقيق أغراضهم فشجعوا بعض خطباء الجوامع على النيل من الدين والخلفاء الراشدين وآل الرسول، وقد جمعت الحكومة أقوال أحدهم وإسمه عبيد الله في كتيب عنوانه (شعب جديد) طبعت منه الملايين ووزعته على الأتراك، وكان لهذه الحركة أثر في تكتل العرب ضد الأتراك كما سنرى في الصفحات القادمة.

(٣) كانت لغة التعليم في جميع الولايات العربية من الامبراطورية العثمانية هي التركية، وكانت هذه القضية مثار جدل عنيف بين الحكومة وقادة الرأي العام في البلاد العربية. ويقول المعلم داود صليوه محرر جريدة



ليسوا بمدنيتهم على مستوى الفرنسيين والإنجليز في الرقي حتى يفيضوا من علمهم على العناصر الاخرى، ولذلك كان عمل الحكومة عقيماً في نشر التركية فقط في البلاد العربية، والدليل على ذلك أن الولايات التركية أحط بكثير من بعض الولايات العربية، فولايتا سورية وبيروت أرقى ولا شك من أدرنه وبروسه... أما درجة التعليم والتهذيب في سورية فأرقى من بلاد الأكراد وأرمينية وولايات آسيا الصغرى... ولذلك جاز لنا أن ندّعي أن السوريين كالطفل بدأ يحبو نحو المدنية...))[١].

وكانت المطبوعات السورية بما فيها الصحف كالمقتبس والعرفان معروفة في هذه البلاد وينقل عنها أصحاب الصحف العراقية المعاصرون[٢].

ولم يسهم حكم مصر إسهاما فعالاً في حركة الوعي العربي السياسية في هذا الدور؛ لأنهم غرباء عن البلاد من حيث اللغة[٣] والشعور والتاريخ، يضاف إلى ذلك أن إحتلال البريطانيين لمصر في أواخر القرن التاسع عشر وما صحبه من مشكلات مالية وسياسية

(صدى بابل) في العدد (١) من السنة الأولى الصادر بتاريخ ٢١ شوال ١٣٢٧ الموافق ٥ تشرين الأول ١٩٠٩: (كثيراً ما لهجت جرائدنا الوطنية وغيرها من الصحف والمجلات بطلب اتخاذ لغتنا العربية رسمية أو تقرب منها في ديارنا هذه)، وقد بين المحرر الأضرار الناجمة عن هذه السياسة وقال: (أنه يستحيل في جميع تلك الأصقاع أن نرى بين ذلك الشعب الغفير والجمع الوفير من يحسن كلمة تركية ما خلا أفرادمن المدن يُعدّون على عدد الأصابع).

(١) (الامة تحبو) عن مجلة المقتبس الغراء (تنوير الأفكار) ع ٧ من المجلد الأول، ربيع الأول ١٣٢٩هـ، ص ٢٨٠.

(٢) (العلم) العدد الأول من المجلد الأول، ٢٩ مارت ١٩١٠، ص ٤٥؛ (صدى بابل) ع١٠، السنة الأولى، ٣٠ رمضان ١٣٢٧هـ ١٥ تشرين الأول ١٩٠٩م.

(٣) يقول بروكلمان على الص ٩٩ من الجزء الرابع من كتابه الموسوم بـ(تاريخ الشعوب الإسلامية) طبعة بيروت ١٩٥٠: (وفي مصر كانت الطبقة الحاكمة أُسرة محمد علي وأتباعها تعنى بالأدب التركي أكثر مما تعنى بالأدب العربي، وأن المطابع التي أنشأتها الحكومة في القاهرة لم تطبع الأنظمة العسكرية باللغة التركية حسب، بل طبعت فوق ذلك سلسلة كاملة من آثار الأدب التركي الكلاسيكية قبل أن تفكر في إسباغ هذا الشرف على الأدب العربي).

شغلها عن مواكبة سير حركة التحرر العربي بمظهرها السياسي على الأقل، ولم يعد المعنيون بقضايا العرب السياسية أحراراً بالعمل تحت ظل الحكم البريطاني إلا إذا كان ذلك العمل لا يضر بمصالح بريطانيا في مصر ولا يكدّر صلاتها مع الدولة العثمانية، ومع هذا فلا حكام مصر الغرباء ولا الإنجليز المستعمرون إستطاعوا أن يحولوا دون تزعم شعب مصر العربي للحركة الثقافية العربية في هذا الدور من تاريخ العرب، ففي مصر كانت الصحافة والطباعة تتمتع بنوع من الحرية لا مثيل لها في غيرها من البلاد العربية التي كانت تنوء بأثقال استبداد حكومة السلطان عبد الحميد(١). ولجأ كثير من الادباء والساسة العرب إلى مصر خوفاً من رهبة الإستبداد التركي ورغبة في الحرية التي لا حياة للفكر بدونها.

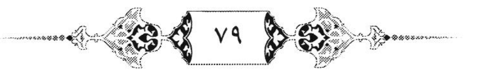
وفي مصر نمت حركة الجامعة الإسلامية التي زرع بذورها السيد جمال الدين الأفغاني، وقد نظّم الشيخ محمد عبده هذه الحركة وحوّلها إلى برنامج ثقافي قابل للتطبيق، إذ كان يقول: ((إنه ليس من واجب المسلمين في مجهودهم الرامي للدفاع عن دينهم أن يهتموا ببعث الدراسات الدينية حسب بل عليهم أن يدرسوا العلوم الحديثة وتأريخ الأوربيين وديانتهم وبذلك يدركون أسباب تقدم الغرب))(٢).

وكان للحركة الفكرية في مصر صدىً واسعاً في العراق، فجامعة الأزهر التي تمتعت بشهرة تقليدية قديماً والتي جعلها جماعة الشيخ محمد عبده مركزاً لفعالياتهم الثقافية حديثاً، كانت مثار إعجاب جماعة من المعنيين في الشؤون الثقافية في العراق.

وبلغ هذا الإعجاب درجة الرغبة في السير على هديها الثقافي، ففي بداية هذا القرن دعا نعمان الأعظمي إخوانه العراقيين إلى ((إقامة جامعة كبرى كجامعة الأزهر في مصر))

(١) بروكلمان. ن. م، ج٤، ص ١٠٠.

(٢) Gibb, h. A. R., The Modern Trends in Islam, Chicago, 1950, p. 39.



كوسيلة إلى نشر الثقافة في هذه البلاد[١]، والمطبوعات المصرية كالعروة الوثقى والمقطم والمقتطف والهلال تجد من يعتني بها[٢] كما تجد من ينقل عنها في صحف العراق[٣]، ورحل الشيخ عبد المحسن الكاظمي[٤] بعد أن ضيَّق العثمانيون عليه الخناق لمجاهرته بأفكاره التحررية[٥] إلى مصر ليجد بين شعبها وقادة الفكر فيها من يعطف على أفكار الحرة ويشاركه عواطفه العربية. وشارك الكاظمي في مصر بعد أن ضاق عليه العراق ((في المساعي للدعاية العربية وأرسل القوافي وأنشد القصائد هز بها المحافل، واستعان (حزب الإتحاد السوري) بشعره في بث مبادئه القومية وأسهم في (جمعية الرابطة الشرقية) التي أنشأها في القاهرة أعلام الشرقيين والمصريين))[٦]، وكان اهتمامه بالقضية العربية مثار إعجاب المصريين فسموه (ترجمان العروبة الصادق)[٧].

ولم يكن ما تسرب للعراق في هذا الدور من أفكار سياسية وثقافية حديثة سواء من

(١) (فقدان العلم والتعليم). تنوير الافكار، السنة الأولى، ج١ شعبان ١٣٢٨، ص ٢١.

(٢) أخبرني الاستاذ عبد الحميد زاهد الكتبي أنه كان يعنى في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى باستيراد الكتب الحديثة بما فيها المصرية والسورية إلى مكتبته في النجف وذلك لشدة الإقبال عليها. وقد أصبحت مكتبه الاستاذ زاهد ملجأً للوطنيين وموضعاً يلتقون فيه لبحث القضايا السياسية.

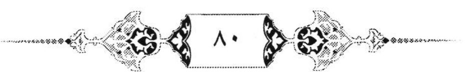
(٣) صدى بابل، السنة الأولى، ج ١٨، ١٧ ذو القعدة ١٣٢٧هـ ١٠ كانون الأول ١٩٠٩م. و (العلم) ع٢ و٣ مج١ جمادى الأولى ١٣٢٨ هـ - ٢٩ نيسان ١٩١٠ م، ص ١٢٢.

(٤) اورد روفائيل بطي ترجمة وافية لشاعر العرب الكاظمي في مقدمة ديوانه المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٤٨.

(٥) يقول الاستاذ روفائيل بطي على الص ٣ من ديوان الكاظمي: إن قريحة الكاظمي قد أنارت له سبيل التفهم وكشف أمام بصيرته حال بني وطنه وملته، فوجدت في رأسه هموماً من التأخر وفكراً في طريق الاصلاح، فلما وفد على بغداد رائد النهضة الشرقية السيد جمال الدين الأفغاني منفياً من إيران تعرّف الشاعر الفتى بجمال الدين ولازمه وأخذ عنه طرفاً من العلوم وتوجيها في التفكير واعتنق مبادئه، ولكن سلطان الظلام كان مخيماً على بلاد السواد من خطط الخلافة العثمانية، فلم تحتمل السلطةُ صاحبَ العقل اللماح فأُخرج الأفغاني من العراق ولاحقت النقمة على تحرره وجرأته من كان يلوذ به من شباب الجيل فتحرّج موقف الكاظمي ولا سيما أن فكرته اقتدح زنادها بتعاليم الزعيم فصار ينتقد الحكومة ويعد نقائصها.

(٦) بطي، مقدمة ديوان الكاظمي، ص ٥.

(٧) أيضاً، ص ٦.



الأقطار العربية المتقدمة كسورية ومصر، أو عن طريق الهند وموانئ الخليج العربي[١]، أو عن طريق استانبول[٢]، كفيلا بتهيئة الوسائل التي تساعد على إيجاد شعور وطني يضمن القضاء على إستبداد وفوضى الحكام العثمانيين وبالتالي يعمل على تقويض حكمهم إذا ما أزفت الساعة التي يمكن فيها إقامة حكم وطني يستمد قوته من تربة هذه البلاد ويقوم على أكتاف أبنائها. ومن عوامل ضعف الشعور الوطني العراقي في هذا الدور إقتصاره على المثقفين من سكان المدن في الغالب بما فيهم بعض رجال الدين وأقلية ضئيلة من رؤساء القبائل، وكانت هذه الجماعة فضلاً عن قلة عددها ينقصها التنظيم ووحدة الغاية ووضوح الهدف الذي تعمل من أجله.

ويوضح لنا آيرلند الحالة في العراق في هذا الدور حين يقول: ((بقي العراق منعزلاً عن الغرب، وكان ذلك ناتجاً عن رداءة المواصلات وبُعد البلاد عن سواحل البحر المتوسط، وكانت المقومات الثقافية تنقص هذه البلاد الغنية التي هي بمثابة سيبريا تركيا، تلك المقومات التي تساعدها على تقبل الأفكار الجديدة التي ظهرت وانتشرت على سواحل البحر المتوسط[٣]. وهناك أقلية فقط قوامها رجال المهن كالأطباء والمحامين والمعلمين والموظفين تمكنت من أن تكون العمود الفقري للحركة الوطنية عبر الصحراء، ومع ذلك فمن هؤلاء ومن ضباط الجيش تكونت النواة التي تجمعت حولها الحركة الوطنية في فترة ما قبل الحرب في العراق))[٤].

وماذا عسى أن يعمل المثقفون في عراق ما قبل الحرب العالمية الأولى وهم يعيشون بين

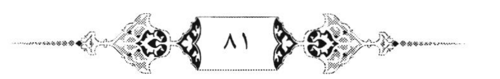
---

(١) الاعظمي، تنوير الأفكار، ج١، العدد السابع، السنة الأولى، ربيع الأول ١٣٢٩، ص ٢٨١.

(٢) أنظر: **Ireland, W., Iraq, London, 1937, P. 222.**

(٣) إن ما بيناه سابقاً عن وجود الإتصال الفكري بين العراق وسورية ومصر يبين قلة التدقيق التي وردت في رأي الكاتب.

(٤) **Ireland, Op. cit, 227 - 8.**



جماهير جاهلة[١] من أهل المدن وبين قبائل تعيش تحت ظل نظام إقطاعي بغيض وتتناحر

(١) أورد الاستاذ عبد الرزاق الهلالي في كتابه الموسوم بـ (تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني) المطبوع ببغداد سنة ١٩٦١ معلومات وافية عن التعليم في هذه الفترة بنوعية القديم والحديث، اي ما كان يجري في المدارس الدينية القديمة والكتاتيب وما يتم في مؤسسات التعليم الحديثة. وقد ذكر الهلالي على الص ١٧٧ - ١٧٨ من كتابه السابق: أن أول مكتب انشئ في مدينة الموصل سنة ١٨٦١، وفي عام ١٨٩٤ أُنشئ مكتب ثاني دون أن يكون في المدن والحواضر التابعة للولاية كلها سوى ثلاث مدارس رشدية، وقد أصبح عدد المدارس في ولاية الموصل (٣٠) مدرسة رسمية سنة ١٩١٤.

ويقول الهلالي على الص ١٨٤: أنه لم يكن في ولاية البصرة قبل عام ١٨٨٣ أي مدرسة ابتدائية وقد أصبح عددها في سنة ١٨٩٥ ثماني مدارس منها ست في مدينة البصرة. وفي عام ١٩٠٥ كان في لواء البصرة (١٢) مدرسة ابتدائية، وفي لوائي العمارة والناصرية (١٥) مدرسة ابتدائية، أما المدارس الرشدية فكان عددها في عام ١٩٠٥ أربعة مكاتب رشدية.

ولم تكن حالة بغداد الثقافية بأفضل من حالة أختيها الموصل والبصرة، اذ كان عدد المدارس الابتدائية في ولاية بغداد لا يزيد عن (٣٤) مدرسة ابتدائية، وفي سنة ١٩١٤ لم يزد عدد مدارس البنات في بغدد عن أربع مدارس، ولم يكن في العراق كله عام ١٨٩٩ سوى (٢٠) مدرسة رشدية عدد طلابها جميعاً (٨٤٠) طالباً.

أما الابتدائية فلم تكن تزيد عن (١٣٠) مدرسة ابتدائية في سنة ١٩٠٨ (الهلالي، ص ١٥٣، ١٥٦، ١٦١).

ويظهر ان هذه المدارس كانت تتركز في المدن الكبيرة بالدرجة الأولى يضاف إلى ذلك ان بعضها يظهر في الوقائع (السالنامات) الرسمية دون أن يكون له وجود. ومن الأدلة على تركز المدارس في مراكز الولايات هو أن لواء الديوانية رغم أهميته وكثرة نفوسه لم تكن فيه مدارس رسمية في ٢٧ محرم ١٣٢٧هـ الموافق ١٨ شباط ١٩٠٩، وقد وردت من سكانه شكاية نشرت في العدد (٤) من جريدة (الرقيب) الصادرة في التاريخ السابق، وإليك نصها: (إن لواء الديوانية يكرر شكايته من إهمال الحكومة إياه وعدم تشكيل مكتب إبتدائي فيه الآن مع إن المعارف تأخذ منها الرسوم تامة، وكذا نشكو عدم وجود طبيب للبلدية فيها والأهالي بحاجة لذلك لحفظ صحتهم فنوجه أنظار الولاية الجليلة ودائرة المعارف لهذه الشكايات وأن لا يتركوا الرعايا هملاً بلا صحة ولا تعليم).

ورغم قلة المدارس وضعف مستواها العلمي فإن ما أُسس منها لم يحقق الغرض الذي أُسست من أجله، لأن التدريس كان يجري بلغة أجنبية وهي التركية. وقد نشرت جريدة (الرقيب) بعددها السابع من السنة الأولى بتاريخ ١٨ صفر ١٣٢٧هـ ١١، مارت ١٩٠٩م، مقالاً تحت عنوان (التربية والتعليم) نورد مقتطفات منه. يقول المحرر: (وبسبب قلة وجود المكاتب الابتدائية في ولايتنا (يقصد ولاية بغداد) نرى أن من يعرف القراءة والكتابة إن راجعنا عدد الأهالي لا يكون إلا بنسبة واحد في المائة على جهة المبالغة وإلا فلعله بنسبة عدد العشائر لا يكون واحد من ألف - على أن الولاية الآن وإن زاد فيها الوالي السابق عدداً من المكاتب الابتدائية لكنها حتى الآن لا تكفي لعُشر الأولاد تقريباً، فالولاية عموماً بتوابعها تحتاج تقريباً لمائتي مكتب ابتدائي ولعلها لا تكفي، وعلى المعارف صرف المهمة في تعميم مكاتب الرشدية أيضاً. أما

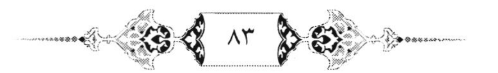
مع بعضها تارة ومع الحكومة تارة آخرى؟ وكيف تستطيع النخبة المثقفة أن تعمل لا سيما وأنها ترزح تحت ظل حكومة مهملة لا تعترف بحقوق الأفراد فضلاً عن القوميات، تجهل أو تتجاهل واجباتها نحو المحكومين رغم أنها أعلنت الدستور وجمعت ما إسمتهم بممثلي الشعب في ندوة أُطلق عليها مجلس (المبعوثان).

وقد ضرب صاحب (الرقيب) أمثلة عن حالة حكومة العراق بصورة عامة في نهاية العقد الأول من القرن العشرين، ومن هذه الأمثلة ما يتعلق بالماكنة التي تسير تلك الحكومة وأعني بذلك موظفيها. ويظهر من رسالة وجهها محمد رشيد نائب خراسان الأسبق إلى صاحب (الرقيب) أن الحكومة لم تدفع لموظفيها رواتبهم بانتظام وأن هذه الرواتب لا تتناسب ومستوى المعيشة حينذاك وبالتالي كان الموظفون - على عهدة صاحب الرسالة - مضطرين لأخذ الرشوة. يقول كاتب الرسالة محمد رشيد: (ماذا يعمل الموظف ولا يبلغ معاشه الثلاثمائة قرش مع أنه لا يقبض منه في السنة إلا النصف أو ما يزيد قليلاً، وإذا نظرت إلى ما يقتضي له ولعائلته من مصرف (نفقات) قضيت بالضرورة بأن ما يأخذه لا يكفيه لعُشر مصرفه فمن أين يحصل الباقي إن لم يفعل ما ذكرناه من الموبقات (يقصد أخذ الرشوة والإختلاس) مع أنه عالمٌ متحققٌ أن لا سائل

صورة التعليم فيجب أن تكون في ولايتنا لأنها عربية (وكذا في عموم العراق وسورية والحجاز واليمن) أولاً، يعني في مكاتبها الابتدائية باللغة العربية المخصصة كما فعله مدحت باشا في سورية، وان يكون المعلمون ممن يحسنون التعليم...)

ويقول لونكريك على الص ٢٠٣ من كتابه الموسوم بـ (أربعة قرون...) قد نتج من إصرار الحكومة على اتخاذ التركية لغة للتعليم في العراق نتيجتان: (أولاهما - إن مادة التدريس كانت غير مفهومة في الغالب. وثانيتهما - إن الشبات العراقيين نشأوا وهم غير قادرين على الكتابة بيسر بالعربية، ولا يمكن أن اتنكر الفائدة السياسية من أمر تحويل العرب بهذا تحويلاً نصفياً إلى أتراك، كما أن ذلك أجّل الشعور بالقومية لدرجة عالية).

ومن هذا يظهر أن الأتراك لم يكونوا جادين بتعليم رعاياهم من العرب، وأنهم كانوا يقاومون العربية رغم أنها لغة القرآن الكريم.



يسأله عن أفعاله ولا رقيب يراقب حركته...)[١].

وينقل لنا محرر (الرقيب) صورة شكوى من أحد ملاّكي الحلة يقول فيها: (إن المأمورين الذين ترسلهم الحكومة كل سنة لتعداد الأغنام وبيوت العشائر داخل قضاء الحلة يأخذون قيمة كل (قوجان) سند عن الأغنام والويركو خمسة غروش صاغ عن ثمن (الپول) الطابع والكتابة من دون مراعاة لكثرة الأغنام والبيوت وقلتها، ولا يكتفون بذلك بل يكلّفون الأهالي بمأكولاتهم ومأكولات الضبطية وعليق دوابهم. فلو أضفنا الفرق على أصل الرسوم لكان رسم الأغنام أربعة غروش ونصفاً عوض الثلاث ورسم البيوت خمسة وسبعين غرشاً عوض الخمسين. إن هذه الرسوم المخالفة للقانون تبلغ بنسبة عدد السندات نحو الأربعين ألف غرش وما زالت تقسم بين المأمورين علناً، فأوجبت هذه الامور إضمحلال الأهالي الفقراء...)[٢].

وقال صاحب مجلة لغة العرب عن غرق سفن جسر بغداد (يعلم القراء إن جسر بغداد الأكبر واقف أو ممتد على سفن أو زوارق تسمى جساريات مفردها جسارية... ففي (٩) أيلول أخذت سفينة من هذه السفن بالرسو في قعر دجلة بعد أن امتلأ جوفها من الماء ولما بدأت بالغوص تصايح من كان على الجسر وعلى الشاطئ استنجاداً وتخلصاً فلم يكن هناك من مجيب، وكأن سائر السفن حسدت اختها البكر فتسابقت في الهبوط في قعر الماء، وعلى هذا الوجه غرقت خمس في مدة ساعتين، أفلا يحسن بعد هذا أن يمد على دجلة جسر من حديد كجسر الخر حتى يأمن الناس على نفوسهم[٣].

ويبدو ان الحكومة العثمانية في العراق في مطالع العقد الثاني من هذا القرن لا تولي الآثار القديمة ما تستحقه من الإهتمام، وكتبت مجلة لغة العرب في معرض حديثها عن الآثار القديمة في سامراء تقول: إن تجار العاديات يتوصلون إلى شراء ما يريدون من

(١) (الرقيب) العدد (٣) السنة الأولى ٢٠ محرم ١٣٢٧هـ.

(٢) (الرقيب) العدد (٤) السنة الأولى ٢٧ محرم ١٣٢٧هـ.

(٣) العدد الخامس، تشرين الثاني ١٩١١، ص ١٩٨.

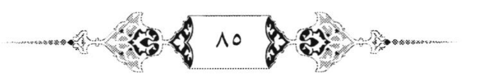
الآثار دون أن يقعوا تحت طائلة العقاب ((وإذا أنعمت النظر في ما يباع ويشترى في أسواق باريس من الآثار العادية نجد ثلاثة أرباعها قادمة من البلاد العثمانية، وقد بعث بها إلى فرنسة خفية وتهريباً، فتباع هناك بأثمان باهضة ينتفع بها من يشتريها فتخسرها الدولة خسارة لا مقابل لها، بل ويخسرها أصحاب تلك الديار التي كانت فيها، لا بل ويفقد منافعها أصحاب دور التحف الإفرنجية والعثمانية، كما يفقد منافعها من قد ألهج بجمعها ليستفيد منها فائدة علمية، ومن ثم يفقدها العلم وأصحابه كل الفقد لأنها تقع بيد جهلة لا يعرفون قدرها)) (*).

ويظهر من هذه الأمثلة أن الجرائد كانت تتحسس سوء الأوضاع وتعمل على نقدها بصورة موضوعية في أكثر الأحيان.

وعلى الرغم من استبداد الحكومة وإهمالها، والفتور الذي سيطر على موقف الجماهير تجاه الحركة التحررية في العراق، فإن هذه الحركة قد بدأت تنظم صفوفها فنشطت في إيصال أفكارها التحررية إلى الجماهير وأخذت توضح لهم أهدافها، وقد اتخذ المثقفون من الصحافة وسيلة لتحقيق هذا الغرض، وتمكنوا من بعث حركة صحفية نشطة وحرة في الوقت نفسه عملت جادة في تلك الفترة على التنبيه إلى فساد المؤسسات الحكومية وما يصحب هذا الفساد من تأخر في أوضاع البلاد العامة، ولعل المواضيع التي عالجتها صحافة ذلك العصر والتي أشرنا إلى بعضها تقوم دليل على ما ذهبنا إليه.

وفضلاً عن ذلك فإن الصحافة في هذا الدور عالجت نقطة حيوية تؤلف ركناً أساسياً من أركان الحركة الوطنية، وهي جعل اللغة العربية لغة التدريس في المدارس، ولا شك أن لهذه الناحية أهميتها القصوى في تنمية الشعور الوطني لما يصحب إحياء اللغة من ذكريات وطنية وما ينتج عن معرفتها من تذوق لتراث البلاد الثقافي. وسنرى في الصفحات القادمة أن عدد الصحف في هذا الدور قد كثر كثرة مدهشة بالقياس إلى

(*) لغة العرب، ج٣، أيلول ١٩١١، ص ٩٢.



الأدوار التي سبقته. ويمكن أن يستنتج الباحث من كثرة الصحف وحيوية المواضيع التي تعالجها أن تقدماً فكرياً قد أخذت جذوره تنمو هنا وهناك، وأن هذا التقدم الفكري لا بد أن يتمخض عن نمو في الوعي السياسي والإجتماعي.

وسبق أن أشرنا إلى الجدل الذي ثار بين الحكومة التركية وبين أرباب الصحف وغيرهم من المثقفين حول استعمال اللغة العربية كلغة للتعليم في المدارس الابتدائية، ويظهر أن هذه القضية الحيوية لم تثر على الصعيد الصحفي حسب، بل أثيرت على الصعيد السياسي أيضاً سواء كان ذلك في البلدان العربية الأُخرى أم في العراق، ويهمنا هنا أن ننظر إلى موضوع استعمال العربية في المدارس من الزاوية العراقية فقط، ونشير إلى الموقف الذي اتخذه نواب ولاية بغداد في مجلس الولاية من هذه القضية.

لقد نشرت جريدة (الرقيب) البغدادية في ٨ نيسان ١٩٠٩ مقالاً تحت عنوان (المجلس العمومي وبلاد العرب والعربية) جاء فيه: (طلبنا من أعضاء مجلسنا العمومي أن يبذلوا جهدهم ويحصروا فكرهم في السعي وراء تشييد دعائم لغتنا العربية وأن يجعلوا التعليم في اللغة العربية محضاً في المكاتب الإبتدائية، ويضاف لذلك درس لتعليم الأولاد اللغة التركية الرسمية... وأما المكاتب الرشدية والإعدادية فالتعليم فيها باللغة الرسمية التركية بشرط أن يُضاف لها درسٌ عربيٌ...)[1].

ويظهر أن هذا الطلب رغم مشروعيته ووجاهته لم يلق قبولاً من مجلس الولاية فأصدر قانوناً بتأريخ ١١ مارت ١٣٢٥ رومي الموافق ٢٤ مارت ١٩٠٩م تناول بعض القضايا التربوية بالعراق ولكنه لم يقر استعمال العربية كلغة للتعليم في المدارس الإبتدائية، وإلى هذا أشار المحرر في مقاله السابق بقوله: (وعندما رأينا مضبطة مجلسنا العمومي (يشير إلى القانون السالف الذكر)... لم نجد لهم من هذا البحث سوى تقديم من يعرف اللغة العربية من المعلمين على غيرهم فهل هذا كان أملنا فيهم؟

(١) العدد (١٢) السنة الأولى، ١٧ ربيع الأولى ١٣٢٧هـ - ٨ نيسان ١٩٠٩م.

أليس هذا غصباً لحقوق العرب والعربية...؟.

وكان نواب ولاية بغداد الإثني عشر من الموافقين على هذا القانون «سوى الحاج بكر أفندي منتخب كربلاء».

ويورد صاحب (الرقيب) جدولاً بأسماء أُولئك النواب ومناطق إنتخابهم والعنصر الذي ينتمون إليه ومعرفتهم باللغة التركية، ويقول: ((فمن راجع ذلك يعلم أن ستة منهم لا يعرفون اللغة التركية وأربعة يعرفون طرفاً منها وواحداً عربياً يعرف طرفاً منها وآخر هي لغة وطنه فكيف أمكن الأكثرية الموافقة على هضم حقوق لغتهم الشريفة والإعانة على محوها واضمحلالها؟)).

وعندما سأل المحرر أحد النواب عن الموضوع أخبره أنه وضع المضبطة على ما يرام ولكنه عندما خرج البحث من الكلام إلى التحرير لم يعرف ما حرر في المضبطة وأنه ختمها ويعتقد أنها طبق مرغوبة. ويختم المحرر مقاله بقوله (فهل يمكن لولايتنا السعيدة؟؟؟ أن تنتظر من هذا المجلس المحترم فائدة تذكر حاشا وكلا...).

ويظهر أن نواب العراق (مجلس المبعوثان) لم يقوموا بما كان ينتظره منهم أبناء شعبهم، وقد عاتبهم أحد المعاصرين بقصيدة عنوانها (الندبة العراقية). وفيها يقول الشاعر مخاطباً إخوته النواب:

فأي امتياز حفظتم ذمامه ... وانتم له أهل على كل واجب
وأي اشتراك قد عقدتم شروطه ... ولم تتركوه قسمة للأجانب
إذا ما سمعتم صوت بيع نفوسكم ... تخلفتم عنه وحدتم لجانب
فقولوا لنواب العراق أما لكم ... تشاغلتم عنا بأعلى المراتب
يشق علينا جبنكم وخمولكم ... ولوكنتم نسل الكرام الاطايب

ويثير الشاعر تهمة خطيرة ضد النواب وهي بيع أرض العرب للأجانب فيقول:

تماهلتموا عن كل فائدة لنا ولا سيما في بيع أرض الأعارب
اما فيكمو من نهضة عربية كما نهضت يوم امتياز المراكب[١]
فليس انتخابكم لإصلاح حالكم فنحن انتخبناكم لدفع النوائب[٢]

هذه صورة للعراق في بداية هذا القرن يظهر منها أن نواب العراق كانوا مهملين لواجبهم، وان حكومتهم سيئة، ولكن الذي يهمنا هنا هو أن جماعة من مثقفي العراق أخذوا يشعرون بسوء الأوضاع في بلادهم فانتقدوا حكومتهم لتقصيرها وحثّوا نوابهم في مجلس (المبعوثان) على تنبيه الحكومة على هذا التقصير.

ومع هذا كان الوعي الوطني في العراق يسير سيراً وئيداً تحت ظروف كالتي وصفنا نحو نهاية غير واضحة في نفوس الجماهير، وكان المعنيون بالحركة الوطنية يدركون أن حركتهم رغم المكاسب التي حققتها عن طريق الصحافة وغيرها، ستبقى محدودة الأثر ما لم يتفهم الجمهور مقاصدها وأهدافها، وحينئذ فكروا في وسائل اخرى تساعدهم على

(١) يظهر أن الشاعر يشير إلى قضية كانت تشغل الرأي العام العراقي في ذلك الوقت وهي قضية تجديد امتياز (الملاحة في نهري دجلة والفرات) لشركة ستيفن لنج الإنجليزية. وجاء في جريدة (صدى بابل) بعددها العشرين من السنة الأولى المؤرخ في ١٨ ذي الحجة ١٣٢٧-٣١ من كانون الأول سنة ١٩٠٩ إن أمر الملاحة في نهري دجلة والفرات قد أضحى شغلاً شاغلاً ومرمى نقد الامة العثمانية قاطبة. وقد لهجت الجرائد على إختلاف أذواقها بحيث لم تبق جريدة إلا وخاضت يمّ البحث في هذا الموضوع واستكبرت قرار المبعوثان فيه. ويظهر أن رد فعل العراقيين تجاه هذه القضية كان قوياً فيقول محرر جريدة صدى بابل في عددها السالف الذكر: بيد أن الامة العراقية التي عجمت عود هذه المسألة واستكبرتها بادر وجهاؤها فعقدوا مجلساً في نادي جمعية الإتحاد في مدينة السلام وخابروا من اختاروا مخابرته في هذا الشأن وقاموا بالذب عن حقوقهم ووطنهم وأعلنوا إصرارهم عن الاقتناع بهذا الأمر وأنهم أبوا إلا تخليص الملاحة من يد الأجانب وأنهم مستعدون لأن يقبلوا الامتياز ويقدموا المبلغ المفروض.

ويبدو أن تذمر العراقيين من امتياز شركة لنج تمخض عن إنشاء شركة وطنية للملاحة. قال صاحب مجلة لغة العرب (العدد ٧، كانون الثاني ١٩١٢، ص ٢٧٦): أُنشئت شركة بوآخر وطنية في أواخر الشهر الماضي بعنوان (شركة تجارة مراكب البصرة) لكي تسير على نهري الفرات ودجلة، وقد أتت منها باخرتان في أوائل هذا الشهر فيها أموال وركاب قادمة من البصرة فنتمنى لها النجاح).

(٢) صدى بابل، العدد ٧٥، ٢٨ محرم ١٣٢٩-٢٩ كانون الثاني ١٩١١.

تحقيق أهدافهم، وقد ساقهم تفكيرهم - لا سيما وأن بينهم من تأثر في الثقافة الأوربية- إلى التنظيم السياسي الحديث كالإنخراط في الجمعيات والأحزاب السياسية والتأكيد على دور الصحافة والنشر، ورغم سلامة هذا النوع من التفكير كانت نتائجه بطيئة وغير مؤكدة لأن عراق العقد الأول من القرن العشرين كان متأخراً في ثقافته كما أسلفنا ولم يسبق لأهله أن تذوقوا فوائد العمل الجمعي[١] المبني على أساليب سياسية وعلمية حديثة، كما لم يسبق لهم أن مارسوا هذا النوع من العمل وخضعوا للقيود الأخلاقية الصارمة التي يستلزمها نجاح الأعمال الجمعية.

ومن الأدلة على عدم تقيد بعض ساسة ذلك العصر بالقيود الاخلاقية التي يفرضها العمل الحزبي هو إن السيد طالب النقيب رغم إنخراطه في الأحزاب والجمعيات[٢] السياسية في العراق وفي البلاد العربية الاخرى لم يتقيد بدقة بالمفاهيم الحزبية، وكان يمنح ولاءه[٣] للحكومة العثمانية ويسلبه منها بغض النظر عن إرتباطاته الحزبية ودون الإلتفات إلى ما تجره تصرفاته الفردية من أضرار للقضية التي يعمل الحزب من أجلها وهي إستقلال البلاد العربية التابعة للعثمانيين بما فيها العراق.

---

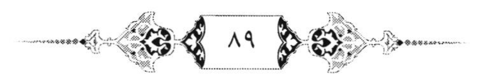
(١) يصف الشاعر الكبير الشيخ على الشرقي بني قومه بالبيت الآتي:

قـومـي رؤوس كـلـهـم ارايـت مـزرعـة الـبـصـل

(٢) أنشأ السيد طالب جمعية البصرة الإصلاحية وأيد المؤتمر العربي المنعقد بباريس سنة ١٩١١ لمعالجة القضية العربية.

(٣) نقمت الحكومة العثمانية على السيد طالب لاشتغاله بالقضايا الوطنية في هذه الفترة فدبرت اغتياله ولكنها فشلت، ومع هذا فقد نجح السيد طالب باغتيال فريد بك قائد منطقة البصرة وأخيراً تصالح السيد طالب مع الحكومة وأذاع بياناً في هذا المعنى نشره أمين سعيد على الص ٢٤ من الجزء الأول من كتابه سالف الذكر.

قال فيه: (أعلن... بأننا قد اتفقنا في أمر تشريك المساعي وكأننا روح واحدة وجسد واحد لأجل رفع شأن وشوكة حكومتنا السنية... وقد زال ما كان من سوء التفاهم زوالاً قطعياً وصرنا كتلة واحدة نعمل على سعادة دولتنا الأبدية ونسعى في محافظة وحدتنا العثمانية... في ٧ ربيع الأول سنة ١٣٣٢هـ).



الصحافة وأثرها في الحركة الوطنية

سبق أن أشرنا إلى أن العراق في بداية هذا القرن كان على صلة بالتيارات الفكرية العربية بمصر وسورية، وكان كثير من صحف هذين البلدين كالمقطم والعروة الوثقى والهلال المصري والعرفان والمقتبس الشاميتين معروفاً في هذه البلاد، ومع أن معرفة هذه الصحف كان مقتصراً على عدد ضئيل من أبناء المدن الكبيرة كالنجف وبغداد والموصل إلا أن أثرها في الحركة الوطنية لم يكن بالقليل، أما الصحف التركية فأنها - لعوامل متعددة - كانت منتشرة بين من يجيد اللغة التركية في المدن العراقية المختلفة، ومع هذا فإن تأثيرها في الحركة الوطنية لأسباب سياسية في الغالب كان ضئيلاً وغير مباشر. والصحف الإيرانية هي الاخرى وجدت طريقها إلى العراق في تلك الفترة. ومن هذه الصحف مجلة (بهار) الطهرانية وجريدة (كرمانشاه) الصادرة في تلك المدينة وجريدة (جمالية)[١]. ويظهر أن الصلات الثقافية[٢] بما فيها المطبوعات كانت موجودة بين إيران والأقسام الوسطى والجنوبية من العراق وخاصة سكان العتبات المقدسة.

وكانت الصحافة في العراق شأنها في ذلك شأن بلاد الامبراطورية العثمانية الاخرى معدومة الوجود تقريباً تحت ظل حكومة السلطان عبد الحميد المستبدة، ومع هذا فقد وجدت بعض المجلات ذات الصبغة التبشيرية في الغالب مثل مجلة (إكليل الورد) التي أصدرها الآباء الدومنيكان في الموصل في كانون الثاني سنة ١٩٠٢، وهي أول مجلة تصدر

(١) (العلم) العدد (٥) من المجلد الأول، رجب ١٣٢٨ - ١٠ تموز ١٩١٠م. ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) ذكر الاستاذ رفائيل بطي على الص ٢ من مقدمته لديوان الكاظمي المطبوع في القاهرة ١٩٤٨ أن الشيخ عبد المحسن الكاظمي روى للصحفي المصري طاهر الطناحي ما محصله: (أخذني أهلي في طفولتي إلى كتّاب.. انتقلت من عندها إلى معلم عجمي يعلمني الفارسية لأن أبي تاجر. لتجار العراق صلات وثقى بفارس والأفغاني والهندي والمكاتبة التجارية تجري بهذا اللسان...)

في العراق الحديث[1]. وفي ٢٥ إذار ١٩٠٥ أصدر الآباء الكرمليون في بغداد مجلة دينية تحت عنوان (زهيرة بغداد) ولكنها لم تعمر أكثر من سنة. وقد أصدر هؤلاء الآباء مجلة بالفرنسية في سنة ١٩٠٥ تحت عنوان (الايمان والعمل).

ولم يكن في العراق قبل إعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز من ١٩٠٨غير ثلاث صحف[2] رسمية كانت تصدر في اللغتين العربية والتركية مرة كل اسبوع.

وبعد إعلان الدستور خفّت الرقابة على الصحف وتمتع الناس بنوع من الحرية لم يألفوه من قبل. وفي سنة ١٩٠٩ قال محرر جريدة (صدى بابل) إن هذه الحرية حركت في العراقيين (الهمم إلى إنشاء عدة جرائد في القطر.. بعد أن كان لهم جريدةً واحدة[3] وهي الرسمية[4]. وكانت من نتيجة تخفيف الرقابة على الصحف أن أصدرت سلسلة من الجرائد والمجلات (بلغ عددها في سنة واحدة نيفاً وخمسين[5] صحيفة في مختلف الموضوعات: في السياسة والعلم والأدب وفي الإحصاء والفكاهة والهزل[6]. ويظهر أن

---

(١) الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الصحافة العراقية، بغداد ١٩٥٧ ص ٢٥. وتوجد من هذه المجلة مجموعة كاملة في مكتبة الاستاذ روفائيل بابو اسحق تبدأ في سنة ١٩٠٢ وتنتهي في ١٩٠٦.

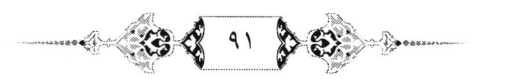
(٢) هذه الصحف هي: جريدة (الزوراء) البغدادية وصدرت ٥ ربيع الأول ١٢٨٦هـ - حزيران ١٨٦٩ واحتجبت في ١١ إذار ١٩١٧، وجريدة (الموصل) وصدرت في عام ١٣٠٣هـ ١٨٨٥م وتوقفت عن الصدور على إثر إعلان الهدنة ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩١٨م، وجريدة (البصرة) وصدرت ١٨٨٩ واحتجبت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤.

(٣) يظهر إن الكاتب يقصد بالقطر مدينة بغداد التي هي محل صدور جريدته، واستعمال هذا

(٤) العدد (٧) السنة الأولى، ٩ رمضان ١٣٢٧ - ٢٤ ايلول ١٩٠٩

(٥) لقد أورد الاستاذ جوج كيرك **Kirk** على الص ١٢٢ من كتابه الموسوم بـ (مختصر تاريخ الشرق الأوسط) المطبوع بلندن ١٩٥٩ جدولاً للصحف الصادرة في البلدان العربية بين ١٩٠٤ - ١٩١٤ نورده هنا للمقارنة: لقد ارتفع عدد الصحف في لبنان من ٢٩ إلى ١٦٨، وفي سوريا من ٣ إلى ٨٧، وفي فلسطين من ١ إلى ٣١، وفي العراق من ٢ إلى ٧٠ (يظهر أن أرقامه بعيدة عن التدقيق فيما يخص العراق لأن في العراق كانت ٣ جرائد رسمية ومجلة (إكليل الورد) الأهلية قبل هذا التاريخ) وفي الحجاز من ٠ إلى ٦.

(٦) الحسني. ن. م، ص ٥٠ - ٥١.



هذا العدد لم يستمر على ما هو عليه لأن إمتياز معظم هذه الجرائد قد الغي بموجب القانون المؤرخ في ٥ إذار ١٩١١ لعدم صدورها مطلقاً أو أنها تصدر بانتظام. ولم يبق منها إلا سبع جرائد وهي: الزوراء والزهور والرياض والمصباح ولغة العرب وصدى بابل والنوادر. وقد أورد الحسين تفصيلات عن كل من الجرائد والمجلات التي صدرت قبل الحرب العالمية الأولى أو في أثنائها، جديرة بالإطلاع عليها[١].

ومن الجدير بالذكر أن عدد المجلات التي أُصدرت في العراق قبل الحرب العالمية الأولى كان عشرين مجلة. أما مجموع الصحف التي أُصدرت في العراق قبل الحرب الأولى وفي أثنائها فكان ٦٩ جريدة بين أدبية وسياسة وهزلية وانتقادية[٢].

وكان بعض هذه الصحف يعالج مواضيع ذات أهمية كبرى، فجريدة (صدى بابل) التي صدرت في ١٩٠٩ مثلاً، نشرت قصيدة لأحدهم ينتقد فيها نواب العراق في مجلس (المبعوثان) وقد سبق أن أشرنا إلى هذه القصيدة في الصفحات السابقة، ونشرت مقالاً بينت به خطأ الحكومة التركية في إصرارها على استعمال اللغة التركية في المرافعات، وحذرت الجريدة تركيا من إتحاد العرب ضدها بسبب مقاومتها للغتهم، وقالت إن الحكومة التركية إن أصرت على استعمال التركية (فإنها تقيم قائمة أولاد العرب عليها)[٣].

وعندما يتكلم المحرر عن قرار مجلس المبعوثان المتعلق بمنح امتياز الملاحة في نهري دجلة والفرات لشركة (لنج) الإنجليزية يهاجم بعض النواب العراقيين ويلومهم على تقصيرهم في حقوق البلاد ويقول: (إن الامة العراقية التي عجمت عود هذه المسألة.... بادر وجهاؤها فعقدوا مجلساً..وإنهم أبوا إلا تخليص الملاحة من يد الأجانب)، ولكن

---

(١) الحسني. ن. م، ص٥١ وما بعدها.

(٢) أيضاً، ص ٢.

(٣) (المحرر) استعمال اللغة التركية في المرافعات، صدى بابل، العدد ١٧، السنة الأولى ٢٠ ذي القعدة ١٣٢٧ - ٣ كانون الأول سنة ١٩٠٩.

المحرر استثنى ثمانية من نواب العراق الثلاثين لأنهم وقفوا بجانب الأهلين في هذا الموضوع[1].

يضاف إلى ذلك أن محرر (صدى بابل) نشر لأحد الشعراء قصيدة تعالج موضوعاً حساساً وهو الدعوة إلى سفور المرأة، وبعد أن يفتخر الشاعر بعروبته يقول:

مـاإذا بكـم في ذا الـزمـان فتاتكم   تشقى وقـدمـاً لم يكن بكمو شقي
تخشى سفـور قناعـهاعـن وجهها   وتـقـول لم يـوجـد بكـم أبـداً تقي
كـنتـم قـديـماً قـطـب كـلّ فضيلة   في الـشرق غير هـداكـموا لم يشرق

أما مجلة (تنوير الأفكار) التي صدرت في ١٣٢٨هـ فهي الاخرى كانت تعالج موضوعات خطيرة، فمحررها يدعو بني قومه لإنشاء جامعة كجامعة الأزهر وينقل مقالاً تحت عنوان (الأُمة تحبو) عن مجلة (المقتبس) يعالج فيه كاتبه مشكلات البلدان العربية الممتدة من المحيط الاطلسي إلى الخليج العربي، ويقول فيه (يريد بالأمة هنا الأُمة العربية والشعوب العربية، وان لكل قطر بل لكل كورة من أقطار بلادها وكورها حالة خاصة به وفلسفة روحية تختلف عن جارتها....)[2].

وكانت مجلة (العلم) النجفية من أشهر مجلات ذلك العصر، وقد بلغت من النضج والرصانة درجة لا يستهان بها، وعندما يتحرر محررها السيد هبة الدين الشهرستاني عن مهمة الصحافة يقول: (أليست هي للامة عيناً مراقباً ولساناً ناطقاً وخطيباً صادقاً ودرعاً واقياً ومعلماً هادياً ومؤدباً ناجحاً وصراطاً واضحاً، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لا تحمي في الباطل حميماً ولا تهضم في الحق خصيماً، وكل صحيفة أخطأت هذا الصراط فعلى الأُمة تأديبها ولو بالسياط)، ثم يشير المحرر إلى رسالة الصحافة في عصره فيقول: (وقد

---

(١) المحرر، صدى بابل، العدد ٢٠ السنة الأولى، ١٨ ذو الحجة ١٣٢٧ - ٣١ كانون الأول ١٩٠٩.

(٢) (الامة تحبو) تنويرالافكار، الجزء (٧) من المجلد الأول، السنة الأولى ربيع الأول ١٣٢٩.

أضحت الصحافة في عصرنا من الفنون المهمة ذات موضوع ونظام وشروط وأحكام يدارسها الغربيون في مدارسهم العالية، وأكثر الصحافيين منا يقتحمون في أبوابها اقتحام الأعمى المتهور ولذلك قد يكون ما نفسده أكثر مما نصلحه...)[١]. وفضلًا عن ذلك فأن مجلة (العلم) قد حاوت أن تحتفظ بنظرتها التقدمية إلى الحياة دون أن تثير شكوك المحافظين من رجال الدين وغيرهم فنشرت مرة تقول: (على أن الإسلام مع العلم الصحيح فرسا رهان ورضيعا لبان لا يفترقا حيناً من الدهر...)، وقد حاولت مرة أن تبرهن إلى قرائها على أن الطب الحديث لا يناقض الدين ونصحت قراءها بنصائح طبية عديدة وأشارت إلى ما رواه أحد الأطباء المعاصرين وملخصه أنه رأى (في أحد معتبرات كتب الشعراني رواية (أن السيد الرسول ﷺ كان يأكل اللحم بالسكين والشوكة يقطعه بالسكين المربوطة في سلسلة الجفنة ويتناوله بسلاي النخيل الذي كان يؤتي به مغروزا في اللحم بعدد الآكلين)... فهكذا كان يفعل السيد الرسول ﷺ ابتعاداً عن الأكل باليد ما أمكن لأنه أنظف وأبعد عن شبهة حصول ضرر).

وأوردت مجلة لغة العرب الخبر التالي عن (تحريم نقل الجنائز) (رسالة فقهية عالمية إصلاحية حرة من مؤلفات الاستاذ العلاّمة حضرة هبة الدين الشهرستاني صاحب مجلة العلم الغراء) طبعت بمطبعة الآداب سنة ١٣٢٩هـ في ١٨ صحيفة بقطع الثمن. وهي رسالة مفيدة للإمامية غاية الإفادة ونحن نتمنى أن تنتشر بينهم وتزيل تلك العادة التي يتضرر منها أُناس كثيرون وهي عادة نقل الموتى إلى كربلاء (الصحيح إلى النجف) التي بواسطتها تنقل عدة أمراض بين الأحياء وتتفشى بين ظهرانيهم فشواً متلفاً لكثير من النفوس حقق الله الآمال)[٢] وانقسم الناس اتجاه دعوة الشهرستاني بين مؤيد ومعارض، ويقول صاحب لغة العرب والذي شاهدناه أن الغلبة هي (اليوم بجانب صاحب مجلة

(١) (العلم) العدد (١) من المجلد الأول ربيع الأول ١٣٢٨ - ٢٩ مارت ١٩١٠م، ص ٤، ٧، ٢٢ والعدد ٢، ٣ المجلد الأول جمادى الأولى ١٣٢٨ - ٢٩ نيسان ١٩١٠. ص، ١٣٢، ١٢٨.

(٢) العدد الخامس، تشرين الثاني ١٩١١، ص ١٩٦ - ٧.

العلم)[1].

وقد اهتمت مجلة (العلم) فيما اهتمت فيه بالنقد النزيه البنّاء ففتحت ما إسمه باب التقريظ والانتقاد وقالت أن هذا الباب يسمى (عند الإفرنج **Critique** أي إبداء الرأي فيما يقرأ ويكتب حسناً أو قبيحاً). وقد ألحق صاحب مجلة العلم بإدارة مجلته مكتبة عامة يؤمها كل واحد[2].

ولم يكن إهتمام مجلة (العلم) بالمواضيع الوطنية أقل من إهتمامها بالمواضيع الاخرى فيقول محررها: يجب أن (نتوازر في صيانة أوطاننا من مكائد الأعداء ونجتهد في تكثير عدة أحرارنا وتوفير رجال السياسة والإصلاح وتوقيرهم بدل أن نرمي كل حر صادق ينبغ من بين الالوف بتهمة وخيانة فتنفر العامة من آرائه فلا تساعده في قول ولا عمل. فلا يقوم لقومنا سوق، ولا يستقيم فيهم نظام وتندب المهمات عندئذ رجالها ولا ثمة من رجال) وينقل المحرر قصيدة للسيد خيري الهنداوي تحت عنوان (أين كنا وأين صرنا) ننقل منها ما يأتي:

شهدت بالعلى لنا امة الغرب ... وهل ينكر الفتى الاستادا

***

قد تلقت منا العلوم ففاتتنا ... بما تلقت استعدادا

***

أخلق الدهر جدة العلم منا ... مثل ما أهلك الردى الامجادا
فغدا عندها الكساد رواجاً ... وانبرى عندنا الرواج كسادا
بددت شملنا الليالي على حين ... أمنا من الليالي البدادا

---

(١) العدد ٦، ص ٢٤٧.

(٢) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ج١، صيدا، ١٣٥٣. ص ١٢٠

فأحلت فينا الدمار سريعاً وانتقتنا جماعة وفرادا
ما بقي عندنا من المجد شيء غير ذكرى تشق منا الفؤادا
يا آل فهر أضعتِ منك رجالا يا آل فهر لم تحفظ الاولاد
ليت قومي الأولى ترى اليوم ما حلّ بنا او تشاهد الاضدادا
قد هبطنا والضد في الجو يسمو مصعداً في فضائه مرتادا[١]

وكانت جريدة (الرقيب) البغدادية من أكثر جرائد ذلك العصر رزانة ونزاهة وأكثرها صراحة في نقد الحكومة، وقد أثنى عليها كثير من أبناء عصرها وغيرهم فوصفتها مجلة (العلم) السالفة الذكر بأنها (سادت جل جرايد العراق لو لم نقل كلها: في الرواج والانتشار واستقامة القلم والقدم في كل مضمار) وقال عنها سليمان فيضي نائب البصرة في مجلس المبعوثان، (وفي كانون الثاني سنة ١٩٠٩ صدرت جريدة الرقيب لصاحبها الحاج عبد اللطيف ثنيان وكانت أجرأ الصحف آنذاك في نصرة الحق وفي مقارعة ظلم الحكومة فلاقى صاحبها من العنت والإضطهاد الشيء الكثير)[٢].

وكانت جريدة نجف أشرف من الجرائد التي صدرت في النجف، وكانت لغتها الفارسية، وقد أصدرها عدد من الكتاب الأحرار، وقد صدرت ابتداءً من شهر نيسان ١٩١٠.

وكانت مجلة (لغة العرب) البغدادية من أشهر مجلات ذلك العصر أصدرها في بغداد الآباء الكرمليون المرسلون فكان العلاّمة الأب انستاس الكرملي صاحبها، والاستاذ الشاعر المطبوع الشيخ كاظم الدجيلي مديرها المسؤول. برز عددها الأول في غرة رجب ١٣٢٩هـ - أول تموز ١٩١١م. وقد كان موضوع مشكلات اللغة العربية وما يدعو إلى

(١) (العلم)، العدد (٥) ج ١، ١٥ رجب ١٣٢٨هـ - ١٠ تموز ١٩١٠م، ص ٢٠٣، ٢٠٩ - ٢١٢.
(٢) في غمرة النضال، ص ٨٢.

بعثها وانتشارها من بين المواضيع التي أولتها مجلة (لغة العرب) كبير اهتمامها.

ومن الجرائد التي خدمت النهضة العربية عامة والعراقية خاصة جريدة (بين النهرين) وصدرت في بغداد في السادس من كانون الأول ١٩٠٩م وعاشت أكثر من ثلاث سنوات، وكانت (مصباح الشرق) من الجرائد السياسية الجريئة، وقد صدرت في بغداد في أول آب ١٩١٠ واستمرت تصدر بانتظام سنة كاملة حتى عطّلتها الحكومة، ولهذه الجريدة جهود مشكورة في خدمة النهضة العراقية وقد بلغت الجرأة بها وبزميلتها (بين النهرين) مبلغاً كبيراً فطالبتا بإقامة حكم لا مركزي في العراق[١].

وقد أورد الاستاذ الحسني تفصيلات عن المجلات والجرائد التي صدرت في هذا الدور من تاريخ العراق جديرة بالإطلاع عليها[٢].

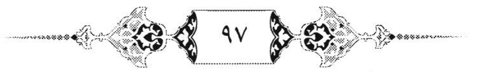
لقد أشرنا إلى جملة من الصحف والمجلات التي صدرت في العراق خلال هذه الفترة وضربنا أمثلة لأهم المواضيع التي عالجتها، وربما تبين للقارئ مما أوردنا أن بعض هذه الصحف قد اتصف بالجرأة والإخلاص للقضية العامة مما عرَّض الكثيرين من أصحابها لمشكلات كثيرة لا سيما وأنها كانت تعمل تحت ظلل حكومة سيطر على تصرفاتها الإستبداد في كثير من الأحيان، هذا فضلاً عن الصعوبات التي نشأت عن المشكلات الفنية للطباعة في ذلك الدور، وفوق هذا كله كان القراء لا يزيدون على عدد الأصابع خاصة في المدن الصغيرة وذلك لتأخر الثقافة كما أشرنا إلى ذلك في السابق.

وكانت هذه الصحف عرضة للتعطيل، فعندما أُعلنت الحرب العالمية الأولى أصدرت وزارة الدخلية أمراً بتعطيل جميع الصحف في بغداد والبصرة، غير أن (صدى الدستور) البصرية استمرت في الصدور معتمدة على نفوذ السيد طالب النقيب وحزبه، (ولم تكتف

---

(١) **Ireland, Op. cit, p. 235.**

(٢) الحسني. ن.م، ص ٢٥ – ٣٠، ٤٩ – ٦١؛ فيضي، سليمان. ن. م، ص ٨٠ – ٨٣.



الحكومة بتعطيل الصحف، بل شرَّدت أصحابها فنفت عبد الحسين الأزري[١] وصلبوا وداود صاحب جريدة (صدى بابل) والأب انستاس الكرملي صاحب مجلة (لغة العرب) نفوه إلى قيسرى، ونفت إبراهيم[٢] صالح شكر وعبد اللطيف ثنيان إلى الموصل، وفرَّ سليمان[٣] الدخيل إلى نجد ولجأ الكاتبان السيد رشيد الهاشمي والشيخ كاظم الدجيلي إلى البصرة[٤].

وبالرغم من كل ما سبق فإن الصحافة في هذا الدور قد قامت بدور لا يستهان به في تيقظ الأفكار وفي توسيع أُفق القراء على قلتهم بخصوص ما يجري في العالم الذي يعيشون فيه من حركات سياسية وإجتماعية. وقد صحب ازدياد الوعي الفكري في العراق نتيجة لجهود الصحافة وغيرها من وسائل التثقيف إتساع في دائرة الوعي السياسي في البلاد. وقد تظهر للقارئ أهمية الصحافة في ذلك الدور إذا علم أن الصحافة كانت (محور الحركة الوطنية في العراق يوم لم يكن فيه أحزاب أو منظمات سياسية كانت تقارع الاستبداد بشجاعة فائقة وتتلقى الضربات بصبر وثبات..)[٥].

ولكن بالرغم من أهمية الدورالذي قامت به الصحافة وبالرغم من النشاط والإخلاص الذي اتصف به كثير من أرباب الصحف في ذلك العهد فإن الصحافة لم تستطع أن تواصل الأفكار التي بشّرت بها إلى الجمهور بصورة فعالة ومباشرة ولذلك لأن جماهيرعراق العقد الأول من القرن العشرين كانت لا تزال جاهلة وقلما كانت تستجيب إلى عادة الحركة الوطنية من المثقفين.

---

(١) صاحب جريدة (مصباح الشرق) البغدادية.

(٢) صاحب مجلة (شمس المعارف) البغدادية.

(٣) صاحب مجلة (الحياة) البغدادية.

(٤) فيضي، سليمان. ن.م، ص ٨٣.

(٥) أيضاً، ص ٨٠.

فعاليات المبشّرين وآثارها الثقافية

إن من أقدم المبشرين الذين وردوا لهذه البلاد هم الآباء الكرمليون والكبوشيون، وقد أنشأ الأخيرون لهم رسالة في بغداد في سنة ١٦٢٦، ثم قصد منهم جماعة إلى الموصل في السنوات التالية، وقد وجدوا من الجليليين حكام الموصل ترحيباً ساعدهم على نجاح فعالياتهم[١]. أما الآباء الكرمليون فقد حلّوا في البصرة في سنة ١٦٢٣م وفي بغداد سنة ١٧٢١م[٢]. وقد سمح والي بغداد للكرمليين في سنة ١٧٢٨ بتوصية من فرنسا بإنشاء كنيسة ومدرسة للصبيان[٣]، وفي سنة ١٧٥٠ أنشأ الدومنيكان رسالتهم في الموصل، واشتهر هؤلاء الآباء بصناعة الطب التي مارسوها لخير الأهالي من أي مذهب كانوا[٤].

وقد فتحوا مدارسهم للطلاب من كل ملة ونحلة[٥]، ولما رأوا ما يعانيه المعلمون والمتعلمون من المشقات الناشئة عن عدم توفر الكتب اللأزمة أسسوا مطبعتهم (١٨٦٠م- ١٢٧٧هـ) سداً لهذه الحاجة وتسهيلاً للمعلمين والطلاب، فطبعوا الكتب العديدة في اللغات الثلاث العربية والكلدانية (في كلتا لهجتيها) والفرنسية على أُصول حديثة[٦]. ومن أقدم مطبوعاتهم (الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة) لمؤلفه قورلس بهنام بني وعدد صفحاته (٣١٦)، وقد طبع في الموصل سنة ١٨٦٧م وتوجد منه نسخة في مكتبة الاستاذ روفائيل بابو اسحق ببغداد. وكان أول مطبوع طبع في مطبعة الدومنيكان

---

(١) نصري، القس بطرس، ذخيرة الاذهان. ج٢، الموصل ١٩١٣ ص ١٩٥ - ٩٦.

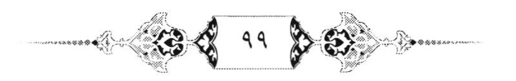
(٢) Gallances, H., Settlement of the Carmelites Mesopotamia XVII & XVIII Centuries, London, 1927. P. 329.

(٣) نصري. ن. م، ٢: ١٩٦.

(٤) نصري، ٢: ٣١٩.

(٥) الصايغ، سليمان، تاريخ الموصل، ج ١، بيروت ١٩٢٨، ص ٣٢٣.

(٦) أيضاً، ١: ٣٢٤.



في الموصل هو (رياض درب الصليب) سنة ١٨٦١م[١]. ولم يقتصر الدومنيكان على طبع الكتب الدينية بل طبعو كتباً عديدة لتعلم اللغة العربية وغيرها من اللغات المحلية والعلوم. ومن مطبوعاتهم في هذه المواضيع (مبادئ التهجئة لتدريس الصبيان) طبع عام ١٨٦٢، ومختصر في التواريخ القديمة للقس لويس رحماني وطبع في سنة[٢] ١٨٧٦م.

ويورد الاستاذ روفائيل بطي قائمة بمطبوعات الدومنيكان بالموصل وقد بلغ عددها (١٧٤) مطبوعاً[٣]. وعند المقارنة بين تأسيس أول مطبعة حديثة على يد المبشرين بسورية وبين مطبعة الدومنيكان بالموصل نجد أن مطبعة المبشرين الأمريكيين في بيروت كانت أقدم عهداً حيث أسست سنة ١٨٣٤، وأغزر إنتاجاً[٤]. ويستطيع القارئ أن يقدّر أهمية وجود المطبعة في الموصل إذا علم أن أول مطبعة أهلية[٥] أسست في بغداد هي مطبعة (دار السلام) وكان تأسيسها سنة ١٨٩١م - ١٣٠٩هـ[٦]. اي بعد مرور أكثرمن ثلاثين سنة على تأسيس مطبعة الدومنيكان في الموصل. وكان للمبشرين الدومنيكان فضل السبق في فتح مدارس البنات حيث أنشأ الراهبات المعروفات بأخوات المحبة في سنة ١٨٧٣-١٢٩٠هـ مدارسهن في الموصل للبنات المسيحيات والمسلمات على السواء[٧].

(١) بطي، روفائيل (تاريخ الطباعة العراقية) لغة العرب، ج ٥ تشرين ٢ ١٩٢٦، ص ٢٧٦ - ٨٠.

(٢) أيضاً، ص ٢٧٦ - ٨٠.

(٣) (تاريخ الطباعة العراقية) لغة العرب، ج ١٠، نيسان ١٩٢٧ ص ٥٩١- ٩٥.

(٤) انطونيوس. ن.م، ص ١٠٠.

(٥) لقد أشار المرحوم سركيس على ص ٣٠٣ من الجزء الثاني من مباحثه إلى أن أول مطبعة حديثة رسمية أُنشئت في العراق في عهد داود باشا أي حوالي ١٨٢٠، ويظهر أن وجودها - إن صح - كان لأغراض الدعاوة لأنها كما تقول الرواية جلبت لطبع كتاب يتنأول مدح الوالي. ولا توجد مطبوعات طبعت فيها بعد تلك الفترة. وفي سنة ١٨٧٠ أسس الوالي مدحت باشا مطبعة لطبع جريدة الولاية الموسومة بـ (جريدة الزوراء).

(٦) العلاف، عبد الكريم، بغداد القديمة، بغداد ١٩٦٠، ص ١٥٧.

(٧) الصايغ. ن.م، ١: ٣٢٤.

دور الجمعيات والأحزاب السياسية في الحركة الوطنية

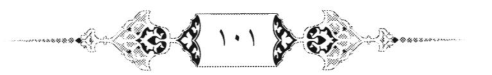
قد يكون من المناسب قبل الكلام عن فعاليات الجمعيات والأحزاب السياسية في عراق ما قبل الحرب العالمية الأولى أن نشير إلى ما يأتي:

أولا - كانت هذه المؤسسات السياسية على ضربين أولهما ما كان فرعاً للمؤسسات السياسية المؤلفة في البلدان العربية الاخرى أو في استانبول، وثانيهما ما كان محلياً، وسنورد تفصيلاً عن النوع الثاني من الجمعيات في الصفحات التالية.

ومن الجدير بالذكر أن في هذا الدور من تاريخ العرب لا توجد قضايا أقليمية تخص كل قطر على حدة، بل كانت الجمعيات التي تأسست قبل الحرب العالمية الأولى تسير على خطط مختلفة ومناهج متعددة ولكنها تعمل لغاية واحدة وهي إنعاش القضية العربية. وبعد أن أُعلنت الحرب العالمية انفصمت الوحدة وانقسم المسعى وكانت مصر أول ما اعتزلت بنفسها تنشد قضيتها المصرية. وعلى هذا (لم تكن قضية عراقية بادئ ذي بدء وإنما كانت قضية عربية والعراق مركز من مراكزها وفيه طرف من أطرافها)[1]. وفي عهد مبكر نسمع عما يسمى بالإتحاد العربي فيروي محرر جريدة (الرقيب) أن مندوبي بغداد في مجلس (المبعوثان) العثماني قد انشطروا إلى شطرين، وأن (عبد المهدي جلبي وساسون أفندي التحقا بجمعية الإتحاد والترقي، ومصطفى أفندي الآلوسي وشوكت باشا التحقا بفرقة الإتحاد العربي وأن الحاج علي أفندي آلوسي زاده بقي على الحياد)[2].

(١) الشرقي، الشيخ علي، (النوادي العراقية)، جريدة (النهضة العراقية)، السنة (١) العدد ٢٠، ٢٣ ايلول ١٩٢٧.

(٢) العدد، (٧) السنة (١)، ١١ مارت ١٩٠٩، صفر ١٣٢٧.



وكان العراقيون يهتمون بقضايا العرب في مختلف أوطانهم. روت مجلة لغة العرب تحت عنوان (تأثير معالنة إيطالية بالحرب للدولة العثمانية في اليوم ٢٩ من شهر أيلول أعلنت إيطالية الحرب للدولة العثمانية فأحدث هذا النبأ في بغداد والعراق بأسره هزة اشبهت الكهربائية وأظهر المسلمون من المتحمس الوطني والحمية العثمانية ما لا مثيل له وقد عقدت عدة مجالس ومجامع وخطب فيها مصاقع الخطباء وفي مقدمتهم والي الولاية فاظهر السامعون من حسن الإلتفات والإجابة ما دفع أكثرهم إلى بذل المال والتطوع في خدمة الوطن[1].

ويورد الشيخ علي الشرقي أسماء الجمعيات التي تشكلت بين إعلان الدستور العثماني وبين إعلان الحرب العامة ويذكر أمكنة تشكيلها وهي:

أ. جمعية الاخاء العربي وتشكلت في سنة ١٩٠٩ والمشكِّل لها شفيق بك المؤيد وزملاؤه.

ب. المنتدى الأدبي وأسسه عبد الحميد الزهراوي ورفقاؤه سنة ١٩٠٩.

ج. الجمعية القحطانية وتشكلت في سنة ١٩٠٩، أسسها خليل حمادة باشا وصحبه.

د. جمعية العهد، وأسسها عزيز بك على المصري وجميع هذه الجمعيات كانت في الاستانة، أما الجمعيات التي تشكلت في مصر فهي:

١. حزب اللامركزية وتألف سنة ١٩١٢، ألفه فؤاد الخطيب وزملاؤه.

٢. جمعية الثورة العربية وتأسست سنة ١٩١٤.

وفي سورية تأسست:

- الجمعية الإصلاحية البيروتية وكان تأسيسها سنة ١٩١٣.
- جمعية الفتاة العربية، تألفت سنة ١٩١٣.

أما في العراق فتأسست:

---

(١) العدد الخامس، تشرين الثاني ١٩١١، ص ١٩٩.

أ. جمعية البصرة الإصلاحية.

ب. جمعية العلم في الموصل وتحولت إلى فرع من جمعية العهد. ويقول العمري أن جمعية العلم كانت تقبل في عضويتها غير الضباط أيضاً[١]. وقد أورد سليمان فيضي تفصيلات عن هذه الجمعيات وغيرها وذكرها وذكر أسماء مؤسسيها[٢].

ثانياً – إن هذه المؤسسات بصنفيها لم تكسب أنصاراً كثيرين من الطبقة العامة، بل كانت من صنع المثقفين ومقتصرة عليهم في الغالب ومع هذا فدورها في الحركة الوطنية خلال هذا العهد من تاريخ البلاد لم يكن قليل الأهمية.

ثالثاً – كان معظم العراقيين العاملين في المؤسسات السياسية المكونة خارج العراق كجمعية العهد وغيرها، من ضباط الجيش العثماني الذين التحقوا بالشريف حسين ثم الملك فيصل بسورية ولم يرجعوا للعراق إلا بعد تكوين الحكومة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١، لذا كان إسهامهم في الحركة الوطنية قبل الثورة وفي أثنائها محدوداً وغير مباشر[٣].

يضاف إلى ذلك أن بعض أقطابهم أمثال الجنرال نوري باشا السعيد قد وقف موقف المناوئ للثورة لأنها تخالف اتجاهه السياسي وهو العمل للقضية العربية عامة والعراقية خاصة ضمن إطار التعاون مع بريطانيا العظمى لا ضدها كما هو الحال في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠. ومن الأدلة على ذلك ما ورد في رسالة أرسلها المؤتمر العراقي بدمشق إلى رؤساء الشامية في النجف الأشرف، وإليك مقتبسات منها: المؤتمر العراقي ٢٩ حزيران[٤]، رقم٦٦،١٣ شوال ٣٣٨، دمشق.

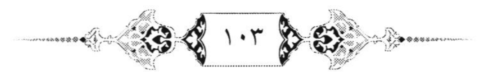
---

(١) ن. م. ١: ١٦٨.

(٢) في غمرة النضال، بغداد ١٩٥٢، ص ٢٨٥ – ٢٨٦؛ سعيد أمين. ن. م، ج١، ص ١ – ٥٠.

(٣) الشرقي، علي (النوادي العراقية) النهضة العراقية، ع ٢١، ٢٦ أيلول ١٩٢٧.

(٤) ١٩٢٠ وذلك بعد مقارنة التاريخ الهجري بالميلادي.



سوف ترفعون شأن القطر العراقي وتعلون مكانته في أنظار الأُمم والشعوب بهذا المظهر الشريف الذي تظهرون به من حين لآخر كأمة راقية متحدة تطلب حقها الطبيعي بالإستقلال التام... أصبحت هذه الدولة (بريطانية) تسعى السعي الحثيث للمحافظة على نظام حكمها الحالي في العراق مع تغيير طفيف تهدئة للخواطر الثائرة... وقد علمت أنها لا تنجح وحدها في الوصول إلى غايتها هذه بدون مساعدة بعض أبناء البلاد نفسها فبذلت جهدها للحصول على ذلك وتوهمت أنها نجحت في تسخير بعض العراقيين إلى مآربها هذه.

وربما حضر إليكم من الشام (الجنرال نوري السعيد) ليقوم بهذه المهمة المشار إليها التي أناطتها به السلطة البريطانية ألا وهي توطيد أركان الإحتلال وتثبيت أقدامه في العراق بمفاوضة العراقيين ودرس أفكارهم وتسكين خواطرهم وتعليلهم بالأماني والمواعيد الكاذبة... لا يحتاج بعد هذا أن نبين لكم واجبكم الذي تقومون به أزاء هذا الرجل إذا فارقنا إليكم بهذه المهمة وخصوصاً الإجتهاد بمقاطعته والإعراض عن أقواله وتحذير الناس من الوقوع في حبائله والسهر على تتبع خطواته ومراقبة حركاته وعرقلة مساعيه.

ولا تبالوا أيها الاخوان به ولا تقيموا له وزناً ولو ادعى الكلام بإسم الملك حسين أو الملكين فيصل وعبد الله أو بإسم المؤتمر العراقي، أي جمعية آخرى فانه غير مفوض ولا مرخص وهكذا يجب عليكم الإعراض عن كل أحد يرد عليكم من الشام وعدم مذاكرته بمسائلكم ما لم يكن بيده تفويض من المؤتمر العراقي الموجود في حاضرة الشام...)[1].

رابعاً – لقد طرأ إنحراف في الاتجاه السياسي، لأسباب خاصة وعامة، ولبعض أقطاب الحركة الوطنية في فترة ما قبل الحرب العالمية فوقفوا تجاه الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ موقف المتفرج أو بالأحرى موقف المثبط. فذكر الاستاذ سليمان فيضي وهو من المشتغلين

(١) (الفرات) العدد ٣، السنة الأولى ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨.

بالحركة الوطنية مع السيد طالب خلال هذه الفترة إن السيد طالب كان (وطنياً صلباً يقارع ظلم الحكومة العثمانية بلا خوف أو وجل ويرفض معاونة الإنجليز بإباء وشمم... وبقيت صفحته الوطنية ناصعة البياض حتى سنة ١٩٢٠ حين لمست منه تساهلاً مع الإنجليز فكان ذلك إيذاناً بانقطاع المودة بيننا...)[١].

وقد وجه السيد (ع. ظ) كتاباً مفتوحاً إلى ((أعتاب صاحب الدولة العميد طالب باشا وإلى رجال الامة العراقية وزعمائها)) قال فيه ((ايها الزعيم المطاع نريد أن تصلح بلادنا وتؤلف بين قلوب رجالنا...))[٢] فأجاب السيد طالب: ((غير أني لما أتيت دار السلام وجدتها ويا للأسف في حالة يرثى لها، حيث أني رأيت فيها مسارح لأنواع القلاقل والمحن، أغراضاً شخصية فاسدة، واموراً فوضوية كاسدة، هياجاً في الداخل وثورات في الخارج... فمن جهة يطالب بالإستقلال التام، ومن جهة تنهب الأموال...)). ويبين في رسالته أنه فاوض ممثلي الحكومة البريطانية في العراق فأبدوا رغبتهم في التفاهم على امور منها ((مسألة إصدار عفو عام عن المجرمين الذين زلزلوا كيان البلاد...)).

ثم يقول ((فعرضت عندئذ هذه المسائل على زعماءالحركة في بغداد فلم يعيروها اهتمامهم ولا خطوا في سبيل التفاهم مع الحكومة دفعاً للمشاكل... بل بذلوا قصارى جهدهم في إلقاء الفتن وإثارة القلاقل بين العشائر والقبائل برفع النظر عما يترتب على عملهم هذا من الخطر على البلاد وأهلها))[٣].

وكان لتبدل موقف السيد طالب أثر كبير في أن تكون البصرة من أقل مناطق العراق إسهاما في ثورة العشرين مع إنها كانت أكثرها فعالية في الحركة الوطنية خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى كما سنرى في الصحائف التالية.

(١) في غمرة النضال، ص ١٣٣

(٢) (الشرق) العدد ١٦، ١٨ أيلول ١٩٢٠، ٤ محرم ١٣٣٩.

(٣) (الشرق) العدد ١٨، ٢١ ايلول ١٩٢٠، ٧ محرم ١٣٣٩.

حزب العهد:

أسس هذا الحزب عزيز بك علي المصري سنة ١٩١٣، وقد انخرط في صفوفه جماعة من الضباط العرب، وللعراقيين منهم علاقة ممتازة بهذه المؤسسة[١]. وقد جاء في منهاج هذا الحزب: ((أن جمعية العهد السياسية سرية أُنشئت في الاستانة غايتها السعي وراء الإستقلال الداخلي للبلاد العربية على أن تكون متحدة مع حكومة الأستانة إتحاد المجر مع النمسا)). ويرى الدكتور البصير أن أهداف الحزب الحقيقية أعمق مما ورد في هذه المادة، وذلك أنه كان يعمل على انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية ويستدل على ذلك من اشتراك كثير من أعضائه بالثورة العربية في الحجاز، ومن محاولة جماعة من ضباط الحزب إشعال نار الثورة في بغداد قبيل نشوب الحرب العامة وخيبتهم في ذلك[٢].

وكان للحزب فرع في بغداد وآخر في البصرة. وكان فرعه في بغداد دائب النشاط[٣] في عهد الإحتلال كما سنرى.

النادي الأدبي:

تأسس هذا النادي في بغداد على يد جماعة من المشتغلين بالحركة الوطنية ومنهم مزاحم الباجه جي وحمدي الباجه جي وغيرهما. من أعضائه البارزين الشيخ محمد رضا الشبيبي، باقر الشبيبي، تحسين العسكري، بهجت زينل، عبد المجيد كنّه، مبدر الفرعون

(١) البصير، محمد مهدي. ن. م، ج١، ص ٢٦ - ٣٣. لقد أورد البصير منهاج الحزب وشروط الدخول فيه، كما أورد تفصيلات عن فعالياته جديرة بالإطلاع عليها.

(٢) ن. م، ج١، ص ٣٣ - ٣٤.

(٣) فيضي، سليمان. ن. م، ص ٢٥٧.

وغيرهم. كان النادي المذكور مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بحزب الائتلاف والحرية في البصرة، وكانت جريدة (النهضة) لسان حال الحزب. وقد أغلقت الحكومة هذه الجريدة ففر محررها إلى البصرة[1].

الجمعية الإصلاحية في البصرة:

أسسها السيد طالب النقيب في ٢٨ شباط ١٩١٣، وقد انضم إليها أكثر الضباط العرب في البصرة. وكانت تطالب الحكومة بالنظام اللامركزي. وقد اتسع نفوذ رئيسها السيد طالب ((حتى أصبح الولاة يتملقونه والقواد يطلبون رضاه))[2].

وكانت جمعية الإصلاح على صلة بحركة التحرر العربية في الخارج. تبنى الحزب ((اللامركزية الإدارية العثماني)) بالقاهرة عقد المؤتمر العربي الأول في باريس[3] ١٩١٣م-١٣٣١هـ أبرق رئيسها السيد طالب النقيب للمؤتمر يعلن فيها تأييده لقراراته[4]. هذا فضلاً عن إشتراك إثنين من العراقيين وهما السيدان توفيق السويدي وسليمان عنبر[5] في أعمال هذا المؤتمر.

ويظهر أن السيد طالب لم يكن متصلاً بالمشتغلين في القضايا الوطنية خارج العراق حسب، بل كانت له صلات بمن كان يعتقد أنهم يشاطرونه الرغبة في العمل من أجل

---

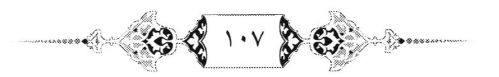
(١) فيضي، ن. م، ص ١١٦.

(٢) أيضاً، ص ١٣٠.

(٣) وردت تفصيلات عن أعمال هذا المؤتمر في كتاب كتبه أحد أعضاء الجمعيات العربية، ثورة العرب، القاهرة، ١٩١٦، ص ٧٥ - ٧٩: اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر (المؤتمر العربي الأول. ١٩١٣) ص ١٤.

(٤) البصير، ن. م، ج١، ٣٨.

(٥) أنظر: **Longrigg, Op. cit, p. 46.**



مقاومة سياسة الإتحاديين التعسفية في العراق. وكانت تجري بينه وبينهم مراسلات[١] من أجل تحقيق هذا الغرض.

ويقول الشيخ جواد الجواهري ((لما ميز الأتراك بين العنصر التركي وسائر العناصر صار ميل النفوس العراقية إلى أخذ الإستقلال الإداري... حتى أنه كان بيننا وبين المرحوم السيد طالب مكاتبات سرية بهذا الخصوص))[٢].

وقد استطاعت جماعة السيد طالب أن تحبط مساعي حكومة الإتحاديين الرامية للتدخل في الإنتخابات النيابية سنة ١٩١٣ لولاية البصرة وخاصة في لوائي البصرة والعمارة حيث فاز مرشحو جماعة السيد طالب وهم: عبد الله صائب، عبد المجيد الشاوي وسليمان فيضي عن العمارة. والسيد طالب وعبد الوهاب القرطاسي وعبد الله الزهير وأحمد نعيم كحالة عن البصرة، أما في لواء الناصرية (المنتفك سابقاً) فقد نجحت حكومة الإتحادين بفرض مرشحيها وهم: معروف الرصافي[٣] وحمزة بك (وهو تركي الأصل) وقريش أفندي[٤].

وقد نشطت جمعية الإصلاح البصرية نشاطاً ملحوظاً في فترة ما قبل الحرب العالمية

---

(١) ذكر الاستاذ سليمان فيضي على الص ٩٨ من كتابه السالف الذكر أن السيد طالب كتب إلى عدد من الوجوه يطلب تأييدهم بهذا الخصوص ومنهم: السيد زيدان، عبد الفالح السعدون والشيخ خير الله (لعله يوسف الخير الله) في المنتفك. والسيد طفار في السماوة وإلى عطية أبو الكلل نقيب الأشراف في النجف، وإلى محمد علي فاضل داود يوسفاني الموصل، وإلى يوسف السويدي عيسى الجميل ومحمود نديم الطبقجلي في بغداد، والى الحاج نجم البدراوي وأحمد المصطفى وفائق الخضيري في العمارة، والى الحاج عباس العالي في الكوت، والى السيد هادي زوين والسيد علوان الياسري في الفرات...)

(٢) الحسني، الثورة، ص ٢٠٨ - ٩.

(٣) يقول سليمان فيضي، ص ٨٧ من كتابه السابق أن عدداً كبيراً (من العراقيين يعاضدون جمعية الإتحاد والترقي ويعملون في فروعها بنشاط وهمّة وعلى رأسهم المرحوم الشاعر معروف الرصافي الذي استمر في دعوته لهم بقلبه وقلمه ولسانه... يدفعهم أحد دافعين الجهل أو المصلحة الشخصية).

(٤) فيضي، ن. م، ص ١٠٢ - ١٠٤.

الأولى وبادر رئيسها السيد طالب ((الى بث دعاته في كثير من أنحاء القطر مزودين بالمناشير السرية والتعليمات اللازمة... ولقيت دعوة أولئك المبشرين في شواطئ الفرات الأوسط نجاحها الاكبر حيث لبى كبير زعماء ذلك الصقع المرحوم مبدر آل فرعون[(١)] وجماعة من رفقائه الشيوخ في مقدمتهم السيد علوان الياسري دعوة النهضة فصاروا ينددون بالموظفين المحليين ويتأففون ويتضجرون من كثرة الرسوم والضرائب... ثم إنهم أرسلوا البرقيات العديدة إلى الأستانة يعربون فيها عن إستيائهم الشديد من معاملة مأموري الحكومة))[(٢)].

وكان تقديم مضبطة تحمل (٣٠٠) توقيعاً من وجوه البصرة وتتضمن طلب إستقلال العراق عن الدولة العثمانية من أهم الأعمال التي أسفرت عنها حركة جماعة السيد طالب في ولاية البصرة. يضاف إلى ما سبق أن مؤتمراً عقد في المحمرة حضره شيخا المحمرة والكويت والسيد طالب نفسه، كانت غايته المداولة في مستقبل العراق السياسي وقد اتفق المؤتمرون على أن يعمل كل فرد منهم ما بوسعه لتحقيق إستقلال العراق أو تكوين ذاتية فيه. وبعد انفضاض المؤتمر أرسل السيد طالب وجماعته عدداً من الرسل إلى كربلاء والنجف ليثيروا الأهلين هناك وليهيئوا الأفكار للمستقبل[(٣)]. وكان سليمان فيضي من بين الذين انتدبوا للسفر بغية الإتصال بالمشتغلين بالحركة الوطنية في أنحاء العراق[(٤)] وخاصة الموصل.

---

(١) جاء على الص ٧٠ من تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن (العشائر والسياسة) (إن مبدر الفرعون كان دائماً موضع ثقة عند موظفي الحكومة العثمانية، وكان غالباً ما يتردد على بغداد لتقديم المعلومات عن عشائر الفرات – تلك الخدمة التي استمر في تأديتها بكل كفاءة إلى الإدارة البريطانية).إن انتماء الشيخ مبدر الفرعون إلى النادي الأدبي في بغداد – وهو مؤسسة سياسية لمقاومة العثمانيين – وتأييده لحركة السيد طالب بالبصرة تجعلاني أميل إلى أخذ رواية دائرة الاستخبارات البريطانية بنوع من الحذر.

(٢) البصير، ن. م، ج١، ص ٤٢.

(٣) أنظر: **Ireland, Op. cit, p. 233.**

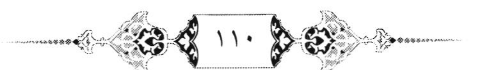
(٤) فيضي، سليمان. ن. م، ص ١١٨.

وكان للسيد طالب أنصار في بغداد ففاز أحد مؤيديه وهو المحامي فؤاد أفندي بعضوية مجلس (المبعوثان)، كما أُنتخب السيد محمد الكيلاني بالرغم من أنه لا يؤيد سياسة الإتحاديين.

وبعد هذا الإستعراض العام لفعاليات جماعة السيد طالب في ولاية البصرة نود أن نشير إلى العوامل التي ساعدته على إضعاف سلطة الحكومة العثمانية في البصرة وتوسيع نطاق الحركة الوطنية بحيث أصبح أنصارها في كثير من المناطق العراقية المختلفة يشعرون بنوع من الإشتراك بالعمل من أجل تحقيق هدف عام وهو الحصول على إستقلال البلاد، وكان تحالف السيد طالب مع أُمراء العرب المجاورين كالشيخ خزعل أمير المحمرة والشيخ مبارك أمير الكويت من العوامل التي مكّنته من الوقوف في وجه العثمانيين في البصرة خلال السنوات التي سبقت إعلان الحرب العالمية الأولى. وفي سنة ١٩١٣ حصلت أزمة بين السيد طالب والحكومة أسفرت عن مقتل والي البصرة. وفي أثناء هذه الأزمة كتب ((السيد طالب إلى حليفيه الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت والشيخ خزعل أمير عربستان ليمداه بالسلاح والعتاد فتدفقت عليه الأسلحة بكثرة))[١].

ويظهر أن الإنجليز لم يعارضوا في عقد محالفة كهذه لأنها لا تهدد مصالحهم، وربما كانت تخدم هذه المصالح بصورة غير مباشرة لأنهم كانوا يخشون من وصول الألمان عن طريق سكة حديد بغداد إلى فم الخليج العربي، ولهذا رأى الإنجليز أن أي تدهور يصيب سلطة العثمانيين في البصرة يعرقل مشاريع الألمان الرامية للوصل إلى الخليج وعندئذ تهدد طريق الهند. هذا من جهة، ومن جهة اخرى فإن هذا الإرتباط والتدهور قد يصلح أن تتخذ منه إنجلترا وسيلة للتدخل في شؤون هذه البلاد إذا ما حان الوقت لذلك، فضلاً عن ذلك فإن السيد طالب ((كان من أدهى الرجال وأشدهم بأساً، وكان لا يتورع عن الإقدام على أخطر المجازفات في سبيل تحقيق غاياته، وكان يلتزم أعوانه ويحميهم

(١) أيضاً، ص ١٠٨.



ويبطش بخصومه... كان كريماً مسرفاً... وكان وطنياً صلباً...))[1]. ومع هذا فقد تغير موقفه هذا وانحاز للإنجليز كما أسلفنا.

وبعد أن استعرضنا مظاهر الحركة الوطنية والمؤسسات التي كانت تعمل في الحقل الوطني في هذا الدور من تاريخ العراق، نقول: هل كانت الحركة الوطنية هذه منبثقة عن تنظيم شعبي متمثل بكتل شعبية لها مناهج واضحة وتعمل على أسس عقائدية؟ هل كان المشتغلون في الحركة الوطنية سواء من كان منهم منخرطاً في سلك الجمعيات والأحزاب السياسية أو من يعمل بصورة فردية مدفوعين بدوافع قومية بحتة تعمل على بعث الكيان العربي أو العراقي على الأقل؟

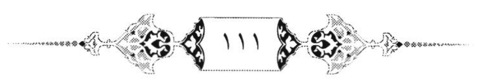
وللجواب على السؤال الأول نقول: إن الحركة الوطنية في هذا الدور من تاريخ العراق كانت في الغالب من صنع المثقفين وهم أقلية ضئيلة حينذاك وقلّما تغلغلت في الأوساط الشعبية وذلك للجهل المتفشي بين أوساط الشعب ولشيوع النظام القبلي في البلاد وما ينجم عنه من منح الولاء للعائلة والقبيلة لا للحزب، وأخيراً لقلة من يتقيد بالمفاهيم الحزبية وما تتطلبه من قيود أخلاقية صارمة من أبناء الشعب بما فيهم بعض مثقفي ذلك العصر، وقد ضربنا فيما سبق أمثلة تؤيد وجهة نظرنا هذه فلا نرى ضرورة للتكرار.

وللإجابة على السؤال الثاني نقول: يبدو أن فكرة القومية بمفهومها الحديث لم تكن واضحة في أذهان معظم المشتغلين بالحركة الوطنية في ذلك العهد، ويعود ذلك لتغلغل الروح الإسلامية في نفوس معظمهم بصورة خاصة، وللأسباب الاخرى التي أشرنا إليها قبل قليل بصورة عامة. وقلما نجد بينهم من كان يجرؤ على نقل الخلافة الإسلامية من آل عثمان وإقامة حاكم عربي مقام الخليفة العثماني.

ويؤيد ذلك أن مؤسسي حزب العهد وغالبيتهم من العراقيين أوردوا في منهاج

---

(١) ن. م، ص ١٣٣.



حزبهم أن ((غاية الجمعية السعي وراء الإستقلال الداخلي للبلاد العربية،على أن تكون متحدة مع حكومة استانبول على غرار إتحاد النمسا والمجر، وأن الجمعية ترى ضرورة بقاء الخلافة الإسلامية وديعة مقدسة بيد آل عثمان [١].

وعندما أوفدت جمعية البصرة الإصلاحية الاستاذ سليمان فيضي للموصل سنة ١٩١٣ وجد عند وصوله: ((أن المؤمنين بالقضية العربية قلائل وأن المشتغلين فيها أقل وأن النزعة الدينية التي يتميز بها أهل الموصل تقف حائلاً بينهم وبين التمرد على الدولة العثمانية ذات الصبغة الإسلامية والخلافة المقدسة...))[٢].

وقد تجرأ بعض المشتغلين بالحركة الوطنية فأجاز نقل الخلافة من العثمانيين ولكن لا ليقيم محل الخليفة العثماني رئيس دولة عربي بل ليقيم محله خليفة عربياً، فذكر الاستاذ سليمان فيضي أن السيد طالب النقيب أرسل في أوائل سنة ١٩١١ كتاباً إلى الشريف حسين يخبره أن النواب العرب وقّعوا على الوثيقة التالية: «نحن نواب العرب في مجلس الأمة نعهد إلى حسين باشا في حكم مكة ونقر بإسمنا وإسم البلاد العربية التي نملثها بأن له وحده السلطة الدينية على البلاد العربية، ونحن مستعدون أن نجاهر علانية بهذه البيعة متى دعت الأحوال إلى ذلك».

ويذكر أن الموقعين على هذه الوثيقة كثيرون ولكنه عرَّف ثلاثة منهم فقط وهم: ((السيد طالب النقيب وشكري العسلي ومحمد شفيق باشا المؤيد نائبي دمشق))[٣].

وكان موقف الشيعة من العراقيين حول شكل رئاسة الدولة العربية أو العراقية فيما يخص صلته بالإسلام لا يختلف من حيث الجوهر عن موقف السنة حول هذه القضية،

---

(١) فيضي، سليمان. ن. م، ص ١٣٦.

(٢) في غمرة النضال، ص ١٢١.

(٣) في غمرة النضال، ص ٨٧ – ٨٨.

فالشيعة الإمامية لا يعترفون بالسلطة الروحية للخليفة العثماني ويعدونه غاصباً[1] للحكم، ومن ثم لا يرون حرجاً دينياً في إبعاده عن رئاسة الدولة الإسلامية، ومع هذا فإنهم اشترطوا في الرئيس الجديد أن يكون ذا صبغة إسلامية، وقد ظهرت هذه الرغبة في المضابط التي وقعها علماء الدين ورؤساء العشائر وغيرهم والتي حملها الشيخ محمد رضا الشبيبي في سنة ١٣٣٨هـ إلى الملك حسين في الحجاز، وجاء في هذه المضابط ((أن تكون للعراق حكومة عربية إسلامية يرأسها ملك عربي مسلم))، وقال السيد محمد باقر الحلي قصيدة بهذه المناسبة جاء فيها:

فليحيى (عبد الله) وهو لشعبنا ملك ووالده الشريف إمام
وعلى الرجال العاملين تحية وعلى حماة المسلمين سلام[2]

وربما اتضح للقارئ مما قدمناه عن مظاهر حركة التحرر العراقية، وعن اتجاهات معظم القائمين بها والإطار الذي كانوا يعملون في حدوده أن لا سبيل للمثقفين إن ارادوا الخلاص من ربقة الحكم العثماني وخاصة بعد أن تبنت حكومة الإتحاديين حركة التتريك، إلا الإستعانة برجال الدين لتحقيق هذا الغرض، ورأى المشتغلون بالحركة الوطنية برجال الدين بعد تحقيق هذا الغرض، وقد رأى المشتغلون بالحركة الوطنية من المثقفين أن كسب رجال الدين إلى جانب الحركة التحررية يحقق لها هدفين: أولهما - تزييف إدعاء الأتراك في نظر الجماهير على الأقل في أن خلفاء آل عثمان حماة الدين وأنهم يعملون لمصلحة الإسلام، وثانيهما - الإستفادة من نفوذهم في كسب تأييد الجماهير

(١) ينظر الشيعة الامامية، وهم الغالبية العظمى في إيران والعراق، للخلفاء الامويين والعباسيين بأنهم غاصبون للحكم من أئمتهم الإثني عشر ولكن الغالبية العظمى من مجتهديهم يوجبون الجهاد تحت راية هؤلاء المغتصبين إذا كان ذلك الجهاد لغرض حماية الثغور الإسلامية، وعلى هذا أصدر معظم مجتهدي الشيعة في العراق فتاواهم بوجوب قتال الإنجليز تحت راية العثمانيين في معركة الشعيبة خلال الحرب العالمية الأولى.

(٢) محبوبة. جعفر، ماضي النجفي وحاضرها، ج١، صيدا ١٣٥٣هـ، ص ٢٥٩، ٦٠.

ورؤساء القبائل في الوسط والجنوب للحركة الوطنية ليكتب لها النجاح كلياً أو جزئياً.

وقد أحرز المثقفون في هذا المضمار نجاحاً كبيراً وخاصة في بغداد وفي أوساط العتبات المقدسة في العراق. وقد شجّع المثقفون في تنفيذ خطتهم هذه وجود المجتهدين(١) من علماء الإمامية في هذه الأماكن واستجابة معظمهم إلى تحقيق هذا الهدف.

---

(١) كان لهؤلاء المجتهدين ورجال الدين الآخرين نفوذ كبير على الشيعة في جميع الأقطار الإسلامية وخاصة العراق وإيران، وكان باستطاعة هؤلاء المجتهدين أن يتدخلوا في كل حقل من حقول الحياة العامة التي لها مساس بالدين بما فيها القضايا السياسية، وكان باستطاعة كل فرد من الشيعة أن يعرض أية مشكلة تدخل الإعتبارات الدينية في حلها على المجتهد ويطلب منه أن يصدر فيها أحكاماً تنطبق مع أحكام المذهب الجعفري، وقد يكون هذا الحكم متعلقاً بتكفير ملك أو وزير ظالم أو تكفير من يأتمر بأمره أو يحارب من أجل تنفيذ أحكامه الجائرة.

وقد كان لبعض هؤلاء المجتهدين مواقف محمودة استنكروا فيها تدخل الأجانب في شؤون البلاد، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الأستاذ علي ال بازركان على الص ٤ من كتابه الموسوم بـ «الوقائع الحقيقية...» أن آية الله المرزا حسن الشيرازي قد أُصيب حوالي سنة ١٩٠٠ بحجر طائش في أحد أزقة سامراء وعندما علم القنصل الإنجليزي ببغداد بالخبر توجه إلى سامراء لمقابلة الإمام الشيرازي فرفض الإمام مقابلته، وعندما أبلغه القنصل أنه مستعد للإقتصاص ممن أساء للإمام ولو أدى ذلك إلى إرسال إنذار للحكومة العثمانية رفض عرضه قائلاً: إنه لا يعتقد بوجود عداء بينه وبين أهل سامراء وأن ما حدث كان نتيجة الصدفة ولا يرى «لدس أنف بريطانيا في هذا الأمر الذي لا يعنيها لأنه والحكومة العثمانية على دين واحد وقبلة واحدة وقرآن واحد...».

وقد قدرت الحكومة العثمانية موقف الإمام الشيرازي وطلبت من الشيخ سعيد النقشبندي أن يشكره على فعله هذا.

وكان للميرزا حسن الشيرازي دور محمود في عرقلة مساعي الإنجليز للتدخل في بعض شؤون إيران. وقد أورد براون **Browne** على الص ٣٧١-٧٢ من الجزء الرابع من كتابه الموسوم بـ «تأريخ فارس الأدبي» المطبوع بلندن ١٩٠٩: أن ناصر الدين شاه وبطانته كان قد انصاع إلى ضغط الدبلوماسيين البريطانيين فمنح امتياز التبغ في إيران أن تنفذ هذه الإتفاقية فانها لم توفق وذلك لمعارضة رجال الدين بزعامة المجتهدين مرزا حسن الشيرازي والحاج مرزا حسين الأشتياني، وكان لسعي السيد جمال الدين الأفغاني أثره البالغ في إقناع هذين المجتهدين ليقفا بجانب الشعب الإيراني في محنته. ويعتقد براون أن قضية فشل امتياز التبغ لعبت دوراً فعالاً في الحركة الدستورية في إيران التي تمخضت عن نجاح الإيرانيين في الحصول على الدستور في ٥ آب سنة ١٩٠٦.

ومن الجدير بالذكر ان معظم مجتهدي ذلك العصر قد أسهموا في إيجاد الحلول لمشكلات العصر الرئيسة فنجدهم يستنكرون غزو الدول الإستعمارية لمناطق متعددة من البلاد الإسلامية، فعندما غزا الإيطاليون ليبيا أظهروا استنكارهم كما وقفوا بجانب الشعب الإيراني في كفاحه ضد الإستعمار الإنجليزي والروسي(١) وأيّدوا فكرة الإهتمام بالثقافة الحديثة بما فيها دراسة اللغات الأجنبية الحديثة في العراق، كما أيدوا حركة الدستور في إيران والعراق، وكان لجهودهم آثارها المشكورة في كفاح العراقيين مع الإنجليز أبان ثورة العشرين كما سنرى في الفصول القادمة.

وإليك طائفة من الفتاوى التي أصدروها في سبيل ردع المعتدين. جاء في مجلة لغة العرب تحت عنوان ((المجتهدون والعلماء في النجف وفتاويهم بخصوص الحرب)).

لما سمع أهل النجف بدخول روسية بلاد إيران عقد مجتهدوها وعلماؤها مجالس شتى وعطلوا الدروس والجماعة وذهب عبد العزيز بك قائم مقام النجف إلى «حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي» وطلب منه فتوى مفصلة مفيدة للحكومتين العثمانية والإيرانية فأفتاه حضرة السيد المذكور، وهذا تعريب الفتوى بحروفها وأغلاطها:

((اليوم هجمت الدول الاوربية على الممالك الإسلامية من كل جهة، فمن جهة هجمت إيطاليا على طرابلس الغرب، ومن جهة آخرى الروسيا بتوسط عساكرها اشغلت شمال إيران، و الإنجليزأتت جنود إلى جنوب إيران، وهذا موجب لمخاطرة

---

(١) لقد أورد بروان في كتابه سالف الذكر، ص ٣٧٢ إشارات عن دور المجتهد ملا محمد كاظم الخراساني وجماعته في كفاح إيران من أجل الحرية والإستقلال. وقد تأثر الشيخ محمد كاظم من سلوك روسيا العدائي تجاه إيران ولذا أعلن الجهاد عليها في ١١ كانون الثاني سنة ١٩١١. وبينما كان ينوي السفر من العراق إلى إيران ليتزعم حركة الجهاد ضد الروس توفي فجأة في اليوم التالي وقد قيل أنه توفي مسموماً، وقد نشرت جريدة «النجف» الصادرة بالفارسية بعددها الحادي والثلاثين مقالاً بتأريخ ٢٩ ذي الحجة ٣٢٩هـ أبّنت فيه الشيخ الخراساني. ذكرت فيه عن نشاطه العلمي فقالت إنه يدرس في الليل والنهار ويوقع على أكثر من مائة رقعة استفتاء يومياً ويرسل (٣٠٠) رسالة إلى أنحاء العالم وأن أركان الديمقراطية قد هُدَّت بوفاته.

واضمحلال الإسلام، فلهذا يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم أن يهيئوا أنفسهم إلى دفاع الكفر عن الممالك الإسلامية وأن لا يقصروا ولا يبخلوا في بذل أنفسهم وأموالهم في جلب الأسباب التي يكون بها آخراج عساكر إيطاليا عن طرابلس الغرب وآخراج عساكر الروسيا و الإنجليزمن شمال وجنوب إيران التي هي من أهم الفرائض الإسلامية حتى تبقى المملكتان العثمانية والإيرانية مصونتان محفوظتان (كذا) بعون الله من هاجم الصليبين (كذا) حرر يوم الإثنين خامس ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٩هـ.

حرره الاحقر:

محمد كاظم الطباطبائي

وقد ألمع أيضاً علماء النجف إلى الإيرانيين ومسلمي الهند ما هذا حرفه أيضاً:

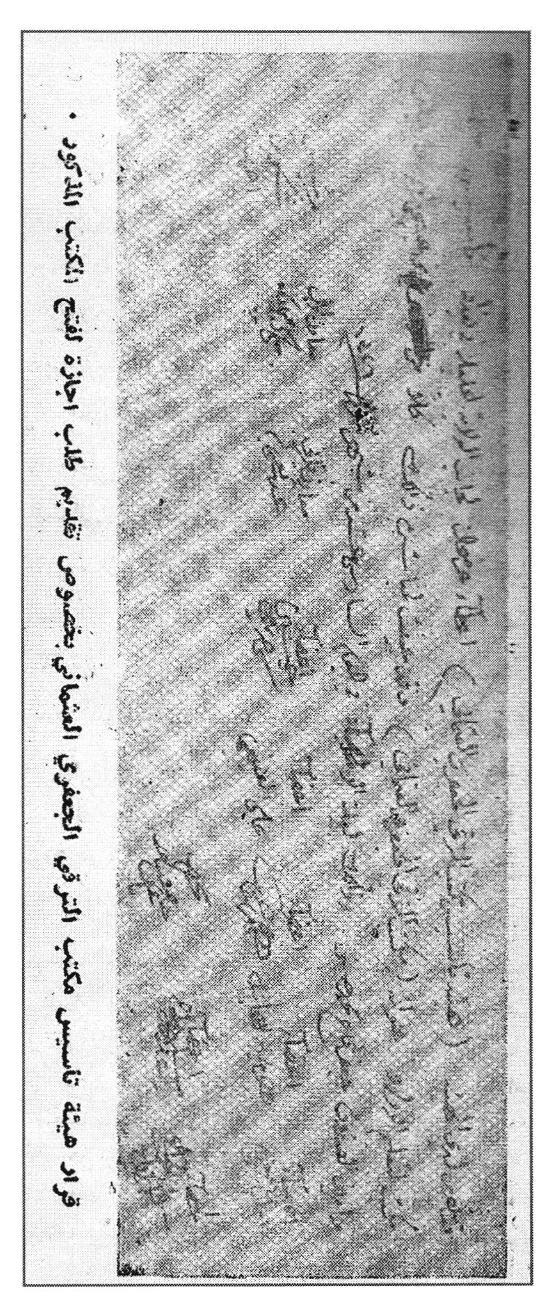
((إلى الإيرانيين ومسلمي الهند عامة: إن هجوم روسيا على إيران، وإيطاليا على طرابلس الغرب موجب لذهاب الإسلام واضمحلال الشريعة الطاهرة والقرآن، فيجب على كافة المسلمين أن يجتمعوا ويطالبوا من دولهم المتبوعة رفع هذه التعديات الغير قانونية من روسيا وإيطاليا وليحرموا السكون والراحة على أنفسهم ما لم تكشف هذه الغمة والغائلة العظمى، وليعدوا هذه النهضة منهم تجاه المعتدين على البلاد الإسلامية جهاداً في سبيل الله كالجهاد في بدر وحنين)).

(عبد الله المازندراني) (إسماعيل صدر الدين العاملي) (محمد كاظم الخراساني) (شيخ الشريعة الاصفهاني) أهـ[*].

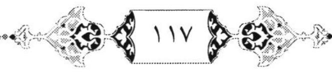
وتحدثت عن طائفة من اولئك العلماء مجلة العرفان فقالت ((الفضل الأكبر في إعادة الدستور الإيراني للعلماء الأحرار. لئن أُعيد الدستور العثماني بفضل جمعية الإتحاد والترقي وسيف نيازي وأنور... فقد أُعيد الدستور الإيراني بفضل جهاد العلماء الأحرار

(*) العدد ٧، ك ١ / ١٩١٢، ص ٢٧٥.

في القلم لا في السيف... رئيس العلماء الأحرار في جميع الأقطار هو حجة الإسلام الشيخ محمد كاظم الخراساني.... وهو مرجع الشيعة الإمامية أيضاً في أغلب الأقطار.



قرار هيئة تأسيس مكتب الترقي الجعفري العثماني بخصوص تقديم طلب اجازة لفتح المكتب المذكور .



يرجعون في أُمور دينهم إليه ويعولون عليه ومركزه في النجف... له مكان للتدريس يحضر تحت منبره ما ينوف عن ألف رجل من فحول العلماء، ومن أعظم المساعدين له على تأييد الدستور ونشر الحرية الشيخ عبد الله المازندراني من أكابر العلماء أيضاً وممن له محل للتدريس يحضر تحت منبره جم من الأفاضل وهو من المتفانين في حب الدستور والحرية، جاهد أتم جهاد حتى أصبح يصح أن يطلق عليه العالم الدستوري والمرجع الوحيد في كربلاء)). العرفان ج ٥ من المجلد الأول ٢٩ مايو ١٩٠٩م.

أما تأييد العلماء لاقتباس الثقافة الحديثة فقد ظهر في منطقتين من مناطق العراق المهمة وهما بغداد والنجف الأشرف.

أما في بغداد فقد أثمرت هذه الحركة في فتح ((مكتب الترقي الجعفري العثماني)) والذي يعرف بالمدرسة الجعفرية اليوم. وكانت الحاجة الشديدة إلى توفير مختصين باللغات الأجنبية والمحاسبات التجارية من أهم بواعث فتح المدرسة. وكانت هذه الوظائف مقتصرة في الغالب على اليهود الذين حازوا قصب السبق حينذاك في إتقان علم المحاسبات الحديثة واللغة الفرنسية لأنهم كانوا يدرسون هذه العلوم في مدرسة الإليانس الأهلية التي أسستها الطائفة اليهودية ببغداد. وقد فكر جماعة من المثقفين أمثال جعفر الحاج محمد حسن أبو التمن ورؤوف القطان ومهدي الخياط بحل هذه المشكلة، وقد عمل جعفر أبو التمن على إقناع الحاج سلمان الحاج داود أبو التمن[1] باعتباره من وجوه عائلة آل أبي التمن على تبني هذه الفكرة، وقد تمخضت جهود العاملين على فتح

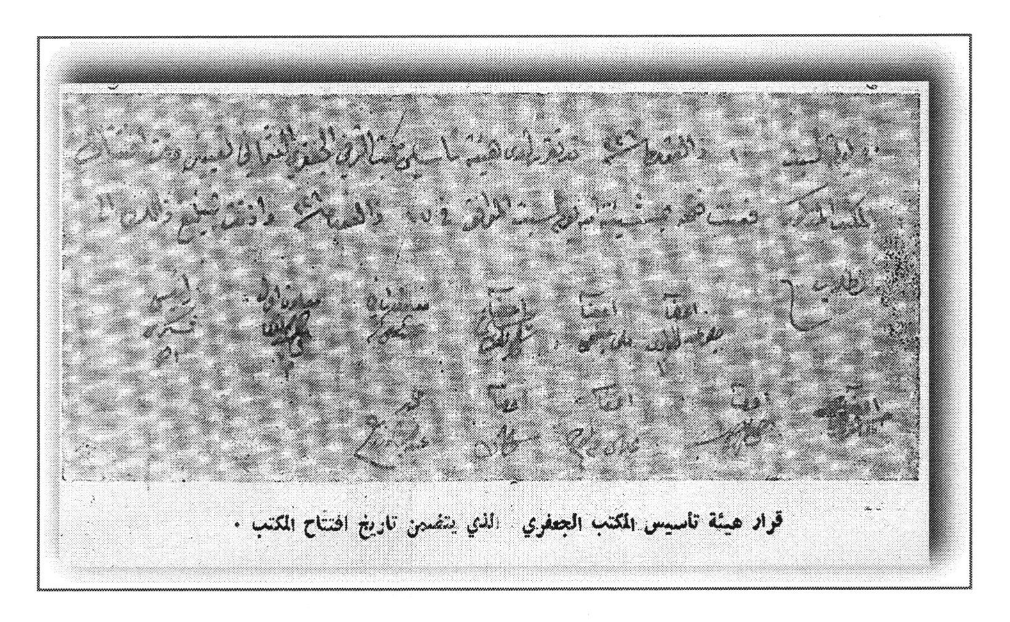
(١) كان الحاج داود من الاسر المعروفة ببغداد. وذكر الاستاذ علي آل بازركان على الص ٥٠ - ٥١ من كتابه سالف الذكر انه لن ينسى مجلسه (الحاج داود) في مسجده وقد وضع أكوام المجيديات (عملة عثمانية تساوي ربع دينار عراقي تقريباً) أمامه والمجاهدون حوله وهو يسألهم عن عدد من يعيلونهم ليدفع لهم نفقات كسائهم ومعيشتهم... ثم أنه تزعم ما يزيد على الأربعمائة مجاهد وسافر بهم للعمارة لقتال الإنجليز...). وقد مات الحاج داود في الأسر بمدينة البصرة. وجاء في (صدى بابل) العدد ١٠، ١٥ تشرين الأول ١٩٠٩أان لعائلة الحاج داود أيادي بيضاء في تأسيس المدرسة الجعفرية بما قدمته من مال وجهاد لنجاح المشروع.

المدرسة الجعفرية عن تأسيس هيئة لتنفيذ هذا المشروع بإسم ((هيئة تأسيس مكتب الترقي الجعفري العثماني)).

وقد رأى الحاج سلمان وصحبه الإستعانة برجال الدين ليكسبوا عطف الجمهور على مشروعهم. وكان لهم ما أرادوا حين تبنى العلامة الشيخ شكر في بغداد هذه الفكرة وقَبِلَ أن يكون بين العاملين على إنجازها.

وبعد أن تبلورت الفكرة لدى هذه الجماعة عملوا على كسب تأييد عالم متجدد من علماء الشيعة وهو المجتهد العلاّمة السيد محمد سعيد الحبوبي، وما كادوا يعرضون الأمر على العلامة الحبوبي حتى وجدوا منه تأييداً قوياً لفكرتهم، وقال إن إيجاد معهد يهيئ للمسلمين تعلم اللغات الأجنبية ويكون منهم كتبة ومحامين يُعدّ من الامور الحيوية لهم، وكان لنفوذ الحبوبي الروحي أثر كبير في إقناع المعارضين لفكرة التجدد من أبناء الجعفرية.

وقد قررت الهيأة التأسيسية لمدرسة الجعفرية تقديم عريضة لوالي بغداد بتاريخ السادس من شهر شوال سنة ١٣٢٦هـ يطلبون منه الإذن بفتح المدرسة. وإليك صورة قرار الهيأة.



قرار هيئة تاسيس المكتب الجعفري الذي يتضمن تاريخ افتتاح المكتب .

صورة قرار الهيئة التأسيسية للمدرسة الجعفرية

وعيّنت كلاً من علي جلبي العينه جي وجعفر محمد حسن أبو التمن[1] لتنفيذ هذا القرار كما يظهر من الوثيقة سالفة الذكر. وعندما قدّم طلب رسمي لوالي بغداد بهذا الخصوص امتنع في أول الأمر ولكنه بعد لأي وافق على فتح المدرسة وخاصة بعد أن علم أنه ((لا يوجد أي جعفري في المدارس الحكومية)) ويذكر الأستاذ علي آل بازركان أنه عمل على إقناع الوالي بوسائل مختلفة[2]. وقد عُيِّن علي آل بازركان معلمًا للغة التركية في المدرسة بعد فتحها وكان يُدَرِّس دون مقابل، وعندما عينت له إدارة المدرسة راتباً رفض ذلك كما يظهر من وثيقة عثرت عليها بين الوثائق التي تحتفظ بها إدارة المدرسة.

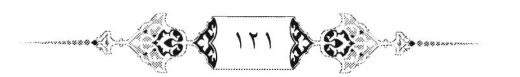
وقد فتحت المدرسة الجعفرية بتاريخ ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦ كما يظهر من الوثيقة المنشورة هنا. ويقدِّر القارئ أهمية فتح المدرسة الجعفرية إذا علم أنَّ الفرقة الجعفرية – وهي

---

(١) روى محرر جريدة (المستقبل) العدد ٦٠٥، السنة (٣)، ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٨٢ / ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٦٢ أن الاستاذ كاظم شكارة المشرف العام على إدارة المدارس الجعفرية منذ عام ١٩٢٢، أخبره أن جعفر أبا التمن استهل (نشاطه الإجتماعي وكفاحه الوطني منذ الأيام الأولى لشبابه وكانت مساهمته الفعالة في تأسيس – مدرسة الترقي الجعفري العثماني – عام ١٩٠٨ هذه المدرسة التي سميت بعد ذلك بالمدرسة الجعفرية قد لعبت دوراً بارزاً في تنوير الأذهان وتوجيه النشئ وبعث الهمم ونشر الوعي بالإضافة إلى أنها كانت منتدى وطنياً سرياً تتجمع حوله العناصر الوطنية المجاهدة، وحمل أبو التمن العبء الكبير في بناء المدرسة وإدارتها وتنظيمها، وكان مع جماعة مؤسسي الجعفرية الشيخ شكر والحاج سلمان أبو التمن وحاج حسين الشهربنلي وعلي العينه جي وعلي السيد مهدي البغدادي والحاج عبد الغني كبه والحاج جعفر الملائكة، لا يظن عليها بمال ولا يبخل بجهد أو وقت، ومنذ تأسيسها حتى عام ١٩٢٠ كان أبو التمن أميناً لصندوق المدرسة الجعفرية ولكن عمله كأحد قادة ثورة العشرين الوطنية الكبرى ومطاردة السلطات البريطانية له حالا دون أن يبقى أميناً للصندوق بعد ذلك ولكنه بقي عضواً فعالاً في الهيئة الإدارية حتى عام ١٩٢٧. وإقراراً للحقيقة أقول إن المدارس الجعفرية مدينة في وجودها لابي التمن).

وكتب لي السيد على نقي الحيدري أنه استخرج من كتابه الموسوم بـ (الدوحة الحيدرية) الذي هو في دور الإعداد: ان العلامة السيد أحمد الحيدري التحق بكربلاء هو وآخرون ليعملا من أجل الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ تحت قيادة الإمام الشيرازي. وكان جعفر أبو التمن من بين العاملين بهذا الحقل (وربما كان (السيد أحمد) يخرج هو والمرحوم المجاهد الحاج محمد جعفر ابو التمن وغيره إلى ساحة القتال لبعض شؤون القبائل وزعمائهم وإصلاح ذات بينهم..).

(٢) ن. م، ص ٤٨.



تؤلف الأكثرية في العراق - كان ((يحظر عليها في الدور السابق الإستبدادي القيام بأمر المكاتب العمومية الجعفرية فكانت تقتصر على المدارس البسيطة [١] في النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية حيث كان يُدَرَّس علم الفقه وبعض العلوم الدينية واللغة العربية لا غير...))[٢]. وكانت المدرسة الجعفرية تعنى فيما تعنى به اللغة الفرنسية والرياضيات والعلوم المدنية[٣]، يضاف إلى ذلك أن هذه المدرسة كانت ((أول مدرسة أخذت تعلم الأُميين القراءة والكتابة والحساب ومسك الدفاتر ليلاً))[٤]، كما أن طلابها كانوا يرتدون اللباس الحديث في المناسبات الرسمية كما يظهر من الوثائق المنشورة هنا.

ويظهر إن الإقبال على هذه المدرسة كان كبيراً ((فبلغ عدد الطلبة فيه -المكتب- ما ينيف على الثلاثمائة طالب، ولولا أن ضاق المكان وغصَّت الساحة بالطلبة لما اعتذر المكتب عن قبول كثيرين غيرهم))[٥].

وقد ظهرت ثمار تأييد العلماء لاقتباس الثقافة الحديثة لا في بغداد حسب بل في النجف الأشرف أيضاً، وعندما شعر جماعة من أهالي النجف ممن يحملون الجنسية الإيرانية في الغالب بضرورة تأسيس مدارس تعنى بالعلوم الحديثة واللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية ظفروا بتأييد وتشجيع الغالبية العظمى من رجال الدين المعاصرين أمثال الحاج ميرزا حسين (الخليلي) وآية الله الملا كاظم الآخوند الذي عرف بأبي الأحرار[٦].

---

(١) كان الأفضل أن يقول الكاتب القديم لأن المدارس البسيطة لا تعلم الفقه.

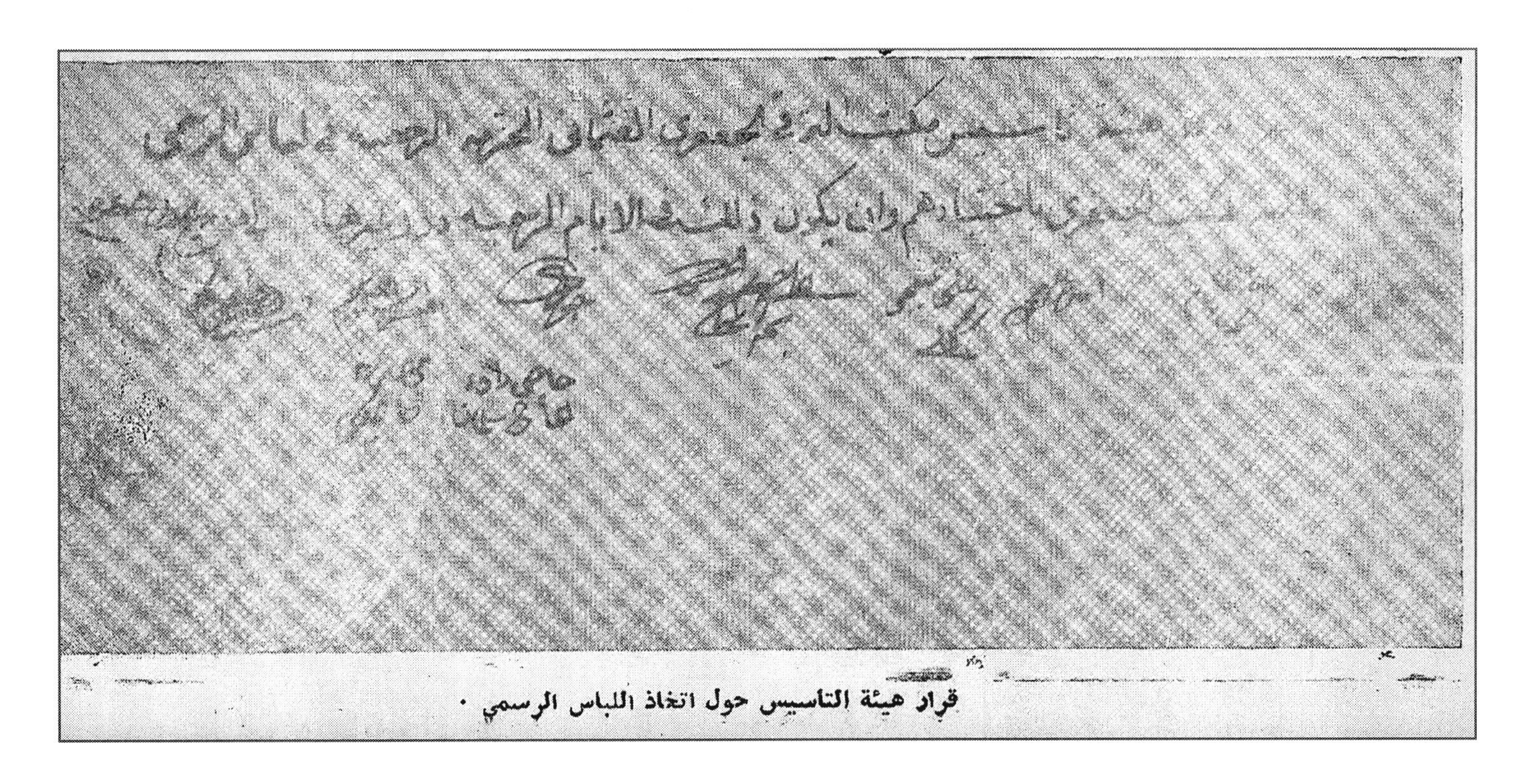
(٢) (صدى بابل) العدد ١٠، ٣٠ رمضان ١٣٢٧ - ١٥ تشرين الأول سنة ١٩٠٩.

(٣) (صدى بابل) العدد ٩، ٢٣ رمضان ١٣٢٧ - ٨ تشرين الأول سنة ١٩٠٩.

(٤) آل بزركان، علي. ن. م، ص ٥٠.

(٥) (صدى بابل) العدد ١٠، ٣٠ رمضان ١٣٢٧ -١٥ تشرين الأول سنة ١٩٠٩.

(٦) الخاقاني، علي، شعراء الغري، ج ٧، النجف ١٩٥٥، ص ٣.



قرار هيئة التأسيس حول اتخاذ اللباس الرسمي .

الشيخ فتح الله المعروف بـ (شيخ الشريعة) والشيخ عبد الله المازندراني وغيرهم. وقد تأسست لهذا الغرض هيئة علمية ضمت بالإضافة إلى من اشترك فيها من العلماء عدداً من التجار أمثال الحاج عبد الكريم البوشهري وغيره.

وقد أسفرت هذه الحركة عن تأسيس مدرستين إحداهما تسمى المدرسة (العلوية) التي فتحت أبوابها للطلاب سنة ١٣٢٦هـ، والثانية تسمى المدرسة (الرضوية)[١] وهي شبيهة بالمدرسة (العلوية) من حيث الهدف والمنهج[٢].

وكانت المدرسة (العلوية) فضلاً عن مهمتها الثقافية بمثابة ناد ثقافي وسياسي اتخذ منه المشتغلون بالحركة الدستورية الإيرانية مقراً لأعمالهم، وقد زودت المدرسة (المرتضوية) خاصة بقاعة للمطالعة فيها أنواع الجرائد والمجلات، وكان درس الرياضيات واللغتين الفرنسية والإنجليزية من بين الدروس التي تعنى بها المدرسة (العلوية)، أما الرياضة فكانت أشبه بالتعليم العسكري وكان لها لباس عسكري خاص له أوسمته وإشاراته وعلامته. وكان للدين درس خاص سمي بـ (الشرعيات) خصص له درس أو درسان في الاسبوع، وكان طلبة المدرسة (العلوية) في المواسم والمناسبات يرتدون اللباس الاوربي الحديث شأنهم في ذلك شأن طلاب المدرسة (الجعفرية) ببغداد الذين كانوا يرتدون اللباس الاوربي أثناء الدراسة. ومن الجدير بالذكر أن الأب الذي يرتدي إبنه البنطلون يتهم حينذاك في دينه.

وفي سنة ١٣٢٩هـ افتتحت المدرسة العلوية مرحلة السنة السابعة (متوسطة)، وكانت دروس الرياضيات والفيزياء والكيمياء واللغة الفرنسية من بين المواد التي درست في تلك المرحلة.

---

(١) لقد استقيت كثيراً من المعلومات عن هاتين المدرستين من الاستاذ جعفر الخليلي، وقد أخبرني إن إسم هذه المدرسة (المرتضوية) لا (الرضوية) كما وردت في كتاب الشيخ جعفر محبوبة الذي سيرد ذكره بعد قليل.

(٢) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضره، ج١، صيدا ١٣٥٦هـ، ص٩٩.

وعندما زار والي بغداد جاويد باشا مدينة النجف في سنة ١٣٣١هـ استقبله طلاب المدارس المعروفة حينذاك (رشدي عثماني) وكان من بينهم طلاب المدرستين العلوية والرضوية.

وقد زار الوالي المدرسة العلوية وخصص لها مساعدة شهرية قدرها ستون ليرة عثمانية، وعندما علم أن المدرسة تضم فضلاً عن الإبتدائية مرحلة المتوسطة وإن أولياء اولئك الطلبة فقراء إقترح أن يذهب طلاب السنوات المتوسطة إلى بغداد للدراسة في مدارس الحكومة العثمانية المتوسطة التي سميت حينذاك بالمدارس الإعدادية، كما امر ان تقدم لأولئك الطلبة مساعدات مادية.

ولعل اهتمام الوالي بالمدرسة العلوية ودعمها مادياً يقوم دليلاً على رقي مستواها العلمي من جهة واهتمامها بالثقافة الحديثة من جهة آخرى، وكان المجتهد الأكبر آية الله الشيخ كاظم الخراساني من المشجعين على تأسيس تلك المدرسة، وكان ابنه الحاج ميرزا أحمد من بين أعضاء هيئتها التأسيسية وقد أمَّنَ أعضاء الهيئة التأسيسية موارد المدرسة ((من أموالهم الخاصة والإعانات التي جمعوها من أصحاب الخير في النجف ومن المحترمين الذين قدموا من إيران لزيارة العتبات المقدسة... وقد تبرع لها الناس في حفلة واحدة مبلغاً قدره مائة ليرة عثمانية)) وفي المدرسة المذكورة طلاب ((من إيران يين وهنود وعرب وأفغانيين وغيرهم))[1].

وتنحصر أهمية هاتين المدرستين لا في أنهما كانتا من الوسائل التي ساعدت على نشر الثقافة الحديثة في محيط محافظ كمحيط النجف الأشرف حسب، بل أن تأييد معظم العلماء لفكرة تأسيسهما ومنهجهما أكسب حركة التجدد قوة وقبولاً في الأوساط المحافظة

(١) تقرير رسمي كتبه أحد المسؤولين عن المدرسة الإيرانية في العراق مطبوع على الآلة الكاتبة وقد استعرته من الأستاذ عبد الرحيم محمد علي في النجف.

وخاصة بين الجماهير الجاهلة، يضاف إلى ذلك إن عدداً من خريجيها[1] أسهموا في الحركة الثقافية في العراق أمثال الاديب جعفر الخليلي والسيد ضياء الدين بحر العلوم رئيس محكمة التمييز الشرعية الجعفرية ببغداد.

وقد بلغ تأييد العلماء لهاتين المدرستين درجة كبيرة، وقد أجاز المجتهد الأكبر الملا كاظم الآخوند صرف الحقوق الشرعية على أمثال هذه المدارس.

ويقدّر القارئ أهمية فتح المدرسة (الجعفرية) ببغداد والمدرسة (العلوية) و (المرتضوية) في النجف وعناية هذه المدارس بالعلوم الحديثة واللغات الأجنبية الحيّة إذا علم ان العامة من الشيعة في ذلك العصر يعدّون العناية بأمثال هذه الامور كفراً محضاً[2]. وبالرغم مما في هذا القول من مبالغة فإنه لا يخلو من الحقيقة.

ويظهر أن تأييد العلماء لإنشاء المدارس الحديثة لم يقتصر على ما ذكرنا من الأمثلة بل إنهم كانوا يحثون مقلديهم أينما وجدوا على الإرتشاف من منابع الثقافة الحديثة.

وقد أوردت جريدة (الرقيب) نبذة بهذا المعنى تحت عنوان (جواب الإستفتاء من الجعفريين) قد تقوم دليلاً على ما ذهبنا إليه. وجاء في هذه النبذة: ((جواز دخول أولاد الجعفرية إلى المكاتب لتعلم العلوم والمعارف والكمالات واللغات المختلفة التي تمس الحاجة إلى تعلمها وتقضى الضرورة بعد جهلها مع التحفظ على القواعد الإسلامية وعقايدهم مما لا ينكر ولا قائل بعدمه، ولذا أن أساطين العلماء الأعلام المجتهدين في النجف وكربلاء دفعاً للشبهة الواقعة في أذهان الجهلة قد كتبوا لعموم الجعفرية يحثونهم

---

(١) كان من خريجي المدرسة (العلوية) الشيخ هادي والشيخ مهدي الجزائريان وهما من عائلة الشيخ عبد الكريم الجزائري أحد أبطال الثورة العراقية سنة ١٩٢٠. وممن درس فيها السيد علي حسام الدين الذي تقلد عدداً من الوظائف في الدولة العراقية. ومن خريجيها الشيخ عبد الرزاق الشيخ راضي، ومن طلابها الشاعر السيد محمود الحبوبي.

(٢) آل بازركان، علي. ن. م، ص ٤٧.

ويشوقونهم إلى تأسيس وتشييد مكتب كهذه حاوية للشروط المتقدمة وذكروا أن ذلك من أفضل الأعمال الخيرية[١]، وكانت هذه النبذة موقعة بتوقيع (جعفر الحاج محمد حسن).

ومن المؤسف أنني لم أعثر على أصل الإستفتاء الذي قدم للعلماء كما أني لم أعثر على نص أجوبتهم ولكن ذلك لا يضعف هذا الدليل عندي لأن تأييد العلماء لفتح المدارس الحديثة كالمدرسة (الجعفرية) ببغداد والمدرستين (العلوية) و(المرتضوية) في النجف يعد سابقة يمكن القياس عليها، كما إن علانية هذا الجواب ونشره بالجرائد العامة يجعل احتمال كذبه بعيداً.

وفي مناطق أُخرى من العراق أسست مدارس حديثة أهمها:- مدرسة الإخوة في الكاظمية. ويقول حسين محفوظ إن جمال الدين الأفغاني مرَّ ببغداد سنة ١٣٠٨هـ وأقام في الكاظمية واتصل بالأفغاني جماعة... وأنشأوا مجمعاً سرياً كان يجتمع في قعر البيت والسرداب تحت الأرض، أتيح له أن يدعو إلى الإصلاح، وقد أسس أعضاؤه المدارس، وكانت أول مدرسة وضعوها للناس مدرسة (الإخوة) في الكاظمية[٢].

مكتب أهلي في الهويدر. سعى جماعة من أهل الهويدر في إنشاء مكتب أهلي لتخريج أولادهم في الآداب والعرفان وكان مجموع ما تبرع به أولو الفضل والحمية ٧٧١٥ قرشاً صاغاً إعانة لفتح المكتب[٣].

وعندما المقارنة بين موقف العلماء في مصر في بداية القرن العشرين من اقتباس الثقافة الحديثة وتعلم اللغات الأجنبية وبين موقف العلماء في العراق وخاصة في العتبات المقدسة من الموضوع نفسه، نرى أن الشيخ محمد عبده وجماعته كانوا يعملون على إدخال العلوم واللغات الحديثة في صلب منهاج جامعة الأزهر وكانوا يقولون بضرورة تطوير أساليب

(١) العدد (١١) ١٤ربيع الأول ١٣٢٧هـ، ٥ نيسان ١٩٠٩م.

(٢) عراقيات الكاظمي، بغداد ١٩٦٠، ص ٧٦ - ٧.

(٣) لغة العرب، العدد ٦، كانون الأول ١٩١١، ص ٢٤٢.

الدراسة القديمة المذكورة لتساير التطورات العلمية والتربوية الحديثة على ألا يمسَّ ذلك بجوهر الدراسات القديمة. وقد اتخذت هذه الحركة في العراق في بداية القرن العشرين اتجاهاً مغايراً وذلك أن معظم العلماء في هذا الدور أيدوا الاهتمام بالثقافة الحديثة وباركوا حركة دراسة اللغات الأجنبية ولكنهم لم يدخلوا هذا التغيير في صلب المدرسة القديمة وأبقوها على حالها كما كانت لقرون خلت، ولم يتقدم أحدٌ منهم - فيما نعلم - بمنهاج عملي يستهدف إصلاح طرق التدريس القديمة أو يجري تغييرات أساسية في مناهج التدريس القديمة كما فعل الشيخ محمد عبده وتلامذته في جامعة الأزهر.

وكان من نتيجة ذلك أن قامت المدرسة الحديثة بجوار المدرسة القديمة دون أن يكون بين الإثنين صلة وثقى. وفي الوقت الذي نجحت فكرة التجديد في مصر وأخذ الأزهر يقبل فكرة إدخال الشيء النافع من العلوم الحديث دون أن يفقد كيانه القديم، انكمشت فكرة التجديد في الأوساط الدينية عندنا وأخذت تزول بزوال مؤيديها من العلماء، ومع هذا فقد بدأت مؤخراً فكرة تنظيم الدراسات الدينية في النجف الأشرف على يد جماعة (منتدى النشر) فأسست هذه الجماعة (كلية الفقه) قبل سنوات قليلة، ولكن قلة موارد هذه الجمعية وقلة المؤازرة التي تلقاها من ممثلي المدرسة القديمة جعلت نتائج أعمالها محدودة. ومن العسير على المرء أن يتنبأ لها إذا لم تتغير الظروف المحيطة بها. بمستقبل يضاهي جامعة الأزهر أو يقترب منها على الأقل.

ويحدثنا المستر (ونكيت) **R. Wingate** عن الحالة في النجف الأشرف قبيل الحرب العالمية الأولى، فيقول: ((كانت النجف، باعتبارها أكثر مراكز الشيعة قدسية ومركز مجتهديهم تتمتع بتأثير قوي في الأوساط الشيعية وخاصة في القضايا التي لها علاقة بشؤون إيران إلى حد قيل معه أن المجتهد يستطيع تحريم شاه إيران [(١)]. وقد أتيحت

(١) إن التحريم - كما هو معلوم - إجراء كان يتخذه الباباوات تجاه الخارجين على تعاليم الكنيسة وهو غير معروف بهذا المعنى عند المسلمين. والمجتهد - كما أسلفنا - قد يحكم بتكفير شخص مسلم ارتكب عملاً

للنجف فرصة ممتازة لإظهار نفوذها عندما اندفعت موجة عارمة **Unfortunate** لحركة ديمقراطية تبنتها طبقة المثقفين وعمت الشرق لعشر سنوات خلت، تلك الموجة التي أسفرت تأسفرت عن نجاح الحركة الدستورية في إيران وتركيا وقد قامت قيامة النجف في هذه الفترة وأصبحت مركزاً للمناورات السياسية. وكان دعاة الدستور يعرفون جيداً أن فرصة نجاحهم ضئيلة ما لم ينالوا تأييد كبار المجتهدين. وقد استخدم هؤلاء كل وسيلة متيسرة لديهم ليصلوا إلى غرضهم هذا. وكان النجاح حليفهم لأن الآخوند الخراساني[١] قد انضم إلى جانبهم. ومنذ ذلك الوقت أصبحت النجف مرآة تنعكس عليها حركات الأحزاب السياسية المختلفة في إيران. وكان المعنيون بالحركة الدستورية خارج النجف **Outs** دائبين على نيل تأييد كبار المجتهدين لحركتهم الأمر الذي خلق مشكلات لمن فيها **Ins**... وينجرف الجهلاء والخرافيون[٢] من السكان مع دعاة الحركة الدستورية وحينئذ يضطر المجتهد الذي تعتمد قوته على تأييد الناس له أن يؤيد قضية كهذه ذات تأثير بعيد النتائج[٣]، ويستمر المستر ونكيت فيقول: ((إن ما قلناه يعكس الجانب الديني في النجف، فمن مجتهديها إلى علمائها إلى طلبتها يكونون ممعنين بالجهل وهم عرضة لتلاعب الساسة الانتهازيين في طهران وبغداد الذين يعملون على توريطهم في إعطاء حكم يكون له - باعتباره صادراً عن علماء المدينة المقدسة - تأثير كبير على

يستوجب ذلك. وقد يحكم بالامتناع عن إتيان عمل من شأنه أن يسبب ضرراً للمسلمين. وعندما أفتى العلماء في أوائل هذا القرن بتحريم التدخين على أثر منح الحكومة الإيرانية امتيازاً يخول شركة انجليزية احتكار التبغ في إيران - حدث مرة كما حدثني من أثق بقوله - أن الشاه أمر خادمه أن يحضر له جوزة التدخين (نارجيله) فامتنع الخادم عن القيام بهذا العمل قائلاً له إن المجتهد قد حرم التدخين ولا يسعني لاعتبارات دينية أن أعين على عمل محرم. موقف الخادم هذا تجاه الشاه يشبه موقف المسيحيين ممن تحرمه الكنيسة، ومع هذا لا يصح أن نعتبر التحريم أمراً يقره الإسلام.

(١) يقصد المجتهد الأكبر ملا كاظم الآخوند.

(٢) أن مسؤولية هذا الكلام السمج تقع على الكاتب.

(٣) **Reports, I, p.67 - 8.**

العقل العام أو الرأي العام **Common Mind**)).

ومن الجدير بالذكر أن قطاعات من غير المسلمين من سكان العراق أسسوا مدارس حديثة.

روى صاحب مجلة لغة العرب إن مكتباً للإناث الإسرائيليات فتح ببغداد وإن بانية العازار خضوري أفندي أنفق عليه واحداً وعشرين ألف ليرة عثمانية[١]، وفتح إليهود مكتباً في خانقين أسندت إدارته إلى التعاهد الإسرائيلي[٢].

تأثير حركتي الدستور الإيرانية والتركية في الحركة الوطنية:

إن البحث في الحركتين الدستوريتين الإيرانية والتركية خارجٌ عن موضوع هذا الفصل ويستطيع الباحث أن يجد تفصيلات وافية عنهما في الكتب [٣] التي خصصت لهذا الغرض، ولكن قد يكون من الضروري أن نشير هنا إلى أن الحركة الدستورية بدورها الأول في تركيا قد سبقت مثيلتها في إيران إذ يرجع تاريخ أول دستور تركي إلى سنة ١٨٧٦، ومع هذا فإن تعليق هذا الدستور لمدة (٣٠) عاماً رضخت خلالها الدولة العثمانية بما فيها العراق إلى حكومة عبد الحميد الاستبدادية، جعل تأثيره في البلاد التابعة لهذه الدولة بحكم العدم[٤]، أما حركة الدستور التركية بدورها الثاني (١٩٠٨- ١٩٠٩) فإنها متأخرة عن حركة الدستور في إيران لأن أول دستور منحه مظفر الدين شاه للشعب

---

(١) العدد ٥، تشرين الثاني ١٩١١، ص ٢٤٧ – ٨.

(٢) لغة العرب، العدد (٧) ك٢ / ١٩١٢، ص ٢٧٩.

(٣) لقد وردت إسماء عدد من الكتب التي تبحث في حركة الدستور التركية في كتاب:
Birge, J. K., Aguide to Turkish Area Study, Washington, 1949, p. 93.

أما حركة الدستور الإيرانية فقد بحثت بالتفصيل في:

ملكزاده، مهدي، تاريخ إنقلاب مشروطيت إيران، ٦ مجلدات، طهران ١٣٣٠.

(٤) أنظر: **Birge, Op. cit, p. 93.**

الإيراني كان في ٥ آب سنة ١٩٠٦[١]، ولهذا رأيت أن أبحث تأثير حركة الدستور الإيرانية في حركتنا الوطنية أولاً.

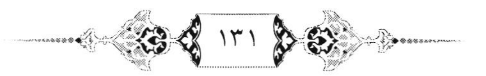
لقد ساهم الإيرانيون بما فيهم بعض العلماء الساكنون في العتبات المقدسة العراقية بحركة بلادهم الدستورية، فكان لوجودهم بين ظهرانينا أثر مهم في تنبيه العراقيين وخاصة سكان الأماكن المقدسة منهم لأضرار الاستبداد ولأهمية الحكم الدستوري في حياة السكان، ومع هذا فإن تأثير عامة الإيرانيين محدود، ولكن تأييد العلماء ذوي الكلمة العليا في حياة معظم العراقيين والإيرانيين في ذلك العهد للحركة الدستورية أكسبها قوة وقبولاً لا في الأوساط الإيرانية حسب بل في الأوساط العراقية أيضاً وكان النجف الأشرف مركز هذه الحركة.

لقد جابهت العلماء وخاصة في العتبات المقدسة في العراق خلال العقد الأول من القرن العشرين مشكلة معقدة وهي: هل ينسجم الحكم المطلق مع قواعد الشريعة الإسلامية أم لا؟ وهل الدساتير والمجالس النيابية ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين؟

وليس غريباً أن تطرح مشكلة كهذه أمام هؤلاء العلماء وفي هذا الوقت بالذات لأن هذه المشكلة كانت مشكلة العصر أولاً ولأن هؤلاء العلماء حينئذ - كما أسلفنا - يحتلون الصدارة في حل مشكلات الناس بما فيها المشكلات السياسية ثانياً، ولذا فإن هذه المشكلة لم تكن قضية عابرة أثارتها المصادفات، كما أنها لم تكن حركة منفصلة عن سير الحركات العامة خلال ذلك العصر في إيران وفي البلدان التابعة للإمبراطورية العثمانية بما فيها العراق، وكان الجانب السياسي من هذه الحركات يتلخص في القضاء على الحكم الإستبدادي والإستعاضة عنه بحكم دستوري نيابي يكون الحكم فيه للامة لا للملوك والسلاطين.

---

(١) **Browne, E. G., The Press and poetry of Modern**



وكان تطلع شعوب هذه المنطقة للحكم الديمقراطي ناتجاً عن ازدياد إتصالها في أوربا التي قطعت حينذاك شوطاً بعيداً في إقامة حكومات ديمقراطية، وعن انتشار الثقافة الحديثة في تلك الربوع نتيجة لتيسر المطبوعات وتقدم الصحافة وغير ذلك من وسائل المدنية الحديثة.

وكانت هذه القضية مثار جدل ونقاش حاد بين العلماء ((واستغرق البحث فيها... مدة... وكان النقاش في هذه الموضوعات بين المجتهدين الأعلام في غاية العمق الفلسفي والإجتماعي مراعين مطابقة ذلك للكتاب والسنة وأُصول الفقه. كما كان البحث والجدل بين العلماء والأُدباء والطلبة والشعب[١] في النجف نهاية في العنف والقسوة، وتمخض الجدل فولد الإنقسام إلى طبقتين: أحرار ومستبدين ولكن الأكثرية من المجتهدين أفتوا بالحرية وبوجوب الأخذ بنظرية الملكية المشروطة بالدستور والديمقراطية))[٢].

وقد ثار الجدل المشار إليه بين العلماء على أثر استفتاء[٣] تقدم به جماعة من دعاة الدستور الإيرانيين وإليك نصه: ((الى حضرات المجتهدين حفظة الحكمة الإلهية: لا بد وأنكم سمعتم بمجلس الشورى الشعبي[٤] وأنتم تعرفون جيداً أن هذا المجلس الذي يعمل على حفظ القوانين المستمدة من الطريقة الإثني عشرية المقدسة لمحو الظالمين والخائنين ونشر العدل على جميع البلاد وإعلاء شأن الراية الإيرانية، يؤسفنا إن عدداً من الأنانيين المفسدين الذين أخذوا ينشرون الإفتراءات والأكاذيب من أجل محو هذا المجلس. فنحن

(١) لا نقر الكاتب على إشراك شعب أكثريته جاهلة حينذاك في مناقشات غاية في الخطورة كهذه.

(٢) كمال الدين، محمد علي، التطور الفكري في العراق، بغداد ١٩٦٠، ص٢٣.

(٣) نقلنا نصوص الإستفتاء وجوابه عن كتاب السيد محمد علي كمال الدين ص ٢٣، ٢٤ السالف الذكر وهو نقلها بدوره عن كتاب (إنقلاب مشروطيت إيران) الذي ترجمه إلى الفارسية عن الروسية (م. هوشيار) وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٥١.

(٤) ذكر براون **Browne** على الص ٣١ من كتابه سالف الذكر المطبوع في كمبرج ١٩١٤: أن مظفرالدين شاه منح الشعب الإيراني الدستور في ٥ آب ١٩٠٦ وفتح أول مجلس للامة في ٧ تشرين الأول ١٩٠٦.

ننتظر فتواكم في بيان تكليف المسلمين في هذا الشأن)).

جواب الإستفتاء: هذا ما قرره المجتهدون الأعلام: بسمه تعالى وبه نستعين، بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على القوم الظالمين إلى يوم القيامة: أما بعد فبالتأييدات الإلهية والمراحم السماوية وتحت توجيهات الهادي العالي الشأن حضرة صاحب الزمان (أروحنا فداه): إن قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسة ومحترمة وهي فرض على جميع المسلمين أن يقبلوا هذه القوانين وينفذوها. وعليه نكرر قولنا: إن الاقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الإقدام على مقاومة أحكام الدين الحنيف، فواجب المسلمين أن يقفوا دون أي حركة ضد المجلس. أ هـ.

التوقيع كاظم الخراساني

وذكر الأُستاذ كمال الدين أن المؤلف الذي نقل عن كتابه الإستفتاء وجوابه السالف الذكر قد أشار إلى أن توقيع هذا المجتهد (كاظم الخراساني) كان بتوكيل وقرار من المجتهدين ولم يشذ منهم غير واحد وهو السيد كاظم اليزدي، وقد أورد قائمة بأسماء من عرفه منهم وشاهده[1] وهم: ١- الشيخ كاظم الخراساني ٢- الشيخ محمد تقي الشيرازي ٣- الشيخ عبد الله المازندراني ٤- مرزا حسين الشيخ خليل ٥- شيخ الشريعة ٦- السيد مصطفى الكاشاني ٧- السيد علي الداماد ٨- الشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي ٩- الشيخ حسين النائيني ١٠- الشيخ محمد حسين القمشئ ١١- السيد مصطفى النقشواني.

ولقد وردت تراجم وافية لمعظم هؤلاء المجتهدين في مظانها[2]. ويقول عبد الرحيم محمد علي ((اشتدت المطالبة بالدستور من قبل النجف بزعمائها الروحيين... وكان الآية

(١) التطور الفكري في العراق، ص ٢٤.

(٢) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضره، ج ١، صيدا ١٣٥٣، ص ٩٢، ٩٣، ٩٧، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٨٠.

الخراساني أنفق سبعمائة ليرة عثمانية اجرة رسائل برقية في سبيل تأييد الدستور...))[١].

ويظهر أن العلماء قد أيدوا حركة الدستور لا في إيران حسب بل في البلاد العثمانية أيضاً، فعندما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ((أرسل اولئك المجتهدون بوكالة المجتهد الشيخ كاظم الخراساني، برقية إلى عبد الحميد في الأستانة يفتون فيها بوجوب تنفيذ الدستور))[٢].

وقد استمر العلماء على مواكبة الحركة الدستورية وأظهروا تأييدهم لها في كثير من المناسبات، فعندما خلع الشاه محمد علي الذي كان معارضاً للدستور واُقيم مقامه أحمد مرزا احتفل العلماء احتفالاً عظيماً بهذه المناسبة في الثاني من رجب سنة ١٣٢٧هـ واشترك في هذا الاحتفال العثمانيون والإيرانيون[٣].

وقد تقوم هذه الحادثة دليلاً على مدى تأثير حركة الدستور الإيرانية في إيقاظ كثير من العراقيين لأن تأييد العلماء لها جعل الناس يعتقدون بأن فكرة قيام حكومة دستورية حديثة لا تتعارض مع تعاليم الإسلام. يضاف إلى ذلك أن اشتراك عدد من العراقيين بمناسبات كهذه يدل على أن حركة الدستور بدأت تربح مؤيدين من الأوساط الشعبية.

وكان لجماعة المشروطة ((مجلتان فارسيتان وهي (كذا) دورة النجف وحبل المتين... تنشر آراءهم وتدون خطبهم ومراسلاتهم... وكانت لهم مطبعة تسمى مطبعة حبل المتين...))[٤].

ويظهر أن تأثير حركة الدستور الإيرانية لم يكن مقتصراً على أوساط العتبات المقدسة

---

(١) الشيخ محمد كاظم الخراساني، ص ٧٣.

(٢) كمال الدين، محمد علي. ن. م، ص ٢٧.

(٣) محبوبة، جعفر. ن. م، ص ٩٣.

(٤) الشرقي، علي، الاحلام (بغداد ١٩٦٣)، ص ٩١.

بل تعداها إلى بغداد، فنجد جريدة (الرقيب) البغدادية - مثلاً - تراقب حركة الأحرار في إيران وتنشر أخبار كفاحهم مع حكومتهم بلهجة تنم عن التأييد، ومن ذلك ما نشرته تحت عنوان (حوادث إيران) من أن الأحرار في إيران أبرقوا بتاريخ ٢٠ إذار ١٩٠٩م الموافق ٢٧ صفر ١٣٢٧هـ ((لحضرات حجج الإسلام الخراساني «محمد كاظم» والمازندراني «الشيخ عبدالله» في النجف الأشرف...)) يخبرونهم بانتصاراتهم على جيش الحكومة ويعلمونهم أن الغلبة كانت ((للأحرار وقد قتلوا.... جملة من العساكر وأخذوا منهم عدة أسارى بعد اندحارهم... وقد أعطت هذه البشارة روحاً جديداً للأحرار الإيرانيين))[١]، وفي مناسبة أُخرى تقول جريدة (الرقيب) تحت عنوان (ما كربلاء؟ وما بغداد؟).

((أن السيد أكبر شاه الإيراني - المعين لحزب الاستبداد - الذي كان مبعداً من إيران وجاء للعتبات الشريفة وسكن كربلاء وبناء على خطبه ووعظه ضد المشروطية، وإن ذلك مخالف لمبادئ بلادنا الحرة المشروطة أُخرج من كربلاء... ولكنه... جاء إلى الكاظمية فلا ندري هل تحويله من كربلاء إلى الكاظمية بدَّل طبعه وميله لجهة حزب شاه إيران الذي هو ضد المشروطة؟.... ولا ندري هل ما لا يجوز التفوه به في كربلاء يجوز إعلانه في الكاظمية؟... ونوجه لذلك أنظار من يهمهم إشراب قلوب الأهالي عموماً حب الحرية والمساواة وبغض الاستبداد والعداوات... يا عجباً هل يخطر على فكره وجود حدث في الإسلام أشد وأقوى وأضر وأهلك على الامة من تفريق الكلمة وإعادتهم بعد أن وفقهم الله للخروج من ظلمات الجور والإستبداد إلى نور العدالة والحرية والمساواة إليها...))[٢].

أما تأثير الإنقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ في حركة التحرر العراقية فكان عميقاً ومباشراً. ومن الجدير بالذكر أن محمود شوكت باشا رئيس وزراء الدولة العثمانية

(١) السنة الأولى، العدد (١٠) ١٠ ربيع الأول - ١٣٢٧هـ - ١ نيسان ١٩٠٩.

(٢) العدد (١١) السنة الأولى، ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٢٧ - ٥ نيسان ١٩٠٩.

وبطل الدستور عام ١٩٠٨ ينتمي إلى عائلة عراقية شهيرة[١]، وقد ظهر تأثير الإنقلاب الدستوري العثماني في نواحي متعددة أهمها:

أولاً - قيام حركة صحفية قوية ومتنورة في الغالب على أثر إعلان الدستور، وقد أسهمت الصحافة - كما بيّنا سابقاً - بتوسيع دائرة المتعلمين في البلاد كما ساعدت على نشاط الوعي السياسي فيها.

ثانياً - سهّل الإنقلاب الدستوري العثماني قيام عدد من الجمعيات والأحزاب السياسية العربية والعراقية أسهمت في الحركة التحررية، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

ثالثاً - أفسحت حركة الدستور العثماني المجال إلى عدد من العراقيين للإسهام في إدارة شؤون الدولة العثمانية كنواب في (مجلس المبعوثان) العثماني وكضباط في الجيش العثماني وغير ذلك، وقد أسهم هؤلاء في الحركة التحررية كما أسلفنا.

رابعاً - ساعد الإنقلاب الدستوري العثماني على تيسير إتصال العراق بالعالم الخارجي عن طريق الصحافة والمطبوعات والسفر بينما كان ذلك محدوداً او منعدما في عهد حكومة عبد الحميد الاستبدادية.

خامساً - يظهر أن إعلان الدستور وما ينتظر أن يرافقه من حكم عادل أصبح معروفاً لدى طائفة كبرى من الجمهور، فجأ في عريضة وقعها عدد من رؤساء عشائر المنتفك ورفعوها للجهات المختصة في حينه قالوا فيها بعد أن ذكروا مظالم الشيخ سعدون وتقاعس الحكومة عن ردعه ((واستمر سعدون على جوره حتى بزغ الدستور وتلطف الباري علينا بالعدل، فما لبث أن عاد لحالته الأولى أيضاً وجرى ما جرى منه من سفك

(١) هو أحد انجال المؤرخ العراقي الشهير سليمان فائق، المتوفي ١٨٩٦ واخ السيد حكمت سليمان أحد رؤساء الوزارات العراقية

الدماء وقتل الأنفس))[1].

وبعد هذا نقول يظهر أن تأثير الحركتين الدستوريتين الإيرانية والعثمانية قد أخذ يتغلغل في أوساط جماهير المدن الرئيسة في العراق كبغداد والبصرة والعتبات المقدسة، ولعل تبني رجال الدين لحركة الدستور في هذا الدور من تاريخ العراق كان السبب الأول في ذلك، وليس غريباً أن نرى (مجلة العلم) النجفية تنشر ورود سؤال ((في ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٣٢٨هـ من بلاد سورية إلى النجف الأشرف إلى حضرة حجة الإسلام شيخ المجتهدين الأعلام ناشر ألوية العدل والدستور الباذل قواه في حفظ الثغور العلامة الرباني المولى محمد كاظم الخراساني...))[2].

وليس غريباً أيضاً أن أكد العلماء علانية على وجوب تنفيذ الدستور ((وأعلنوا فتاواهم وأخذت صورها (بالفوتو) ونشرت وأصبحت إجتماعاتهم في النجف وتظاهراتهم تقام في الصحن الشريف والجوامع والمدارس علنية بعد ما كانت أشبه بالسرية، وعمَّ النقاش والجدل معظم أنحاء العراق بين مقلدي أولئك المجتهدين فكانت مدرسة شعبية كبرى استعرضت فيها جميع النظريات في شكل الحكم وأنتجت وعياً عاماً في العراق والأخص العتبات المقدسة))[3].

ويبدو أن الناس بما فيهم العلماء قد انقسموا في ذلك الدور من تاريخ العراق حيال المفاضلة بين الحكم الدستوري والاستبدادي إلى فريقين: أحدهما مؤيد للحكم الدستوري وثانيهما معارض له، ويظهر أن هذا الجدل قد تعدى دوائر المثقفين وانتقل أحياناً إلى الأوساط الشعبية، وقد نشرت جريدة (الرقيب) البغدادية مقالاً تحت عنوان (الأحرار وحزب التقهقر في كربلاء) جاء فيه ((إن من أعظم ما ابتشر به الأحرار

(١) لغة العرب، ج ٣، ايلول ١٩١١، ص ١١٧.

(٢) السنة الأولى، ع١، ج ١، ٢٩ مارت ١٩١٠، ص ١٤.

(٣) كمال الدين، محمد علي، ن. م، ص ٢٧.

الإيرانيون والعثمانيون في كربلاء هو وصول الشيخ جـواد... وغص الجامع بأهله لاستماع خطبه المؤثرة فذكر بمناسبة الحال ما أمر به النبيﷺ من إجراء العدل والمساواة والمؤاساة... وقال أن الحسين (رض) لم يقتل إلا بسيف الاستبداد فعارضه أحد أركان المستبدين في كربلاء ولم يجسر على القيام والتفوه بكلمة (لأنه أحقر من ذلك) بل كان مساقاً من جماعته وحزبه الذين (يريدون ليطفئوا نور الله) فنال من حضرة الشيخ وثلبه وهاج عونته ولولا حضور وكيل المتصرف... «لحصل مالا تحمد عقباه»... ورغماً عن أركان حزب التقهقر التمسوا من حضرة الخطيب الحضور في اليوم التالي وأحاطوا به إحاطة الهالة بالقمر... فرمى الله بالذل والخزي أولئك الأضداد لكل فضيلة وعند ذلك تهللت وجوه الأحرار... وتكلم الخطيب بما خطر له من مدح العدل وقدح الظلم والثناء على الأحرار والطعن في المستبدين الأشرار فلم يستطع من أولئك الظلمة أحد أن يفوه بكلمة...))[١].

(١) السنة الأولى، العدد (١٠) ١٠ ربيع الأول ١٣٢٧، ١ نيسان ١٩٠٩م.

الفصل الثالث:

الاحتلال الإنجليزي للعراق

إن الأسباب التي دفعت بريطانية لإحتلال هذه البلاد متعددة أهمها:

أولاً - المصالح الإقتصادية: كان لبريطانية مصالح تجارية في هذه البلاد يرجع وجود بعضها إلى ما قبل القرن التاسع عشر، وقد سبق أن أشرنا إلى نمو هذه المصالح في الفصل الأول من هذا الكتاب. وقد ازدادت في بداية هذا القرن أهمية هذه البلاد الإقتصادية في نظر العالم بما فيه بريطانية، إذ أن وجود منابع غزيرة للنفط في ولايتي الموصل وبغداد قد أثار اهتماماً عالمياً في ذلك الحين[1]، يضاف إلى ذلك ما أثاره تقرير وليم ولكوكس عن مشاريع الري في العراق وما ينتج عن إنجازها من مستقبل زراعي زاهر من اهتمام حول أهمية العراق الإقتصادية في المستقبل.

وقد كتب ولكوكس في ١٩٠٩ ((يبشر العثمانيون بيوم يفيض النضار عليهم فيه كالأنهار)). وقال: ((إنه إذا عملت الحكومة ما أشار به في تقرير من أعمال الري وأنفقت مليونين و٢٠٠ ألف جنيه لمد السكة الحديد من بغداد إلى دمشق عادت بلاد ما بين النهرين إلى سابق عزها ومجدها))[2].

ثانياً - المصالح السياسية والضرورات العسكرية: كانت سياسة بريطانية تقوم على عمل كل ما من شأنه أن يحفظ مصالح إمبراطوريتها في الشرق وخاصة الهند، فعملت

---

(١) Longrigg, op. cit, p. 65.

(٢) (صدى بابل)، العدد ١٨، السنة الأولى، ١٣٢٧هـ، ١٠ كانون الثاني ١٩٠٩م.

جادة في وجه المنافسة البرتغالية والهولندية والفرنسية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر من أجل السيطرة على الطرق البحرية الموصلة للهند.

وقد ازداد اهتمام بريطانية في هذه الناحية بعد ظهور منافستين بريتين[١] قويتين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهما المانيا[٢] وروسيا، لا سيما إن كلتا الدولتين كانتا تعملان للحصول على قواعد في نهاية الخليج العربي الشمالية، وقد أظهرت المانيا اهتمامها في منافسة بريطانية في هذه المنطقة عندما شرعت ببناء سكة حديد بغداد ثم عملت على مدها إلى سواحل الخليج العربي في بداية هذا القرن، وروسيا هي الآخرى أظهرت نياتها التوسعية في هذه المنطقة حين ((اتضح أن القنصل الروسي في بغداد كان يعمل للحصول على ميناء وقاعدة بحرية على الخليج العربي، وأن شركة نمساوية روسية تقدمت ١٨٩٨ بطلب للحكومة العثمانية بإنشاء سكة حديد من طرابلس في سورية إلى الكويت))[٣].

وكان من نتيجة هذه الفعاليات أن صرح اللورد كرزن **Curzon** حاكم الهند سنة ١٨٩٢ ((بانه يعد سماح أية دولة لروسيا بأن تنشيء ميناءً على الخليج الفارسي إهانة لبريطانية وتغييراً للأوضاع القائمة هناك، وسبباً لقيام حرب عالمية))[٤]، يضاف إلى ذلك

(١) إن تفوق بريطانية البحري جعلها تنظر لمنافساتها من الدول البرية باهتمام أكبر من منافساتها من الدول البحرية.

(٢) كانت المانيا في بداية هذا القرن تعمل على منافسة انجلترا في العراق وسواحل الخليج العربي. وقد حصلت في سنة ١٨٩٩ على امتياز تمديد سكة حديد برلين – بغداد إلى بغداد ثم إلى سواحل الخليج العربي. وكانت انجلترا تراقب هذه الفعاليات بقلق نظراً لما لألمانيا من الرغبة في التوسع سياسياً واقتصادياً في هذه المناطق. وقد ظهرت نيات المانيا واضحة في تأسيسها لشركة (ونكهاوز) لغرض القيام بأعمال تجارية هناك، يضاف إلى ذلك انها فتحت لها قنصلية في بندر بوشهر بالرغم من ان الرعايا الألمان في تلك المدينة لا يزيدون على ستة أشخاص.

(٣) **Kirk, Op. cit, p. 89**

(٤) **Ibid, 88**

أن الحكومة البريطانية عقدت اتفاقاً سرياً سنة ١٨٩٨ مع مبارك شيخ الكويت[١] تعهد بموجبه ألا يؤجر أرضاً أو يمنح امتيازاً لأي أحد إلا بموافقة بريطانية))[٢].

وفضلاً عن ذلك كان لبريطانية مطامع أقليمية في العراق إذ كانت تنوي اقتطاع القسم الجنوبي من هذه البلاد وربطه في الهند[٣].

وقد ظهرت رغبة بريطانية في إحتلال العراق قبل الحرب إذ ((أن أمر إحتلال الفاو والبصرة من الهند لم يكن مشروعاً جديداً إذ كانت قد إقترحته رسمياً لجنة خاصة أُلفت لهذا الغرض في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩١٢ من أجل تعزيز مركز بريطانية في بلاد العرب التركية أمام الموقف العدائي الذي كان يبديه الموظفون الأتراك))[٤].

ثالثاً - الأسباب الناشئة عن إنضمام تركيا إلى المانيا في الحرب العالمية الأولى، ويمكن أن نقسم هذه الأسباب إلى صنفين:

أ. حماية المصالح البريطانية وتأييد أصدقائها في رأس الخليج العربي، وكان الأتراك في هذا الدور قد أظهروا عداءهم لبريطانية دون أن يكونوا في حرب معها، وقد ذهب ممثلوهم وممثلو الألمان إلى إيران ليثيروا شعور الغيرانيين ضد بريطانية، وحتى شيخ المحمرة كان هدفاً لدعواتهم. وكانت بريطانية تخشى أن يستولي الأتراك على نهاية الخليج العربي وبذا يضعفون النفوذ الإنجليزي هناك، وحينئذ تفقد بريطانية حلفاءها من الشيوخ وخاصة شيخي الكويت والمحمرة. ويضاف إلى ذلك أن

---

(١) كان الكويت في ذلك العهد قائمقامية تابعة للبصرة ولم يكن له صفة دولية حتى يصح التعاقد مع أميره على اعتباره خاضعاً لسيادة السلطان ولكن خوف بريطانية من أن يصبح الكويت ميناءً روسياً أو نهاية لخط حديد بغداد جعلها تثبت علاقاتها مع أمير الكويت.

(٢) **Kirk, p. 89.**

(٣) **Ibid, p. 127.**

(٤) آيرلند، فيليب ويلارد، العراق، بيروت ١٩٤٩، ص ٢.

بريطانية كانت تعتقد أن صداقتها مع ابن السعود مهددة إلى حد ما بالخطر(١).

ب. حماية آبار النفط في عربستان من بلاد إيران : يظهر أن حماية النفط في هذه المنطقة كانت ثانوية – كما يعتقد آيرلند – إذ أن وزير الهند كتب في رسالة خصوصية إلى نائب الملك في الهند بعد أن صدرت الاوامر للحملة الإنجليزية بالتوجه إلى العراق يقول: ((كنت أعتبر على الدوام بان أهم ما نستهدفه من إرسال الحملة هو التأثير المعنوي على شيوخ العرب، اما حماية منابع النفط فقد كانت شيئاً ثانوياً عندي من بين الإعتبارات الآخرى))(٢).

ج. الخوف من إعلان الجهاد ضد بريطانية: كان خوف بريطانية من أن الأتراك بالتعاون مع الألمان يستطيعون أن ينظموا حركة جهاد تمتد من بلاد العرب إلى السند ضدها من بين الأسباب الرئيسة التي جعلتها ترسل حملة لفتح العراق(٣). وقد تم إرسال الحملة بالرغم من معارضة حكومة الهند في أول الأمر لأسباب عسكرية، ولأنها كانت تخشى أن تؤدي مبادءتها لتركية وخليفة المسلمين بالعدوان إثارة حفيظة المسلمين الهنود(٤).

وقد اتخذ دعاة حركة الجهاد من إيران مسرحاً رئيساً لفعالياتهم، فانتشروا في معظم أنحاء البلاد ونظموا عصابات كان من نتيجة فعالياتها أن اضطر بعض القناصل الروس والإنجليز في إيران إلى ترك مراكزهم. ثم بذلت جهود لحمل إيران على الدخول في الحرب بجانب المانيا وتركيا. يضاف إلى ذلك أن بعثة تركية ألمانية اُرسلت لإقناع أمير الافغان على الدخول في الحرب ومهاجمة الهند، ولكن الأمير الافغاني كان متردداً بالرغم من أن المتطرفين من شعبه كانوا يضغطون عليه لإعلان الجهاد. أما في جزيرة العرب فأن تأثير

(١) Longrigg, Op. cit, p. 77.

(٢) العراق، ص ٤.

(٣) Modernly, f. J., The Campaign in Mesopotamia Vol 2, London, 1924, p. 1.

(٤) آيرلند، ن. م، ص ٢ – ٣.

حركة الجهاد كان ضئيلاً، ورغم ذلك فقد استطاع مثيرو هذه الحركة أن يخلقوا لبريطانية بعض المتاعب[١]. أما داخل العراق فقد أسفرت حركة الجهاد عن بعض النجاح.

هذه هي أهم الأسباب التي دفعت بريطانية لإرسال حملة لإحتلال البصرة بقيادة الجنرال (دلامين) **W. S. Delamain** فبلغت هذه الحملة قرية (الفاو) في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ واستولت عليها بسهولة. ثم ترك دلامين سرية في الفاو وركب النهر بمعظم قواته متوجهاً نحو (عبادان) لحماية مؤسسات النفط فأنزل قواته في منطقة (سنية) بدون مقاومة من الترك[٢]. وما كان قائد القوات العثمانية في البصرة على علم بسقوط (الفاو) بأيدي الإنجليز، ولولا أن يخبره الموظفون الملكيون الذين تركوا هذه القرية فارين إلى البصرة لما اطلع على هذا النبأ المحزن إلا بعد وقت طويل، وفي إيراد هذه الحقيقة ما يدل على عدم استعداد الأتراك للطوارئ وضعف دائرة الاستخبارات ودوائرهم العسكرية[٣]. وصحب هذه الحملة السر برسي كوكس **Percycox** كأكبر ضابط سياسي. وعند دخول البريطانيين العراق أعلن كوكس أن الحكومة البريطانية لم تكن في حرب مع سكان ضفاف النهر (شط العرب) العرب طالما ابتعدوا عن القيام بأعمال عدوانية، وان عداء الأتراك اضطر بريطانية لاتخاذ هذه الخطوة لتحمي أصدقاءها وتحفظ مصالحها[٤]. وبعد أن اشتبك الترك مع الإنجليز بمعارك عديدة[٥] تمكن الإنجليز من دحرهم وإحتلال البصرة في ٢٢ تشرين الثاني سنة [٦]١٩١٤ وبدخول الإنجليز البصرة يكونون قد احتلوا ثغر العراق الوحيد وقبضوا على مفتاح الخليج العربي واستولوا على مدينة تبلغ

---

(١) **Moberly, Op. cit, p. 2.**

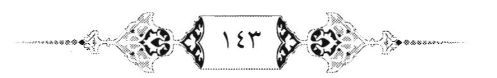
(٢) العمري، محمد أمين، تاريخ حرب العراق، ج١، بغداد ١٩٣٥، ص ١٠.

(٣) الحسني، العراق في دوري الإحتلال والإنتداب، ج١، صيدا ١٩٣٥، ص ١١.

(٤) **Longrigg,op.cit,p.78.**

(٥) وردت تفصيلات عن الحروب بين العثمانيين و الإنجليز في: **Moberly, Op. cit, Vols, 1. 2 & 3.**

(٦) العمري، ن، م ج ١، ص ١١.



تجارتها السنوية ستة ملايين دينار(١)، وقد أذاع (كوكس) بهذه المناسبة بياناً على السكان قال فيه ((احتل الإنجليزالبصرة، ومع هذا فليس لنا عداء.... مع السكان وإني أعدكم بمستقبل ملؤه الحرية والعدالة))(٢). وقد غنم الإنجليزفيما غنموا في البصرة مخزناً لسكة حديد بغداد - البصرة، التي كان في نية الألمان إيصالها إلى هاتين المدينتين فاستفادوا مما فيه من مواد فائدة عظمى في مد سكك الحديد بين البصرة والقرنة وبين الأخيرة والعمارة وبين بغداد والكوت(٣).

وبعد أن احتل الإنجليزالبصرة انسحب أحد قواد الأتراك (صبحي بك) إلى القرنة وانسحب (عادل بك) إلى الناصرية. ويمكن أن يستنتج الباحث من السهولة التي تم فيها إحتلال البصرة أن الأتراك لم يكونوا مستعدين للدفاع عن العراق حينذاك، وأن القيادة العامة في تركيا لم تكن على علم تام بما كان ينويه الإنجليزتجاه هذه البلاد، ومن الأدلة على ذلك أن القيادة التركية جردت العراق من القوات النظامية سوى فرقة واحدة في البصرة كان في نيتها أن تسحبها لولا التماسات والي بغداد(٤). يضاف إلى ذلك أن تركيا لم تحتفظ بإسطول قادر على تأمين سيطرتها على سواحل الخليج، بل كانت السيادة البحرية هناك لإنجلترا. وبعد أن فتح الإنجليز المناطق المجاورة لمدينة البصرة تقدموا نحو (القرنة) واحتلوها، وبذا سيطروا على دلتا دجلة والفرات وسهّل عليهم استعمال شط العرب للملاحة. واستولوا على منطقة المزارع الغنية الواقعة بين القرنة والبحر، كما مكنهم إحتلالها من حماية بلاد عربستان الفارسية من غارات الأتراك وأخيرا كان لإحتلال هذه المنطقة تأثير أدبي في نفوس القبائل العراقية.

(١) الحسني، ن. م، ص ١٣.

(٢) **Wilson, Op. cit, p. 11.**

(٣) الحسني، ن. م، ص ١٣.

(٤) الحسني، العراق في دوري الإحتلال والإنتداب، ج١، ص ١٠ - ١١.

وفي ٤ شباط ١٩١٥ زار اللورد (هاردنك) حاكم الهند البلاد التي تم للجيش البريطاني فتحها، ومما قاله في هذه المناسبة: ((ان الإحتلال الإنجليزي أثار مسائل تقتضي حلاً سريعاً، وقد جئت إلى هنا لأرى الأحوال المحلية بعيني... ولا نستطيع رسم خطط المستقبل من غير أن نتبادل الآراء مع بقية الدول الكبرى، ولكني أُؤكد لكم أن المستقبل يجلب لكم عهداً أفضل من ذي قبل))(١).

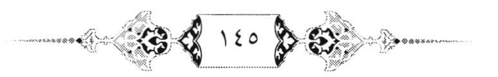
أما الأتراك فانهم أعادوا النظر في تنظيم قواتهم النظامية في العراق وأوكلوا قيادتها إلى (سليمان عسكري بك). يضاف إلى ذلك أنهم عملوا ما بوسعهم لكسب تأييد العراقيين لهم في حربهم مع الإنجليزوذلك عن طريق إعلان الجهاد المقدس فكان لهم ما أرادوا.

وأفتى معظم العلماء من السنة والشيعة بوجوب الجهاد لدفع الضرر عن المسلمين ورأوا أن تعزيز موقف العثمانيين المسلمين تجاه الإنجليزغير المسلمين أمراً لا مناص منه حسبما تقتضيه أحكام الشريعة الإسلامية. ولعل أهم العوامل التي ساعدت على نجاح حركة الجهاد في العراق خلال هذا الدور هي:

أ. ضعف الوعي الوطني في العراق حينذاك ويعود ذلك إلى عوامل متعددة، قد سبق أن بحثنا بعض هذه العوامل في الفصل الثاني من هذا الكتب فلا ضرورة للتكرار، يضاف إلى ذلك أن المثقفين في العراق وإن كانوا على علم بما أحرزته حركة الوعي القومي العربي في سورية والحجاز من تقدم خلال الحرب العالمية الأولى، لم يستطيعوا إيصال هذه الأفكار إلى الجمهور وكسبه لتأييدها. وكان موقف الإنجليز ممثلاً بحكومة الهند مناوئاً لبث الشعور القومي في العراق خلال الحرب، لذا عملوا على عزل العراق عن حركة الوعي العربي في البلدان العربية الأخرى، هذا في الوقت الذي كانوا يباركون هذا الوعي ويشجعونه في غير العراق رغبة في دعم موقف حليفهم الشريف حسين.

---

(١) الحسني، ن. م، ص ١٦.



ب. ومما يؤيد موقف الإنجليز هذا ((إن حكومة الهند لم تبذل إلا قليلاً من الجهد، عدا جهودها مع ابن سعود في اقناع العرب لحمل السلاح ضد الأتراك))[١]. ويقول لورنس ((إن ثورة الحسين لم تنجح في إثارة السكان المدنيين.... في العراق، ويعزى ذلك إلى الموقف غير الودي الذي وقفته السلطات العسكرية في الهند من هذه الحركة، وقد عمدت هذه السلطات إلى إخفاء او تصغير أخبار نجاح الثورة. وكان هدفها من ذلك إخماد روح الإستقلال بين السكان العرب المحليين)).وعندما أُرسل لورنس إلى العراق سنة ١٩١٦ لكي يدرس احتمال قيام العراقيين بالثورة ضد الأتراك، وجد أن السلطات البريطانية المحلية تعارض في ذلك [٢].

كان المثقفون المشتغلون بالسياسة أقلية ضئيلة ينقصها التنظيم الحزبي الذي هو ضروري لكل فعالية سياسية ناجحة، كما تنقصها الصحافة الموجهة ووسائل الإتصال الأخرى بالرأي العام، لذا لم تستطع هذه الفئة أن توجه سياسة البلاد توجيهاً صحيحاً. وكان من نتيجة ذلك أن نُحيت هذه الجماعة عن العمل السياسي الذي هو من صميم اختصاصها وتركته إلى طبقة الروحانية الذين لا يجيدون فن السياسة في الغالب فوجهوا جهود العراقيين في هذه الحركة إلى جهة لم تعد عليهم بفائدة كبيرة.

ج. كان لدعاوة العثمانيين وتقربهم من رجال الدين أثر كبير في التأثير في عواطفهم وحملهم على توجيه الرأي العام المتأثر بالعواطف الدينية حينذاك نحو مصلحة العثمانيين التي كان من مقتضياتها أن يحمل العراقيون السلاح في وجه الإنجليز في حركة لا تعود عليهم بفائدة كبيرة. ويعود إهتمام العثمانيين في إيجاد الدور السياسي الديني في العراق إلى حركة الجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد. وبعد أن نشر الدستور ((أخذ المرخصون من مركز جمعية الإتحاد والترقي يترددون بين الأستانة والنجف وبين بغداد والنجف وهكذا بعض ولاة الإتحاديين كأحمد

---

(١) آيرلند، ن. م، ص ٦٦.

(٢) Lawrence, T. E, Seven pillars of Wisdom, New york, 1938, p. 60.

جمال باشا (١٣٢٨هـ) وبعض المتصرفين كصائب بك وحمزة بك وغيرهم من الذين يترددون على النجف ويديرون بعض المناورات السياسية))[١].

وبالرغم من أن هدف ساسة العثمانيين من وراء الدعوة للجهاد كان سياسياً، نجد بعض الأعلام المجتهدين مدفوعين بعقيدتهم الدينية يعيرون هذه الحركة اهتماماً كبيراً، وقد كان من بين هؤلاء المرحوم الشيخ مهدي الخالصي الذي نشر رسالة عنوانها (الحسام البتار في جهاد الكفار)[٢]. ومن الأسباب التي يوردها الخالصي عن وجوب الجهاد ما تضمنه معنى الآية الكريمة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه)، (مضافاً إلى أن الخراج في الأراضي الخراجية للمسلمين فيجب على الوالي الدفع عنه وحفظه عن استيلاء الكافر عليه وإنفاقه في مصالح المسلمين)[٣]. وقد عثرت على وصف لإجتماع عُقد لتحريض الناس على الجهاد أورد ملخصه هنا ليظهر لك مدى إهتمام الناس بهذه الحركة حينئذ. يقول محرر (صدى الإسلام): ((لم نكن نظن أنَّ أحداً بقي في تلك الأصقاع لم يحضر لكننا لما شارفنا مسجد الكوفة ألفينا جملة من العشائر واُلوفاً من الناس والفرسان قد حضروا لاستقبال راية أمير المؤمنين عليه السلام[٤] والإستضلال بها لما مرّت على مسجد الكوفة (كثرت الجموع) ثم أخذت العشائر والفرسان بالهوسات[٥] والكل محتفون حول إنسان رفعة

(١) الشرقي، الشيخ علي، (النوادي العراقية) النهضة العراقية العدد (٢٥) ٥ تشرين الأول، ١٩٢٧، ٨ ربيع الثاني، ١٣٤٦هـ.

(٢) نشرت هذه الرسالة في جريدة (صدى الإسلام) البغدادي بأعداد متسلسلة، وقد أورد محرر الجريدة بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ العدد (٤٤) نبذة عن هذه الرسالة وعن مؤلفها جاء فيها: (ألَّفَ العالم الورع والمجتهد المطاع حضرة الشيخ مهدي الخالصي من أكابر أئمة العلم والاجتهاد في العراق رسالة نفيسة دوَّن فيها ما يتعلق بأمور الجهاد وما يترتب على الامة الإسلامية من القيام بشروطه وقواعده وأركانه مما لم يسبق له نظير فرأينا أن ننشرها تباعاً في جريدتنا).

(٣) الخالصي، الشيخ مهدي، (الجهاد) صدى الإسلام، العدد ٤٩ ٩ ذي القعدة ١٣٣٣هـ.

(٤) يقصد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأن الشيعة إذا اطلقوا كلمة أمير المؤمنين مجردة قصدوا بها علياً عليه السلام.

(٥) هوسوا بمعنى ركلوا الأراضي بأرجلهم أثناء الهيجان والتهيؤ للحرب ويطلق على هذه الحركة بالإنلزية

المجد حضرة صاحب السعادة الفريق الأول (محمد فاضل) باشا فتقدم المشار إليه.... إلى مسجد مقام نبي الله يونس حيث تقام الحفلة)). ثم يستمر المحرر بحديثه فيقول: (ذكرنا كثرة الخلائق الواردة والمستقبلة وقد انضم البعض إلى البعض فكان محشواً هائلاً وإجتماعاً مدهشاً يتقدم ذلك المحشر ثلاثة من حجج الإسلام وكوكبة من المشايخ وزمرة من الأشراف)[١].

وقد أفتى بالجهاد معظم علماء العصر[٢] ((ولم يكتف العلماء بالفتيا فقط، بل خاضوا تلك المعامع بأنفسهم ووقفوا وقوف الأبطال وأبلوا بلاءً حسناً، وكان أشدهم جهاداً وأكثرهم صبراً وجلاداً المرحوم العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي فإنه قاد جيشاً جراراً إلى جبهة الشعيبة... وكذلك العلامة الشهير شيخ الشريعة والعلامة السيد علي الداماد فإن لهما مواقف مشهورة في حرب (القرنة) وما بعدها...))[٣]. ويذكر الشيخ فريق أن السيد الحبوبي أنفق أموالاً طائله لغرض الجهاد، ولما قدم له ممثل الأتراك مالاً يتولى إنفاقه على المجاهدين رفض ذلك[٤] وقد أخبرني السيد محمد سعيد كمال الدين الذي رافق حملة الحبوبي في طريقها من النجف إلى الشعيبة أن نفقات الحبوبي على الحملة كانت كبيرة إلى

"War-dance"

(١) صدى الإسلام، ع ١١٤، ٢٨ محرم ١٣٣٤هـ. وجاء في العدد (٥٦) من الجريدة سالفة الذكر المؤرخ ١٧ ذو القعدة ١٣٣٣هـ إن إجتماعاً مماثلاً حصل في كربلاء عندما (اجتمع السادة والعلماء والموظفون والأشراف والأهلون في كربلاء يتقدمون حضرة صدر العلماء السيد إسماعيل وهو من أجلة المجتهدين... فسار بهم... إلى صحن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وهناك تناول سيفاً مرصعاً تاريخياً من موقعه الخاص، وكان محفوظاً ومعلقاً في القبة المباركة.... وقال خذوا هذا السيف.... وقدموه إلى حضرة القائد العام نور الدين بك).

(٢) البارزكان، علي، ن.م، ص ٤٣. ويخطيء الاستاذ البارزكان في إيراد إسم الشيخ كاظم الآخوند بين من أفتوا مع أن الآخوند توفي قبل إعلان الحرب بثلاث سنوات اي ١٩١١م.

(٣) محبوبة، جعفر، ن. م، ج١، ص ٢٤٦.

(٤) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، ج ١ بغداد، ص ٣٧.

حد أنه اضطر إلى رهن أملاكه الخاصة لينفق منها على المجاهدين، وكان الإمام السيد مهدي الحيدري من بين العلماء الذين كان يقودهم في دحر الجيش البريطاني في معركة نهر (الروطة) في ٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٣هـ.

وقد أسفرت الدعوة للجهاد عن تجمع عدد من أهالي المدن والعشائر يتراوح بين ١٠ - ١٥ ألف مقاتل بينهم ١٥٠٠ مجاهد من الأكراد[١]. وقد توجه هؤلاء لمقاتلة الإنجليز في (الشعيبة) قرب البصرة[٢]، فهجموا في ٤ نيسان ١٩١٥ على المواقع الإنجليزية المحصنة في الشعيبة ووقعت معارك دامية في الشعيبة وفي غابة (البرجسية) أبلى المجاهدون فيها بلاءً حسناً. وكانت للمجاهدين العراقيين مواقف مشهودة في جهات (صخريجة) شمال (عران) وفي (مزيرعة) على الضفة اليمنى من دجلة. كما اشتركوا في قتال الإنجليزعلى أبواب الاهواز طلباً للتقدم على شط كارون لتهديد الإنجليز في شط العرب. وقد اصطدمت الجموع العراقية بالجموع الإنجليزية في أوائل شباط ١٩١٥وربحوا في تلك المناورة التي اضطرت الإنجليز إلى التقهقر ولكن انسحاب الجيوش التركية في جبهة (صخريجة) أثر في ذلك الموقف مما أدى إلى انسحاب القوات المجاهدة[٣]. وبالرغم من قلة المؤن وسوء معاملة الضباط الأتراك للمجاهدين قدم هؤلاء مساعدة فعالة أكبرها

---

(١) الحسني، العراق في دوري الإحتلال والإنتداب، ص ١٦ - ١٧. وجاء في مجلة مرآة العراق، ١٥ شباط ١٩١٩، ص ١٢: ان عدد المجاهدين في الشعيبة كان عشرة آلاف مقاتل، بينما الحسني يجعل عددهم (١٣) ألفاً، ومن الطبيعي أن يحصل هذا الإختلاف في تقدير العدد لأنه لم يسجل هؤلاء المجاهدين بسجلات خاصة.

(٢) كان المجاهدون بقيادة ضياء بك، وعهدت إلى السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عجمي السعدون والشيخ عبد الله الفالح رئاسة كل قسم من الأقسام الثلاثة التي انقسموا إليها. وكانت أغنية المجاهدين (بأرض الشعيبة باجر (بكرة) تفكنه ايثور (يثور). وقد كان السيد هادي مكوطر ممن اشتهروا في حرب الشعيبة فقال أحدهم بحقة (ثلثين الجنة الهادينا) أي أن الله يعطيه ثلثي الجنة مكافأة له على عمله.

(٣) الشرقي، علي، النوادي العراقية، النهضة العراقية، ج ٢٢، ٢٨ ايلول ١٩٢٧.

القواد الأتراك[١].

وبعد هذا العرض الموجز لحركة الجهاد في العراق خلال هذا الدور وأسباب نجاحها نطرح السؤالين التاليين وهما: ما الفائدة التي جناها العراق من هذه الحركة؟ وما تأثير حركة الجهاد هذه في تهيأة أفكار العراقيين للثورة على الإنجليز في سنة ١٩٢٠؟

وللإجابة على هذين السؤالين نقول: إن تدخل العلماء في حركة الجهاد وتأييدهم لها وضح موقفهم تجاه الإنجليز وجعلهم يعلنون إن إمارة الكافر على المسلم غير جائزة وبذا أصبحوا ملزمين، أدبياً على الأقل، بالفتيا في وجوب قتال الإنجليز سواء كان ذلك باشتراك العراقيين مع الأتراك المسلمين أو بقتالهم للإنجليز بصورة منفردة كما حصل في ثورة العشرين. ولا شك إن توضيح موقف العلماء هذا أكسب مقاومة الإنجليز قوة كبيرة ومهد الطريق للمثقفين بعد الحرب العالمية الأولى للاستفادة من هذه القوة واستعمالها في التأثير على الجمهور العراقي الذي كان مصيره في تلك الفترة بيد العلماء الذين كانوا قادة الحركة السياسية في العراق كما بينا سابقاً. يضاف إلى ذلك إن إشراك جماعات كبيرة من العراقيين وخاصة أفراد القبائل في قتال الإنجليز وسفرهم إلى البصرة، واطلاعهم بصورة مباشرة على وسائل الحرب الحديثة، وسَّع خبرتهم حول شؤون العالم الخارجي. وكانت هذه المشاركة بمثابة مدرسة عملية مكنت هذه القبائل من الإلمام ببعض القضايا العسكرية والسياسية التي جابهتهم أبان ثورة العشرين فيما بعد. ومن الواضح أن الأتراك وقفوا بعد فشل حركة الجهاد عسكرياً من العراقيين إخوانهم في الدين وزملائهم في الخنادق العسكرية في معارك (الشعبية) وغيرها، موقفاً مشيناً فأهانوا رؤساءهم ونكّلوا بكثير من أهالي المدن والعشائر.

وفي مرة قال أحمد بك أوراق أحد القواد الأتراك بحضور المجاهدين من العراقيين

---

(١) الحسني، ن.م، ص ١٦ - ١٧.

((إننا لو فتحنا الشعيبة والبصرة يبقى علينا واجب ثان وهو فتح العراق وخاصة الفرات أولاً وعشائر شط دجلة ثانياً لأنهم خونة)) فأجابه الشيخ بدر الرميض رئيس بني مالك ((أنتم الخونة للإسلام.... وتحزبكم ضد العرب كاف لمصداق قولي وأنتم بعد هذا أولى بالحروب والقتال ممن نحارب ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقابل فيها))[1]، ويقول الشيخ جعفر محبوبة (وبعد مرور شهر على حادثة الشعيبة بعثت الحكومة العثمانية بعثاً مؤلفاً من ألف من المشاة والفرسان بقيادة (عزت) بك إلى النجف للقبض على المنهزمين من الجندية وقائمقام النجف يومئذ (بهجت) بك وكان فظاً غليظاً سيء الإدارة متهوراً خرق السياسة معدوم الكياسة غير ملتزم بدين ولا يركن إلى مذهب وقد ضغط على النجفيين حتى كاد أن يستأصل أموالهم بتحميلهم الضرائب الباهضة وساق الرجال وشرّدهم بلا جريمة وتعدى كثيراً على الأشراف ومس ببعض الكرامات المقدسة....))[2].

وقد أثر هذا الموقف السيء من جانب الترك في نفوس كثير من العراقيين وجعلهم يعتقدون أن خلاص بلدهم من الترك لا يقل أهمية عن خلاصه من الإنجليز، وأن قضية الرابطة الإسلامية كما فهمها الترك حينذاك قضية خاسرة وإن الأتراك لم يكونوا جادين بالدعوى لها وإن اهدافهم وإن أخفوها بستار الدين هي سياسية بالدرجة الأولى ولا صلة لها بالدين.

ولا شك أن جلاء هذا الموقف لدى كثير من أفراد الجمهور العراقي نفع القضية العراقية وشد من أزر المثقفين وجعلهم يستفيدون من فهم جماعات كبيرة من الجمهور لنوايا الأتراك الحقيقية وذلك بأن وضحوا للجمهور الذي أخذ يصغي إليهم أكثر فأكثر أن موقفهم المناوي تجاه الأتراك ومقاومتهم لمشاريعهم السابقة لم تكن ناتجة عن تماهل من

(١) فرعون، فريق، ن.م، ج ١، ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) ماضي النجف وحاضرها، ج ١، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

جانبهم في شؤون الدين أو رغبة في إضعاف شوكة الإسلام، بل إنما هو ناجم عن سوء الحكم التركي الذي لا تتحقق في ظله مصلحة العراق بأي حال من الأحوال.

وقد أخذ المثقفون يفكرون بعد سقوط البصرة بيد الإنجليز وفشل حركة الجهاد، برسم الخطط للمستقبل لا سيما أنهم إعتقدوا (أن الحكومة العثمانية أدبرت أيامها وتلاشت في العراق، وأخذ العراقيون[١] يفكرون في خسارتهم وربحهم من الحالة العسكرية والسياسية الموجودة في البلاد... وكانت مؤامرات ومراجعات في (الشعيبة) وتحت أثلاث البرجسية كما كانت مواقعة ومناجزة هناك وهكذا كانت الحالة في (مزيرعة و (أبو عران) حول القرنة وفي (الشلوة) و (العلة) على أبواب الاهواز وكثرت المؤامرات في الشطرة وفي الناصرية وفي الشامية وفي النجف وفي كربلاء ولكن التربية السياسية ضعيفة في نفوس العراقيين والحذق السياسي قليل فلم تنجح أكثر الخطط السياسية التي وضعتها هذه المؤامرات ولم تكن وحدة تامة بعد أن فقد المركز في البصرة وأُبعد الزعيم السيد طالب وكانت الأفكار كلها متجهة إليه...))[٢].

وما عاد المجاهدون من الشعيبة حتى أخذت الحركة الرامية للتخلص من حكم الأتراك الذين كان نجمهم آخذاً بالأفول تؤتي ثمارها في كثير من أنحاء العراق وقد تعد حركة النجف الأشرف التي حصلت بعد معارك الشعيبة مباشرة ضد الترك تعبيراً عملياً لهذا الاتجاه. ويحدثنا المستر ونيكت **"Wingate"** عن هذه الحركة فيقول: ((وعندما هزم الأتراك في بداية الحرب بمعركة الشعيبة، تلك المعركة التي أسهم بها عدد من النجفيين اهتبل النجفيون هذه الفرصة التي كانوا ينتظرونها منذ القديم، وكان الأتراك عارفين بما تبيته لهم النجف فأخذوا عدة احتياطات لتلافي هذا الوضع، من بينها إعلان الأحكام

(١) لا نقر الكاتب على هذا التعميم لان الجمهور العراقي حينذاك لم يبلغ النضج السياسي ما يجعله يسهم بفعاليات سياسية كالتي وصفها الكاتب.

(٢) الشرقي، الشيخ علي، (النوادي العراقية) النهضة العراقية العدد (٢٢) ٢٨ ايلول، ١٩٢٧م، ١ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ.

العرفية في النجف، وبالرغم من كل ذلك فقد استطاع كريم الحاج سعد أن يدخل البلدة مع (٣٠) من أعوانه خلال فتحة عملوها في سورها في نيسان ١٩١٥، وقد تمكن المغيرون من أن يمطروا الترك بوابل من الرصاص لمدة (٢٤) ساعة. وفي أثناء ذلك تدفقت المعونة من الخارج وهبت المدينة لمعاونة الثائرين، وقد وجد الترك أن الماء والطعام قد قطع عنهم وأنهم يواجهون عشرة آلاف مسلح لذا رأوا أن المقاومة نوع من العبث فسلّموا بعد ثلاثة أيام، فأخذ الثوار أسلحتهم وسهّلوا لهم الإنسحاب عن طريق الكفل. وبقيت النجف منذ ذلك التاريخ حتى شهر آب سنة ١٩١٧ مستقلة إستقلالاً تاماً تحت حكم شيوخ (الزقرت)[١] و(الشمرت) (الأربعة)[٢].

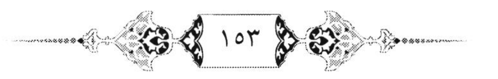
ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم من نمو الحركة المعادية للترك في كثير من أنحاء العراق خلال سنوات الحرب نجد كثيراً من العراقيين[٣] يستمرون على معاونتهم للترك في حربهم مع الإنجليز حتى نهاية الحرب، ولعل ذلك يعود إلى قوة العاطفة الدينية في نفوس الجمهور وبعض المثقفين من جهة، والى ضعف الوعي الوطني في العراق من جهة أُخرى. وبعد أن فشل الأتراك في صد الإنجليز في منطقة البصرة انسحبت معظم قواتهم إلى الكوت والناصرية وقد لاحقتهم القوات الإنجليزية فاحتلت العمارة في ٧ حزيران ١٩١٥، والناصرية في ٢٥ تموز من السنة نفسها. ويقدر العمري[٤] أسرى الأتراك في هذه المعارك بنحو (١٠٠٠) جندي و (١٥) مدفعاً وقد أصبحت جبهة الإنجليز بعد هذه

(١) الزقرت والشمرت طائفتان كانتا تسكنان النجف. وقد تكونتا حوالي سنة ١٢٢٨ للهجرة في عهد المجتهد الاكبر الشيخ جعفر الكبير. وقد اورد الشيخ جعفر محبوبة على الصفحة ٢٤٠ وما بعدها من الجزء الأول من كتابه الموسوم بـ (ماضي النجف وحاضرها) معلومات مفصلة عن هاتين العشيرتين العربيتين.

(٢) **Reports, I, p. 68.**

(٣) لقد استمر الشيخ عجمي السعدون على معاونة الترك حتى نهاية الحرب. وبعد الحرب انسحب معهم إلى الأناضول واكتسب الجنسية التركية وتوفي هناك قبل سنتين.

(٤) حرب العراق، ج ١، ص ١٣ - ١٤.



الانتصارات تمتد من الناصرية إلى العمارة فالأهواز[١].

لقد أخذ الترك يتحصنون بعد ذلك في الكوت التي كانت ذات أهمية عسكرية في نظر الفريقين المتنازعين، اذ بإحتلالها تدخل ولاية البصرة بأسرها في قبضة الإنجليز، كما ان احتفاظ الأتراك بها يساعدهم على أن يشغلوا الإنجليز في جبهتين هما جبهة العمارة والناصرية. وأخيراً تمكن الإنجليز من إحتلالها في ٢٨ ايلول ١٩١٥ وبذا أمّنوا سيطرتهم على دجلة والفرات ونهر الغراف، كما أسروا نحو (١٢٨٩) جندياً وغنموا (١٧) مدفعاً من الترك[٢].

وكانت خطة بريطانية في أول الأمر تنطوي على الاكتفاء بإحتلال ولاية البصرة ولكن نجاح قواتها في إحتلالها هذه الولاية دون تقديم تضحيات كبيرة، جعل فكرة إحتلال بغداد من الامور المقبولة لدى الأوساط البريطانية. وكان قائد القوات البريطانية في العراق الجنرال نيكسون **Nixon** من المؤيدين لفكرة إحتلال هذه المدينة. وقد بين لحكومته ان إحتلال بغداد ضروري لتهدئة الحالة في إيران، وإن له تأثيراً أدبياً في نفوس الشرقيين، وهو بعد ذلك لا يجرد الترك من مركز مهم للتجمع، وقاعدة للتجهيزات العسكرية حسب بل إنه يسهل على القوات البريطانية هزيمتهم عندما يهاجمون عن طريق النهر من آسيا الصغرى أو من سورية. وقال الجنرال نيكسون إن إحتلال بغداد سيفقد الأتراك بواخرهم النهرية ومؤنهم ويؤدي إلى تقوية مركز بريطانية حتى في حالة فشلها في حملة الدردنيل، وأخيراً إن إحتلال هذه المدينة سيجعل من الصعب جداً على تركيا أن تتصل بأفغانستان، وحيئذ يصعب عليها وعلى حلفائها الألمان ان يحرضوا الافغانيين وقبائل الحدود الشمالية الغربية الهندية على الثورة ضد بريطانية. وبالرغم من المصاعب العسكرية التي جابهت حكومة الهند وقلة القوات المتوفرة لديها خول نيكسون في ٢٣

(١) الحسني، ن. م، ج١، ص ١٧، ١٨، ١٩.

(٢) العمري، المصدر السابق، ص ١٥.

تشرين الاول سنة ١٩١٥ بالزحف على بغداد.

وكان للحالة العسكرية والسياسية في البلاد العربية الأُخرى تأثيرها في وضع بريطانية في العراق، وفي هذه الفترة بالذات كانت وزارة الخارجية البريطانية قلقة عن الوضع في مصر وكانت تخشى ان يهبَّ العرب لمعاونة الترك ضد الإنجليز، ونتيجة لذلك بدأت المفاوضات بين الشريف حسين والسلطات البريطانية هناك بالرغم من أن المستر شمبرلن لم يكن مؤيداً لها بالكلية لان ما كانت تتوخاه - كما يظهر - لا ينسجم مع وجهات النظر السائدة في الهند والعراق(١).

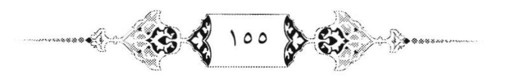
معركة سلمان باك(٢):

كان الجنرال طاوزند "Townshend" يعتقد في ضوء خبرته الماضية عن ضعف مقاومة الترك، أن قواتهم لن تجد صعوبة في إحتلال بغداد، وكان أهم ما يشغله من الناحية العسكرية حينذاك صعوبة المواصلات وعدم كفاءة وسائل النقل وقلتها من جهة، وعداء العرب العراقيين للجيش الإنجليزي الزاحف نحو بغداد من جهة أُخرى. وقد علم طاوزند قبيل وصوله سلمان باك إن القوات التركية ببغداد قد تلقت مدداً من الأناضول وان الجنرال فون كولتز **Von der Golts** الألماني قد توجه إلى بغداد في (١٠) كانون الاول ١٩١٥ لتنظيم الدفاع

---

(١) **Moberly, Op. cit. II, pp. 10-33.**

(٢) كان موقع سلمان باك، قبل دفن الصحابي سلمان الفارسي فيه يعرف بالمدائن عاصمة الفرس الساسانيين. ويوجد في سلمان باك طاق كسرى الذي يبلغ ارتفاعه (٩٥) قدماً. ومن الجدير بالذكر ان هذه المنطقة قد شهدت معارك تاريخية مشهورة خلال القرون الستة الأولى للميلاد. وقد استولى الرومان على المدائن او طيسفون مراراً خلال حروبهم مع الساسانيين. وفي سنة ٦٣٧م استولى العرب المسلمون عليها بعد أن دحروا الفرس في معركة القادسية.



التركي هناك. وقد أورد لنا موبرلي[1] "Moberly" معلومات مفصلة عن تحصينات الأتـراك وجهود قائدهم نور الدين في تهيئة وسائل الدفاع عن هذه المنطقة، جديرة بالإطلاع عليها. وقد ربح الأتراك هذه المعركة وكبدوا الإنجليز خسائر فادحة اذ خسروا (٤،٥١١) قتيلاً في ٢٢ كانون الاول ١٩١٥ وهو اليوم الأول من أيام المعركة عدا خسائرهم في الأيام التالية. وقد بلغت إصابات الأتراك (٦،١٨٨) قتيلاً وهي تزيد على إصابات الإنجليز بمجموعها بقليل. ويقول موبرلي إن الأتراك لم يسبق لهم أن حاربوا في العراق مثلما حاربوا في معركة سلمان باك، والواقع أنهم لم يحاولوا سابقاً أن يسترجعوا مركزاً فقدوه[2].

وبعد معركة سلمان باك اعتقد الخبراء العسكريون أن وضع القوات البريطانية في العراق سيكون حرجاً، وإن تراجع الإنجليز في سلمان باك سيؤثر في علاقتهم مع العرب وفي وضعهم في إيران، وإن العرب قد يسببون للبريطانيين مضايقات في الناصرية على الفرات وفي عربستان[3].

---

(١) **Op. cit, II, pp. 62-108**

(٢) **Ibid, 108.**

(٣) **Ibid, 129.**

حصار الكوت[1]:

لقد كان تراجع الإنجليز من سلمان باك محفوفاً بالمخاطر ولكنهم بعد لأي وصلوا الكوت فحاصرهم الأتراك فيها، ويقول طاوزند أن الأسباب التي دعته إلى البقاء في الكوت هي إيقاف تقدم الجيش السادس التركي الذي كان لا يقل عن الجيوش الإنجليزية كفاءة، وإحباط خطة فون كولتز الذي قيل أنه جاء مع جماعة من الضباط الألمان ليقود الجيش التركي ويهاجم القوات البريطانية القليلة العدد ويخرجها من العراق، وأخيراً أن بقاء طاوزند في الكوت سيهيء الوقت الكافي للجنرال نيكسون لتنظيم الإمدادات التي بدأت تتدفق عليه[2]، وقد استمر حصار الكوت حوالي خمسة أشهر أي أنه بدأ في ٧ كانون الأول سنة ١٩١٥ وانتهى في ٢٩ نيسان سنة ١٩١٦.

وقد لاقى الفريقان المتنازعان مصاعب جمة، وذاق الإنجليز المحاصرون ويلات الحصار فأكلوا لحوم الخيل وخلعوا أبواب وشبابيك البيوت لاستعمالها في الوقود. وقد حصلت بينهم وبين الأتراك مفاوضات لرفع الحصار أظهر الإنجليز خلالها استعدادهم لدفع مليون أو مليوني ليرة لخليل باشا قائد القوات التركية ولكنه امتنع عن قبول هذه

---

(١) كانت بلدة الكوت الواقعة على دجلة حيث يتفرع نهر الغراف منه مكونة من (٦٥٠) بيتاً وكوخاً. وتتمتع الكوت بأهمية تجارية، إذ كانت مركزاً لنقل الحبوب التي يأتي معظمها من شط الغراف. ويخرج منها طريقان للقوافل يتجهان إلى بغداد، كما ترتبط بطرق للقوافل مع بدرة ومندلي على حدود إيران. ويبلغ عدد سكان الكوت عند وضع الحصار عليها (٦٠٠٠) نسمة، وقد ذاقت الكوت مرارة الحصار وأكل أهلها لحوم الخيل والبغال. ويقول موبرلي على الص ١٦٣، ج٢ من كتابه سالف الذكر، أن الجنرال طاوزند قد فكر في أن يخرج السكان العرب بأجمعهم من المدينة، وعندما استشار السير كوكس قال له أن قضية كهذه تقررها الاعتبارات العسكرية ولكنه بود أن يذكر الجنرال إن برد الشتاء سيؤدي إلى هلاك النساء والأطفال بعد أن يقذفهم إلى الصحراء. وقد عدل الجنرال طاوزند عن هذه الفكرة التي لاتقرها القوانين البشرية.

(٢) **Moberly, Op. cit. II, p. 159-160.**



الرشوة وأصر على التسليم بدون قيد أو شرط. ويقول موبرلي إن تسليم الكوت كان نهاية محزنة لمشروع كان الهدف منه إحتلال بغداد، وإن خسائر البريطانيين منذ البداية حتى تسليم الكوت كانت كبيرة إذ بلغت (٤٠) ألفاً بين قتيل وأسير، وأخيراً إن تسليم الكوت كان ضربة قوية للشرف البريطاني(١).

وقد بقيت القوات التركية والإنجليزية بعد تسليم الكوت هادئة ولم تقم بفعاليات عسكرية مهمة حتى نهاية ١٩١٦، ويعود ذلك إلى إن كلا الفريقين كان منهوكاً نتيجة للخسائر الجسيمة والمصاعب الجمة التي صحبت العمليات الحربية السابقة، فالإنجليز لم يجدوا مبرراً للقيام بهجوم ضعيف لا تتطلبه ظروفهم الجديدة، كما ان الأتراك وإن أنجزوا هدفهم القريب بإحتلال الكوت، لم تكن قواتهم العاملة بالعراق كافية للقيام بهجوم. يضاف إلى ذلك ان الروس أصبحوا يهددون بغداد وقد يتطلب ذلك تحويل معظم او جميع قواتهم لهذا الغرض. وقد رأى البريطانيون إن انسحابهم إلى الجنوب يؤدي إلى تهديد القبائل العراقية لخطوط مواصلاتهم، كما يكون تأثيره سيئاً على الحالة العامة في إيران وافغانستان، يضاف إلى ذلك ان احتفاظ الإنجليز بمراكزهم على دجلة سيهدد مواصلات الأتراك إذا ما حاولوا الذهاب إلى الحي كما يسهل مهمة الروس المتقدمين نحو بغداد. وقد أبلغت الحكومة البريطانية ممثليها في العراق إن سياستها في الوقت الحاضر دفاعية وانها لا تعلق أهمية على استرداد الكوت أو إحتلال بغداد(٢).

ويقول موبرلي ان إحتلال الروس لراوندوز واقترابهم من خانقين جعل الأتراك يهتمون للأمر. وقد قيل إن أنور باشا جاء إلى بغداد في مايس ١٩١٦ وقرر انه لا ينوي ايقاف الروس حسب، بل سيحتل كرمانشاه كخطوة لتنفيذ خطة الألمان والترك الرامية لإثارة القلاقل في إيران وقد نصحه ضباط أتراك وألمان بعدم جدوى هذه الخطة وان

---

(١) **Ibid, 458.**

(٢) **Moberly, Op. cit, 3, p. 1.**

هجوماً كهذا سيبدد قوة الأتراك. وينهي موبرلي كلامه باعتقاده أن مجازفة الأتراك في إرسال قواتهم إلى إيران كانت من الاسباب المهمة لضياع بغداد من أيديهم[1].

ولا يهمنا هنا أن نبحث في تطور الحروب بين الأتراك وأعدائهم من الإنجليز والروس، بل ما يهمنا هو موقف العراقيين من هذه الحروب وفهم الاسباب التي دعتهم لاتخاذ موقف كهذا. يقول الجنرال فون كولتز (اما العرب فكانوا ينتظرون نتيجة المعركة لينظموا إلى الجانب الرابح ومع هذا يمكن القول انهم كانوا أكثر ميلاً للإنجليز منهم إلى الأتراك)[2]، ويظهر ان هذا الرأي بعيد عن التدقيق لان التقارير الإنجليزية تشير إلى أن العراقيين لزموا جانب الترك في أكثر الحالات التي كان الإنجليز فيها طرفاً في النزاع. ففي حصار الكوت يقول موبرلي (كان أهل الكوت على إتصال دائم بالعدو.... وبالرغم من أن الجنرال طاوزند أخذ منهم جماعة كرهائن فإنه كان يخشى من أن العدو قد يحثهم على الثورة في الليل. والواقع أن أهل الكوت قد سببوا لنا إزعاجاً لأنهم كانوا ينهبون ممتلكاتنا عند سنوح كل فرصة)[3]. وعندما حاول الإنجليز أن يزحفوا من الناصرية إلى الكوت عن طريق الغراف وقفت العشائر في وجههم واضطرتهم على التراجع. لما حاول الجنرال كورنج **Gorringe** في (٧) كانون الثاني ١٩١٦ أن يتقدم من الناصرية صدته العشائر واضطرته إلى التراجع بعد أن وصلت طلائع جيشه إلى السويج[4]. وبعد هذه الحادثة أخبر كورنج قائد القوات البريطانية في العراق بأن القبائل حول شطرة المنتفك تعارض أية حركة نحو الحي وأنه يقترح الإنسحاب من البطنجة ففوض بالإنسحاب. وفي طريقه إلى الناصرية هاجمته قوات كبيرة من العرب تقدر بـ (٥٠٠٠) مقاتل وكبدت قواته (٣٧٣) قتيلاً

(١) **Ibid, p. 14.**

(٢) **Ibid, p. 301.**

(٣) **Moberly, II, p. 210-11.**

(٤) يقصد المؤلف قرية سويج الدجة الواقعة بين الشطرة والناصرية.

وكانت إصابات العرب تقدر بـ (١٠٠٠) قتيل[١]. وكانت قوات العرب بقيادة عجمي السعدون تقاتل الإنجليز في المناطق المجاورة للناصرية[٢]. أما في منطقة العمارة وشيخ سعد كانت غارات العرب - على رواية موبرلي - مستمرة حول معسكرات الإنجليز، وفي الأماكن النائية في الليل كانوا ينهبون ويهاجمون القوات المنعزلة عندما تحين الفرصة، وكان الجيش يستعمل لواء الخيالة للحراسة، ورغم كل ذلك بقي غزوهم مستمراً وكلفوا الإنجليز مقداراً كبير من الإصابات كما سببوا لهم إزعاجاً غير متناه.

إن هذه الأمثلة وغيرها توضح أن ميل العراقيين إلى الترك كان واضحاً والسبب في ذلك هو قوة العاطفة الدينية لدى الجمهور العراقي لا سيما أن الزعامة السياسية كانت لرجال الدين في تلك الفترة من تاريخ العراق. وقد استأنف الإنجليزهجومهم على الأتراك في أوائل سنة ١٩١٧ وكان هدفهم في هذه المرة إحتلال بغداد وقد تمكنوا من إحتلالها في ١١ إذار ١٩١٧. وقد أورد موبرلي تفصيلات وافية ومتقنة عن الحركات العسكرية التي قام بها الجنرال مود عندما هجم على بغداد واحتلها[٣].

ويقول موبرلي أن الترك قد قرروا في ١١إذار ١٩١٧ الإنسحاب من بغداد، وليس فقط أن بغداد كانت تحت حكم الترك لقرون خلت، بل إن للترك ارتباطات دينية وتاريخية وعاطفية ببغداد، يضاف إلى ذلك إن فقدانها يجعل بقاء الأتراك في العراق من الأمور الصعبة[٤].

وكان لإحتلال بغداد أثر كبير في رجحان كفة الإنجليز في العراق، إذ لم يكن إحتلال بغداد قد جرد الأتراك من أحسن قاعدة يديرون منها حركاتهم في العراق حسب، بل إنه سهّل تقدم الروس من كرمانشاه وبذا زال خطر إحتلال إيران واحتمال تهديد الهند.

(١) **Ibid, 2, p. 296.**

(٢) **Ibid,p.301**

(٣) **Ibid, 215.**

(٤) **Ibid, 241-42.**

يضاف إلى ذلك أن شيوخ العرب في جنوب العراق الذين كانوا قبل ذلك مبتعدين عن الإنجليز ويعتدون على قواتهم تقاطروا بأعداد كبيرة ليقدموا ولاءهم للانجليز. وفضلاً عن ذلك فان إحتلال بغداد أثر في تهدئة الأحوال في جنوب إيران، وساعد على تقوية مركز أمير الافغان المحايد أمام دعاة الحرب من شعبه، كما أن المعارضين في الهند أصبحوا عالمين بان بريطانيا لا تزال قوية وستحتفظ بمركزها في الشرق(١).

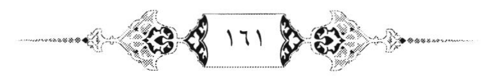
وبعد إحتلال بغداد استمر الإنجليز في إحتلال الأقسام الأُخرى من العراق، وكانوا عند إعلان الهدنة في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ على ابواب مدينة الموصل(٢) وكان الأتراك قد أخلَوا المدينة ولكنهم عادوا إليها بعد الهدنة. وفي ٣ تشرين الثاني دخل الإنجليزمدينة الموصل وأنزلوا العلم التركي وأُنذر قائدهم بالسفر حالاً. وتقدمت الجيوش الإنجليزية فاحتلت الموصل.

الإدارة البريطانية في عهد الإحتلال

كانت الإدارة عسكرية بالدرجة الأولى وقد طلبت الحكومة البريطانية من هذه الإدارة ألاّ تعير اهتماماً كبيراً للقضايا غير العسكرية، وقد جاء في التقرير الإداري لولاية بغداد الصادر في سنة ١٩١٧ ما يلي: ((أن المبدأ الذي تدار بموجبه ولاية بغداد حددته حكومة صاحب الجلالة في آب ١٩١٧: ان الإدارة المدنية يجب أن توضع تحت إشراف السلطات

(١) **Moberly, 3, 251.**

(٢) يذكر لونكريك على الص ٩٢ من كتابه السابق ان رسائل تبودلت بين الكولونيل ليجمن **Leachman** وعلي احسان قائد القوات التركية حول اخلاء الموصل، فادعى علي احسان ان الموصل ليست محاربة. وقد عقد مؤتمر في ٧ كانون الثاني ١٩١٨ بمدينة الموصل توصل فيه الفريقان إلى الإتفاق على اخلاء الموصل خلال عشرة أيام. وقد اورد الدكتور فاضل حسين تفصيلات وافية عن قضية الموصل في كتابه الموسوم بـ«مشكلة الموصل» المطبوع ببغداد، ١٩٥٥.



العسكرية.... ويكتفي في الوقت الحاضر بحد أدنى من الإجراءات الإدارية، ذلك الحد الذي يكفي لحفظ النظام ويقوم بما تتطلبه القوات العسكرية. اما تعديل القوانين وإدخال الاصلاحات فيجب ان يكتفي بأقل مقدار ممكن منه. ولا ترغب حكومة صاحب الجلالة ان تثار قضايا إدارية كبيرة او متناقضة حتى يبعد الخطر التركي))(١). وبعد ان تم إحتلال العراق على يد البريطانيين يقول لونكريك: ((ان الإدارة التركية قد اختفت، ونتج عن ذلك أن كثيراً من العراقيين السنة وجماعة من كبار الموظفين قد اختفوا معها، وقد حصل ركود في أوساط السياسة المحلية. وأعطيت للحاجات العسكرية أفضلية على كل شيء، ووضعت قيود على سفر المدنيين، ففي جنوب العراق منحت السلطات العليا للعسكريين وقد خصصت مصادر للثروة المحلية لاغراض الجيش واستخدام العمال العراقيون للقيام بالحاجات العسكرية بما في ذلك الجيش واستخدام العمال العراقيون الملاحة في دجلة وبناء السكك الحديد. وقد تولدت إلتزامات مدنية عن القيام بالحاجات العسكرية سالفة الذكر فحصلت آلاف الادعاءات حول ما ارتكب من مظالم. ورفع الناس، ومن صغارهم إلى كبارهم، شكاوى كثيرة))(٢).

أما الجنرال هالدن فيقول لقد تأثر الريفيون بالإدارة الصارمة التي كان خطوطها شبيهة بالإدارة البريطانية في الهند(٣)، وقد وصفت التقرير الإداري لولاية بغداد سنة ١٩١٧ هذه الإدارة بقوله: ((ان الضرورة الملحة لسد احتياج قواتنا إلى أبعد حد من المصادر المحلية، والضرورة اللازمة لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ الأوامر الصادرة من الوطن، تلك الأوامر الرامية لتوسيع رقعة إحتلالنا حتى تشمل ولاية بغداد بأجمعها، نقول ان هذه الضرورات تتطلب ايجاد إدارة أكثر تعقيداً من الإدارة الموجودة حالياً في ولاية البصرة. وقد اضطرتنا ظروف الحرب ان ننشأ منظمات تضطلع بامور إدارية

(١) Administration Report of the Baghdad Wilayat, 1917, p. 1.

(٢) Longrigg, Op. cit, p. 92.

(٣) Haldane, Op. cit, p. 24

تتطلبها حكومة كاملة النمو، أما الموظفون اللازمون لهذه الإدارة الموجودة فقد جهزوا أما من ضباط الجيش او من السكان المدنيين، وقد خدمنا الأخيرون بصورة عامة بنشاط ورغبة، وقليل منهم لم يحقق الثقة التي وضعناها فيهم. وتقسم الدوائر الحكومية بصورة تقريبية إلى مجموعتين:

١. الدوائر التي خلفتها الحكومة التركية وقد أعيد تاسيس هذه الدوائر تحت اشراف البريطانيين ومنها: أ - المالية؛ ب الاوقاف؛ ج - الكمرك؛ د - التربية

٢. الدوائر المدنية التي لم تكن موجودة في العهد التركي والتي هي ضرورية لكل دولة متمدنة من جهة، كما انها ضرورية لسد حاجات الجيش من جهة أُخرى. ومن أمثلتها الري، والزراعة (وكلاهما في ذلك الوقت يشتغلان تحت اشراف الجيش).

٣. الدوائر شبه المدنية **"Quasi-Civil Departments"** و لقد أسست هذه الدوائر لتقوم بسد حاجات الحرب المؤقتة، ومن هذه الحاجات مراقبة الاتجار مع العدو وتجهيز الحبوب لاغراض مدنية،. اما دوائر الحكومة المدنية الأُخرى فكانت تدار من قبل الجيش مؤقتاً، وكان الجيش مسيطراً عليها تماماً أثناء الحرب. ومن هذه الدوائر: المساحة، السكك الحديد، التلغراف، الاشغال وغير ذلك. ان فعاليات الدوائر الأخيرة لم تكن ذات مستوى مشابه لمستوى المجموعات السابقة، بل ان مستواها يفوق الأولى كثيراً لأنها تعمل لأغراض عسكرية[١].

وقد أورد التقرير السابق قائمة بالموظفين الذين استخدمتهم حكومة الإحتلال[٢] في تلك الفترة للعمل في ولاية بغداد. أما الوحدات الإدارية التي كانت في العراق أيام الإحتلال، فقد وردت أسماؤها في لونكريك[٣].

---

(١) **Administration Report of the Baghdad Wilayat, 1917, p. 1-2.**

(٢) يورد هذا التقرير (ص٢) عدد الضباط الذين خدموا في الإدارة المدنية أو كانت رواتبهم تدفع من قبل مالية الإدارة المدنية.

(٣) **Longrigg, Op. cit, p. 112.**



أما الأساليب الإدارية التي اتبعها الإنجليز في العراق فكانت مبينة، كما يقول الجنرال هالدن، ((على خبرتهم السابقة في الهند، وكانت هذه الأساليب قاسية لم يألفها الشعب ولم يكن مستعداً لقبولها بصورة كلية. وكان ضباط الإدارة الهندية مجرّبين وإن بعضهم كان ذا مقدرة فائقة وكان هؤلاء معتادين على إدارة مجتمع مستقرٍ لذا حاولوا تطبيق النظام على مجتمعهم الجديد. أما الضباط الذين سبق أن اشتغلوا بالإدارة في السوادن فقد كانت أساليبهم أكثر مرونة، اما ما تبقى من الضباط الذين استخدموا في الإدارة ولا يعرفون عن البلاد ولا عن سكانها شيئاً لذا استخدموا بوظيفة معاون حاكم سياسي، وقد عين بعضهم، أحياناً، بوظيفة حكام سياسيين(١).

ويورد لنا حاكم شعبة كركوك السياسي الماجور لونكريك(٢) وصفاً للحالة في العراق بعد إحتلال الإنجليز لبغداد جاء فيه: (كان إحتلال الإنجليز لبغداد بداية عصر جديد. وشهد العراق من جراء أوضاع الحرب، تغييرات قل أن شهد مثلها قطر آخر في العالم. فاستبدل العراق بأسياده الشرقيين المسلمين الذين حكموه أربعة قرون أسياداً مسيحيين غربيين، وقد طرأ على النواحي الإدارية تغيير أساسي تناول الروح والفعالية. وكان الفتح العسكري مصحوباً بتأثير حضاري قوي ناتج عن إتصال العراق بمدنية الغرب، وظهر هذا التأثير واضحاً في الحقول السياسية والإجتماعية والإقتصادية، وقد طرأ على هذا المجتمع الشرقي تغيير واضح أصبح معه مضطراً لمواجهة مشاكل عالمية جديدة خلقتها ظروف هذا المجتمع الجديدة وأصبح المجتمع العراقي في الوقت نفسه وجهاً لوجه مع الأوربيين، وأمكنه هذا الإتصال من الإطلاع على أحوال الشعوب الغربية وعلى مواطنهم، وكان الشعب العراقي وحكومته سابقاً يرزحان تحت حالة من التأخر والفاقة لا سبيل لنكرانها. ومن الجدير بالذكر ان التأثر بالوضع الجديد كان متفاوتاً، فالقبائل لم تتأثر بالأوضاع الجديدة إلا قليلاً، أما المجتمعات المدنية فقد ظهرت بوادر التقدم عليها

(١) Haldane, Op. vit, p. 21.

(٢) Reports of political officers of the Occupied Territories, 1917. P. 61.

بوضوح، فمن الناحية السياسية نجد أن حركة القومية العربية قد اشتد ساعدها وقد نظر إليها المتطرفون من معتنقيها نظرة جديدة.

وأخذت هذه الحركة تقوي صلاتها بالحركات القومية في سورية ومصر، وبالرغم من ذلك فإن هذه الحركة لم تحل دون بقاء جماعة كبيرة من العائلات السنية والبيروقراطية التركية مخلصة للمبادئ والمثل العثمانية، ولو تركنا القومية جانباً لرأينا أن هناك عناصر قوية في العراق تنظر بعداء لفكرة وجود حكومة، فالقبائل مثلاً لم تصدق إلا بعد لأي، فكرة إمكان قيام حكومة تتمكن من تهيئة ماء لري المزارع وتعمل على تأمين الأسواق وتسعى للحيلولة دون وقوع معارك دموية بينها وتسهر هذه الحكومة على مداواة مرضها. ويمكن القول - على العموم - إن الدولة يجب أن تكون مكروهة في نظر هذه القبائل وتبقى بعيدة عنها، وهي في نظرهم شبيهاً بما يطلقون عليه بعبع الأولاد **Bygbear**. أما الشيوخ فقد نظروا إلى هذه الدولة نظرتهم إلى عدوهم ورأو إن أي تقدم يحرزه هذا العدو يكون معناه إنقاصاً لقوتهم وتقليل لإمكانياتهم. ومن الجدير بالذكر إن هذا الشعور الذي وصفنا لا يقتصر على العرب من العراقيين بل تعداه للأكراد منهم، والأكراد وإن كانوا يكرهون الترك لا نظن أنهم يحبون باستبدالهم بالعرب إذ سبق أن نمت لهؤلاء ميول قومية. أما رجال الدين الشيعة في الفرات الأوسط فكانوا لا يميلون إلى الرضوخ لأي حكومة علمانية[1] **Secylar**.

ونختم هذه المقتبسات التي تمثل إلى حد كبير نظرة معظم المسؤولين الإنجليز إلى البلاد التي فتحوها حديثاً بحد السيف بآراء نائب الحاكم الملكي العام في العراق السير ارنولد ولسن، كما عرضها بصورة رسمية لوزارة الخاجية البريطانية، وهي كما سترى أكثر الآراء تطرفاً وأبعدها عن الواقع. كتب السير ولسن بوزارة الخارجية يقول: (إن التشابه بين العراق وبقية بلاد العرب - على الغالب - مفقودٌ تماماً من الناحية السياسية والجنسية

(١) **Longrigg, Op. Cit, p. 75-76.**

وغيرها من الروابط... والعربي الإعتيادي في العراق يرى - خلافاً لحفنة من سياسيي بغداد الهواة - إن تقدمه من الناحية الخلقية والمادية مضمون تحت رعاية بريطانية، وعليه يجب أن لا نعقد تشابهاً بين العراق وبقية الأقطار العربية الإسلامية من الناحية السياسية، كما يجب أن يبقى العراق منفصلاً عن هذه البلدان قدر الإمكان ولكنه يبقى خاضعاً لبريطانية....) ويقول أيضاً (ان من رأيي ان نضع العراق تحت الحماية البريطانية، وسيكون بإمكانه بمرور الزمان ان يتحول إلى دولة عربية نمنحها مركز دومنيون تحت التاج البريطاني)(١).

ويبتعد السير ولسن عن التدقيق التاريخي حين يقول: (ليس بوسع العراق أن يستغني عن الوصاية ومرد ذلك إلى فقدان الإداريين الأكفاء في هذه البلاد من جهة، وإلى أن أهالي العراق لا يتذوقون شعور المواطن من جهة أُخرى، يضاف إلى ذلك أن موارد البلاد الإقتصادية، بالمعنى العام غير كافية)(٢).

وسنضرب أمثلة في ما يأتي عن إجراءات حكومة الإحتلال الإدارية والمالية ليتسنى لنا تقدير أقوال المسؤولين الإنجليز ودعاياتهم في ما يتعلق بحسن إدارتهم للعراق في فتره الإحتلال من جهة، وتثير هذه الإجراءات في تهيأة الظروف التي حملت العراقيين الثورة عليهم في سنة ١٩٢٠ من جهة أُخرى.

أولاً- الإجراءات المالية - كانت حكومة الإحتلال مشغولة بالدرجة الأولى بجمع الضرائب، وقد كتب الجنرال هالدن يقول: (لقد كانت المسائل المالية تحتل الصدارة في نظرنا)(٣).

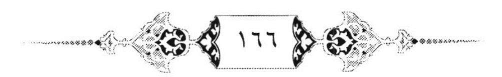
وقال حاكم الديوانية السياسي سنة ١٩١٨: إن جزءاً كبيراً من وقته يخصص للقضايا

---

(١) Kirk, Op. Cit, p. 138-139.

(٢) Wilson. Op. Cit, vol. 2. P. 11.

(٣) Op. Cit, p. 57.



المالية أو القضايا التي ترتبط بها بصورة غير مباشرة(١)، وكانت التبرعات الشبيهة بالإجبارية تجمع بأسماء مختلفة منها:

١. تبرعات للصليب الاحمر، وقد تألف لهذا الغرض مجلس من الرؤساء الروحانيين وأعيان البلدة وقرروا بذل المساعي التامة وتأليف اللجان من مختلف الطوائف لجمع الاعانات، ولم يكن ذلك مقتصراً على أبناء المدن، بل تعداه إلى رؤساء العشائر فوجهت لهم دعوة لهذا الغرض، وقيل في هذه الدعوة أن تبرعات رؤساء العشائر ستكون برهاناً ساطعاً على إخلاصهم للجيش البريطاني منقذ البلاد والعباد من أيدي الجور والظلم.

ومن الجدير بالذكر إن ما صرفه البريطانيون خلال إحتلالهم للعراق كان مخصصاً بالدرجة الأولى لراحة الجيش وتمكينه من القيام بمهمته. وقد اقتبس آيرلند فقرة من تقرير قدّمه السير جون هيويت إلى مجلس الحرب ١٩١٩ جاء فيها: (نحن نرى بالإجتماع وبكل تأكيد بأن فكرة صرف المخصصات التي كانت مخصصة للجيش كانت متأثرة بالرغبة في ترويج تقدم البلاد بعد الحرب لا أساس لها من الصحة، ونعتقد بأن الصرف جرى وهدفه تأمين كفاءة الجيش وراحته)(٢).

٢. تبرعات لجمعية بناء الملاجئ للجنود في بريطانيا.

٣. تبرعات لبناء الأثر الخالد للقائد مود(٣).

٤. استعمال وسائل مختلفة لجمع المال. ففي سنة ١٩١٨ أحالت السلطات البريطانية احتكار بيع الخمور المحلية (العراق) في مدينة البصرة على رجل يهودي بعشرين

---

(١) Reports, I, p. 201.

(٢) العراق، ص ١٠٤

(٣) جريدة العرب، العدد ١١٢، ١١ مايس، ١٩١٨، والعدد، ١١٣، ١٣ منه، ١١٤، ١٥ منه ١١٦، ١٦ منه. والأعداد ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٦٥، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٨٦، ٨٧ السنة ١٩١٨ بتواريخ مختلفة.

ألف روبية في الشهر (١٥ روبية لكل ليرة)، وفي بعض الحالات يظهر أن السلطات البريطانية مدفوعة برغبتها للحصول على المال بأية وسيلة، سمحت ببيع الترياق **Opiym** ومنحت بائعه في البصرة إجازة لبيعه. كما سمحت لحملات إجازات بيع الترياق بفتح ثلاث محلات في العشار لبيع هذه المادة للعمال الإيرانيين.

وفي تلك السنة كان المجاز لبيع الحشيش سجيناً لأنه يشتغل في التهريب، ولذا كانت الإجازة غير ممنوحة لمن تقدموا لطلبها[١]. ولا ندري إذا كانت القواعد الإنسانية العامة تبيح إجراءات كهذه.

ويظهر أن السلطات البريطانية في عهد الإحتلال لم تتردد في أخذ رسوم على جثث الموتى[٢] التي تدفن في مقابر النجف، وكانت هذه الضريبة تسمى ضريبة (الدفنية) وكانت تؤخذ على من تجاوز عمره الثلاث سنوات وجلب الدفن في وادي السلام (مقبرة النجف) او الحضرة (مرقد الامام علي عليه السلام). ويصف المستر ونيكت **Wingate** حاكم النجف هذه الضريبة بأنها مريحة وأن حصيلتها في سنة ١٩١٨ كانت (٤٨ر٠٠٠) روبية، ويتنبأ أن يكون دخلها في العام المقبل (١،٢٠٠،٠٠٠) روبية وذلك بعد أن ترفع القيود عن نقل الجنائز. وهناك ضريبة آخرى متممة للضريبة سالفة الذكر وتسمى ضريبة الحجر الصحي (الكرنتينة)، ويصفها ونيكت بأنها مربحة جداً وأن لها مبرراتها التامة. وكانت السلطات تأخذ (٤) روبيات عن كل جنازة تصل إلى النجف، وقد بلغت حصيلتها في سنة ١٩١٨ (٥٣،٠٠٠) روبية وتأمل السلطات المحلية أن تبلغ حصيلتها في السنة القادمة (١،٢٠٠،٠٠٠) روبية.

هذه أمثلة عن الرسوم والضرائب التي لا يسندها مبرر شرعي واضح، أما الضرائب

---

(١) **Reports, vol. I, p. 245.**

(٢) كان مقدار هذه الضريبة (٧٥٠) روبية على كل جنازة تدفن في الرواق و ٦٢،٥ روبية على التي تدفن في الطرمة و (٣١،٢٥) روبية عن التي في الحجرة، و (٢٥) روبية على التي تدفن في الصحن، (٦،٢٥) روبية على التي تدفن خارج المدينة.

الشرعية وكثرتها وطرق جبايتها فسنبحثها في فصل آخر من هذا الكتاب.

ثانياً- الإجراءات الإدارية: إن الحكومة المحتلة عاملت أبناء العشائر معاملة شعب غير متمدن فاعتمدت في حل مشاكلهم على التحكيم العشائري واكتفت بأخذ الدية (الفصل) من القاتل[١]. يضاف إلى ذلك إن حكومة الإحتلال بلورت العادات العشائرية في نظام أسمته (نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية)[٢]. ويرى الاستاذ ضياء شكارة أن حكومة الإحتلال سنت نظاماً خاصاً لإدارة المناطق العشائرية) قيل إنه مستمد من نظام الحكم الذي أنشأه وطبقه في بلوجستان السير روبرت ساندمان. ويقول أن الإدارة البريطانية العسكرية إتخذت خطة جديدة لتعزيز النظام القبلي وأعادت بناء المجتمعات العشائرية وخضعت العشائر للأنظمة البدوية بقوة القانون وذلك بالوسائل التالية:

أولاً - تعزيز نظام المشيخة.

ثانياً - إشراك شيوخ العشائر في الحكم.

ثالثاً - منح نظام خاص لحسم المنازعات المدنية والجزائية بين أفراد العشائر وفق العادات والتقاليد البدوية[٣].

ويظهر أن كثيراً من موظفي حكومة الإحتلال كانوا سيئي الإدارة، ولقد كان جهل اولئك الموظفين بنفسية العراقيين وإختلافهم العريض مع الهند في الشعور والإحساس والتقاليد السبب الأول في مضاعفة النقمة والإستياء... وأصبح سلوك السلطة الجديدة

(١) Political Officers Reports from Iraq, Aug. 1919. P. 1.

(٢) وقد أصدر هذا النظام في بغداد الـ ٢٧ من تموز، ١٩١٨ الميجر جنرال ايج. دي فانشو القائم بأعمال القائد العام للحملة العراقية. وهو مكون من (٦٢) مادة. وقد جرت عليه تعديلات عديدة، منها التعديل الذي ضمن بقانون سمي (قانون تعديل نظام دعوى العشائر المدنية لسنة ١٩٢٤). كما عدل مرة أُخرى بقانون سمي قانون ذيل النظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩١٨، رقم ٧٦ لسنة ١٩٣٣. وقد الغي هذا النظام بعد قيام ثورة ١٤ تموز الخالدة سنة ١٩٥٨.

(٣) الحياة الإجتماعية والإقتصادية (نسخة مطبوعة على الآلة الطابعة). ص ٨.

موضع ريبة الأوساط الوطنية، وعندما عينت حكومة الإحتلال الكابتن كرين هاوس **F.S. Greenhouse** حاكماً على النجف أساء السيرة حتى أنه إذا مر بشارع جعل أمامه من يستعمل السوط[١] ليفسح الطريق للحاكم المذكور. وجاء بعد هاوس الكابتن ونيكت الذي كانت شراسته مضرب المثل[٢]. ويقول العمري إن جيش الجواسيس كان منتشراً في المدن والقرى والعشائر، ولم يكن إذ ذاك أثر لحرية المطبوعات أو الإجتماع، يضاف إلى ذلك إن الحكام السياسيين قلّدوا أُناساً من العوام بعض المناصب الأمر الذي أزعج الأهلين[٣]. ويظهر ان سلطات الإحتلال كانت تلجأ إلى السخرة أحياناً لتهيئة ما تحتاجه من العمال وقد كتب حاكم الشنافية يقول: (لقد استخدم عدد من العرب في بناء سكة الحديد وكنا نلجأ إلى جمع العمال بالقوة في حالات كثيرة)[٤].

ويظهر أن سلطات الإحتلال لم تعط ناحية التربية والتعليم ما تستحقه من الإهتمام. وفي مرة تباحثت المس بيل **Gertrude BeII** مع أحد زملائها حول التربية والتعليم في العراق وما عملته الحكومة في هذا الحقل، فظهر لهما أن ما عمله الإنجليز في هذا الحقل لا يبعث على الإرتياح.

وتضيف بيل إلى ما سبق قولها (إن الناس في العراق ميالون إلى التعليم العالي وإن

---

(١) لقد أخبرني شاهد عيان أن الناس ضجوا من صاحب السوط فشكوا الأمر للشيخ عبد الكريم الجزائري، وصادف أن اجتمع الشيخ والحاكم في أحد البيوت وقبل دخول الحاكم شهد الشيخ فعلة صاحب السوط مع الناس فما لبث الشيخ أن صفعه ولم يقل الحاكم شيئاً احتراماً للشيخ.

(٢) علي، عباس، ن. م، ص ٣٩.

(٣) مقدرات العراق السياسية، ج٣، ص ٤.

(٤) **Reports, I, 58.**

(٤) يقول حاكم الشنافية إن الشيوخ قد اظهروا تذمرهم من جمع العشائر للعمل، وأن ما يكسبه هؤلاء يساوي آنات يومياً ولذا كان الشيوخ مضطرين لأن يدفعوا لهؤلاء من جيوبهم. ومما قاله الشيوخ أن هؤلاء الناس كانوا يتركون حقولهم ليقوموا بالعمل الأمر الذي أدى إلى تأخر الزراعة، وأخيراً يبين إن إدارة السكك لم تعمل محلات لإيواء هؤلاء العمال.

تقاعسنا عن ذلك يجعلهم يعتقدون أننا نريد أن نبقيهم متأخرين عن قصد)[١].

إن الأمثلة التي أوردناها تشير إلى بعض مساوىء دور الإحتلال البريطاني للعراق، مع هذا فلا يخلو هذا الدور من محاسن، ومن أهم هذه المحاسن إن الإحتلال الإنجليزي هيأ لبعض العراقيين فرصة مواتية للإتصال بالمدنية الغربية إتصالاً مباشراً، والتأثر بهذه المدنية بقدر ما كانت الأحوال الإجتماعية والفكرية لهؤلاء الأفراد تسمح بذلك.

يضاف إلى ذلك إن حكومة الإحتلال بأنظمتها الجديدة وأساليبها الإدارية المتقنة واستعمالها الطرق العلمية لمعالجة مشاكل البلاد، قدمت نموذجاً حياً لحكومة حديثة تفوق كثيراً حكومة العثمانيين المنقرضة، وكان للجهود التي بذلتها حكومة الإحتلال في سبيل نشر النظام وإطاعة القانون أثر كبير في توضيح فكرة الحكومة الحديثة خاصة لأفراد القبائل الذين لم يسبق لهم أن شعروا بوجود الحكومة إلا قليلاً. ولهذا ساعدت فترة الإحتلال الإنجليزي للعراق على تهيئة الظروف الملائمة لقيام الدولة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١.

حالة العراق الإقتصادية في عهد الإحتلال

كان التأثير الاقتصادي للإحتلال الإنجليزي يختلف في جنوب العراق عنه في وسطه وشماله، ويعود ذلك إلى طول المدة التي قضاها الإنجليز في الجنوب من جهة، وإلى قوة نفوذهم هناك وما يتبع ذلك من إستقرار من جهة أُخرى. ويقول لونكريك (إن الضباط السياسيين استطاعوا نتيجة للإستقرار في جنوب العراق وبُعد هذه المنطقة عن خط النار أن يوسعوا إتصالاتهم ويجبو الضرائب ويستخدموا الشبان ويقاوموا الجرائم بغيرة ودقة ناتجة عن خبرة شخصية... وقد استطاعوا تأمين الطرق ومنعوا المنازعات القبلية،

---

(١) The Letters of Gertrude Bell. Vol. 2. London 1947, p. 396.



وكانت الاماكن البعيدة فقط من ديار المنتفك وبني حجيم لم تستقر استقراراً تاماً. أما أهل البصرة فقد ظهرت عليهم إمارات الثراء، ولما كان قادتهم أُناساً ثاقبي الرأي، نرى السكان يظهرون اهتمامهم في مستقبل مدينتهم التجاري أكثر من إهتمامهم في الحركة القومية[١] التي كانت منتشرة بين ظهرانيهم في فترة ما قبل الحرب...))[٢].

ويوضح لنا الاستاذ سليمان فيضي التغييرات التي طرأت على حالة أهل البصرة بعد الإحتلال حين يقول: ((أدى انتقال الحكم من أيدي العثمانيين إلى الإنجليز، إلى حدوث تبدلات جوهرية في حياة الناس، وفي القيم الإجتماعية والسياسية للأفراد، أو بالأحرى ان إحتلال الإنجليز للبصرة كان بمثابة إنقلاب حاسم في مختلف النواحي الحياة فيها. فحين عدت إلى المدينة كان الكثير من أوصافها قد تغير، فبرزت إلى الميدان طبقة جديدة من التجار والمتعهدين والوجهاء، بالغت في الترحيب بالمحتلين الجدد وربطت مصالحها بمصالحهم، بينما ناوأ المستعمر أولئك الذين أعرضوا عن التمرغ على أعتابه، وربأوا بأنفسهم من التهالك على نيل مرضاته))[٣]. وقد أثرت الحرب في الحياة المعاشية بالبصرة فارتفعت إيجارات البيوت فيها إلى أربعة أو خمسة أضعاف ما كانت عليه سابقاً، وإن القصابين والخبازين رفعوا أثمان حاجياتهم وسببوا مشاكل للمستهلك، وكانت مشكلة التمور وأثمانها أهم المشكلات التي نالت اهتمام الأهلين. وقد أظهر المزارعون تذمرهم من سلوك كابسي التمور وشركات النقل، وكان كابسو التمور يدفعون (٢٠٥) روبية للكارة الواحدة بينما يريد المزارعون (٥٠٠) روبية لكل كارة، وحجة الأولين أن هيئة السيطرة على الأغذية في الأسواق الاوربية لا تقدم أكثر من هذا الثمن، أما تجار

(١) لقد أشرنا سابقاً إلى أن تغيير الاتجاه السياسي للسيد طالب النقيب زعيم الحركة القومية في البصرة وميله للتعاون مع الإنجليز بعد إحتلالهم للعراق كان من الاسباب الرئيسة لضعف الحركة القومية في البصرة. اما تفضيل البصريين لمصالحهم التجارية على مصلحتهم القومية كما يعتقد لونكريك، فهو أمر فيه نظر.

(٢) **Op. cit, p. 93.**

(٣) في غمرة النضال، ص ٢٠٢،

النجف فكانوا - كما يقول ونيكت - في سنة ١٩١٨ يعيشون بعقلية العصور الماضية، تلك العصور التي كانت فيها البضائع التجارية تنتقل بطرق القوافل، ولذا فهي محفوفة بالمخاطر. وكان التجار يأملون من صفقاتهم التجارية ربحاً يساوي ١٠٠٪ من ثمنها. وكان الزائر الإيراني الذي أمَّ النجف بدافع التقوى والبدوي المتوحش الذي بهرته مظاهر المدنية، تحت رحمة هؤلاء التجار. فلا استتباب الأمن الذي كان مفقوداً في العهد التركي، ولا تدفق البضائع إلى النجف بعد معركة الشعيبة التي أصبحت بعدها النجف سوق العراق التجاري (**Eporium**) استطاعا أن يغيرا عقلية التاجر النجفي، فهو يحفظ صحيفة النفط، مثلا، في سردابه لمدة طويلة على أمل أن يزيد سعرها آنه. ويعتقد ونيكت إن علاجهم الوحيد هو أن تجعل إليهود يقطنون بينهم أو تسهل هجرة الهنود إلى بلدتهم(١).

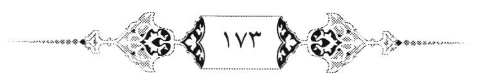
أما الحالة في بغداد فيقول التقرير الرسمي عنها: ((إن الصعوبات التي يتعرض لها جميع التجار في كل أنحاء العالم أثناء الحرب قد فعلت مفعولها في العراق وتعرض التصدير - مثلاً - لصعوبات ناشئة عن قلة وسائل النقل، ولم تتوفر وسائل النقل لتصدير الجلود والصوف والمواد الخام الأُخرى التي تجمعت في بغداد قبل إحتلالنا والتي نحن في حاجة ماسة لها في الوطن، ويقصد ذلك على التمور أيضاً... وعلى هذا فقد تأثر الوضع المالي في ولاية بغداد بصورة عكسية، ولكنه ما لبث أن تحسن. وبالرغم من ذلك فإن عملتنا قد تكدست في الأسواق، وحصل لها كساد كبير نظراً لقلة البضائع المستوردة))(٢).

ويشير الاستاذ علي البازركان إلى أن أزمة اقتصادية قد اجتاحت بغداد بعد دخول جيش الإحتلال فيها، واختفت من الأسواق جميع المواد الغذائية وارتفعت أسعارها إرتفاعاً فاحشاً ووزع الطحين والشعير بالبطاقات إلى الأهلين بكميات قليلة جداً(٣). ويشير الجنرال هالدن إلى أن حالات كثيرة حصلت أثناء الحرب استخدمت فيها دور

(١) **Reports, I, p. 68.**

(٢) **Reports of the Baghdad Wilayat, 1917. P, 3.**

(٣) البازركان، ن. م، ص ١٥.



الملاكين لإيواء الجند، وقد اعتبر الملاكون هذا الإجراء في أول الأمر قضية لا مناص منها، ولكن بعد أن مضى وقت طويل على عقد الهدنة بدأ شعور عدم الرضا ينتشر بين أصحاب هذه الدور لا سيما وان دورهم لا تزال مشغولة (١٩٢٠) بالجند وبأجرة تقل عن الاجور السائدة حينذاك في السوق(١).

أما تأثير الإحتلال بالنسبة لطبقة خاصة من السكان يطلق عليها هالدن طبقة (الأفندية)، فكان سيئاً (إذ بقي المئات من هؤلاء بدون عمل فلجأوا لبيع ممتلكاتهم أو رهن دورهم ولم نعرهم إهتماماً كبيراً بعد الهدنة. وتقاس أهمية هؤلاء بما يستطيعون إثارته من إضطرابات) (٢). ولم يعط هؤلاء الأفندية الذين كانوا موظفين عند الحكومة العثمانية رواتب تقاعدية كافية، أما الراتب الزهيد الذي كان مخصصاً لهم فكان يسلم إليهم مصحوباً بالتحقير والإهانة الأمر الذي اضطر بعضهم إلى تركه. وقد ساء وضع هؤلاء فاضطروا إلى رهن وبيع ممتلكاتهم(٣).

ولم يسلم سكان المدن الاعتياديون - التجار وأصحاب الحوانيت والفنانون وأمثالهم من التأثر بالأوضاع الجديدة، فوضعت اليد على بيوت معظمهم لغرض إيواء الجند، كما تأثروا بارتفاع أسعار المواد الضرورية وغيرها. يضاف إلى ذلك إن ضريبة الأملاك وقدرها ١٠٪ من مبلغ الإيجار السنوي للدار أثرت في حياتهم الإقتصادية(٤).

وكتبت المس بيل في ٣١ كانون الثاني ١٩١٨ إلى أبيها قائلة: (إن تكاليف الحياة هنا عالية وبالرغم من إنني استلم جراية **Ration** ولكنني مضطرة أن أشتري الصابون والسكر والبيض بأثمان عالية...)(٥).

(١) **Op. cit, p. 23.**

(٢) **Ibid, p. 24.**

(٣) العمري، طاهر، ن. م، ج ٣، ص ٣٠٦.

(٤) **Haldane. Op. cit, p. 24.**

(٥) **The Letters, II, p. 36.**

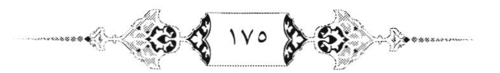
ولم تكن المشكلات المالية التي جابهت حكومة الإحتلال مقتصرة على المجتمعات المدنية، بل ظهرت مثل هذه المشكلات في الريف أيضاً. ومن أهم هذه المشكلات مشكلة الملاكين الغائبين **The Abseentee LandIords** وعندما يتحدث حاكم الحلة السياسي في سنة ١٩١٨ عن هذه المشكلة يقول: ((تتطلب مشكلة الملاك المتغيب حلاً سريعاً، وغالباً ما يكون هؤلاء الملاكون من البغداديين الذين اتبعوا أساليب، ٥٠٪ منها على الأقل، كانت ملتوية **Shady** للحصول على سند طابو لأرض واسعة وخصبة. ولم يكن هذا الملاك في حالات كثيرة قد رأى الأرض التي يمتلكها. وفي تسع وتسعين حالة من مجموع مائة حالة، لم يستلم الملاك حصته من الناتج بصورة كاملة. واغتنم أفراد القبائل في بعض الحالات ضعف الحكومة التركية خلال الحرب فأدّعوا ملكية الأرض التي كانت تسكنها قبيلتهم منذ عهد قديم.

فنحن الآن أمام صنفين من الإدعاءات المتناقضة يمثل أحدها الملاّك الذي يحتفظ بمستنداته الرسمية كاملة والذي يدعي أن القبائل المتوحشة التي لا تتورع عن سلب الحقوق قد سلبته حقه، اما الصنف الثاني فيمثله أفراد القبائل، وهؤلاء لا يقل إصرارهم حول مشروعية حقهم عن إصرار الملاك، ويدّعي هؤلاء إن المستند الذي يثبت أحقيته بأرضه التي انحدرت إليه من أسلافه أتلفه موظفون فاسدون لحكومة فاسدة. وفي الوقت الذي يعترف فية القبلي بوجود مستندات لدى الملاك، لكنه لا يعترف بمشروعيتها، ويقول أنه لم يدفع إيجار الأرض إلا في الحالات التي يجبر فيها على ذلك))[١].

ومن أشهر الأمثلة على هذا النوع من المشكلات هي قضية الأرض بلواء الناصرية[٢] (المنتفك سابقاً) ويقول حاكم المنتفك السياسي: (لقد راجعني عدد من الملاّكين معظمهم

(١) **Reports, I, p. 121.**

(٢) أوردت في كتابي الموسوم بـ(مشكلة الأراضي في لواء المنتفك) المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٦، تفصيلات وافية حول هذا الموضوع.



من آل سعدون، وادّعوا أنهم لم يستلموا إيجار أرضهم لعشر سنوات خلت منذ إحتلالنا لمدينة الشطرة، وبعد أن دققت الموضوع وجدت أن الأرض في جميع لواء المنتفك لم تكن مثبتة الحدود بصورة مضبوطة فبعض الأراضي تكون مساحتها الفعلية آلاف الأفدنة بينما المساحة المسجلة بورقة الطابو لا تتعدى خمسين مشارة[١] أو أكثر ومن الصعوبة بمكان انه لا توجد عقود في سوق حديثة بين الملاكين والزراع في الوقت الذي نجد مثل هذه العقود في سوق الشيوخ. ويدّعي المزارعون أن معظم الأراضي التي يطالب بها آل سعدون هي أميرية.

وقررت (الحاكم) أنه في حالة عدم مطابقة المساحة المذكورة في سند الطابو لمساحة الأرض التي تعينها الحدود، تدفع الملاكية للملاك على أساس الدونمات المثبتة في السند. فمثلاً، لو أن شخصاً يدّعي ملكية أرض مساحتها (٢٠٠٠) دونم، وأن ما هو مثبت في سند الطابو يساوي (٢٠٠) دونم فقد يدفع له عشر ملاكية المقاطعة المذكورة)[٢]. إن هذا الإجراء الذي اتخذه حاكم الناصرية ينطبق وسياسة حكومة الإحتلال الرامية لتأييد شيخ القبيلة والزراع ضد الملاكين. ويؤيد ذلك ما رواه العمري من أن الحكام البريطانيين كانوا (يسمعون شكوى الفلاحين من دون أن يلتفتوا إلى براهين الملاكين، فأصبحت طبقة الملاكين في مقدمة المستائين)[٣]. ويقول الجنرال هالدن إن سياسة الحكومة البريطانية الرامية إلى تأييد أفراد القبائل دون الملاكين أدت إلى أن أفراد القبائل بالغوا في تقدير أهميتهم بما في ذلك تذمرهم من إجراءات البريطانيين الإدارية، بينما الملاكون لم يرتاحوا إلى هذه الحالة[٤].

---

(١) المشارة او الدونم وحدة للمساحة وتساوي (٢٥٠٠)م٢.

(٢) **Political officers Reports, Aug. 1919, p. 90.**

(٣) مقدرات العراق السياسية، ج٣، ص ٧.

(٤) Op. cit، p. ٢٣.

عهود الحلفاء ووعودهم

ونذكر هنا نص الوعود الرسمية التي قطعها الإنجليز وحلفاؤهم للعراقيين في أثناء الحرب العظمى وفي زمن الهدنة مبتدئين بمنشور الجنرال مود وهو أولها، فقد صدر يوم ١٩ آذار سنة ١٩١٧ وهذا نصه: يا أهالي ولاية بغداد:

أنني بإسم مليكي المعظم وإسم شعوبه التي يحكم عليها أوجه إليكم الخطاب الآتي: إن الغرض من معاركنا الحربية هو دحر العدو وإخراجه من هذه الأصقاع فإتماماً لهذه المهمة وجهت إليَّ السلطة المطلقة على جميع الأطراف التي تقاتل فيها جنودنا.

إن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بصفتهم قاهرين أو أعداء، بل بصفتهم محررين فقد أخضع مواطنوكم منذ أيام هلاكو لمظالم الغرباء فخربت قصوركم وذوت حدائقكم وأَنَّت اشخاصكم وأسلافكم من جور الإسترقاق. لقد سيق أبناؤكم إلى حروب لم ينشدوها وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في أصقاع شاسعة. تكلم الترك من أيام مدحت باشا عن الاصلاح، أفليس دثور العراق وافقاره برهاناً على بطلان هذه المواعيد؟

انها ليست أمنية جلالة مليكي المعظم وأمنية شعوبه فقط، بل هي أيضاً أُمنية الأُمم العظمى المتحالفة معها حكومة جلالته أن تعودوا كما في السابق وقد كانت أراضيكم مخصبة وكان العالم يتغذى بألبان آداب أجدادكم وعلومهم وصناعاتهم وقت كانت بغداد إحدى غرائب الدنيا.

(لقد ارتبط قومكم بممتلكات جلالة مليكي المعظم بعروة المصالح الوثقى فقد تبادل تجار بغداد وتجار بريطانية من مدة مائة سنة المنفعة والصداقة، أما الألمان والأتراك الذين

نهبوكم أنتم وذويكم فقد اتخذوا بغداد مدة عشرين سنة مركزاً يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم في إيران والبلاد العربية ولذلك لم تستطع الحكومة البريطانية السكوت عما يحدث في وطنكم حاضراً أو مستقبلاً، ولا نتسامح قياماً بواجب مصلحة الشعوب البريطانية ومصلحة حلفائها في أن يرتكب الترك والألمان ما ارتكبوه مرة ثانية في بغداد.

ويجب عليكم يا أهل بغداد، يا من جئنا نحميكم من الظلم والغزو ونضمن حرية تجارتكم ويا من ستنالون ما يستوجب أدق اهتمام الحكومة البريطانية أن تعلموا أن هذه الحكومة لن تفرض عليكم أنظمة أجنبية عنكم فأمنيتها الوحيدة أن تحقق ما تطمح إليه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة أُخرى ولسوف يسعد أهالي بغداد ويتمتعون بالغنى المادي والأدبي بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة ومطامحهم القومية.

لقد طرد العرب في الحجاز الترك والألمان الذين بغوا عليهم ونادوا بعظمة الشريف حسين ملكاً عليهم وعظمته يحكم مستقلاً حراً وهو متحالف مع الامم التي تحارب دولتي تركية والمانيا، وهذا شأن أشراف العرب وأمراء نجد والكويت وعسير.

لقد ذهب كثيرون من أشراف العرب ضحية في سبيل الحرية على أيدي أولئك الحكام الغرباء الذين ظلموهم، وإنجلترا وحلفاؤها مصممون على أن لا تذهب دماء هؤلاء الأبطال هدراً، وأمنية إنجلترا وحلفائها أن تسمو الامة العربية مرة أُخرى وتستعيد عظمتها ومجدها وأن تعمل لإدراك هذه الأُمنية متحدة مثقفة.

يا أهل بغداد تذكروا إنكم تألمتم ٢٦ جيلاً آذاكم الظلمة والغرباء الذين سعوا دائماً إلى الايقاع بين البيت ورب البيت كي يستفيدوا من شقاقكم، فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا وحلفائها لأنها إغراء بالعداوة ولا يستقيم معها حال ولا يستقر معها سلام، وانا مأمور بأن ادعوكم بواسطة أشرافكم وشيوخكم الطاعنين في السن وممثليكم إلى

الاشتراك في إدارة مصالحكم الملكية لمعاضدة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش كي تنظموا إلى ذوي رحمكم شمالاً وشرقاً وجنوباً وغرباً في تحقيق مطامحكم القومية. صدر من مركز رئاسة الجيش البريطاني ببغداد في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ الموافق ١٩ مارس سنة١٩١٧ (١).

وقد أكد الفريق الأول السير وليم مارشال قائد جيش الإحتلال في العراق بيان سلفه الجنرال مود ببيان جديد قال فيه أن (الجنرال مود... لم يجد سعة في عمره لإنجاز هذا الوعد فقد وضع الأساس وبقي عليّ إتمام البناء). ويستمر مارشال ببيانه فيقول: (ويمكننا اليوم أن نبين أن الوعود التي اعطيت مراراً يجب أن تنجز في أول فرصة ممكنة وبمثابة عربون في الوقت الحاضر يدل على نياتنا الحسنة أبلغكم ما يأتي:

١. يسمح لأسرى الحرب المعتقلين في الهند بالرجوع إلى اوطانهم ما عدا الذين من الجيش التركي.
٢. - تطلق الحرية التامة للتجارة وتخفف تضييقات الحصار في داخل الأراضي المحتلة.
٣. يخفف التضييق أيضاً على العمل الشخصي
٤. يسمح بنقل الجثث التي تدفن في كربلاء والنجف بشروط مناسبة.
٥. تفتح الطريق من جديد للزيارات المنظمة للاماكن المقدسة.
٦. يعطى راتب شهر مكافأة للموظفين الدائمين من الأهالي في دوائر الحكومة الملكية من الذين لا يخدمون فعلاً في صفوف الجيش وقد قاموا بوظيفتهم حق القيام.
٧. يختار بعض المسجونين في السجون الملكية ويطلق سراحهم.
٨. يوزع طعام وألبسة على فقراء بغداد والمدن الأخرى وتخفف القوانين الحالية بعض التخفيف.

(١) سعيد، أمين، ن. م، ج٢، ص ١٠ - ١٢.

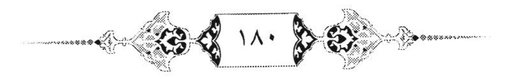


وزار وفد من علماء النجف الحاكم السياسي، يوم ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وكلّفوه أن يبلغ القائد العام للجيش البريطاني في العراق تهانيهم بما ناله الحلفاء من نصر في ميدان سورية وفي البلقان وذكّروه بما للعرب من حقوق فأرسل إليهم رداً بإسم القائد العام هذا نصه:

(يود القائد العام منكم أن تذكروا علماء النجف وأعيانها وتجارها بما هو معروف عند كل أحد وهو أن بريطانية العظمى تحارب ألمانيا لأجل صيانة العهود التي لا يحل نقضها وتأمين حرية الشعوب الصغيرة التي تتوقف سعادتها على رعاية العهود، والنتيجة الحاضرة للفوز الذي أحرزته جنود الحلفاء في الشرق الأدنى هي تحرير الشعوب التي قاست العذاب من جور الدول الوسطى وحلفائها. وقد اذعنت بلغاريا للصلح بعدما هزمت فأجليت جنودها عن ألبانيا وصربيا والجبل الاسود وعلى حسب ماتقتضيه حقوق الشعوب فالمناطق التي يسكنها اليونانيون تعطي لليونان والتي يسكنها الصربيون تعطى لصربيا ويتخذ الحلفاء هذا المنهج الذي يسيرون عليه في معاملة الشعوب الاخرى قاعدة لهم في سياستهم نحو العرب وكما أن الصربيين اشتركوا في استرداد بلادهم فالعرب أيضاً حاربوا جنباً إلى جنب مع الحلفاء لتحرير قطر عربي[١].

وفي يوم ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ نشرت السلطة البريطانية المحتلة في العراق نص المنشور الذي اذاعته الحكومتان الإنجليزية والفرنسية عن الغاية من مواصلتهما الحرب في الشرق الأدنى وهذا نصه: (إن الغاية التي ترمي إليها بريطانية العظمى وفرنسة من مواصلتهما في الشرق تلك الحروب التي أثارت مطامع الألمان، هي تحرير الشعوب الرازحة منذ زمن تحت نير الاستبداد التركي تحريراً تاماً وتشييد حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من رغائب الأهالي الوطنيين الصادرة عن رضاهم وحسن اختيارهم. وتوصلاً لهذه الغاية فقد اتفقت بريطانية العظمى وفرنسة على تشجيع

(١) سعيد، امين، ن. م، ج ٣، ص ١٥.



ومساعدة تنظيم حكومات وطنية في سورية والعراق التي قد تم تحريرهما... والاعتراف بهذه الحكومات عندما يتم تنظيمها فعلاً، وإن بريطانية وفرنسة لا يخطر في خلديهما قط إرغام هذه البلدان على قبول نظامات معينة من اي نوع)[١].

واخيراً تقول المس بيل: (إن النقد الذي يوجه إلينا هو أننا وعدنا بحكم ذاتي، ولكن ليس أننا لم نخط خطوة نحو هذه الغاية حسب، بل أننا اقمنا نظاماً يختلف تماماً عن الحكم الذاتي. وقد قالت جريدة عربية بحق أننا وعدنا بقيام حكومة عربية يساعدها مستشارون بريطانيون ولكننا في الواقع أقمنا حكومة بريطانية يساعدها مستشارون عرب)[٢].

كانت البيانات والتصريحات السابقة أهم ما صدر عن المسؤولين الإنجليز، ويظهر أن بعض هذه التصريحات وإن نسبت للعسكريين، فأنها كانت من صنع الساسة وصادرة عن عملهم. فالدوائر السياسية في لندن والهند هي التي أعدت منشور الجنرال مود - مثلاً - قبل أن يطلع الجنرال المذكور عليه أو يؤخذ رأيه فيه.

والدليل على ذلك أن مود أذاع المنشور المنسوب إليه مع أنه لا يؤيد جميع محتوياته، إذ كان الجنرال مود (يعد تشجيع الحركة العربية في بلاد ما بين النهرين شيئاً غير مرغوب فيه كما تقرره وزارة الخارجية)[٣]، وكان الجنرال مود بالإضافة إلى ذلك يعتقد أن تطبيق مقترحات حكومة صاحب الجلالة بشأن العرب لن يعود على بريطانية بمنافع عسكرية[٤]، وقد كثرت تعليقات الكتّاب على العهود التي قطعها الإنجليز للعراقيين، بما فيها منشور الجنرال مود. فالحسني يقول: (أن الإنجليز أسرفوا في قطع العهود الطيبة للعراقيين، إسرافهم في العبث بهذه العهود وفي الإساءة إلى هذا الشعب الوديع. وإذا كان

---

(١) الحسني، العراق، في دوري الإحتلال والإنتداب ج ٢، ص ٦١.

(٢) **The Letters, Vol II. P. 407.**

(٣) ايرلند، العراق، ص ٦٥.

(٤) ايرلند، ن. م، ص ٦٥ - ٦٦.



الأتراك قد سعوا إلى الإيقاع بين البيت والبيت لكي يستفيدوا من الإنشقاق - على حد تعبير الجنرال مود - فإن الإنجليز سعوا إلى الإيقاع بين الأخ وأخيه والوالد وولده... فأوجدوا الفوضى في أخلاق الشعب وعودوه على امتهان الكرامات، وأمعن حكامهم في سلب حرية الأفراد والجماعات)[١].

اما ولسن **Wilson**، فيقول عن الفقرة الأخيرة من بيان مود: إذا كانت هذه الفقرة تعني شيئاً فأن الحلفاء نظروا بعطف إلى فكرة إتحاد فدرالي لبلاد العرب، وهذه الفكرة تناقض تماماً منطوق اتفاقية سايكس - بيكو **(Sykes - Picot)**[٢].

وعندما يعلق الحسني على بيان الفريق مارشال يقول: إن هذا الوعد من السر وليم مارشال وإن جاء مؤيداً للوعود التي قطعها الجنرال مود بُعيد فتحه لبغداد، فقد قوبل بسرور غير منكور ولا سيما وعده باتخاذ التدابير الممكنة لإزالة الشكوى من تصرفات الجند المحتل وعبثه بمقدرات البلاد واعراض الناس. ويقول الحسني: (والمتأمل في هذا الخطاب السخيف يرى أن حكومة الإحتلال البريطانية ترى في تسريح أسرى الحرب، والسماح بنقل الجنائز، وتخفيف المراقبة على الأسفار، وإعانة بعض الفقراء، نوعاً من الحكم الذاتي فهل رأيت أسخف من هذا؟[٣].

وقالت المس بيل: (كان نشر التصريح الإنجليزي - الافرنسي في العراق ضرورة يؤسف لها، مما كانت اهميته السياسية في الجهات الاخرى من العالم. فمع ان هذا التصريح جاء مكرراً للنوايا التي كانت قد اذيعت على العراقيين عند إحتلال بغداد قد صدر في وقت كانت فيه مصائر الحرب محفوفة بالشك والريبة وبذا كان يعتبر ضرورة عسكرية بينما نشر التصريح الإنجليزي الافرنسي بعد انتصار الحلفاء فقوبل والحالة هذه

---

(١) الحسني، العراق في دوري الإحتلال، ج ١، ص ٦٢.

(٢) **Op. cIt, I, 237-9.**

(٣) الثورة الكبرى، صيدا، ١٩٥٢، ص ٢٢.

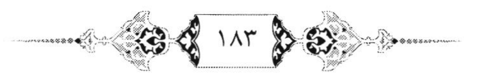
بالتصديق)[١].

وبالرغم من صراحة بعض العهود التي منحها الإنجليز للعراقيين وبالرغم من أن بعضها صدر في أيام السلم أي بعد الهدنة كما هي الحال في التصريح الإنجليزي - الفرنسي، فإن الإنجليز كما يظهر لم يكونوا جادين في منح العراق الإستقلال. وهناك أدلة تاريخية تؤيد ذلك، منها البرقية التي أرسلها وزير الهند في لندن إلى سكرتير الشؤون الخارجية في (سملا) مقر نائب الملك في الهند وإلى الدوائر العسكرية والملكية البريطانية في العراق، والمؤرخة في ٢٩ إذار ١٩١٧. ومن الجدير بالذكر أن هذه البرقية صدرت بعد اعلان منشور مود سالف الذكر، والذي أشارت فيه السلطات البريطانية إلى منح هذه البلاد إستقلالها. وإليك بعض محتويات هذه البرقية:

١. تبقى البصرة والناصرية وشط الحي وبدرة بحدودها الغربية والشمالية تحت الإدارة البريطانية بصورة دائمة.
٢. تكون بغداد مملكة عربية يديرها حاكم أو حكومة من أهلها تحت حماية بريطانية في كل شيء إلا الإسم (فيه يبقى عربياً) وبطبيعة الحال لن تكون لها علاقة مع الدول الأجنبية التي يجب على قناصلها أن يقدموا براءتهم إلى الحكومة البريطاينة.
٣. تدار بغداد (خلف ستار عربي بقدر المستطاع) بواسطة وكالة وطنية وفقاً للقوانين والشرائع الموجودة.
٤. في حالة ما إذا كانت البصرة لم تلحق ببغداد فإن رئيس الإدارة العراقية العام يكون المندوب السامي المقيم في بغداد، وتكون البصرة تحت إدارة حاكم يرتبط به، أما إذا أُلحقت بها فإن رئيس الإدارة العراقية يسمى آنئذ حاكم البصرة ومندوب العراق السامي. وتتكون هذه البرقية من (١٢) مادة تتعلق بعضها بأمور تفصيلية[٢].

(١) فصول من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط)، بيروت ١٩٤٩، ص ١٦٦.

(٢) آيرلند، العراق، ص ٦٣.



ويظهر أن الإنجليز كانوا يعلقون أهمية كثيرة على بقائهم في العراق فكتبت المس بيل في ١٠ نيسان ١٩٢٠ تقول: ((نحن الآن على وشك قيام تظاهرة عربية وطنية، تلك التظاهرة التي أعطف عليها شخصياً. وإني على يقين أننا إن تركنا هذه البلاد علينا أن نعيد النظر في مركزنا في آسيا كلها. ففقداننا للعراق يجر وراءه فقداننا لإيران ثم الهند وسيحل محلنا سبعة شياطين يكون أي واحد منهم أكثر سوءاً من الذي كان قبل وجودنا في هذه البلاد))(١). وكتب حاكم الديوانية السياسي في ١٩١٨ يقول: ((إن السياسة التي اتبعناها منذ إحتلال هذه البلاد هي تركيز النظام القبلي...وعندما يستقر النظام البريطاني في طول العراق وعرضه سيصبح وجود القبيلة غير ضروري للفرد العراقي، وأن هذا الفرد سيجني ثمار عمله ويعيش بسلام وأمن لا لأنه من البو سلطان أم من بني حسين، بل لأنه مواطن عراقي يتمتع بمزايا الوضع الجديد... وقبل أن يزول النظام القبلي نأمل أن نستبدل طبقة (الأفندية) الحاضرة بموظفين نختارهم من أحسن أبناء المدن والقبائل وهناك أمل بأن القبيلة ستمدنا بعناصر مفيدة))(٢).

وقد ظهرت رغبة بريطانية فيما يتعلق ببقائها في العراق واضحة حين أصدر نائب الحاكم السياسي العام منشوراً في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ قال فيه: (إن الطريق المثلى التي يخطو بها الأهالي أول خطوة هي إشتراكهم فعلاً في إدارة امورهم المحلية الخاصة ثم يرتقون مع الزمن إلى امور أوسع نطاقاً. وطبقاً لهذه الخطة تقرر أن يُنشأ (مجلس بلدي، للنظر في امور البلدية)(٣). ويعلق فيلبي على هذه المجالس المقترحة بقوله: (إنه سيكون لتلك المجالس رئيس ونائب رئيس وسكرتير من البريطانيين بينما يكون للأعضاء المنتخبين الحق التام في البحث والمناقشة من دون أن يكون لهم حق التصويت)(٤). ويقول

(١) The Letters, II, p. 395.

(٢) Reports, p. 120.

(٣) اورد أمين سعيد نص المنشور على الص ١٦ من الجزء الثاني من كتابه الموسوم بـ (الثورة العربية الكبرى).

(٤) فيلبي. هـ سنت جون. ايم فيلبي في العراق (ترجمة جعفر خياط) بيروت، ١٩٥٠، ص ١٨.

أمين سعيد أن هذا البيان نبّه أفكار العراقيين الذين كانوا يأملون أن تنشأ بريطانية دولة عربية في بلادهم إلى أن الإنجليزعازمون على حكم العراق حكماً عسكرياً استعمارياً [1].

ومن الجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من العهود سالفة الذكر كانت غامضة وصادرة من جهات عسكرية لا تتمتع بالسلطات السياسية التي هي من اختصاص وزارات الخارجية والبرلمانات في الدولة الديمقراطية. وقد يكون للتصريح الفرنسي- البريطاني الذي أشرنا إليه سابقاً نوع من صفة الإلتزام الدولي لأنه صادر من جهة مسؤولة وهي وزارتا الخارجية في البلدين المذكورين، ومع هذا يظهر أن الدولتين لم تكونا جادتين فيه إذ أن اتفاقية سايكس - بيكو، التي بقيت سارية المفعول بعد صدوره تناقضه بصراحة. ولم يكن التصريح الفرنسي البريطاني سالف الذكر سبباً في إبطال مواد هذه الإتفاقية الخاصة بالمناطق التي تناولها التصريح المذكور. وقد بقيت إتفاقية سايكس - بيكو سارية المفعول حتى اُلغيت ضمناً بعد أن قرر مؤتمر الصلح بباريس مبدأ الإستفتاء في مناطق متعددة، من بينها البلدان المنسلخة عن الدولة العثمانية. وقبل ذلك كان (الإنجليز والفرنسيون يعملون سراً لإبقاء قضية البلاد العربية بمعزل عن المؤتمر إلا أنهم اضطروا إلى مجاراة الرئيس ولسن فوافق مندوبوهم يوم ٣٠ يناير كانون الثاني سنة ١٩١٩ ... على قرار... يقضي بفصل أرمينية وبلاد العرب عن تركيا واستفتاء سكانها في تقرير مصيرها وفي اختيار وصي لها...)[2]. ومن الملاحظ أن الوعود والمواثيق التي حصل الإتفاق عليها بين السلطات في مصر والشريف حسين، رغم ضعف سندها القانوني لأنها لم تأخذ شكل معاهدة أو إتفاقية موقع عليها من وزارة الخارجية البريطانية، لم تنص على منح جميع البلاد العراقية لاعتبارها من البلاد التي تناولتها اتفاقية الحسين - مكماهون، إستقلالها بعد الحرب. ويظهر أن بريطانية كانت تتجنب كل ما من شأنه أن يلزمها صراحة

---

(١) ن. م، ج ٢، ص ١٧.

(٢) سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، ج٢، ص ١٩.

بالإعتراف بإستقلال العراق بعد الحرب[1].

وقد سبق أن أشرنا في بداية هذا الفصل إلى الأسباب التي حملت بريطانية على اتخاذ هذا الموقف تجاه إستقلال العراق. وبعد أن تناولت ما يتعلق بالعهود التي قطعتها بريطانية للعراق، سأتناول بحث التدابير التي اتخذها العراقيون للحصول على إستقلال بلادهم. وسأقسم هذه التدابير تسهيلاً للبحث إلى ما يأتي:

أ. تشكيل الجمعيات والأحزاب السياسية.

ب. القيام بالاحتجاجات والمظاهرات.

ج. القيام بالانتفاضات المحلية.

د. القيام بالثورة سنة ١٩٢٠.

الجمعيات والأحزاب

لقد وردت إشارات الى نشوء جمعية سرية إسمها (جمعية النهضة الإسلامية) إتخذت النجف الأشرف مركزاً لها، وكانت هذه الجمعية التي أسهم بعض الروحانيين[2] بفعالياتها، تستهدف مقاومة النفوذ البريطاني في النجف والمناطق المجاورة لها. ويقول

---

(١) أورد سليمان فيضي على الص ١٨٩ - ١٩٠. من كتابه المذكور سابقاً، صورة لمشروع اتفاق كان المنوي عقده بين السيد طالب النقيب والسلطات البريطانية في الخليج العربي. وكان المشروع يتألف من عدد من المقترحات ينص الخامس منها على أنه (إذ تم اخراج الترك من البلاد، تؤسس دولة مستقلة دستورية تحت حماية الإنجليز، ملكية أو جمهورية حسب رغبة الشعب). وقد قابلت الحكومة البريطانية هذه المقترحات بالرفض. رغم أنها تؤمّن مصالحها الإقتصادية في العراق.

(٢) كان من بين الروحانيين الذين أسهموا بأعمال هذه الجمعية السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري. واشترك فيها لفيف من رؤساء النجف أمثال كاظم صبي وعباس علي ارماحي ومن الشباب الذين اشتركوا فيها عباس الخليلي وعبد الرزاق عدوه وغيرهما.

عباس علي أن هذه الجمعية تأسست في عهد الكابتن مارشال حاكم النجف السياسي الذي كان لسوء سيرته أثر في إقدام جماعة من النجفيين على اغتياله [١] ويظهر أن لهذه الجمعية صلة في قضية اغتيال حاكم النجف. وكانت هذه الجمعية قد وحدت (مساعيها مع الناقمين على سياسة السلطة المحتلة واستحسنت فكرة اغتيال الحاكم كذريعة للقيام بثورة يمتد لهيبها إلى جهات مختلفة)[٢]. وتقول المس بيل بخصوص هذه الجمعية أنه عندما (استولت الفرقة الخامسة عشر على هيت وغزت عانة، وقع في أيدينا ضابط الإرتباط الألماني ومعه جميع أوراقه، وقد دلت هذه المستندات على وجود (لجنة للثورة الإسلامية) في النجف، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزاً لخلق الإضطرابات بين العشائر، وكان مائة من رجال الدين أو أكثر متورطين فيها لكنها لم تكن تضم أُناساً ذوي أهمية من الدرجة الأولى، وكان الرئيس شخصاً من أسرة بحر العلوم العلوية، وكان نشطاً في الدعوة إلى الجهاد حتى سقوط بغداد)[٣].

وقد ورد ذكر لجمعية سرية اخرى بإسم (الجمعية الوطنية الإسلامية) وقد تألفت عُقيب الهدنة في كربلاء، تحت إشراف آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي وتحت رئاسة إبنه المرزا محمد رضا، وكان هدفها العمل ضد حكومة الإحتلال. ومن أهم العاملين فيها السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، والسيد حسن القزويني، والسيد عبد الوهاب وعبد الكريم العواد وعمر الحاج علوان وشقيقه عثمان وطليفح الحسون من رؤساء الناصرية وعبد المهدي آل قنبر ومحمد علي أبو الحب وغيرهم[٤].

---

(١) زعيم الثورة العراقية، ص ٤١.

(٢) الحسني، عبد الرزاق، العراقي في دوري...، ج ١، ص ٣٦.

(٣) فصول من تاريخ العراق الحديث، ص ٥٠.

(٤) العمري، طاهر، ن. م، ج٣، ص ٣٣٣



جمعية العهد العراقي

أشرنا في فصل سابق إلى تأسيس جمعية العهد قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى. وكانت هذه الجمعية عند تأسيسها تعمل للقضية العربية[١] بمعناها الشامل دون تخصيص قطر معين من الأقطار العربية. وقد انقسمت هذه الجمعية خلال الحرب العالمية الأولى إلى جمعيتين، أُطلق على إحداهما إسم (جمعية العهد العراقي) والثانية (جمعية العهد السوري). وقد وردت تفصيلات عن الوقت الذي انقسمت فيه جمعية العهد إلى شطرين وعن دوافع هذا الإنقسام في مظانها[٢]. وقد جاء في المادة الأولى من برنامج جمعية العهد العراقي ما نصه: ((إن غايات الجمعية الأساسية هي ما يأتي:

أ. إستقلال العراق إستقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية....

ب. طلب المساعدة الفنية والإقتصادية من بريطانية العظمى على أن تكون هذه المساعدة بالثمن وأن لا تمس إستقلال العراق التام.

ج. إنهاض الشعب العراقي ليباري أرقى الامم الغربية.

د. السعي لخير الامة العربية عامة[٣].

وكان الإتجاه العام الذي يسيطر على رجال العهد هو أن التعاون مع بريطانية أمر ضروري لنجاح القضية العربية عامة والعراقية خاصة ويظهر أن هذا الرأي لم يعتنقه منتسبو العهد حسب، بل اعتنقه آخرون من الساسة العراقيين والمنظمين إلى حزب العهد

---

(١) البصير، ن. م، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٢) بيل كرترود، فصل من تاريخ العراق الحديث، ص ١٣٣ الحسني، عبد الرزاق، ثورة العراقية الكبرى، ص ٤٤، البصير ن. م، ج١، ص ١٠٠،

(٣) سعيد، أمين، ن. م، ج٢، ص ٢١.

العراقي وإلى الأحزاب والجمعيات السياسية الاخرى في العراق كانوا على قسمين: يدين أحدهما بالقومية العربية ويرى أن التعاون مع الإنجليز إنما هو انتصار للقضية العربية، ويقول الآخر بضرورة الاستغناء عن معاونة هؤلاء الإنجليزما داموا يعملون على تقويض الخلافة الإسلامية في تركية. وكان القائلون في الرأي الأول أكثرية في حزب العهد العراقي فانتصروا على مخالفيهم))[١].

ويمكن تلخيص الأعمال التي قام بها حزب العهد العراقي في الشام خدمة للقضية العراقية:

١. قدم الحزب احتجاجات على سياسة الحكومة المحتلة في العراق.

٢. قام حزب العهد بدعاوة واسعة منظمة لحركة الكفاح في العراق ولإنشاء دولة عراقية مستقلة فيه[٢].

٣. إغتنم حزب العهد فرصة وجود لجنة الإستفتاء الأمريكية[٣] فأظهر لها رغبته في إستقلال العراق ورفع الحواجز السياسية والإقتصادية بينه وبين سورية المستقلة،

(١) الحسني، الثورة، ص ٤٥.

(٢) أيضاً، ص ٤٥.

(٣) قرر مجلس الأربعة المكون من إنجلترا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا في ٢٠ إذار ١٩١٩، إرسال لجنة مختلطة لاستفتاء فلسطين وسورية بما فيها لبنان واستجلاء رغباتهم في اختيار الدولة أو الدول التي ينتدبونها على بلادهم وفقاً للمادة (٢٢) من عهد عصبة الامم. وقد جاء هذا القرار ضربة على إتفاقية سايكس – بيكو التي جعلت سورية من حصة فرنسا. ولما كانت فرنسا وانجلترا يعلمان أن الإستفتاء لن يكون بصالحيهما امتنعا عن ارسال ممثليهما في لجنة الاستفتاء، فاضطر الرئيس ويلسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إلى ارسال لجنة أمريكية فقط طالما كان القصد منها الوقوف على رغائب الشعب. وقد تجولت اللجنة في ربوع سورية ولبنان واستمعت للأهلين. وكان المستر كراين رئيس اللجنة قد طلب بإلحاح من السلطات البريطانية أن يزور العراق ولكن طلبه قوبل بالرفض. وظهر الى اللجنة أنه (لا معنى للقول بأن هذه الشعوب شعبا سورية بما فيها فلسطين ولبنان) لا تصلح لحكم نفسها بنفسها).

ولكي يطلع اللجنة المذكورة على وجهة نظره كاملة، قدم لها بيانا[١] مفصلًا.

٤. كان رجال حزب العهد في الشام ممن عملوا على إثارة الإضطرابات في شمال العراق ضد السلطات البريطانية[٢].

٥. إتصل حزب العهد العراقي في الشام بالأحزاب والجمعيات الاخرى في داخل سورية وخارجها لغرض توحيد المساعي من أجل القضية العربية والعراقية.

٦. أرسل رجال العهد كميات من المال لتصرف على الحركة الوطنية في العراق[٣].

إن قضية المال الذي ورد من سورية للعراق على يد العهديين من أكثر القضايا التي ورد عنها تناقض كبير. فناجي السويدي يدحض رواية المس بيل القائلة بأن أباه استلم (١٦،٠٠٠) ليرة ويقول: (لم أسمع بورود شيء من الأموال والذخائر، من سورية إلى العراق، سوى ما قد بلغني من إعطاء مبلغ أظنه لا يتجاوز الأربعمائة جنيه دُفع في أوائل سنة ١٩١٩، أي قبل نشوب الثورة بسنة لكي يصرف على بعض الجمعيات العراقية)[٤].

وعندما سُئل ناجي شوكت عن الأموال التي وردت من العهديين في سورية إلى

(١) يتكون البيان المشار إليه من عدة نقاط أهمها: (١) نطلب الإستقلال التام للقطر العراقي... (٢) أن يكون لنا في العراق حكومة مدنية دستورية ملكية ويكون ملكها أحد انجال الملك حسين... (٣) نحتج على فقرة الإنتداب من المادة (٢٢) من قرار عصبة الامم ونرفضها رفضاً باتاً. (٤) مانحتاجه من المعونة في الامور الفنية والإقتصادية نستعين به من أمريكا على أن لا تمس إستقلالنا التام. (٥) نرفض مهاجرة كل عنصر غريب عن العنصر العربي إلى البلاد العربية المحررة كالهنود وإليهود. (٦) نطلب الإستقلال التام للقطر السوري.

(٢) بيل المس كرترود، فصول، ص ١٣٤.

(٣) تقول المس بيل على الص ١٣٤ من كتابها السابق (لقد أخبر يوسف أفندي السويدي السد طالب باشا بأن مجموع ما قد تسلمه هو (١٦،٠٠٠) ليرة وشكى من عدم كفاية المبلغ... وعلم أن (٣) آلاف ليرة آخرى كان تسلمها الشيخ سعيد النقشبندي). ويقول جعفر خياط مترجم كتاب بيل سالف الذكر أن الشيخ سعيد تسلم (١٠٠٠) ليرة اخرى من عضوين من أعضاء جمعية العهد جاءا من الشام لإصلاح الواقع بين أعضاء الجمعية المذكورة.

(٤)الحسني، الثورة، ص ٢٠٤

العراق قال: (لم إسمع ولا أظن)[1]، وعلي البازركان هو الآخر ينفي ورود أموال من سورية لإعانة الثورة في العراق ويقول: (أن الثورة العراقية لم تستعن بأموال من الخارج عدا (١٥٠) باوناً سلّمها جميل المدفعي إلى جلال بابان)[2]. وكان لجمعية العهد العراقية في الشام فرع في الموصل وهو الإسم الذي أخذته جمعية (العلم) الموصلية التي أشرنا إليها سابقاً، وآخر في بغداد. وظهر أن فرع جمعية العهد بالموصل بحكم الظروف الجغرافية وسهولة الإتصال بين الموصل والشام كان أكثر نشاطاً من فرعها ببغداد. وقد نشرت[3] جريدة (صدى الأحرار) الموصلية لصاحبها محمد رؤوف الغلامي جملة من الرسائل المتبادلة بين فرع الجمعية بالموصل ومركزها في الشام. وقد وردت في رسالة مؤرخة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ عدة من القضايا الهامة نورد لك ملخصاً لها:

١. أشارت الرسالة إلى أنها جواب الرسالة مؤرخة في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٩.

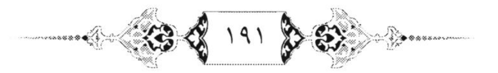
٢. قال مرسلو الرسالة (بإمكاننا أن نرسل تحاريركم إلى بغداد بصورة دائمة...).

٣. أخبر المرسلون مركز الجمعية بالشام بأنه (لم تترك الحكومة الإحتلالية شيئاً من أنواع الشدة والقسوة إلا استعملته مع الأهلين... أما الجزاء النقدي الذي قد شكل أعظم منبع لواردات حكومة الإحتلال فإن المحكومين يعدونه نعمة كبرى أزاء العذاب الجسماني والحقارة... وأما الضغط على الأفكار العامة فقد بلغ أقصى شدته وقد منعت السلطة المحتلة إصدار الجرائد الوطنية السياسية منعاً باتاً فلا يوجد الآن في جميع العراق سوى الجرائد الرسمية الإنجليزية وهي جريدة الموصل وجريدة نجمة الكركوكية التي تصدر نصفها باللغة التركية والنصف الآخر بالعربية وجريدة العرب البغدادية وجريدة الأوقات البصرية، وتصدر إلى جنبها في البصرة جريدة

(١) الحسني، ن.م، ص ٢٠٤.

(٢) الوقائع الحقيقية، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) كانت هذه الرسائل تنشر في (صدى الاحرار) تحت عنوان صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية بتوقيع (مؤرخ).



بصرة تايمس باللغة الإنجليزية ولا يوجد في العراق سوى مجلة واحدة وطنية هي مجلة اللسان الأدبية.

وقد منعت أيضاً حرية الكلام والإجتماع وبثت الجواسيس بين جميع طبقات الناس. وشددت النكير والمراقبة على مدرسة النجاح الأهلية. وكان في الموصل على زمن الأتراك مدرسة للمعلمين واخرى ثانوية وعدة مدارس إبتدائية فألغت حكومة الإحتلال المدرستين المذكورتين وفعلت كثيراً من المدارس الابتدائية. ثم أن حكومة الإحتلال منعت بيع الأراضي وشراءها[١]، وتصحيح حدودها وإيجارها أكثر من ثلاث سنين وعمدت إلى تأجيل الدعاوى العائدة للتصرفات غير المنقولة وقد أعلنت عن هذا المنع مراراً عديدة. وربما (كان) قصدها من ذلك ضبط الأراضي الصالحة لتعطيها إلى الشركات الإنجليزية أو تمليكها لملايين الهنود الذين تنوي جلبهم من الهند للاستيطان في العراق...).

٤. (ذكرتم لنا عن الوفد الأمريكي وملاقاته مع وفد العراقيين وبينتم أن الوفد قد أفرد فصلاً خاصاً بالعراق... نعم أننا لا نشك في مساعيكم ولكننا لم نجد في أعمال الوفد موفقية تستحق أن تسمى موفقية لا في مسألة سورية ولا في قضية العراق.... ويجب أن لا ننسى أن معظم أهالي الولايات المتحدة هم من جنس الإنجليز فكلاهما (إنكلوا ساكسون) ومع ذلك فأننا نرى أن أمريكا بمثابة ذنب لإنجلترا وآلة صماء في يدها... وأن مطاليب ولسن الأربعة عشر الخلابة لم يتحقق منها أي مطلب كان... أما الإنجليز فغدرهم وخداعهم كنار على علم ولقد غدروا بالعرب... ونحن نعلم أن الإنجليز سيقومون بإحباط كل مساعي العرب الإستقلالية وأنهم سيقوضون كل بنيان عربي كما قوضوا دعائم تركية... ثم أن فرنسا ستعمل بكل ما في وسعها للاستيلاء على جميع سورية وأعالي الجزيرة. فهل يمكن الإعتماد على

(١) تظهر الغرابة في هذا الإجراء، والعهد في صحته أو عدمها على الجهة التي بعثت الرسالة وهي جمعية العهد بالموصل.

هذه الدول أو على إحداها؟ إننا لا نعتقد بذلك... والذي نتصوره أن لا خلاص للعرب خاصة ولا للإسلام عامة بعد أن كشف الحلفاء عن مكنوناتهم... إلا باتفاق العرب والترك مع البلشفيك وألمانيا والنمسا...هذا وإن الإمارات العربية التي توقفت عن معاضدة الحكومة الحجازية حتى الآن فأنها تبادر إلى مؤآخاتها عند أدنى إشارة من سلطان استانبول... [و] عند وقوع حرب عامة في المستقبل فتشكل حينذاك من اتحاد العرب والترك قوة إسلامية لا يستهان بها تحيي الأمل في قلوب كافة المسلمين.... ثم أن الكثير من العراقيين الذين يميلون إلى الأتراك في هذا الوقت أكثر من ميلهم لحكومة الحجاز ويثقون بحكومة الترك المتشكلة أكثر من ثقتهم بحكومة عربية في بدء تشكيلها... ولا يخطر على بالنا... واسطة اخرى لحياة العرب والإسلام إلا ما نتصور من الإتحاد الإسلامي - البلشفي - الجرمني. ولا نقصد بالإتحاد مع البلشفيك قبول اصولهم وتطبيقها في محيطنا فأننا نعده مضراً ببلادنا ولكننا نقصد بذلك الإستمداد من قوة الروس والإستفادة من هذا الإسم الجديد وتهديد الناكثين للعهود... لقد سئم الناس من التحريض الأدبي في طلب الإستقلال... بإسم الجنسية والوطن فعلينا أن نترك أمثال هذه الامور وأن نكون عمليين بانتهاز الفرص والتكتل بإسم الجامعة الإسلامية...).

٥. تقولون إنكم مواظبون على الإلحاح في تشكيل حكومة العراق الوطنية فما هو سلاحكم في هذا الخصوص؟ أتظنون أن انجلترا تذعن لذلك بمجرد الطلب والإلحاح؟.

٦. ... ونقول لكم بكل صراحة أنه إن كان في الموصل نوع من الأمل في الخلاص من الإنجليز عند الكثير من الناس فإنما يتوقعونه من (مصطفى كمال)[1] حيث إن لهذا القائد إسماً كبيراً في هذا البلد...

٧. (٨) (٩) (١٠) نشرنا بعض مواد تحريركم بين طبقات الأشراف غير أن اليأس الذي

(١) يقصد كاتب الرسالة، معتمد جمعية العهد بالموصل، مصطفى كمال أتاتورك باعث تركيا الحديثة.

قد استولى على العامة كان نصيب بعض المؤازرين لحركتنا من الأشراف منه أكثر وعليه فإن النشرات أصبحت لا تجدي نفعاً إذا لم تعضدها الأفعال.

١١. (١١)(١٢) يطلب الفرع من المركز أن تكون الصراحة رائد الجميع في أعمالهم السياسية.

١٣. (١٣)(١٤)[1] الإنجليز لايتركون العراق إلا إذا اضطروا بقوة السلاح، أما سكان البلاد [2] فلا تنتظر منهم فائدة لأنهم مشتغلون بتحصيل رزقهم أبان هذا الغلاء المستولي على العراق وقد أستخنث (أصبح ذليلاً) الكثير منهم فلم يبق الإعتماد بطرفنا إلا على أعضاء جمعيتنا وهم قوة لا يستهان بها وكذلك على سكان البوادي والجبال فالكرد عصيانهم متوال على الحكومة الإحتلالية وفي كل يوم لهم وقائع وأخبار وقد قتلوا سابقاً حاكم زاخو ثم حاكم العمادية وفي أوائل الشهر قتلوا حاكم ولاية الموصل المستر (بل) وحاكم عقرة إمام (بيرة كيرة) ثم استولوا على عقرة نفسها فإثارتهم ممكنة أيضاً... لقد سمعنا من بعض مشايخهم بعض التذمرات كقولهم مإذا نصنع فقد راجعناكم وراجعنا دمشق واتصلنا بالقسطنطينية بخصوص القيام بحركة ضد الإنجليز فلم نأخذ جواباً شافياً... إن إرسال الضباط إلى العشائر والتغلغل بينهم وتشكيل العصابات الفنية منهم يجب أن تؤخذ بنظر الإعتبار قبل القيام بالثورة مع علمنا بأن الثورة التي لا تستمد معينها من دولة قوية أو دول تمد وتساعد بعضها بعضاً لا ينتج عنها إلا إراقة الدماء التي قد تذهب دون الحصول على المقاصد المطلوبة...)[3].

التوقيع: معتمد جمعية العهد العراقي في الموصل. المنصور (رؤوف الغلامي).

ومن الملاحظ أن محتويات هذه الرسالة تلقي أضواء على اتجاهات فرع جمعية العهد

---

(١) يقول ناشر الرسالة (مؤرخ) كتبت المادة الرابعة عشر بحروف الشفرة كما وجدتها في أصل الكتاب.

(٢) يظهر أنه يقصد سكان مدينة الموصل.

(٣) جريدة (صدى الأحرار) السنة الخامسة، العدد (٢٠٤) ٦٩ رجب ١٣٧٢، ٣ نيسان ١٩٥٣.

بالموصل وتبين إلى أي مدى كانت سياسة الفرع منسجمة مع سياسة المركز في الشام أو مختلفة عنه.

أولاً - التعاون مع الترك وعلاقته بالقضية العربية عامة والعراقية خاصة: كان المركز في الشام يرى أن التعاون مع الأتراك، وخاصة مع جماعة الإتحاديين منهم، لا يخدم القضية العربية عامة ولا العراقية خاصة. وما عملهم ضد الإتحاديين في فترة ما قبل الحرب وإنضمامهم إلى ثورة الشريف حسين ضد الترك، إلا أدلة على ذلك الإتجاه. أما العهد في الموصل فيرى - كما جاء في الفقرة السادسة من رسالته سالفة الذكر - التعاون مع تركيا الحديثة بقيادة مصطفى كمال الدين هو الحل الوحيد للقضية العربية عامة والعراقية خاصة.

ثانياً - يرى العهديون في الشام أن التعاون مع الإنجليز أمر ضروري لنجاح القضية العربية والعراقية، بينما رجال العهد في الموصل كما جاء في الفقرة الرابعة من رسالتهم السابقة، لا يأملون خيراً للعرب أو للعراقيين مع التعاون مع الإنجليزوحلفائهم.

ثالثاً - كان العهديون في الشام لا يعلقون أهمية كبرى على فكرة الجامعة الإسلامية بدليل تأييدهم لثورة الشريف حسين على الترك وعدم تأييدهم لفكرة الجهاد ضد الكفار، بينما العهديون في الموصل، كما جاء في الفقرة الرابعة من رسالتهم السابقة، يعلقون اهتماماً كبيراً على الجامعة الإسلامية كوسيلة لحصول العرب والعراقيين على إستقلالهم.

ويمكن أن يستنتج الباحث، إضافة إلى ما سبق أن سياسة رجال العهد في الموصل متأثرة إلى حد كبير بالعواطف الدينية، وأن الجامعة الإسلامية التي يؤكدون عليها كوسيلة لإنقاذ العرب عامة والعراقيين خاصة من الإستعمار الغربي ما هي أقرب إلى الوهم منها للواقع، خاصة في الوقت الذي صدرت فيه تلك الرسالة، أي في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٩. يضاف إلى ذلك أن الوعي القومي، كما يظهر من الرسالة عامة، لم

يكن واضحاً في نفوس من تمثل الرسالة آراءهم. فتراهم يعتمدون على الترك والجرمن البلاشفة والنمساويين لإنقاذ العراق من الإستعمار ولا يرون خيراً في الإعتماد على سورية أو الحجاز. وإذا علم القارئ أن معظم هذه الدول كانت منهزمة في الحرب العظمى الأولى وإنها مشتغلة بمشكلاتها الداخلية والخارجية المعقدة، يقدر مدى المساعدة المرجوة منها تجاه جيوش الحلفاء التي كانت تحتل معظم البلاد العربية تقريباً. ثم أنهم قد سئموا من الدعوة للإستقلال بإسم الجنسية والوطن وعدّوا هذه الوسائل عقيمة لا نفع فيها.

وكان لحزب العهد العراقي فرع في بغداد برئاسة الشيخ سعيد النقشبندي، ويظهر أن هذا الفرع كان قليل النشاط إذ عندما قدم بغداد من سورية عارف حكمة أحد أعضاء حزب العهد في الشام، رأى دولاب العمل واقفاً والحركة الوطنية ساكنة فلم يكن منه إلا أن قابل الشيخ سعيد وتحادث معه بشأن الحالة السياسية السائدة في بغداد فأعلمه الأخير إن الإدارة العسكرية مع الإنشقاق المستحكم في صفوف الوطنيين، يمنعان من المواظبة على السعي والإستمرار في العمل، وبعد أخذ ورد داما أياماً، تألفت هيئة إدارية لفرع العهد ببغداد. وما لبث حزب العهد أن اصطدام بجمعية سياسية اخرى وهي جمعية (حرس الإستقلال)، وكان محور الخلاف بينهما هو أن جمعية العهد تفضل، بعد إنشاء الدولة العراقية، الإعتماد على مساعدة بريطانية الفنية، بينما جمعية الحرس لا ترى ضرورة لهذا التقييد وتعتقد أن باستطاعة الدولة العراقية المقبلة أن تطلب المساعدة الفنية من أية دولة كانت. ويوضح الحسني أسباب الخلاف بين الجمعيتين بقوله أن الحرسيين كانوا (يأبون ربط القضية العراقية بحزب العهد في الشام بعد العراق عن الشام من جهة، ولانشغال العهديين في مكافحة الفرنسيين بمساعدة البريطانيين من جهة اخرى، في حين أن الحرسيين يكافحون الإنجليز في العراق، فالاستعانة بالعهديين في الشام أو ربط الحركة العراقية بهم يفقدها قوتها ولا يبعد أن يقربها إلى الخطر، وعلى هذا أخذ (حزب الحرس

العراقي) الشروع في العمل المثمر دون الإستعانة بأحد من الخارج)[1]. وقد أرسل حزب العهد في الشام وفداً برئاسة جميل المدفعي للتوفيق بين الحزبين. وعند وصوله وجد إن أعضاء حزب العهد في بغداد (غير متوحدين ولا متحدين -وإنه لم يجد- منهم عملاً بتاتاً وأن حزب حرس الإستقلال قد قام بخدمات كبيرة للقضية العربية عامة والعراقية خاصة -وأنه يقترح- إن توحيد إعمال الحزبين (حزب العهد وحزب حرس الإستقلال) وأن يستبدل منطوق المادة السابعة من منهاج حزب حرس الإستقلال والتي تقول: (على العراقيين أن يستعينوا بالخبراء الفنيين الأجانب من أي حكومة كانت مشتهرة في ذلك الفن للإستفادة من خبرتهم في إنهاض الحياة الإقتصادية والفنية) بالمادة الثالثة من منهاج حزب العهد والتي تنص على أن (تقتصر الإستعانة بالخبراء الفنيين البريطانيين وحدهم)، وقد رفض حزب الإستقلال اقتراحات المدفعي هذه[2].

ويعتقد العمري إن هذا النزاع والتشاحن قد أضرَّ (ضرراً بليغاً بكلتا الجمعيتين إذ إن ذلك لم يمكنهما من القيام بعمل ما وأوجب اليأس والحزن في قلوب الجمهور وأصبحت الجمعيتان المذكورتان معدومتي الوجود وساد السكون في بغداد خلال بضعة شهور من جراء عدم نشاط الحزبين وخلافهما...)[3]. وقد وضّح الأستاذ احمد سامي الدبوني أسباب الخلاف بين الحزبين برسالة بعثها إلى فرع جمعية العهد بالموصل بتاريخ ٢٦ تشرين الأول ١٩٢٠. وأشار في رسالته إلى أن أسباب الخلاف كانت شخصية بالدرجة الأولى، ويقول أن الخطأ كان من الجهتين وهو تهور الحرسيين وشكوك العهديين)[4].

---

(١) الحسني، الثورة ص ٥٤.

(٢) البازركان، علي، وقائع، ص ١٨١ - ١٨٢.

(٣) مقدرات العراق السياسية، ج ٣، ص ٥٨ - ٥٩.

(٤) مؤرخ، صدى الأحرار، العدد ٢١٢، ١٥ رمضان ١٣٧٢، ٢٩ آيار ١٩٥٣.

حزب حرس الإستقلال :

تشكل حزب الحرس في أواخر جمادى الثانية ١٣٣٧هـ ونهاية شباط سنة ١٩١٩. وكان مركزه ببغداد، وقد أورد الحسني اسماء الهيئة المؤسِّسة واسماء الهيئة الإدارية لهذا الحزب، ويقول أن الجمعية كانت (تعقد جلساتها في أكثر الأحايين برئاسة السيد محمد الصدر وتسترشد بآرائه وتوجيهاته الثمينة)[١].

واليك أهم مواد منهج جمعية الحرس:

المادة الثانية- تسعى الجمعية المذكورة وراء إستقلال البلاد العراقية إستقلالاً مطلقاً.

المادة الثالثة - تعترف الجمعية بإسناد منصب الملوكية في هذه البلاد إلى أحد أنجال جلالة الملك حسين، على أن يكون ملكاً دستورياً ديمقراطياً.

المادة الخامسة - يجب على الجمعية أن تفرغ قصارى جهدها في سبيل ضم المملكة العراقية إلى لواء الوحدة العربية.

وكان لإنضمام جمعية سياسية سرية عرفت بـ (جمعية الشبيبة) لحزب حرس الإستقلال أثر في تقوية مركزه من جهة وفي توحيد مساعي الوطنيين من جهة اخرى[٢].

وكان تأسيس مدرسة أهلية بإسم (المدرسة الأهلية)[٣] في أيلول سنة ١٩١٩ من الأعمال المهمة التي انبثقت عن فعاليات حزب حرس الإستقلال. ويورد لنا الأستاذ على البازركان تفصيلات وافية عن أسباب تأسيس هذه المدرسة وعن الخدمات التي قدمتها

---

(١) الثورة العراقية الكبرى، ص ٥١.

(٢) الحسني، الثورة، ٣٠.

(٣) لقد غير إسم المدرسة الأهلية بعد غلقها في١٢اب١٩٢٠وسميت مدرسة (التفيض الأهلية).

للقضية الوطنية[1].

وعندما تُحدثنا المس بيل عن هذه المدرسة تقول: (قام جماعة من شبان بغداد، وكان قسم منهم قد تعلم في استانبول وأوربا، بحركة تستهدف نشر التعليم على أساس إن الإدارة البريطانية لم تعر هذه الناحية من الخدمة العامة اهتماماً كافياً. وكان هدفهم هذا لا يمكن أن يؤاخذوا عليه فجمعوا مبلغاً محدوداً من المال.... وأسسوا مدرسة ثانوية أهلية في كانون الثاني[2] ١٩٢٠... لكن أهميتها السياسية سرعان ما أصبحت أكثر من أهميتها التعليمية، وما أن حل الربيع حتى كانت مقراً للوطنيين المتطرفين[3].

وأنشأ حزب حرس الإستقلال فروعاً له في الكاظمية والحلة والنجف الأشرف والشامية وغير ذلك من المدن العراقية[4]. وسنعود للكلام عن فعاليات حزب حرس الإستقلال في الأشهر التي سبقت إعلان الثورة في الـ ٣٠ من حزيران ١٩٢٠.

الإستفتاء العام سنة ١٩١٨:

وصلت تعليمات من الحكومة البريطانية إلى وكيل الحاكم الملكي العام الكولونيل ولسن يطلب فيها إليه أن يقوم بالتأكيد من معرفة آراء العراقيين حو النقاط التالية:

١. هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بإرشادها بريطانية وتمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية إلى الخليج الفارسي (العربي)؟
٢. وفي هذه الحالة، هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها أمير عربي؟

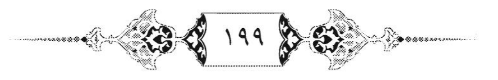
---

(١) الوقائع الحقيقية، ص ٩١.

(٢) أجيزت المدرسة في ١٤ ايلول ١٩١٩ ويظهر أن الفرق بين هذا التاريخ والتاريخ الذي أوردته المس بيل قد مضى في الاستعداد لفتح المدرسة.

(٣) فصول من تاريخ العراق الحديث، ص ١٤٦.

(٤) العمري، المقدرات، ج٣، ص ٦٠.



٣. وإذا كان الأمر كذلك، من هو الذي يرشحونه[١]؟

ويقول الحسني حول هذا الإستفتاء إن وكيل الحاكم الملكي العام استدعى السياسيين في الألوية و (بعد أن زودهم بالأسئلة الثلاثة، وطلب منهم الحصول على مضابط بالأجوبة المؤيدة لسياسته، عاد الحكام إلى مناطقهم...)[٢] أما المس بيل فقد اظهرت شكوكها في فائدة إستجواب كهذا بقولها: (يمكننا أن نشك فيما إذا كان مثل هذا الإستجواب الذي يجرى بإشراف الحكومة أو أية جهة آخرى، سوف يمكن بواسطته استخراج أجوبة قد تكون مفيدة لتدل المستجوب على شيء...)[٣].

وقد حاول الحكام المحليون تحقيق رغبة الحكومة المركزية، فكان بعضهم يستدعي معارفة ويكلفه توقيع مضابط يطلبون فيها استمرار الحالة الراهنة، والبعض الآخر يوعز بأن تتضمن هذه المضابط طلب الحماية البريطانية المطلقة، ويسعى غيرهم لجعل هؤلاء المعارف أكثرية تطلب أميراً عربيا تحت الهيمنة البريطانية...)[٤].

وكانت نتائج متباينة ففي كربلاء مثلاً عجزت الحكومة عن الحصول على الجواب المطلوب، وكان لفتوى المجتهد الاكبر الشيخ محمد تقي الشيرازي أثر كبير في فشل السلطات الإنجليزية في الحصول على جواب يطمن رغباتهم، وقد استفتى أحدهم الشيخ المذكور (في جواز انتخاب غير المسلم للإمارة أو السلطة على المسلمين...) فأجاب سماحته: (ليس لاحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين)[٥]، ويظهر أن فتوى شبيهة بهذه قد أصدرها المجتهدون في الكاظمية ولكننا

---

(١) بيل، المس، ن. م، ص ١٢٢.

(٢) الحسني، الثورة، ص ٥٢.

(٣) بيل، ن. م، ص ١٢٢.

(٤) الحسني، ن. م، ص ٣٠.

(٥) لقد أورد الحسني على الص ٣١ - ٣٢ من كتابه الموسوم بـ (الثورة العراقية الكبرى) نص الإستفتاء. كما اورد نص المضبطة التي حررها أهل كربلاء جوابا للاستفتاء.

لم نعثر على نصها. وتقول المس بيل. (قد حرَّم المجتهدون في كربلاء والكاظمية على المسلمين أن يصوتوا لغير تشكيل حكومة إسلامية، فبلغ الإختلاف حداً أوقف سير الإستجواب....)[1]. وقد نجح الإنجليز في الحصول على مضابط تؤيد وجهة نظرهم من الموصل ونواحيها. فذكر العمري أن مسيحيي (الموصل وطوائفها الآخرى وسكان أقضيتها -أعطوا- مضابط على حدة مضمونها كمضمون المضبطة المحررة أعلاه -يشير إلى مضبطة الموصل المؤرخة في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩١٩-. ويقول ان ضجة عظيمة حصلت (حول تلك المضابط استوجب القيل والقال فأخذ الجمهور يلوم الذوات الذين وقعوا عليها من دون أن يأخذوا رأي الشعب في القضية...)[2]. ويذكر الحسني ان مضبطة الموصل بقيت (موضع سخط المخلصين الغيارى عامة وابناء الموصل خاصة....)[3] أما أهل الحلة فأعطوا مضبطة (صرح فيها السكان الذين كان يرشدهم على الاغلب السيد محمد علي القزويني... تصريحاً قلبياً بأنهم يحبذون استمرار الإدارة البريطانية رافضين الإذعان للدعاية الوطنية وغيرها)[4] ويظهر أن السلطة الإنجليزية حصلت على مضبطة الحلة بصورة غير مشروعة فيحدثنا الدكتور مهدي البصير الذي كان حاضراً في الحلة عند إجراء الإستفتاء الذي نتجت عن المضبطة سالفة الذكر، عن ذلك بقوله: (أحب الحاكم السياسي أن يستشير السيد محمد علي القزويني بشأن استطلاع رأي الأهلين في الإجابة على الأسئلة الثلاثة فأشار عليه بأن توجه الأسئلة إلى سبعة رجال فقط على أن يختارهم هو ويرأسهم، فوافق الحاكم، ولكن صدر ذلك الوجيه ضاق عن سره فأفشاه، ولما تحقق الوطنيون صحة الخبر اجتمعوا في بيت أحدهم للمداولة بالأمر وإحباط الدسيسة فاتفقوا على توجيه عريضة للحاكم وقعها جمع كبير من أرباب الثراء

(١) فصول، ص ١٢٣.

(٢) مقدرات العراق السياسية، ج ٣، ص ١٠.

(٣) الثورة، ص ٣٣.

(٤) بيل، المس، فصول، ص ١٢٢.

والجاه وبينهم رئيس البلدية الحاضر، وقدمها الأخير إلى الحاكم فرفض أن يستلمها منه وطلب إليه أن يقابل السيد محمد علي القزويني فأبى هذا إجابة الحاكم، ونفذ في النهاية رأي الوجيه الناصح الأمين للسلطة فاجتمع سبعة رجال ورأسهم حضرته وقرروا طلب تعيين السير برسي كوكس ملكاً على العراق.... فلهج الصغير والكبير بذم هذه الفعلة السيئة)[١].

ويقول العمري أن السلطات الإنجليزية استحصلت المضبطة سالفة الذكر من الحلة بطريقة غير مشروعة، وما علم الأهلون بقصتها حتى وقعوا مضبطة قالوا فيها: (نريد تأسيس حكومة عربية مستقلة)[٢]، ولجأ الإنجليز للحيلة في سبيل الحصول على الجواب المطلوب، ذكر السيد صادق بحر العلوم ان السلطات ذات مرة أبرزت (لجماعة من العرب أوراقاً بخط الإنجليزي زاعمين أنها أوراق مالية زراعية، وطلبوا توقيع الزعماء عليها ثم انكشف أنها أوراق اعتراف بالوصاية الإنجليزية على العراق، وضايقوا جماعة... جهاراً على هذا الاعتراف، وقد اشتدت اضطهادات الضباط فحبسوا جميعاً... وسوقوا جماعات من ساداتها وعلمائها وأشرافها ورؤساء قبائلها سوق السائمة بصورة فضيعة...)[٣].

وقد اهتم وكيل الحاكم الملكي العام بأمر النجف الأشرف لمكانتها الدينية، فسافر إليها وعند صوله عقد إجتماعاً ضم لفيفاً من العلماء والوجهاء ورؤساء القبائل التابعة للنجف والشامية، وقد أورد الحسني[٤] تفصيلات مما دار في هذا الإجتماع وعن النتائج التي اسفر عنها. وكانت المضبطة التي قدمت من منطقتي النجف الأشرف والشامية مخيبة لآمال

(١) القضية العراقية، ج١ ص ٦٩ - ٧٠، وعلي، عباس، ن.م، ص ٣٨، والحسني، ص ٣٣.

(٢) مقدرات، ج٣، ص ٢٣.

(٣) السلاسل الذهبية، المجموعة الثانية، المخطوطة بمكتبته الخاصة ص ٣١٢.

(٤) النورة العراقية، ص ٣٦ - ٣٧.

السلطات البريطانية لأنها أعربت عن رغبة الأهلين في تأسيس حكومة عربية مستقلة. وقد قدمت مثل هذه المضبطة من بغداد. وعندما يتحدث العمري عن المضابط التي قدمت جواباً للاستفتاء الذي أجراه الإنجليز في العراق يقول: (أما في بغداد والنجف والكاظمية وكربلاء فإن الأعيان والوجوه كانوا قد درسوا القضية وقرَّ رأيهم أن يطلبوا تأسيس حكومة عربية مستقلة تحت رئاسة أحد أنجال الملك حسين فنظموا مضابطاً بهذا المعنى ووقعوا عليها وقدموها إجابة على الأسئلة الثلاثة المبحوث عنها، ما عدا زمرة من القريبين)[١].

وقبل الإنتهاء من الكلام عن جواب الإستفتاء الذي صدر من النجف الأشرف أود أن أشير إلى نقطة ثار حولها جدل بين كاتبين كتبا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، وهما الشيخ فريق الفرعون والاستاذ علي البزركان. فالشيخ فريق يقول: إن المجتمعين بحضور وكيل الحاكم العام في النجف أرجأوا إجتماعهم بغية استشارة العلماء، وإن أحد المجتمعين وهو السيد هادي النقيب[٢] قال في الإجتماع (لا نريد غير الإنجليز)، وان الشيخ عبد الواحد الحاج سكر قال للسيد هادي أن هذا رأيه الشخصي وأن أكثر الحاضرين لا يؤيدونه، وأن الشيخ محمد رضا الشبيبي قال: (أن العراقيين يرون من حقهم أن تتألف حكومة وطنية مستقلة إستقلالاً تاماً، وليس فيها من يفكر باختيار

---

(١) ن. م، ج ٣، ص ٢٤.

(٢) يقول حاكم النجف السياسي على الص ١٠٨ من الجزء الأول من مجموعة تقارير الحاكم السياسيين التي رمزنا لها سابقاً بـ **Reports** (إن السيد هادي نقيب الأشراف... كان من أعظم مؤيدي الحكومة، ولكنه رجل مذبذب وضعيف ولذا فهو عديم الفائدة عند الحاجة، وأنه قليل الذكاء... وعلى الحكومة أن تسنده وتسند ابن أخيه الكليدار (يقصد سادن حضرة الإمام علي عليه السلام السيد عباس) لتستفيد منهما عن الحاجة). ويقول الاستاذ عباس علي على الص ٣٨ من كتابه الموسوم بـ (زعيم الثورة العراقية) المطبوع ببغداد، ١٩٥٠، أن السيد هادي كان ثرياً وقحاً وأن الشيخ محمد رضا الشبيبي تحامل عليه ونجح في إسكاته. ومن هذا يظهر أن السيد هادي لم يكن من الرجال الذين يحسب حساب لرأيهم. إن استعمال اللغة السمجة أمر لا يقره العرف التاريخي لذا أرجو أن يأخذ القارئ ما قيل عن السيد هادي النقيب وابن أخيه السيد عباس بشيء من الحذر.



حاكم أجنبي)[١]. ويستنتج البازركان من الوضع الذي ساد الإجتماع ان رجال الفرات تنقصهم الجرأة الأدبية والشجاعة في إبداء الرأي في حضرة الحاكم (وتملصوا تملص الخائف المترقب بحجة إمهالهم لمراجعة رجال الدين، فليت شعري -على حد قوله- ما حاجتهم إلى مراجع شيوخ الدين وهم قد حددوا أهدافهم الوطنية وعينوا امانيهم القومية وعرفوا رأي زعمائهم الروحيين بذلك قبل الإجتماع، بل ما حاجتهم إلى مراجعة رجال الدين وفيهم فطاحل العلماء وكبارهم امثال الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر؟). ويختم البازركان حديثه عن هذا الموضوع بقوله: (وإذا كان نقيب النجف لا يمثل إلا نفسه فمن الذي يمثل النجف إذن؟)[٢].

إن الذي أود أن أشير إليه هنا هو أن رغبة المجتمعين في إستشارة العلماء ليس عليها اعتراض، إذ بالرغم من وجود الشيخ عبد الكريم الجزائري بينهم وهو ممن كان يرجع إلى رأيه حينئذ في الامور الدينية والسياسية والشيخ محمد جواد الجواهري وهو من المشتغلين في السياسة، فإن الكلمة النهائية والواجبة الإتباع في هذا الموضوع وغيره يومئذ، كانت للمجتهد الأكبر وهو السيد كاظم اليزدي حينذاك. ومما يؤيد هذا الرأي هو ان المجتمعين ذهبوا لمشاورة السيد اليزدي في اليوم التالي وبعد تردد[٣] قال لهم: (اختاروا ما هو أصلح

(١) الحقائق الناصعة، ج١، ص ٧٤ - ٧٨.

(٢) الوقائع الحقيقية، ص ٧٢- ٧٥.

(٣) كان المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي غير ميال للتدخل في الامور السياسية. وقد اتخذ موقفاً فاتراً تجاه حركة الدستور في إيران بالرغم من إن معظم علماء العصر - كما أسلفنا - أيدوا هذه الحركة. وعندما يستفتيه الناس في الامور السياسية يقول أنا أعرف الحلال والحرام ولكني لا أعرف السياسة. وكان لابتعاده عن السياسة أثر في اعتقاد حاكم النجف السياسي في سنة ١٩١٨، كما دونه على الص ١٠٦ في مجموعة التقارير، أنه يميل إلى الإنجليز. وقد توفي السيد اليزدي في ٣٠ نيسان، ١٩١٩، فانفرد الشيخ محمد تقي الشيرازي بالزعامة الدينية، وكان لفتاواه ومواقفه الإيجابية من الحركة الوطنية أثر فعال في إنضمام جماعات غفيرة من العراقيين تحت لواء الثورة ضد الإنجليز في سنة ١٩٢٠. وكان الشيخ الشيرازي من رجال الدين الأفذاذ الذين واكبوا سير الحركات التحررية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصلحة الوطن العليا.

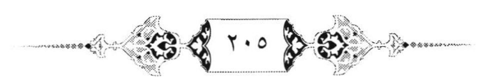
للمسلمين)[1]، والذي أعتقده أن الاستاذ على البازركان كان غير مصيب حين يعتقد أن رجال الفرات لا حاجة لهم بمراجعة رجال الدين لأنهم عينوا أمانيهم القومية وحددوا اهدافهم الوطنية، لأن الدعوة بإسم القومية أو الوطنية لا يمكن أن تؤثر في الجمهور، ومن الصعب عليه أن يفهمها حينذاك. وسبق أن وضحنا في أماكن متعددة من هذا الكتاب إن الكلمة النهائية في الامور السياسية بالعراق خلال هذه الفترة كانت لرجال الدين. يضاف إلى ذلك أن السيد هادي النقيب الذي عدَّه الاستاذ البازركان ممثلاً للنجف لم تكن له صفة دينية مطلقاً فهو ليس من صنف المجتهدين ولا من صنف الفضلاء الذين دونهم وحتى لم يكن من الطلبة الذين هم في القاعدة من الهرم الديني. وكل ما في الأمر أنه ورث لقب النقابة عن أجداده. ومن الجدير بالذكر أن ليس للنقابة أهمية دينية بين أوساط الشيعة كما هي الحال عند السنة، والمرجع الديني الاعلى عند الشيعة هم المجتهدون فقط.

ويستطيع الباحث أن يستنتج من الطريقة التي أُجري فيها إستفتاء سنة ١٩١٨ ومن الحوادث التي رافقته ما يأتي:

أولاً – يظهر ان الحكومة البريطانية تدخلت في الإستفتاء بصورة مباشرة كما حصل في الحلة، أو بصورة غير مباشرة كما حصل في بعض المناطق العراقية الاخرى، لذا لا يمكن الركون إلى نتائج الإستفتاء التي جاء بعضها مؤيداً لرغبة السلطات البريطانية في العراق وهي ادعاؤها بأن العراقيين يفضلون استمرار الحكم البريطاني في العراق.

ثانياً – لقد رأت السلطات البريطانية – لأسباب عملية – أن تقصر الإستفتاء على رؤساء الناس ووجوههم ولم تحاول أن تستمزج رأي الجمهور حول موضوع خطير كهذا. وكتبت المس بيل رغبة منها في توضيح وجهة نظر حكومتها قائلة: (إن سواد الناس الذين وجهت إليهم الأسئلة لم يكن لهم رأي خاص، وهم في وضع لا يمكن ان

(١) الحسني، الثورة، ص ٣٨.



يكونوا فيه مثل هذا الرأي. ولذا فقد كان غير عملي بصورة واضحة أن نقوم بإستجواب عامة الناس من أفراد القبائل والرعاة... والمأمول فيهم في أية حالة كانت أن يرددوا بالإيعاز ما يقول لهم رؤساؤهم، وبذا يكون من الأنفع أن تحال الأسئلة على رؤسائهم فقط. وعلى هذا الأساس كان الشيوخ والرجال المهمون في المناطق الريفية ومراكز الأقضية والولايات هم الذين سئلوا عن آرائهم في هذا الشأن)[١]. وقد اتضح هذا النقص القانوني في طريقة الإستفتاء للكثيرين ممن وجهت إليهم الأسئلة السابقة، ففي الإجتماع الذي عقد لهذا الغرض بكربلاء قال السيد عبد الوهاب آل الوهاب: (إن هذه الجمعية لا تمثل مدينة كربلاء تمثيلاً صحيحاً، إن هنالك طبقات مختلفة يجب أن تستشار في هذا الموضوع...)[٢]. وندد العمري بالموقعّين على عريضة الإستفتاء بالموصل لانهم لم يستمزجوا رأي الجمهور حول الموضوع[٣].

وكان باستطاعة السلطات البريطانية في العراق لو أرادت الوصول إلى نتائج تعبر عن رغبات العراقيين، ان تتبع طرق الإستفتاء التي اتبعتها لجنة الإستفتاء الأمريكية في سورية سنة ١٩١٩ حين أتاحت فرصاً[٤] كافية للسوريين بأن يعبروا عن آرائهم بحرية فقبلت العرائض من الأفراد والمؤسسات وصنفتها واستخرجت منها نتائج صحيحة. ونستطيع القول ان الأحوال الإجتماعية والسياسية في العراق تقارب ما هي عليه في سورية حينذاك، وما تم في سورية على يد لجنة الإستفتاء الأمريكية يمكن أن يتم بالعراق على يد السلطات البريطانية في هذه البلاد.

(١) فصول، ص ١٢٢.

(٢) الحسني الثورة، ص٣١.

(٣) مقدرات، ج٣، ص١٠.

(٤) انطونيوس، جورج، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسدي وإحسان عباس، بيروت ١٩٦٢، ص ٦١١.

الحركات المحلية:

لقد قامت في مناطق العراق حركات ذات صبغة محلية نشأ بعضها عن التذمر من الإجراءات الإدارية الصارمة التي فرضتها السلطات البريطانية، بما فيها فرض الضرائب الثقيلة التي لم يعتد على دفعها أهل البلاد وخاصة سكان المناطق الريفية. وكانت الدوافع الوطنية واضحة في بعض هذه الإنتفاضات لا سيما تلك التي حصلت تحت توجيه وإرشاد جمعيات سياسية امثال بعض حركات الشمال التي قامت بمعونة وإرشاد جمعية العهد في الشام وفرعها في الموصل وحركة النجف التي كان لجمعية (النهضة الإسلامية) صلة بها. وكان بعض هذه الحركات ذات هدف إستقلالي محلي وهو التخلص من السيطرة الإنجليزية أمثال حركة الشيخ محمود في السليمانية. وقد وردت تفصيلات وافية عن الحركات العسكرية في مظانها(١) لذا لا أرى ضرورة لبحث هذه الناحية وسأقتصر على ذكر الخطوط العامة فقط.

أولاً- حركة الشيخ محمود: لقد إتفق الشيخ محمود أحد زعماء الأكراد البارزين في السليمانية مع الإنجليز على إقامة حكومة محلية في منطقته، وقد نشأت هذه الحكومة فعلاً ولكنها ما لبثت أن اصطدمت مع سلطات الإحتلال فكان ذلك سبباً للقضاء عليها. ويقول أمين زكي إن حكومة الشيخ محمود: (تأسست بعد الحرب العامة في إحدى زوايا كردستان الجنوبي (السليمانية)... يتعضد من الحكومة الإنجليزية ومساعدتها. فبدل ان تقوم هذه الحكومة بوظيفتها بهدوء، إذا بها تضطر للاشتباك مع الإنجليز...)(٢).

---

(١) العمري، محمد طاهر، تاريخ مقدرات العراق السياسية (ثلاثة أجزاء) بغداد ١٩٢٥؛ والحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية، صيدا ١٩٥٢؛ بيل، المس. فصول من تاريخ العراق الحديث (تعريب جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩؛ وشاكر، صابر موجز تاريخ التركمان، ج١، بغداد ١٩٦٠.

(٢) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، بغداد ١٩٦١، ص ٢٦٥.



وقد حصل التصادم بين قوات الإحتلال والشيخ محمود لأنه أظهر ميولاً إستقلالية من جهة، ولوجود مصاعب إدارية وإقتصادية تحول دون تحقيق فكرة وجود دولة كردية من جهة اخرى. ومن هذه الصعوبات - كما رآها ولسن - تأخر البلاد ورداءة المواصلات واضطراب حبل الأمن بين القبائل، يضاف إلى ذلك إن بلاد كردستان لا تستطيع أن تعيش من الناحية الإقتصادية والجغرافية إلا كجزء من العراق لأن المدينتين اللتين تستوردان منتجات هذه المنطقة هما الموصل وبغداد. ويضيف ولسن قائلاً: إن هذه الحقائق كانت معروفة لدى الجميع، ولهذا أظهر عدد من مثقفي الأكراد رغبتهم في إدارة لا مركزية لمنطقتهم ضمن إطار دولة عراقية، على أن تكون هذه الدولة تحت إرشاد بريطانية). وقد تمكن الشيخ محمود من الصمود في وجه القوات البريطانية حيناً ولكن الإنجليز قضوا على حركته وحكموا عليه بالإعدام ثم أبدلوا حكمه بالسجن المؤبد(١) وأخيراً عفي عنه.

وقد حصلت حوادث في منطقة العمادية والعقر والكويان ضد السلطات البريطانية قتل فها عدد من ضباطهم وجنودهم. وقد أورد العمري تفصيلات عن هذه الحوادث(٢). وتعزو المس بيل حركة الكويان خاصة ومعظم حركات الأكراد في كردستان الشمالية إلى تحريض الأتراك من جهة وإلى العداء المستحكم بين السكان المسيحيين المحليين والأكراد في هذه المناطق(٣).

ثانياً - الحركات الثورية في دير الزور والموصل: لقد كان معظم الحركات التي حصلت في جهات دير الزور والموصل ضد الإنجليزيجري بتأييد ومعونة جمعية العهد

---

(١) **Op. cit, 2, p. 138.**

(٢) مقدرات العراق، ج٣، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠.

(٣) فصول من تاريخ العراق، ص ٩٧.

العراقي بسورية وفرعها بالموصل(١)، وكان لواء دير الزور بعد انسحاب الأتراك منه قد انضم إلى الحكومة الفيصلية في سورية(٢)، ولكن سوء إدارة الحكومة السورية وفقدان سيطرتها التامة على موظفيها حملت الأهالي في دير الزور على طلب الإنضواء تحت الإدارة البريطانية، وقد اهتبلت السلطات البريطانية هذه الفرصة فاحتلت دير الزور وأسست فيه حكمها الذي دام سنة كاملة وقد نال أهل الدير من عنت السلطات البريطانية ما جعلهم يندمون على انضوائهم تحت حكمها ويطلبون العودة إلى سورية. وكان من نتيجة ذلك أن استفاد رجال جمعية العهد العراقي من نفوذهم في الحكومة الفيصلية في الشام وعملوا على تخليص دير الزور من حكم بريطانية. ومن الذين ساعدوهم في تحقيق هذا الغرض رمضان الشلاش الذي كان ضابطاً في الجيش التركي سابقاً ثم انخرط في جيش الشريف حسين، وتمكن رمضان الشلاش بمعونة قبيلته البو سراي التي هي فرع من العكيدات أن يحتل دير الزور في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٩.

وقد ضم الدير إلى الدولة العربية في سورية بعد مفاوضات جرت بينها وبين السلطات البريطانية في العراق(٣). وكانت الأهمية السياسية لإحتلال الدير تفوق الأهمية العسكرية، وعندما يتحدث هالدن عن الحركة في دير الزور والمناطق المجاورة يقول: (كانت الدعاوة الموجهة من سورية في الفترة التي تبدأ بشهر نيسان أو مايس سنة ١٩١٩ تعمل على تسميم أفكار السكان في العراق وخاصة القبائل الساكنة في الجهات السفلى من نهر الفرات... وقد اختار العاملون ضدنا منطقة دير الزور... نقطة انطلاق لعملهم. وتمكن هؤلاء أن يسيروا وفق خطة محكمة جيداً، فاتخذوا من رمضان الشلاش أداة لتنفيذ هذه الخطة، وكانت المهمة التي أناطتها الحكومة الشريفية برمضان هذا تتلخص في إثارة

---

(١) البصير، ن. م، ج١، ص ١١٤.

(٢) العمري، ن. م، ج٣، ص ٢٨٤.

(٣) البصير، ن. م، ج١، ص ١٢١ - ١٢٣.

قبيلته لإحتلال دير الزور، وحينئذ تتنصل هذه الحكومة من المسؤولية بحجة أنها لا تملك القوة الكافية لتأديبه ولكنها في الوقت نفسه تجني ثمار هذه العملية وتضم منطقة دير الزور إليها).

وكان سؤال الساعة الذي تردد على الألسن هو ماذا يكون رجع الحكومة البريطانية تجاه هذه الحركة؟ ويجيب هالدن على هذا السؤال بقوله: (إن بريطانية لم تستطع ان تعمل شيئاً تجاه القائمين بإحتلال دير الزور وإنها قبلت الإهانة التي وجهت إليها وأصبح واضحاً في ذهن البعض منذ ذلك الحين إن قيام حركة في العراق اصبح قضية مسلّماً بها)، وأصبح واضحاً في طول البلاد وعرضها إنه إذا كان بمقدور قبيلة العكيدات التي هي من أصل غير شريف **Base-borne** على حد قول الجنرال هالدن، والتي لا تتمتع بشهرة كبيرة كقبيلة محاربة أن تطرد البريطانيين من دير الزور بمحض إرادتها، فكم يكون عندئذ سهلاً على قبائل الفرات الأسفل التي اشتهرت بقوة الشكيمة أن تقوم في الدور نفسه؟ ويستمر الجنرال هالدن بكلامه فيقول: (أصبح وضعنا في نظر قبائل الفرات الأسفل بعد ما أصابنا من الانتكاسات السابقة سيئاً وأعتقد حتى الجبناء منهم أنهم يستطيعون دحر قواتنا). ولم يرد هالدن أن يبحث مسألة إعادة إحتلال دير الزور وهل انها عملية او غير عملية ولكنه يقول: (لو كان بمقدورنا أن نعيد إحتلال دير الزور بعد أن سلمت للحكومة العربية السورية بسرعة وبصورة فعالة لكان بإمكاننا أن نتجنب المضايقات التي جابهناها في منطقة البو كمال وعانة، وقد أجازف وأقول أننا لو قمنا بذلك لما قامت الحركات التالية ضدنا في العراق). وقد اتضحت، كما يقول هالدن، نتائج ضعف الإنجليز لأصدقائهم من العرب فتنبأ فهد بك بن هذال، رئيس فخذ العمارات من قبيلة عنزة، الذي حافظ على ولائه للإنجليز أثناء الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ أمام أحد الضباط الإنجليز في شباط ١٩٢٠ وقال: (إذا لم تعيدوا إحتلال دير الزور - صدقتموني في ذلك أم لم تصدقوني -

فإنكم ستواجهون ثورة في الفرات الأسفل خلال ستة أشهر)[1].

ولا أريد أن أُناقش هنا صحة تنبؤات الجنرال هالدن وصديقه الشيخ فهد بن هذال عن أسباب قيام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ولكني أقول أنهما يبسطان هذه الأسباب تبسيطاً لا يقره الواقع، كما يظهر لك من الفصول السابقة واللاحقة من هذا الكتاب.

اما الحركات الثورية التي في شمال العراق التي حظيت بتأييد ومعونة فرع جمعية العهد بالموصل، فيلخصها الاستاذ عبد المنعم الغلامي بما يأتي:

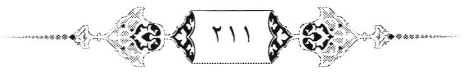
١. واقعة حرق القطار في عين الدبس جنوب الشرقاط في الغارة التي شنت بتاريخ ٢٤ مايس ١٩٢٠ برئاسة فهد بن بطيخ من لواء الكوت وعبد العزيز الفتيان من أهل عانة.
٢. واقعة تلعرف المشهورة في يوم ٤ حزيران ١٩٢٠.
٣. واقعة الجرفان بالقرب من (القيارة) في أول تموز ١٩٢٠. وكلتا الواقعتين كانتا بقيادة جميل محمد آل خليل افندي.
٤. واقعة الخميرة (موضع بين قرية شيخ ابراهيم وقرية المحلبية بقضاء تلعفر) وكانت قد جرت بين جماعة من عشيرة العفاريت من عبدة برئاسة مبرد بن مناور السوكي وبين قوة انجليزية يقودها دنتن حاكم تلعفر في ايلول ١٩٢٠.
٥. واقعة البوير (قرية من قرى ناحية حميدات). وممن اشترك فيها سليمان أغا الكركري ويونس ابن الثائر المشهور بلبيل[2].

يضاف إلى ذلك إن قوة نظامية يقدرها هالدن بألف رجل وردت من سورية في ٢٦ مايس ١٩٢٠ وعسكرت في الفدغمي على نهر الخابور ويصحبها مثل هذا العدد أو أكثر

---

(١) Op. cit, p. 32-34 <

(٢) المعرفة، السنة الثانية، ج ٣٩، ١٥ آب ١٩٦٢، ص ٢٠.



من القبائل غير النظاميين وكانت خطة قائدها الذي قيل أنه جميل باشا [١] الذي كان يوقع رسائل لغرض الدعاوة بإسم (قائد القوات العراقية الشمالية) تنطوي على التقدم نحو الموصل بغية الإتصال بحركة القبائل القادمة من الشمال وتلك التي قدمت من الشرقاط على الفرات [٢]. ويظهر أن المصادر صامتة عن مصير هذه القوة وعن الإنجازات التي تمت على يدها، ويلوح لي أن بعض المؤرخين العرب [٣] قد نسبوا ما أنجزه جميل محمد آل خليل أفندي في تلعفر إلى جميل المدفعي قائد القوة العسكرية في الفدغمي في ٢٦ من مايس ١٩٢٠، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

أولاً - يظهر من رواية الجنرال هالدن عن حادثة تلعفر أن جميل المدفعي وقواته لم تكن موجودة في تلعفر عند وقوع الحادثة فيها، ويقول الجنرال المذكور: (لقد عقد الوجهاء المحليون إجتماعاً في ليلة ٢/ ٣ حزيران خطب فيه ضابط سابق [٤] في الجيش التركي قائلاً إن قوات كبيرة تعود لحكومة الشرفاء في سورية قادمة نحونا وأنتم مدعوون للتعاون في هذا المضمار أما في الإنضمام إلى القوات القادمة أو إحتلال تلعفر وضمّه إلى الدولة الشريفية في سورية).

وقد ذهب بعد ذلك جميع الأغوات أو الوجهاء المحليون على أمل أن ينضموا إلى القوات القادمة لكنهم ما لبثوا أن غيّروا رأيهم وعادوا. وفي صباح الرابع من حزيران هاجمت مدينة تلعفر جماعة من رجال القبائل وانضم إليها سكان المدينة وحينئذ قتل أحد أفراد الجندرمة ضابطهم الكابتن ستورات **Staurt** حينما كان يتجول هناك [٥]. ويظهر من

---

(١) يقصد جميل أحد رؤساء مجلس الأعيان خلال العهد الملكي في العراق.

(٢) **Haldane, Op. cit, p. 39.**

(٣) الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ٤٨ - ٤٩. البصير، ن.م، ج١، ص١٣١.

(٤) أعتقد ان الجنرال هالدن يشير إلى جميل محمد قائد حركة تلعفر الذي كان ضابطاً سابقاً في الجيش العثماني.

(٥) **Haldane, Op. cit, p. 41-2.**

هذه الرواية أن قوات جميل المدفعي المعسكرة في الفدغمي لم تكن موجودة في تلعفر[1] عند وقوع الحادثة.

ثانياً – إن رواية الاستاذ عبد المنعم الغلامي، وهو من المعاصرين والمشتغلين في القضايا الوطنية، التي أوردناها سابقاً تبين أن قائد الحركة في تلعفر هو جميل محمد آل خليل وليس جميل المدفعي.

ثالثاً – لقد قابل الاستاذ على البازركان جميل محمد الخيال[2] في استانبول سنة ١٩٣١ وسأله عن قصة تلعفر فقال له: (كنت قائد الدرك عند القوة الإنجليزية في تلعفر... وكانت القوة التي أنا أقودها من الدرك الموصليين فقتل أحدهم الضابطين البريطانيين ومن معهم ولما كنت موظفاً لدى الإنجليز (أي قائد الدرك) وقمتُ بهذا العمل ضدهم حكموا عليَّ بالإعدام... فقلت له ولكن المشهور إن الذي هجم على قلعة تلعفر وقتل قائد الحامية هو جميل المدفعي، فأجابني ليس الأمر كذلك لأني أنا الذي متهم بالقتل وأنا المحكوم عليَّ بالإعدام). ويستطرد الاستاذ البازركان فيقول: ان شخصاً إسمه الحاج زكي الذي كان موظفاً عدلياً بديار بكر حينذاك أيَّد أقوال جميل محمد السابقة[3].

رابعاً – الحركات الثورية في النجف: لحركة النجف ضد سلطات الإحتلال البريطانية أسباب يمكن أن نجملها بما يأتي:

أ. تذمر شيوخ المحلات النجفية من حكم البريطانيين. سبق أن أشرنا إلى أن النجفيين طردوا الحامية التركية في نيسان سنة ١٩١٥، وبقيت النجف منذ ذلك التاريخ حتى آب ١٩١٧ مستقلة إستقلالاً ذاتياً تاماً يحكمها شيوخ الأطراف الأربعة التي كانت

---

(١) لقد أورد شاكر صابر على الص ١٣٨ – ١٣٩ من الجزء الأول من كتابه (موجز تاريخ التركمان) معلومات عن حركة تلعفر وإسماء بعض الأغوات الذين اشتركوا فيها.

(٢) هو جميل محمد آل خليل نفسه.

(٣) الوقائع الحقيقية، ص ١٨٤ – ١٨٥.



تنقسم لها المدينة [1]، ويظهر أن سلطتهم على المدينة كانت واسعة، حتى أن أحدهم وهو عطية أبو كلل زعيم الزقرت إستطاع أن يؤسس له حكومة مؤقتة **Interim-government** في النجف بين ١٩١٥ - ١٩١٦[2]. وعندما قدم الإنجليز للنجف في آب ١٩١٧ وجدوا سلطة زعماء الأطراف النجفية قوية، لذا فأنه ليس من السهل عليهم أن ينشروا نفوذهم هناك دون معارضة[3]، ففكروا بالإستعانة بالشيوخ أولًا في حكم النجف ولكنهم ما لبثوا أن عيّنوا الكابتن بلفور **F.C.C. Balfour** أول حاكم للشامية والنجف، ولم تمض مدة طويلة على تعيينه حتى أظهر الشيوخ تمردهم ضد الحكومة على أثر إجراءات اتخذتها لحفظ الامن - كما تدَّعي - في النجف. وكان من أشهر القائمين بهذا التمرد عطية أبو كلل الذي قاد مظاهرات نجم عنها الحاق ضرر بممتلكات الحكومة وببعض ممتلكات الأهلين في أبي صخير والنجف، وقد مرت هذه الحادثة دون تأثير كبير، ولكن الحكومة اتخذت منها دليلاً على أن حوادث مماثلة من شأنها القضاء على سلطة الحكومة ستتبعها حتماً، وكان تنبؤ الحكومة في محلة إذ استمر عطية أبو كلل وكريم الحاج سعد بعد الحادثة سالفة الذكر على تحريض الناس علناً للقيام بالثورة ضد الحكومة، وكان من نتيجة تحريضهم أن تعرضت إحدى طائرات الحكومة لرصاص الأهلين المنبعث من جوانب النجف الأربعة، وقد انزعجت السلطة من ذلك فوضعت غرامة على النجف قدرها (٥٠) ألف روبية و (٥٠٠) بندقية [4].

ب. تذمر النجفيين من تعنت الإداريين البريطانيين: تعاقب على حكم النجف قبل قيام الحركة الرئيسة في سنة ١٩١٨ ثلاثة حكام وهم الكابتن كرين هاوس **Green House**

---

(١) **Reports, I, p. 68.**

(٢) **Longrigg, Op. cit, p. 95.**

(٣) **Reports, I, p. 69.**

(٤) **Ibid, p. 69.**

والكابتن وينكت **Wingate** والكابتن مارشال **W. MarshaII.** وكان الأولان (على جانب عظيم من سوء السيرة والصلف والمسّ بكرامة النجفيين، وكانا إذا أرادا التجول في البلدة أرسلا في مقدمتهما ثلاثة من الشرطة الأكراد الشرسي الاخلاق فيسيرون وهم حاملي السياط فيزعجون الناس ويطلبون منهم الوقوف إجلالاً وإعظاماً لحضرة الحاكم الذي يتهادى خلفهم بعبارات قارصة لا تتحملها -بالطبع- نفوس الأهالي الأبية)[١]، وإذا علمنا أن قبضة الأتراك على النجف في كثير من أدوار حكمهم كانت ضعيفة وأن النجف لسنتين خلتا كانت مستقلة تقريباً، نقدر مبلغ التذمر من سلوك رجال الإدارة البريطانية.

يضاف إلى ذلك أن البريطانيين شددوا قبضتهم على النجف فكتب أحد حكامهم السياسيين يقول: (أن أي تراخ يظهر منا في النجف يضعف سيطرتنا على الفرات بأكمله)[٢].

ج. ثقل الضرائب وتنوعها: كانت النجف ترزح - شأنها في ذلك شأن مدن العراق الآخرى - تحت ثقل الضرائب البريطانية، وقد أشرنا فيما سبق إلى بعض هذه الضرائب كضريبة الدفنية التي كانت حصيلتها في عام ١٩١٨ (٤٨) ألف روبية وتخميناتها للسنة المقبلة (١،٢٠٠،٠٠٠) روبية. وضريبة الكرنتينة وحصيلتها للسنة نفسها (٥٣،٠٠٠) روبية وتخميناتها لسنة ١٩١٩ (١،٢٠٠،٠٠٠) روبية[٣]، وضريبة الكودة وحصيلتها لسنة ١٩١٨ (٨٠) ألف روبية، وضريبة السمك وحصيلتها (١٤٠١٨٦) روبية، وضريبة الخشب والقصب وحصيلتهما (٤٠) الف روبية، وهناك ضرائب متفرقة أهمها:

١. ضريبة ماء الشرب وقدرها نصف آنة على كل قربة.

---

(١) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ج١، صيدا، ١٣٥٣ ص ٢٤٩.

(٢) **- Reports, I, p. 85.**

(٣) لم يتحمل النجفيون جميع هذه الضرائب، بل يساهم بها ذوو الموتى الذين يجلبون أمواتهم للدفن في النجف.

٢. ضريبة البناء.

٣. ضريبة الذبحية.

٤. ضريبة النفط وتخميناتها لسنة ١٩١٩ تساوي (١٢) ألف روبية.

٥. ضريبة الوردية وتؤخذ من حيوانات الأُجرة وكانت حصيلتها (٥٢٠) روبية و (١٥٠٠) روبية في الشهر في الكوفة والنجف على التناظر.

٦. ضريبة الميدانية وقدرها ٢،٥٪ من أثمان الحيوانات التي تباع في السوق عدا الغنم، وبلغت حصيلتها (١٠٠٠) روبية و (٣٠٠) روبية في الشهر في النجف والكوفة على التناظر.

٧. ضريبة الدلالية – وتؤخذ على جميع المواد التي تباع بالمزاد.

٨. الحراسة وبلغت حصيلتها (١٠،٠٠٠) روبية و (٧٥٠٠) روبية في النجف والكوفة على التناظر.

يضاف إلى ذلك التبرعات الإختيارية إذ عندما بنت الحكومة داراً لها في النجف تبرع الأهلون بـ (٤٠٠٠) روبية[١] ويختم الحاكم السياسي تقريره عن الضرائب في النجف بقوله: (لقد حصلت زيادة في حصيلة الضرائب هذه السنة في النجف والكوفة عن السنة الماضية، وإن ما جمعناه في الربع الأول من سنة ١٩١٨ يزيد على مثيله في السنة الماضية. أما في الكوفة فيزيد على (٣) أضعافه)[٢].

ثالثاً – يظهر أن الميول الإستقلالية والوطنية كانت قوية في النجف وكان النجفيون يضيقون ذرعاً بحكم الإنجليز. وقد وردت تفصيلات عن هذه الناحية في كتاب الشيخ محبوبة وغيره[٣]. ويلوح لي أن العامل الوطني والديني لعبا دورهما في حركة النجف

(١) Reports, I, pp. 76, 77, 89.

(٢) Reports, I, p. 89.

(٣) ماضي النجف وحاضرها، ج ١، ص ٢٤٨ – ٢٥٥، الحسني عبد الرزاق، العراق في دوري الإحتلال

الرئيسة سنة ١٩١٨ ومن الأدلة على ذلك:

أ. اشتراك (جمعية النهضة الإسلامية) في النجف في تدبيرها. وتقول المس بيل أن المستندات التي عثرنا عليها عند ضابط الإرتباط الألماني في عانة (دلت... على وجود لجنة للثورة الإسلامية في النجف، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزاً لخلق الإضطرابات بين العشائر، وكان مائة او أكثر من رجال الدين متورطين بها لكنها لم تكن تضم أُناساً ذوي أهمية من الدرجة الأولى، وكان الرئيس شخصاً من أسرة بحر العلوم العلوية كان نشطاً في الدعوة إلى الجهاد حتى وقت سقوط بغداد)[1].

ويقول الشيخ محبوبة أن جماعة من النجفيين ألّفوا (جمعية سرية قوامها ثلة من الأعلام كالعلاّمتين السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري وغيرهما وكانت عليها تدور رحى الجمعية، ومن أفكارهما نستمد وقد مرت على الجمعية أشهر عديدة وهي تسعى من وراء الستار للإنتقام من السلطة المحتلة والوصول إلى غايتها الشريفة، وقبل أن تعم طبقات النجفيين وتصل إلى غيرهم من قبائل العراق دفع الحماس والتزايد فريقاً من أفراد الجمعية إلى إضرام نار الثورة قبل أن يحصلوا على آراء الجمعية...)[2].

ب. كانت للقائمين بالحركة صلات مع العشائر خارج النجف، ويذكر الاستاذ جعفر الخليلي أن منظمي الثورة (دبروا الأمر تدبيراً أعوزه الكثير من الإحتياط والعمل إذ اكتفوا بالإتصال ببعض القبائل على الأخص (العوابد) و (آل علي) و (الحواتم) وأدخلوا في اليمين بعض رجالات القبائل مثل مرزوق العواد ووادي العلي وسلمان الفاضل ومشكوف من شيوخ بني حسن وعدداً كبيراً من شيوخ النجف وحملة السلاح كالبو كلل وكاظم صبي وكريم الحاج راضي وعباس علي الرماحي والحاج

والإنتداب، ج١ ص ٣٨؛ وفرعون، المصدر السابق، ج١، ص ٤١ – ٤٢.

(١) فصول. ص ٥٠.

(٢) ماضي النجف، ج١، ص ٢٤٩ – ٢٥٠.



نجم الذي كان له شأن يذكر، وأقسم الجميع على أن يحملوا السلاح في وجه الإنجليز ساعة تنطلق أول رصاصة من النجف...)[١] وكتب الحاكم السياسي لمنطقة النجف يقول: (لقد بيّنت المحاكمات بأن حركة النجف **Riot** التي نجم عنها مقتل مارشال لم تكن إلا جزءً من حركة كانت ترمي إلى اغتيال جميع الحكام السياسيين في المنطقة، وكان بالإمكان أن تنجح هذه الحركة لو لم يتسرع النجفيون بالقيام بها)[٢].

وقد نتج عن حركة النجف الرئيسة مقتل الكابتن مارشال في ١٩ آذار ١٩١٨، وما كان من الحكومة الإنجليزية في بغداد إلا أن تضع الحصار على مدينة النجف، ذلك الحصار الذي دام أربعين يوماً ذاقت المدينة خلاله أنواع المشقات، وما رفع الحصار إلا بعد أن خضع الأهلون لشروط الحكومة القاسية التي كان من بينها دفع غرامة قدرها (٥٠) ألف روبية وتسليم (١٠٠٠) بندقية وإرسال (١٠٠) شخص للهند كأسرى حرب.

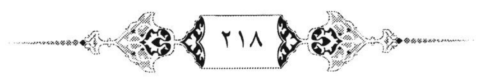
الوسائل السلمية للحركة الوطنية

قد يكون من المفيد قبل البحث في الوسائل السلمية للحركة الوطنية، أن أشير إلى أن بحث الوسائل السلمية بصورة منفصلة عن الحركات العسكرية السابقة لا يعني إنفصال الحركتين السلمية والعسكرية عن بعضهما، بل كانت الواحدة منهما في الواقع متممة للاخرى من جهة، وأنهما كانا يحصلان أحياناً في وقت واحد أو في أوقات يتلو بعضها بعضاً، ولكن تنوع الحوادث العسكرية وإختلاف الوسائل السلمية وحدوثهما في أمكنة وأزمنة مختلفة جعلني أبحث كلَّ حركة منهما على حدة ليسهل على القارئ تتبع حوادثهما ويقدر أهميتهما ثم يخرج من كل ذلك بنتيجة.

---

(١) (كيف عرفت الشيخ عبد الكريم الجزائري) جريدة الأيام السنة الأولى، العدد (١٠٠)، ١١ ربيع الأول ١٣٨٢هـ،١٢ آب ١٩٦٢.

(٢) Reports, I, p. 69-70



وكان من بين الوسائل التي اتُبعت لمقاومة السياسة البريطانية في العراق:

أ. نشر الدعاوة الواسعة ضد حكمهم في العراق، وكان لهذه الدعاوة [١] مراكز متعددة من أهمها المركز الذي أنشأه العراقيون في سورية، وكان معظم هؤلاء من ضباط الجيش العثماني الذين التحقوا بجيش شرفاء مكة في سورية والحجاز خلال الحرب العالمية الأولى، وقد أُسندت لهؤلاء بعد الحرب مراكز إدارية وعسكرية مهمة في سورية خاصة فأثار وجودهم في سورية وإشغالهم مراكز خطيرة فيها تذمر بعض السوريين حتى نادى بعضهم أنَّ (سورية يجب أن تكون للسوريين)[٢]. وكان من نتيجة تذمر السوريين من الجالية العراقية ولدوافع وطنية أن انبرى معظم العراقيين في سورية لشن حملة دعاوة واسعة ضد الإدارة البريطانية في العراق كان هدفها الدعوة لإستقلال العراق وإلا فإشراك العراقيين الموجودين بسورية في إدارة البلاد العراقية على الأقل [٣].

ومن أهم الأعمال التي قام بها العراقيون في سورية:

١. إتصالهم بلجنة الإستفتاء الأمريكية التي أشرت إليها سابقاً، وتوضيحهم قضية العراق لهذه اللجنة، وكان من نتيجة هذه الجهود أن أشارت اللجنة المذكورة إلى قضية العراق في تقريرها الذي قدمته للرئيس ولسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. ومن الاخطار التي رأتها اللجنة في سياسة البريطانيين في العراق هي تشجيع هجرة الهنود [٤] إلى هذه البلاد. وقالت اللجنة حول هذه الناحية: (وفي بلد كالعراق وافر

---

(١) يقول هالدون على الص ٢٨ من كتابه السابق: (ان الدعاوة ذات التأثير القوي استعملت ضدنا لم تتخذ شكلاً واحداً من الأشكال. وكان مثيرو القلاقل **Agitators** مستعدين أن يثيروا كل شيء مهما قلت أهميته، من شأنه أن يخدم غرضهم)

(٢) **Haldane, Op. Cit, p. 26.**

(٣) **Ibid, p. 26.**

(٤) يقول العمري على ص ٥٠ من الجزء الثالث من كتابه الموسوم بـ (مقدرات...) إن جريدة التايمز اللندنية

الغنى بالإمكانات الزراعية والبترول وغيره من المصادر سيلوح حتمياً، رغم توفر كل النوايا الطيبة خطر الإستثمار والسيطرة الإحتكارية من قبل الدولة المنتدبة عن طريق فرض سيادة المصالح البريطانية وخاصة عن طريق هجرة هندية واسعة النطاق. فهذا الخطر وبخاصة خطر الهجرة الهندية، حتى ولو اقتصرت الهجرة على المسلمين الهنود فهم يتخوفون من التمازج بشعب آخر من عرق متباين كلية وعادات مختلفة كلية باعتباره يهدد حضارتهم العربية)[١].

٢. أرسل العراقيون في سورية بعض الشبان العراقيين إلى اوربا بوسائل شتى وبوظائف ظاهرية متنوعة كالإشتراك بالسباق الدولي العام مثلاً وزودوهم بالتعليمات والوسائل المتقضية لنجاح القضية العراقية ولإفهام الرأي العام الاوربي حقيقة قضية العراق. وقد توفق هؤلاء بنشر مقالات إضافية عن القضية العراقية في بعض الصحف الاوربية كجريدة (لاومانتيه) الفرنسية وغيرها من الجرائد. وقد بذل مركز جمعية العهد العراقي في الشام جهوداً أسفرت عن جعل جريدة (لازي آراب) التي كانت تصدر إذ ذاك في باريس كناطقة بلسان العاملين للقضية العربية عامة وللقضيتين السورية والعراقية خاصة، وقد أفادت هذه الجريدة فائدة تذكر في إفهام الرأي العام الاوربي حقائق كثيرة عن قضية العراق.

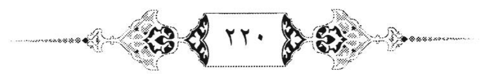
٣. أصدرت جمعية العهد العراقي جريدة (العقاب) في دمشق وجعلتها لسان حالها. وكانت أعدادها ترسل إلى العراق فتوزع على الشعب بواسطة شعبات الجمعية وفروعها، وكان لهذه الجريدة تأثير مهم في بث الدعوة الوطنية بين أهل المدن والعشائر بالرغم من أن سلطات الإحتلال منعت دخولها للعراق[٢].

وكان لفرع جمعية العهد في الموصل أثر كبير في تنفيذ برامج مركز الجمعية في الشام

اقترحت تهجير ثلاثة ملايين هندي إلى العرق.

(١) انطونيوس، جورج، المصدر السابق، ص ٦٢١.

(٢) العمري، ن. م ج٣، ص ٥٠ – ٥٣.



ونشر وسائل دعاوتها في العراق. وقد زود الفرع في الموصل مركز العهد في الشام بمضابط إحتجاجية وتوكيلية، كما زودت أربعين شخصاً من أهل الموصل بمضابط توكيلية عامة لمطالبة السلطة البريطانية بمطاليب شبيهة بتلك التي طلبها مندوبو الشعب في بغداد[١].

وكانت النجف من المراكز المهمة لبث الدعوة والتحريض ضد الإدارة البريطانية في العراق. وقد كان النجفيون على صلة وثيقة لا بمعظم أنحاء العراق حسب، بل في العالم الخارجي أيضاً. وكتب حاكم النجف السياسي في سنة ١٩١٨ يقول: (بالرغم من إنعزال النجفيين فأنهم يستلمون ويوزعون جميع أخبار العالم التي يسمعونها من سيل الزائرين المتدفقين على بلدهم المقدس ولذا يستطيعون أن يتمتعوا بتأثير ضار يتعدى حدود بلدتهم وحتى حدود العراق نفسها)[٢]. ويقول الاستاذ جعفر الخليلي[٣]: اشتهرت النجف في وجود عدد من المجالس[٤] (الدواوين) التي كانت واسطة لنشر الأخبار السياسية وغير السياسية ذات العلاقة بالعالم الداخلي والخارجي البعيد والقريب. وكان المنبع الذي تستمد منه المجالس الأخبار الخارجية يومذاك (حوالي ١٩١٨ - ١٩٢٠) هو بعض الصحف التي تصل إلى النجف من حواضر الشرق الأوسط. أما المنبع الآخر

(١) العمري، ن. م ج٣، ص ٤٦ - ٤٩.

(٢) **Reports, I, p. 67.**

(٣) كيف عرفت الشيخ عبد الكريم الجزائري، (الأيام) العدد ١٠٠ السنة الأولى، ١١ ربيع الأول ١٣٨٢، ٢ آب ١٩٦٢.

(٤) يقول فراتي، على الص ٢٠ من كتابه (على هامش الثورة العراقية الكبرى) المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٢ : إن ندوات للحركة الوطنية قد تألفت في النجف، منها ندوة الشيخ (جواد) الجواهري والشيخ (عبد الكريم) الجزائري، وندوة آل شبيب (الشيخان محمد رضا وباقر الشبيبيان) وآل كمال الدين (محمد سعيد ومحمد علي). ومن هذه الندوات ندوة آل الصافي ومن مشاهيرهم حينذاك السيد محمد رضا والسيد أحمد الصافي النجفي الشاعر الشهير. ويرى فراتي أن في تلك الندوات جرت مشاورات ومباحثات أسفرت عن العمل لحصر الزعامة الروحية في الإمام محمد تقي الشيرازي واستقدامه من سامراء إلى كربلاء دون النجف إذ كان في النجف من يزاحمه وهو المجتهد السيد كاظم اليزدي غير المؤيد للثورة، كما أسفرت هذه المباحثات عن تقوية الصلة بين النجف وبين مراكز الحركة الوطنية الآخرى ببغداد وغيرها من أنحاء العراق.

الذي تستقي منه هذه المجالس أخبارها وترسل عن طريقه ما يدور فيها من مباحثات عن الامور السياسية وغيرها فهم (الجنازون)[١]. وهناك عامل آخر ذو شأن في إتصال النجف بالعالم الخارجي وهو كثرة من يخرج من رجال الدين والمشايخ ومن يرد إليها منهم وكثرة الزوار الذين يؤمون النجف من مختلف الأطراف وخاصة في أوقات معينة من السنة مثل اليوم العاشر من المحرم حين يجتمع الآلاف من الشيعة في كربلاء ثم يقصدون النجف، وزيارة العشرين من صفر حين يجتمع في كربلاء والنجف قرابة الربع مليون من الزائرين لأن معظم المدن العراقية، بما فيها بغداد إعتادت أن ترسل وفوداً كبيرة العدد لحضور هذه المناسبة، وزيارة النوروز أي الإنقلاب الربيعي الذي يصادف بداية السنة الإيرانية، وغير ذلك من المناسبات، وكانت كثرة المشايخ الذين يخرجون من النجف وكثرة الجنائز التي تردها موضع تفكّه الشاعر المعروف السيد أحمد الصافي النجفي حين يقول عن بلدته النجف:

فصادرات بلدتي مشايخ   وواردات بلدتي جنائز

وكان هؤلاء المشايخ الذين يؤلفون صادرات النجف الرئيسة في نظر الشاعر الصافي من أنشط وربما كانوا أكثر تأثيراً من جميع العناصر العاملة ضد البريطانيين في تلك الفترة. ونستطيع أن نقدر الدور الذي لعبه هؤلاء المشايخ حينذاك إذا علمنا إن زمام أغلبية الجمهورالعراقي كان بيد هؤلاء وأنهم هم الذين سيّروا سياسة العراق بالدرجة الأولى في تلك الفترة من تاريخ البلاد.

ويظهر إن السلطات البريطانية ومن والاها من العراقيين غير عالمين تماماً بما كان

(١) الجنازون هم حملة الجنائز الذين يأتون بالجنائز من مختلف الأصقاع وبغاية ما يستطيعون من السرعة خشية تفسخ الجثث ليدفنوها في النجف، وكان هؤلاء ينقلون ما يعرفون من أخبار أصقاعهم ومواطنهم إلى مضيفيهم ومعارفهم وينقلها هؤلاء إلى المجالس التي أشرنا إليها سابقاً فيطلع عليها رواد المجالس وتشيع في البلد، وينقلون بدورهم ما يسمعونه في النجف أو في غيرها من المناطق التي يمرون إلى اصقاعهم.

لهؤلاء المشايخ من تأثير في الجمهور، فيروي الجنرال هالدن أن وكيل الحاكم السياسي في ٣ حزيران ١٩٢٠ كتب له يقول: (أنه من المحتمل أن تحدث إضطرابات خطيرة في البلاد خلال الشهرين القادمين، وأن المناطق التي يخشى قيام الخطر فيها هي الناصرية والنجف وربما كانت الديوانية أيضاً). ويقول الجنرال إن وكيل الحاكم الملكي العام زار الحلة بعد هذا التاريخ فأخبره الحكام السياسيون والشيوخ هناك أن المنطقة التي يخشى منها الخطر - كما يعتقدون - هي بغداد ولذا طلبوا منه أن يلقي القبض على مثيري الفتن فيها. وقد أعطوا الحاكم تأكيدات مفادها أنهم يضمنون له هدوء منطقة الفرات الأسفل، وأن سكان تلك المنطقة لن يتأثروا بدعاوة الملائية **MyIlahs** أي المشايخ الذين يعملون هناك لتحريض القبائل على القيام بالثورة[١]. وقد أثبتت الحوادث التالية أن المشايخ[٢] خلافاً لما تنبأ الحكام أي في ٣٠ حزيران وفي المنطقة الفرات الأوسط. ويحدثنا الشيخ علي الشرقي عن عامل آخر من عوامل إثارة التذمر وبث الدعاوة ضد السلطات البريطانية في النجف ومنها إلى بقية الجهات المتصلة بها والتي كانت تحت تأثيرها الخاص المناطق القبلية على ضفاف الفرات الأسفل والأوسط والغراف وغيرها، فيقول: (وقد عاد المائتان[٣] نجفي المبعدون إلى بلاد الهند وهو مشاعل للنهضة والقصاص فكان هذا وكان منشور الهدنة وكان النزع من النظام العسكري إلى الملكي، وقد اختلفت حالة الفراتيين في الدور العسكري الإنجليزي والدور الملكي الذي أحسوا فيه بثقل الوطأة فلجأ النزع من هذا

---

(١) **Op. cIt, p. 36.**

(٢) تقول المس بيل على الص ٢٩٣ من الجزء الثاني من رسائلها " **Letters of BeIl** " (إن المشكلة عندنا هي كيف نستطيع أن نتفاهم مع الشيعة، وإني لا أقصد سكان الريف حيث إن صلتنا بهم جيدة بل أقصد سكان العتبات المقدسة المتدينين وخاصة زعماء الدين، أي المجتهدين الذين بيدهم الحل والعقد... وبالرغم من أن لنا مع القليل منهم علاقات طيبة، فان أغلبيتهم تعادينا عداءً شديداً)

(٣) كان عدد المبعدين في حركة النجف سنة ١٩١٨ مائة على بعض الروايات ومنها رواية المس بيل في كتابها (فصول من تاريخ العراق) ص ٥٢.



إلى ذاك ثقيل جد الثقل وكانت السياسة المالية فيه ثقيلة والجباية مجحفة...)[١].

ب. مقاومة مشاريع الإنجليز التي كان هدفها تثبيت سلطتهم في العراق: كان من بين المشاريع التي أرادت السلطات البريطانية في العراق إشغال العراقيين فيها عن المطالبة بالإستقلال، بيان الجنرال مارشال المؤرخ في ٢ تشرين الثاني ١٩١٨ الذي عدَّه عربوناً على حسن نوايا حكومته، بينما وصفه أحد[٢] الكتاب العراقيين بأنه سخيف لأنه يرى في تسريح أسرى الحرب والسماح بنقل الجنائز نوعاً من الحكم الذاتي.

ومن مشاريعهم تأسيس المجالس البلدية، يقول فلبي أن ولسن كتب إلى حكومة يقول: (أن الشعب العراقي غير قادر على حكم نفسه وأنه يقترح أن يبادر إلى تدريبه في أُصول الحكم عن طريق التشكيلات البلدية[٣]. ويُعد الحسني تأسيس المجالس البلدية هذه في العراق خلال كانون الثاني ١٩١٩ اسطورة الحكم الوطني [٤]، وكان مشروع الإستفتاء في عام ١٩١٨ من بين المشاريع التي أرادت السلطات البريطانية إشغال العراقيين فيها عن المطالبة بالإستقلال، وكان نصيب هذه المشاريع الفشل[٥] في الغالب، وذلك لأن الجهات الواعية في العراق أظهرت عدم جدية البريطانيين في تقديمها وفي العمل على تنفيذها، وبينت هذه الجهات للجمهور إن هذه المشاريع على هامش القضية العراقية الكبرى وهي الحصول على إستقلال البلاد وليست من صميمها في شيء.

وقد سبق أن ذكرنا تفصيلات عن جهود المشتغلين في الحركة الوطنية في إحباط هذه المشاريع وخاصة الإستفتاء بالطرق السلمية التي كانت متوفرة لديهم حينذاك.

---

(١) (النوادي العراقية) (النهضة العراقية) العدد (٢٣) السنة الأولى، ٣٠ ايلول ١٩٢٧، ربيع الثاني ١٣٤٦.

(٢) الحسني، الثورة، ص ٢٢.

(٣) أيام فلبي في العراق، ص ١٨.

(٤) الحسني، الثورة، ص ١٨.

(٥) العمري. مقدرات، ج ٣، ص ٤٩.

ج. المظاهرات والإحتجاجات ومضابط التوكيل: لقد اتخذ المعنيون بالحركة الوطنية في العراق خلال هذه الفترة من القيام بالمظاهرات ومن إرسال مضابط التوكيل لحكومتي الشرفاء في سورية والحجاز وسائل لمقاومة السلطات البريطانية في داخل العراق وخارجه. فيقول الشيخ علي الشرقي إن السلطة البريطانية في العراق كانت تغالط الشعب فتمنيه بتشكيل مجالس بلدية ولكن هذه التدابير فشلت (فقامت مدن العراق بالمظاهرات والإحتجاجات فتململت كربلاء وتموجت بغداد وصرخت النجف وتحمس الفرات فانفلتت الثورة وكانت ناراً وسلاحاً)[١]. وكانت مضبطة توكيل الموصل من مضابط التوكيل التي أرسلت من العراقيين إلى الحكومة الشريفية في سورية بغية تمثيل العراق في المؤتمرات الدولية وخاصة مؤتمر الصلح بباريس. وقد كتب معتمد فرع جمعية العهد بالموصل إلى مركز الجمعية بالشام بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩ يقول: (أرسلنا التفويض الذي طلبتموه كما تجدونه مربوطاً بهذا الكتاب...)[٢].

وكانت المضابط التوكيلية التي أرسلها الشيخ محمد رضا الشبيبي في أواخر حزيران ١٩١٩ من العراق إلى الشريف حسين في الحجاز أكثر المضابط التي نظمت في هذا الخصوص أهمية لكثرة الموقعين عليها ولأهميتهم الدينية والسياسية، وعندما يتحدث أمين سعيد عن هذه المضابط يقول إن الفراتيين وضعوا (ثلاث مضابط يطلبون فيها ملكاً للعراق من أبناء الحسين، وحمل هذه المضابط إلى مكة الشيخ محمد رضا الشبيبي وسلمها للحسين...)[٣].

وفي صدد أهمية الموقّعين على هذه المضابط يقول العمري إن المضابط التي حملها

(١) (النوادي العراقية) (النهضة العراقية) السنة الأولى، العدد ٢٣، ٣٠ ايلول ١٩٢٧ - ٣ ربيع الثاني ١٩٤٦.

(٢) مؤرخ (صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية) صدى الأحرار السنة الخامسة، العدد ٢٠٤، ١٩ رجب ١٣٧٢هـ - ٣ نيسان ١٩٥٣.

(٣) الثورة العربية الكبرى. ج٢، ص ٣٠.

الشيخ محمد رضا الشبيبي للحجاز كان موقعاً (عليها من قبل أعيان وعلماء وسادات الجعفرية وكلها تنطق بالاحتجاج على أعمال السلطة المحتلة...)[١]. وقد أورد الحسني نص إحدى هذه المضابط كما أشار إلى الصعوبات التي جابهت الشيخ الشبيبي في طريقه ومحاولة سلطة الإحتلال للقبض عليه في البصرة[٢].

دور بغداد في الحركة الوطنية السلمية

كانت بغداد، بما فيها منطقة الكاظمية[٣] الواقعة على بعد (٨) أميال منها، تكوِّن أعظم المراكز المدنية في العراق حينذاك، وكانت نسبة المثقفين في هذه المدينة كبيرة بالقياس إلى المدن العراق الآخرى، لذا كان المشتغلون منهم بالسياسة أكثر من غيرهم في مدن العراق الأُخرى، وذلك قبيل قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠. وقد كثر عدد المشتغلين بالسياسة من العراقيين في مراكز الحركة الوطنية الرئيسة في البلاد بعد إعلان الهدنة وتقريب الإنتداب البريطاني في العراق. ولكن نصيب بغداد من هؤلاء كان أكثر من غيرها من مدن العراق.

وقد نتج عن إعلان الهدنة أن رجع الكثيرون من المنفيين لأسباب سياسية إلى أوطانهم، كما أن الموظفين السابقين في الإدارة والجيش التركي وأكثرية هؤلاء من بغداد عادوا إلى بلدتهم بعد أن أصبحوا عاطلين عن العمل فانضم بعضهم لقافلة السياسة

(١) مقدرات، ج٣، ص ٦٠ - ٦١.

(٢) الثورة، ص ٨٤ - ٨٥.

(٣) تقول المس بيل على الص ٣٩٣ من الجزء الثاني من رسائلها في معرض كلامها عن مجتهدي الشيعة: (ويعيش بعض هؤلاء في الكاظمين (الكاظمية)، المدينة المقدسة الواقعة على (٨) أميال في بغداد، وهي مدينة متعصبة لفكرة الجامعة الإسلامية **Pan-Islamic** وفي الوقت نفسه كانت تكره البريطانيين كرهاً شديداً **Anti-British**...).

رغبة في الحصول على عمل، وانضم آخرون لها بدوافع وطنية، كما اندفع الآخرون لمقاومة البريطانيين بدافع الإخلاص للعهد العثماني المندثر لا سيما أن الرابطة الإسلامية، رغم إن الأتراك لم يكونوا جادين في الدعوة لها، كانت قوية في نفوسهم.

أما تأثير تقرير الإنتداب على العراق في زيادة عدد المشتغلين في السياسة من العراقيين، فهو إن الكثيرين كانوا يأملون خلال أيام الحرب أن الحلفاء سيبرون بوعودهم وانهم سيقيمون دولة عراقية تحقق آمالهم الوطنية من جهة، وييسر لهم الاشتراك بإدارتها فرصاً للعمل من جهة خرى. وبعد أن تقرر الإنتداب ذهب الأمل في إنشاء دولة عراقية مستقلة إدراج الرياح، لا سيما وإن السلطات البريطانية في العراق وعلى رأسها وكيل الحاكم السياسي العام ولسن فسرت الإنتداب تفسيراً خاطئاً وجعلته قريباً من الإستعمار غير المباشر.

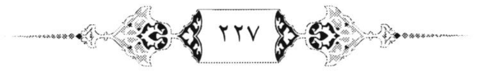
وعندما تتحدث المس بيل عن الحركة الوطنية ببغداد قبيل نشوب الثورة في ٣٠ حزيران تقول: (لكن مركز الدعاوة قد انتقل قبل هذا من سورية والفرات إلى بغداد حيث أن العنصر الناقم الذي يتألف من موظفي العهد التركي البائد قد ازداد عدده خلال الثمانية عشر شهراً التي مرّت على بداية عقد الهدنة، وكان بينهم موظفون كانوا قد أسهموا في أعمال الجيش العربي وشهدوا مجرى الحوادث في سورية، وسواء كانوا ميالين للأتراك أو للعرب فإنهم كانوا ضد السيطرة الأجنبية... حيث أنهم كانوا يصرخون عند المناقشة بأن تأسيس الدولة السورية كان سببه نجاح الثورة العربية وأن الحصول على الشيء نفسه في العراق لا يمكن أن يتم إلا بالالتجاء إلى السلاح أيضاً)[١].

وكان تأسيس المدارس الأهلية[٢] كمدرسة التفيض واتخاذها مركزاً للحركة الوطنية،

---

(١) فصول، ص ١٤٥.

(٢) كان ببغداد في هذا العهد مدرستان أهليتان هما المدرسة الجعفرية والمدرسة الأهلية التي سميت التفيض فيما بعد. وقد أقيمت في هاتين المدرستين عدة حفلات ثقافية في الظاهر ولكنها سياسية بالدرجة الأولى.



من بين الوسائل السلمية التي اتبعت في بغداد لمقاومة سلطات الإحتلال البريطانية في العراق، وقد سبق أن أشرنا إلى الدور الذي لعبته هذه المدرسة في الحركة الوطنية فلا ضرورة للتكرار، وبعد تأسيس الأحزاب السياسية السرية كحزب حرس الإستقلال وغيره، ومن وسائل العمل السياسي الرئيسة التي اتخذها البغداديون وغيرهم من العراقيين لمناهضة السلطات البريطانية في العراق.

ومن الجدير بالذكر أنه رغم ما كسبته الحركة الوطنية في العراق من تقدم خلال فترة الحرب وما تلاها، خاصة بعد أن أظهرت بريطانية نياتها حول بقائها في هذه البلاد، فإن المشتغلين بالسياسة من المثقفين ببغداد وغيرها من مراكز الحركة الوطنية في العراق رأوا أن الوسائل الاعتيادية للعمل السياسي كالإنخراط في الأحزاب وغيرها لا تزل غير كافية لإيصال أهدافهم إلى الجمهور، وبالتالي فإن وسائل الدعوة للحركة الوطنية رغم ما أحرزته من تقدم واضح في بعض الاوساط الشعبية غير كفيلة بكسب تأييد الجمهور لهذه الحركة.

وفي ضوء ما تقدم رأى العاملون في الحركة الوطنية أن يوثقوا صلتهم برجال الدين أكثر فأكثر فيستفيدوا من تأثيرهم في نفوس الجمهور، وليس غريباً بعد هذا أن نرى الحاج محمد جعفر أبو التمن الزعيم الوطني المعروف يقول في الإجتماع[1] الذي عقد بدار حميد

وكان الدكتور محمد مهدي البصير من أدباء العصر الذين أسهموا في الحركة الوطنية، وقد ألقى قصائد عديدة في المناسبات التي أقيمت في المدرسة الجعفرية، والمدرسة الجعفرية رغم أهميتها لم تبلغ الأهمية التي بلغتها مدرسة التفيض في هذا المضمار. وكان الاستاذ علي البازركان من بين الذين عملوا على فتح مدرسة التفض والعناية بها. وكانت بعض إجتماعات حزب الحرس برئاسة السيد محمد الصدر تعقد في مدرسة التفيض.

(١) حضر هذا الإجتماع كل من السيد محمد الصدر، ويوسف أفندي السويدي، وجلال بابان، وفؤاد افندي الدفتري، وعبد الوهاب أفندي النائب، والشيخ سعيد النقشبندي، والسيد محمد مصطفى الخليل، ومحمد جعفر أبو التمن، ورفعت أفندي الجادرجي وغيرهم من أعضاء جمعية (الحرس) وبعض منتسبي رجال جمعية (العهد)

باشا آل بابان في الثالث من شهر شعبان ١٣٣٨هـ والذي حضره موفدو[١] النجف السيد هادي زوين والحاج محسن شلاش رداً على ما بسطه السيد هادي حول استعداد النجف وقبائل الفرات للثورة، : (إن قادة الرأي العام في بغداد مستعدون للعمل بنسبة استعداد العلماء الأعلام ورؤساء القبائل الكرام له...)[٢]. كما ليس غريباً أن نرى قادة الحركة الوطنية ببغداد يلجأون لتنظيم إقامة حفلات (المواليد النبوية) ليجعلوا هذه المناسبات وسائل لتحريض الجمهور على مقاومة السلطات البريطانية في العراق.

وفي معرض كلامها عن الحركة الوطنية ببغداد، تقول المس بيل: (ولأجل تقريب دعوة المطالبة بالإستقلال التام الناجز إلى أفهام الرأي العام الجاهل وجد من الضروري الإلتجاء إلى التعصب الديني، وقد وضحت للوطنيين خلال مدة من الزمن الحاجة إلى تكوين جبهة متحدة من الطائفتين الإسلاميتين فتغلبت المساعي بصورة مؤقتة على التعصب الشديد الذي يفرق بين الطائفتين السنية والشيعية ووقعت أول أعراض هذا التقارب في صيف ١٩١٩ عندما حضر السنة إجتماعين دينيين عقدا لتأبين المجتهد السيد محمد كاظم اليزدي[٣]، (لكن الأهمية السياسية لهذا التقارب لم تظهر بصورة جلية إلا في شهر رمضان الذي بدأ في ١٩ مايس ١٩٢٠ حيث أخذت حفلات (المولد) التي تقام احتفاءً بولادة النبي ﷺ تقام في الجوامع السنية والشيعية بالتناوب، وأخذ أبناء الطائفة

---

(١) يقول الحسني، على الص ٥٥ - ٥٦ من كتابه الموسوم بـ (الثورة العراقية) كان الشيخ محمد باقر الشبيبي، العضو البارز في جمعية الإستقلال وهمزة الوصل بين مقر الجمعية في بغداد وفروعها في الفرات الأوسط، كما كان السيد هادي آل زوين همزة الوصل بين العلماء الأعلام في كربلاء والنجف والزعماء في أبي صخير والشامية، وبين الوطنيين في بغداد.

(٢) الحسني، الثورة، ص ٥٦.

(٣) يقول الحسني، على الص ٥٤ من كتابه الموسوم بـ (الثورة العراقية) ان الشيعيين اكبروا وفاة اليزدي، ورأى السنيون أن يشاطروا اخوانهم في مصابهم، فأقاموا للفقيد العظيم الحفلات التأبينية الكبرى، فكانت هذه الوفاة سبباً مباشراً لتقارب المسلمين في العراق وعاملاً كبيراً من عوامل استحكام الصلات الحسنة بينهم، وقد استغل االمفكرون السياسيون هذه القوة وراحوا يدعمونها ويستعينون بها في القضايا الوطنية الكبرى.

يحضرونها بدعوة من المكلّفين بالإشراف على هذه الجوامع أو من رؤساء (المحلات) التي تقع فيها. وكانت في بعض الأحيان تعقب قراءة المولد التي هي من المراسيم السنية البحتة، قراءة (التعزية) وهي من المراسيم الشيعية التي تقرأ في تأبين الحسين عليه السلام وتقديس استشهاده، لكن الطابع البارز على هذه الحفلات كان في جميع الأوقات إلقاء الخطب السياسية وإنشاد الشعر الوطني متلواً بالمراسيم الدينية المعتادة... وقد حدث في إحدى حفلات المولد أن ألقى موظف[١] شاب من موظفي دائرة الأوقاف خطاباً حماسياً اعتبرته السلطات خطراً على الأمن العام فكان توقيفه سبباً في عقد إجتماع كانت الغاية منه إجراء الترتيبات اللازمة لإطلاق سراحه عنوة)، وتبين المس بيل أن الحكومة أرسلت سيارتين مصفحة لتفريق المتظاهرين فقتل رجل أعمى[٢] سقط عرضا فدهس. وتستمر المس بيل بروايتها فتقول: (كان قادة الحركة ومنظمو حفلات المولد رجال تختلف منزلتهم الإجتماعية وقابليتهم وكان أكفأهم وأكثرهم قدرة رجلان شيعيان هما السيد محمد الصدر... وجعفر أبو التمن... كما كان أبرز السنة في هذا الشأن يوسف فندي السويدي والشيخ أحمد الداود وعلي أفندي البازركان)[٣].

ويظهر أن حفلات المولد والمظاهرات التي صحبتها كانت ذات تأثير كبير في نفوس الجمهور، فيقول العمري: (كانت المظاهرات السلمية والإحتفالات التي تنعقد في الجوامع... تمرداً علنيا يدل على قرب انفجار بركان الثورة في العراق...)[٤].

---

(١) كان إسم هذا الشاب عيسى عبد القادر ولم يلق خطاباً، بل قصيدة مطلعها:

بني النهرين نسل الطيبينا ... أفيقوا واسمعوا حقاً يقينا

وألقى السيد عيسى هذه القصيدة في ٦ رمضان ١٣٣٨هـ، بجامع الحيدر خانة، ولم تكن هذه القصيدة من الشعر الممتاز ولكن تأثيرها كان كبيراً.

(٢) المعروف أن هذا الرجل كان أخرساً واسمه محمد أو عبد الكريم بن رشيد هجم على سيارة الحكومة المصفحة فدهسته وقد أكبر الناس تضحيته وخرجت جموع كبيرة لتشيع جنازته.

(٣) بيل، المس، فصول، ص ١٤٧.

(٤) مقدرات، ج٣، ص ٣٣٥.

وكتبت المس بيل في ١٤ حزيران ١٩٢٠ تقول: لقد مر علينا اسبوع مليء بالحوادث إزدادت فيه دعاوة الوطنيين، وكانوا يقيمون إجتماعات مستمرة في المساجد، وقد ارتفعت درجة الشعور الوطني إلى أعلى من الدرجة ١١٣، وكان المتطرفون يدعون إلى الإستقلال ولا يريدون الإنتداب، وقد سيطر الوطنيون على الغوغاء **Mob** بدعوتهم إلى وحدة المسلمين وحقوق الجنس العربي، وقد أنشأوا حالة ملؤها الخوف، ولو أن شخصاً قام بحركة تهييج بسيطة في السوق لأغلق الناس حوانيتهم. والواقع أن الناس في الاسبوعين الفائتين لم يزاولوا أعمالهم)[١].

وقد حاولت الحكومة دون جدوى أن تحول دون إقامة هذه الحفلات، ومن الوسائل التي اتخذتها هي دعوة عدد كبير من الشبان إلى حفلات تقيمها المس بيل في بيتها لتصرفهم عن الإشتراك في هذه المناسبات الوطنية[٢]، كما أن الحكومة كانت ترسل السيارات المصفحة لتجوب الشوارع لتفريق المتظاهرين[٣].

ويظهر أن مظاهرات شبيهة بالتي جرت في بغداد حصلت بكربلاء لا سيما ان الإمام محمد تقي الشيرازي أصدر منشوراً يدعو الناس فيه إلى التظاهر، فخرجت في كربلاء مظاهرة سلمية صاخبة فاهتمت الحكومة بالأمر ونفت قادة الحركة إلى هنجام، وقد تأثرت النجف وجميع الفرات الأوسط بمنشور الإمام الشيرازي فعقدت عدة إجتماعاًت إشتركت بها وفود رؤساء القبائل في الشامية تمخضت عن تفويض الذوات الآتية أسماؤهم لمفاوضة الحكومة باسم الشامية والنجف: الشيخ جواد الجواهري، الشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي، الحاج عبد المحسن شلاش، السيد علوان الياسري، السيد نور السيد عزيز، ودوَّنَ هذا الوفد مطاليبه في كتاب قدمه بواسطة حاكم النجف والشامية

(١) **The Letters, II, p. 397.**

(٢) علي، عباس، زعيم الثورة العراقية، ص ٥٤.

(٣) بيل، المس، فصول، ص ١٤٧.

إلى نائب الحاكم الملكي العام ببغداد، وظل هذا الوفد مثابراً على عمله، وكان آخر ما فعله إرساله إلى السلطات البريطانية ببغداد إنذاراً بالثورة ما لم تسرع هي بمنح العراقيين حقوقهم المقدسة[١]، وقامت الموصل بمظاهرات صاخبة فأسمعت الحكومة صوتها الداعي للحرية[٢].

وتلخص مطاليب وفد الموصل التي قدمت للسلطات المسؤولة بما يأتي:

أولاً - إنشاء المجلس التأسيسي ليقوم بمهمة تشكيل الحكومة العراقية.

ثانياً - إطلاق الحرية للمطبوعات.

ثالثاً - رفع الحواجز الموضوعة في طريق المراسلات داخلاً وخارجاً.

وقد كثر عدد المظاهرات فتجاوز الخمسين مظاهرة، وقد استاءت السلطات البريطانية من هذه المظاهرات فأذاعت المنشور التالي المؤرخ في ١٣ آب ١٩٢٠: اعتاد بعض المفسدين[٣]... أن يعقدوا المواليد في ليالي الجمعة ظاهراً لمقاصد دينية ولكن في الحقيقة لتهييج أفكار الناس ضد الحكومة... فلهذا وجب علينا أن نعلن إن انعقاد المواليد ممنوع وإن انعقاد الإجتماعات لمقاصد سياسية تعرض القائمين بها لأشد العقاب...

التوقيع

ساندرز أمير لواء القائد المنوط به الدفاع عن بغداد[٤]

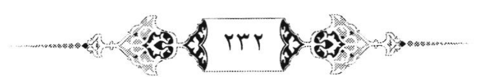
---

(١) البصير، ن.م، ج١، ص ١٥٧.

(٢) البصير، ج١، ص ١٥٨.

(٣) إن ما قلناه سابقاً عن منظمي حفلات المولد النبوي الشريف واشتراك الآلاف من الجمهور فيها يبين أن لهجة مصدر البيان تنقصها سلامة الذوق.

(٤) البصير، ج١، ص ١٥٩.



ويقول ولسن، في تعليق له على هذه الإحتفالات، : (لقد كان من رأي حاكم بغداد ورئيس الشرطة أن تتخذ إجراءات شديدة تجاه القائمين بهذه المواليد ولكني كنت معارضاً لهما، ولكن ظهر لي فيما بعد إنني غير مصيب، وإنني أسأت تقدير أهمية الوطنيين وشدة تأثير دعاوتهم، كما إني لم أعرف تأثير العلماء على الجمهور في الفرات الأوسط، وإني أشعر الآن أننا على وشك خلق حكومة وطنية [1].

المفاوضة بين مندوبي بغداد ونائب الحاكم الملكي العام

لقد أقر المتظاهرون في (جامع الحيدرخانة) إنتخاب خمسة عشر مندوباً لمفاوضة نائب الحاكم الملكي العام حول مستقبل البلاد[2]. وكان السبب المباشر لعقد إجتماع (جامع الحيدرخانه) هو نشر قرارات سان ريمو في العراق، وكان من بين هذه القرارات قرار يقضي بسلخ العراق من تركية ومنحه الإستقلال تحت وصاية البريطانيين، وقدم مندوبو بغداد والكاظمية عريضة لنائب الحاكم الملكي العام في ٩ رمضان ١٣٣٨هـ، الموافق ٢٨ مايس ١٩٢٠. وكانت الحكومة قد ارتأت أن تدعو واحداً وعشرين شخصاً (من المشهورين بموالاة السلطة)[3]، وقد اجتمع مندوبو الشعب وأصدقاء الحكومة بنائب الحاكم العام فخطب فيهم خطبة[4] ملخصها:

---

(١) Wilson, Op. cit, II, p. 254.

(٢) أورد الحسين، على الص ٥٨ من كتابه الموسوم بـ (الثورة العرقية) أسماء المندوبين وهم:
١- فؤاد الدفتري ٢- محمد جعفر أبو التمن ٣- الشيخ أحمد الظهر ٤- الشيخ أحمد الداود ٥- السيد أبو القاسم الكاشاني ٦- علي البازركان ٧- السيد عبد الكريم الحيدري ٨- الحاج ياسين الخضيري ٩- عبد الرحمن الحيدري ١٠- رفعت الجادرجي ١١- الشيخ سعيد النقشبندي ١٢- عبد الوهاب النائب ١٣- محمد مصطفى الخليل ١٤- السيد محمد الصدر ١٥- يوسف السويدي.

(٣) الحسني، الثورة، ص ٥٩.

(٤) نشر النص الكامل لخطاب ولسن في بغداد (٣) من جريدة (العراق) البغدادية المؤرخ في ١٥ رمضان ١٣٣٨هـ - ٣ حزيران ١٩٢٠.

١. أشار إلى التصريح الفرنسي - الإنجليزي الصادر في الثامن من تشرين الثاني ١٩١٨ وإلى المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الامم تناولت نظام الإنتداب.

٢. قال: (أصرح لكم أن حكومة جلالة الملك ترغب في تأسيس حكومة [١] وطنية في العراق). ثم أشار إلى الأسباب التي ادت إلى تأخير إنشاء هذه الدولة، وكان من بين هذه الأسباب الصعوبات الخارجية الناشئة من اضطراب الحالة في إيران وتركية وسورية.

٣. أشار إلى إستعمال الشدة ضد الذين يستعملون العنف فقال: (لن أتردد في الإستعانة بالسلطة العسكرية لاستخدام القوة الكافية لإستتباب النظام في البلاد).

٤. أشار إلى الغاية من هذا الإجتماع فقال: (إن ما ننويه هو تشكيل مجلس للامة يرأسه رئيس عربي يتولى الرئاسة إلى أن يرفع دستور العراق الأساسي إلى المجلس التشريعي المنوى أيضاً تشكيله...). وفي نهاية الخطاب طلب من الحاضرين أن يبدوا مطالبيهم.

فقام السيد محمد الصدر وقال: (إن الحركة في البلاد هي حركة سلمية لا يقصد منها إثارة القلأقل وجلُّ مطالبينا هو تأليف حكومة وطنية تؤلف على حسب تصريحات الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانية وفرنسة في تصريحيهما الذي أذاعتاه في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وعملاً بقرارات سان ريمو...). وقال أيضاً: (إن ما قلته وافق عليه الأعضاء وهو مكتوب)، فقام يوسف السويدي وسلَّم الحاكم نص القرار[٢] للحاكم، وجرت مفاوضات ومباحثات طويلة بين الطرفين كان المعبر عن الوفد فيها يوسف السويدي، وقد ألحَّ السويدي على نائب الحاكم الملكي العام بوجوب تأسيس حكومة عراقية في

---

(١) وردت كلمة (حكومة) في النص ولا نعلم هل أن الحاكم يقصد منها دولة وحينئذ تكون السيادة للعراقيين فيها أم أن النص يطابق مقصوده وحينئذ تكون المؤسسة المنوى تأسيسها مجرد أداة تنفيذية وتحتفظ بريطانية بالسيادة، ومثل هذا النظام موجود حينذاك إذ أن حكومة الهند كانت قائمة ولكن السيادة على الهند كانت بيد ببريطانية.

(٢) أورد الحسيني،على الص ٦٤ من كتابه الموسوم بـ (الثورة) نص القرار المذكور، وأهم ما جاء به المطالبة بتأليف مؤتمر يمثل الامة العراقية ليعين مصيرها فيقرر شكل إدارتها في الداخل ونوع علاقتها في الخارج.

الحال عملاً بقرارات مؤتمر (سان ريمو) فردَّ عليه نائب الحاكم ولسن بقوله: (ان القرار الذي تصدق في مؤتمر (سان ريمو) قضى بإستقلال سورية والعراق وبوصاية فرنسية على سورية ووصاية بريطانية على العراق...). ثم قال نائب الحاكم: (إنه لا يمكن البت في هذه المسألة والمباشرة فيها، بل أنه سيرفع هذه المطالب إلى الحكومة البريطانية... على أن الحكومة البريطانية نفسها ليست مطلقة الإرادة، بل إنها مقيدة بقرار عصبة الامم...)[1].

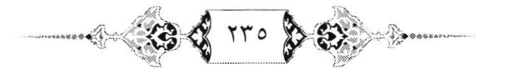
وقد أنحى الناس باللائمة على السويدي إذ أنه بهذا التصريح كان قد اعترف بشرعية إتفاقية (سان ريمو) التي شجبها العرب لأنها لا تحقق أهدافهم الوطنية كما احتج الصدر على صاحب (جريدة العراق)[2] لأنه أثبت في خطابه الإشارة إلى مؤتمر (سان ريمو) مع أنه لم يذكر هذه الكلمة في الخطاب.

ويستطيع الباحث أن يستنتج من خطاب نائب الحاكم الملكي العام ومن سير المفاوضات التي حصلت بين مندوبي بغداد والسلطات البريطانية في العراق أن وجهات النظر متباعدة بين الفريقين، فالحكومة تعمل على استحصال إعتراف العراقيين بالإنتداب مستفيدة من القرارات الدولية التي اتخذت بشأن العراق وخاصة المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم ومقررات (سان ريمو) وكلهم يؤيد فرض الإنتداب على العراق، بينما أظهرت الجهات العاملة في حقل الحركة الوطنية من العراقيين ومنها ممثلو بغداد في المفاوضات سالفة الذكر وغيرها أنها لا تقر الإنتداب وأنها تطالب بإنشاء دولة عراقية ذات سيادة في الحال.

ويظهر أن إشارة بعض المندوبين إلى قرارات مؤتمر سان ريمو، إن صحة هذا الإشارة ناتجة عن قلة إلمامهم بما تعني هذا القرارات، والدليل على ذلك أنهم استندوا في معرض مطالبتهم بتأسيس دولة عراقية ذات سيادة على قرارات مؤتمر سان ريمو وعلى التصريح

(١) العراق السنة الأولى، العدد (٣) ٣ حزيران ١٩٢٠ - ١٥ رمضان ١٣٣٨هـ.

(٢) العدد، ٤، ٤ حزيران، ١٩٢٠.



الفرنسي الإنجليزي المشترك مع أن منطوق أحدهما يختلف عن الآخر، وأن التصريح يخدم قضيتهم، بينما مقررات سان ريمو تنص بصراحة على فرض الإنتداب على العراق، يضاف إلى ذلك إن حسن النية - كما يظهر - لم يكن متوفراً لدى الفريقين المتفاوضين إذ كان كلاهما يحاول أن يدحض حجج خصمه باللجوء للمنطق والتلاعب بالألفاظ. وعلى هذا يمكن أن توصف مفاوضة المندوبين البغداديين مع السلطات البريطانية بأنها شبيهة بالمناظرة التي يعقدها الفرقاء لا ليتوصلوا إلى حل ينال موافقة الطرفين، بل ليكسبوا الجولة ويدحروا خصمهم بدلاً من أن يتفقوا معه حول القضية موضوع المناقشة.

وبعد أن أخفقت مفاوضات البغداديين مع السلطات البريطانية، كما أخفقت الوسائل السلمية الأُخرى التي لجأ إليها العاملون في الحركة الوطنية في المناطق الأُخرى من العراق، أصبح مفهوماً للحكومة وللعراقيين معاً أن الوسائل السلمية لا تحل مشكلة، وظهر للفريق العراقي خاصة أن قضيته لا تحلها إلا الثورة المسلحة، وهكذا كان فأعلنت الثورة في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ كما سنرى في الفصول القادمة.

الفصل الرابع:

أسباب الثورة ومقدماتها

تتبعت في الفصول السابقة سير الحركة التحررية في العراق وأشرت إلى المراحل التي مرَّت بها، سواء كان ذلك في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى أو في أثنائها. وبعد أن أسفرت التسويات السياسية بعد الحرب عن فرض الإنتداب على العراق، كان ذلك مخيباً لآمال القائمين في الحركة الوطنية من العراقيين من جهة، وبرهاناً على حنث الحلفاء بما فيهم بريطانية بعهودهم من جهة أُخرى وكان لانتهاء الحرب وتوضيح موقف بريطانية حول آمال العراقيين بالإستقلال وقيام الحركات التحررية في الشرق الأدنى والهند تأثير مهم في تحفيز القائمين في الحركة الوطنية العراقية على الإستمرار في تهيئة الوسائل وبذل الجهود الرامية لنجاح القضية العراقية لا سيما وأن الحركة الوطنية في السنتين اللتين تلتا عقد الهدنة كسبت تأييد جماعات كبيرة من الجمهور، وكان تأييد جماعات كبيرة من سكان المدن للأحزاب والهيئات العاملة في الحقل الوطني وإنضمام عدد من رؤساء القبائل لهذه الأحزاب وتشجيع أكثرية رجال الدين للحركة الوطنية وإسهامهم فيها، يقوم دليلاً على انتشار وقوة الحركة الوطنية لهذا الدور من تأريخ العراق. وبعد أن أخفقت الوسائل السلمية والإنتفاضات المحلية - كما أسلفنا - رأى العاملون في حقل الحركة الوطنية أنه لا مناص من استعمال القوة كمحاولة أخيرة لحمل البريطانيين على تغيير موقفهم إتجاه آمال أهل العراق في الحصول على الإستقلال. ويمكن أن نجمل أسباب الثورة بما يأتي:

أ - الاسباب الخارجية وهي:

أولاً- إصرار بريطانية على حكم العراق حكماً مباشراً أو عن طريق الإنتداب: إتضح من أقوال المسؤولين البريطانيين إن بريطانية لا تنوي التخلي عن حكم العراق مباشرة أو فرض الإنتداب عليه على الأقل، فقال الكولونيل ولسن قبيل قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠: (لقد زرت البصرة فاظهر لي جماعة [١] من البصريين عدم تأييدهم للحركة الوطنية ببغداد، ثم زرت الحلة وكربلاء بعد ذلك فرأيت الهدوء مخيماً فيهما كما اتصل بعلمي أن المجتهدين حاولوا مقاومة الإنتداب البريطاني على العراق ولكن حظ جهودهم من النجاح كان قليلاً[٢]، وفي اليوم الذي اُطلقت فيه أول شرارة لإعلان الثورة، أي في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ نشرت السلطات البريطانية ببغداد الخبر التالي: (وصل دائرة الحاكم الملكي مضبطتان موقعتان من (٥٠) زعيماً ممثلي ناحيتي الديوانية والعفك وعشائرهما تؤيدان المضابط التي عرضت السنة الماضية وتعربان عن قبول الحكومة البريطانية وصية على العراق وتشيران إلى عدم اشتراك الموقعين عليها في الآراء التي عسى أن يكون قد أبداها غيرهم وهي مباينة لآرائهم)[٣]. ولا نعلق على أهمية وجود مضابط كهذه خاصة، وصحة معلومات الحكومة عن الحالة في الديوانية عامة، بأكثر من أن نقول إن معظم مناطق الديوانية بتاريخ نشر الخبر سالف الذكر كانت مشتبكة مع قوات الحكومة بحرب فعلية وإن موقعوها إن صح وجودهم لا يمثلون الإتجاه العام في منطقتهم، وعندما انتقدت سياسة الحكومة البريطانية في العراق في تشرين الثاني ١٩١٩

---

(١) تقول المس بيل على الص ١٥٣ من كتابها الموسوم بـ (فصول من تاريخ) أن السيد طالب النقيب منذ عودته لبلاده من الهند (لم يفوِّت فرصة يثبت فيها اقتناعه بأن مصلحة العراق متوقفة على قبول الإنتداب البريطاني).

(٢) Op. cit, p.

(٣) (العراق) السنة الأولى، العدد ٢٥، ٣٠ حزيران ١٩٢٠ - ١٣ شوال ١٣٣٨هـ.

من قبل الصحافة والمعارضة بمجلس العموم البريطاني على أساس أنها تكون عبئاً ثقيلاً على موارد بريطانية المالية(١) وقواتها العسكرية وطالب المعارضون بالإنسحاب من العراق، رد رئيس الوزراء المستر لويد جورج "**Lloyd George**" على المعارضة بقوله: (أن ولاية الموصل العراقية غنية بالنفط وحالما تنسحب بريطانية من العراق تحل محلها دولة أُخرى)(٢). وفي الثالث والعشرين من حزيران ١٩٢٠ تقدم المستر اسكويث باقتراح يرمي إلى الإنسحاب من العراق وقال: (إذا نظرنا إلى أحوال البلاد وما نحن عليه من الضيق المالي، حكمنا دون تردد أننا ساعون في تكليف أنفسنا فوق طاقتها، إذا أخذنا على عهدتنا صرف ٣٠ أو ٤٠ مليون ليرة على قطر ليس فيه من السكان سوى مليوني نسمة)، فردَّ عليه المستر لويد جورج بقوله: (أمن المعقول أننا بعد كل هذه الجهود التي قمنا بها نغادر العراق تاركين كل شيء خوفاً وسأماً من ثقل حملها؟). وقد أجابت أكثرية المجلس رئيس الوزراء بالنفي وقالوا: (كلا كلا)(٣).

ومن هذا يظهر أن السياسة البريطانية في العراق كانت تستهدف البقاء في هذه البلاد وأن ثورة العشرين كانت من العوامل الرئيسة في تغيير هذه السياسة أو كسبها مرونة أكثر من ذي قبل على الأقل.

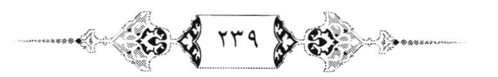
ويبدو أن المس بيل كانت أكثر تفهماً من نائب الحاكم الملكي العام ولسن، لقوة الشعور الوطني في العراق. وبالرغم من أنها تنبأت بحدوث ثورة في العراق إذا لم تغير بريطانية سياستها في العراق، لم يأخذ المسؤولون البريطانيون برأيها فكتبت في الثاني عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٠ تقول: (أبتهل إلى الله أن يهدي قادة الرأي في وطننا

---

(١) كانت نفقات الإحتلال البريطاني في العراق في سنة ١٩١٩ تساوي (٣٦) مليون باون

(٢) **House of commons depates,5th series, 127 (1920),662,663,cited by ropert e. debrodt,«the british attempt at colonial rule in Iraq, 1918-21 «typed copy, may 19, 1959 p. 3.**

(٣) العراق، السنة الأولى، العدد ٦٢، ١٢ آب ١٩٢٠ - ٢٧ ذي القعدة ١٣٣٨هـ.



ويجعلهم يفهمون أن الأفضل أن نعترف بطموح العراقيين السياسي منذ البداية وألاّ نحاول أن نضغط على السكان، ومن يعلمنا بأننا قد نفقد سيطرتنا على العراق خلال سنة واحدة أو أقل وذلك لأن عوامل الإضطراب من الشمال والشرق آخذة مجراها وربما يكون لهذه العوامل تأثيرها في أهل العراق. ليتني أتمتع بتأثير أكثر مما أتمتع به الآن حتى أقنع الآخرين بوجهة نظري، وقد كتبت حول هذا الموضوع إلى أدون **"Edwin"** هذا الإسبوع، وسأكتب إلى السير هر تزل **"A. Hirtzel"**)[١].

ثانياً- تأثير الثورة العربية في سورية والحجاز: أعلن الشريف حسين ثورته على الترك في التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤هـ الموافق للعاشر من حزيران سنة ١٩١٦ بعد مفاوضات طويلة جرت بينه وبين السلطات البريطانية في مصر[٢]. وكان لثورة الحسين صداها في العراق، بالرغم من أن السلطات البريطانية في الهند قد عمدت (إلى إخفاء أو تصغير أخبار نجاح ثورة الحسين في العراق، وكان هدفها من ذلك إخماد روح الإستقلال بين السكان العرب المحليين)[٣]. ويظهر أن الكثيرين من المشتغلين بالحركة الوطنية في العراق كانوا يعدّون شرفاء مكة أبطالاً قوميين يصلحون لقيادة البلاد العربية نحو الإستقلال. وقد وصلت ثقة معظم العراقيين خاصة في بغداد والفرات الأوسط بهؤلاء الشرفاء درجة أصبح معها ترشيح أحد أبناء الشريف حسين لعرش العراق مقبولاً، ومن الأدلة على ذلك:

أ. إن شيوخ القبائل في منطقة الشامية كانوا عند نشوب الحرب العالمية الأولى على إتصال مع الشريف حسين بغية الحصول على مملكة عربية مستقلة)[٤]

---

(١) **The Letters of G. Bell, Vol II, p. 388.**

(٢) أورد جورج أنطونيوس على الصفحات ٢٥١ – ٢٧٥ من كتابه الموسوم بـ (يقظة العرب) المطبوع ببيروت ١٩٦٢ تفصيلات وافية عن المفاوضات التي درات بين الشريف حسين والسير مكماهون.

(٣) **Lawrence, T. E, Seven Pillars of Wisdom, N.Y, 1938, p. 60.**

(٤) **Reports, I, p. 66-7**

ب. عندما أجري الإستفتاء في العراق سنة ١٩١٨، عقد إجتماع كبير في بغداد لهذا الغرض وقع فيه: المسلمون المجتمعون على عريضة يفضلون فيها تأسيس دولة عربية يرأسها ملك مسلم يجب أن يكون من أنجال الشريف)(١).

ج. وبعد أن نودي بملوكية (الأمير عبد الله في دمشق في اليوم التاسع من مارت سنة ١٩٢٠ طلب إلى شيوخ جميع القبائل الفراتية أن يوقعوا على وثيقة يطلبون فيها منه أن يتوجه لتسلم زمام مملكته، والمعتقد أن عريضة بهذا المعنى بعثت إليه من الشامية)(٢). يضاف إلى ذلك أن انخراط عدد من الضباط العراقيين الهاربين من الجيش العثماني أو من الذين وقعوا أسرى بيد الإنجليز، في ثورة الحسين كوَّن منهم حلقة إتصال بين العاملين في ثورة الحسين وبين بعض المعنيين في الحركة الوطنية بالعراق.

ثالثاً- تأثير الثورة المصرية سنة ١٩١٩: قامت هذه الثورة نتيجة لاستمرار الإحتلال البريطاني لمصر، ولفرض الحماية عليها، ولإشغال البريطانيين مناصب إدارية كبيرة في البلاد. ويظهر أن التذمر من السياسة البريطانية لم يكن مقتصراً على معظم سكان المدن المصرية، بل امتد إلى الفلاحين الذين تضرروا كثيراً بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى نتيجة لتشغيلهم واستخدام حيواناتهم بأعمال أملتها ضرورات الحركات العسكرية الإنجليزية، وكان تذمر المصريين من الإدارة البريطانية في تلك الفترة حقيقياً وشاملاً لجماعات كبيرة من المصريين(٣). وما لبث هذا التذمر أن تحول إلى ثورة، وقد أظهر المصريون في ثورتهم هذه رغبة أكيدة في الحصول على الإستقلال. ويقول بارلو أنه لم يكن باستطاعة أي زعيم بما في ذلك سعد زغلول نفسه أن يتساهل في هذا المطلب الشعبي لأن تساهله قد يؤدي إلى فقدان زعامته(٤). ويقول العمري إن للثورة المصرية أثراً كبيراً

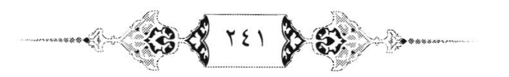
---

(١) بيل، المس، فصول، ص ١٢٤.

(٢) ن. م، ص ١٥٦.

(٣) Barlow. E, The Egyptian Crisis 1918-1922. Typed Copy, p. 3.

(٤) Ibid, p. 5.



في تشجيع العراقيين على الثورة ضد البريطانيين، وإن إطلاع العراقيين على انتصارات المصريين على البريطانيين، قوّى عزائمهم فأخذوا يستخفون بالإنجليز وبمقدرتهم الحربية، وانتعشت الروح الوطنية انتعاشاً هائلاً...)[١].

رابعاً- تأثير قيام الحكومة الفيصلية في سورية: تأسست الإدارة الفيصلية في سورية قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى بعد اندحار الأتراك أمام جيوش الحلفاء، وقد أسهم جماعة من العراقيين في إدارة حكومة فيصل هذه، كما بيّنّا في فصل سابق، ويظهر أن العراقيين الموظفين في حكومة سورية استفادوا من مراكزهم المهمة في تلك الحكومة فأخذوا يعملون على إدارة الحركات الوطنية الرامية لإنقاذ أجزاء من وطنهم من أيدي السلطات البريطانية التي كانت تسيطر على العراق حينذاك. وقد نجحت مساعي رمضان الشلاش التي نالت تأييد ومعونة جمعية العهد العراقية في سورية في إنقاذ دير الزور من الإحتلال البريطاني.

يضاف إلى ذلك إن جمعية العهد في الشام كانت على صلة ببعض العاملين في الحركة الوطنية بالعراق خاصة في الموصل وبغداد، ومع هذا فإن دورها -كما بيّنّا في فصل سابق- كان قليل الأهمية، ويظهر إن دور الحكومة الفيصلية في سورية وتأثيرها بحركة العراق الوطنية كان مبالغاً فيه، فعندما يتكلم العمري عن أثر الحكومة الفيصلية في حركة العراق الوطنية يقول أن كثيراً من أهل العراق اعتقدوا (بأن الدولة العربية المؤسسة في سورية على أثر مبادئ ولسن الشهيرة، قد أصبحت قوية[٢] يستند رجالها إلى أحزاب سياسية وطنية، وأن هؤلاء وفي مقدمتهم سمو الأمير فيصل قد عزموا على تحرير العراق من

---

(١) مقدرات،ج ٣، ص ٩٩.

(٢) يقول أمين سعيد على الص ٢٨٢ من الجزء الأول من كتابه الموسوم بـ(الثورة العربية الكبرى): (ان الجيش الفيصلي كان ضعيفاً. وكان يوسف العظمة يخفي الأمر عن الملك فيصل ولكن ياسين الهاشمي أباح بكل شيء. فقال يوسف لقد كشفنا ياسين وانتهى كل شيء ولم يعد بإمكاننا أن نعمل شيئاً).

الإستعباد البريطاني)[1]. ولو بحثنا عن المساعدات الفعلية التي قدمتها سورية للعراق أثناء كفاحه مع الإنجليز لوجدناها ضئيلة إن لم تكن معدومة، وقد بينّا في فصل سابق أنه لم تصل مساعدات مالية[2] من سورية للعراق ذات أهمية ومع هذا فقد أشار الشيخ فريق الفرعون إلى أن الملك فيصل أرسل ستة وعشرين ألف ليرة ذهبية مع شخص لم يذكر إسمه وطلب منه أن يسلمها أما إلى الشيخ محمد تقي الشيرازي أو إلى عبد الواحد الحاج سكر أو إلى السيد علوان الياسري، ولكن الشخص الموما إليه لم يوصل المبلغ إلى أي واحد من هؤلاء[3].

ومما يجدر ذكره هو أن الحسني[4] استجوب جماعة من السياسيين ورجال الدين الذين اشتركوا بالثورة والزعماء وغيرهم عن مواضيع عديدة ومن بينها المساعدات السورية للعراق، وقد وجّه لهم للأسئلة التالية:

١. ما العوامل التي أدت في نظركم إلى إعلان الثورة العراقية الكبرى في عام ١٩٢٠؟.
٢. هل تلقى الثوار مساعدات عسكرية أو مالية من بغداد أو من خارج العراق؟.
٣. هل استفاد العراق من ثورته؟.

ولا يهمنا هنا أن نبحث في الأجوبة التي وردت عن السؤالين الأول والثالث، بل ما يهمنا الإشارة إليه هو موضوع المساعدات المالية والعسكرية التي وردت من خارج العراق للثورة وخاصة سورية، وقد أجاب فخامة ناجي شوكت بالنفي، كما أجاب

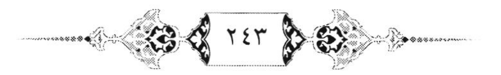
---

(١) مقدرات، ج١، ص ٩٨.

(٢) يقول علي البازركان، على الص ١٦٠ من كتابه الموسوم بـ(الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية): (إن الثورة بدأت وانتهت ولم تصل إلى القائمين فيها أية مساعدة مالية أو عسكرية)، بل بالعكس إن أحد القائمين بالحركة في دير الزور وهو علي جودت الأيوبي أرسل رسالة يطلب فيها من الثوار عشرة آلاف ليرة لينفق منها على نقل أتباعه ليشتركوا بالثورة ضد الإنجليز فرفض طلبه.

(٣) الحقائق الناصعة، ج١، ص ٢٨٢.

(٤) الثورة، ص ٢٠١ - ٢٢١.



فخامة ناجي السويدي أن مبالغ مهمة لم ترد سوى أربعمائة جنيه أرسلت في سنة ١٩١٩ لبعض الجمعيات السياسية العراقية. ومع هذا فلا نعلق أهمية تأريخية على جواب فخامتي السويدي[1] وشوكت لأن أحدهما وهو ناجي شوكت كانت صلته بالثورة قليلة أو معدومة تقريباً قبل الثورة وفي خلالها، لذا تعد معلوماته غير مباشرة، أما فخامة ناجي السويدي فان المس بيل[2] تتهم أباه يوسف السويدي خاصة والشيخ سعيد النقشبندي بتسلم مبالغ كبيرة من المال لإنفاقها على الثورة لذلك نأخذ روايته بنوع من الحذر، وبالرغم من كل ذلك فإني لا أميل إلى اتهام يوسف السويدي بتبديد الأموال التي استلمها بطرق غير مشروعة لأنه كان من العاملين في الحركة الوطنية وربما يكون قد صرف هذه الأموال بطرق مشروعة، ومع هذا كان عليه أن يقدم بها مستندات إلى الهيئة الإدارية لحزب الحرس الذي هو عضو فيه، أما جواب معالي جلال بابان الذي كان من المشتغلين بالقضايا العامة حينذاك فكان: (لم يحصل العراقيون في ثورتهم هذه أي شيء من خارج العراق سواء كانت هذه الذخائر الحربية أو الأسلحة أو النقود...).

وقال العلامة الشيخ عبد الكريم الجزائري الذي كان من أكثر رجال الثورة اطلاعاً على خبايا الامور : (لم تأت أية مساعدة من الخارج لا مال ولا عتاد...).

أما جواب الشيخ محمود جواد الجواهري، وهو من المشتغلين بالقضايا العامة حينذاك، فكان: (إني من المباشرين والمطلعين إلى ساعة إلقاء القبض عليَّ فما رأيت وما سمعت أن الثوار استعانوا برجال بغداد أو غير بغداد لا بإمدادات حربية ولا بأموال نقدية).

---

(١) أخبرني من أثق بروايته إن صاحبَي الفخامه ناجي السويدي وتوفيق السويدي لم يكونا مؤيدين لأبيهما يوسف السويدي في اشتغاله بالحركة الوطنية في العراق سنة ١٩٢٠ وقد حررا رسالة بهذا الخصوص وطلبا من ناقل الرواية الذي كان معهما بدمشق أن يوصلها لأبيهما، وأباحا له فتح الرسالة إن خشي الخطر على أن يبلّغ مضمونها شفهياً لأبيهما. وعندما فتحها وجد أن الولدين يحذران أباهما مغبة عمله في الحركة الوطنية ضد الإنجليز وأن عمله في هذ الحقل يهدد مصالحهما الخاصة.

(٢) فصول، ص ١٣٤.

وعندما وُجهت الأسئلة سالفة الذكر للعلامة السيد هبة الدين الحسيني أجاب عليها بقوله: (أما من خارج العراق فلم يرد أي شيء قط لمساعدة الثائرين لا أسلحة ولا ذخائر ولا أموال)، أما جواب الحاج عبد المحسن شلاش وهو من المشتغلين بالشؤون العامة حينذاك فكان: (لم أرَ ولم إسمع بوصول مدد أو مال أو غيره إلى الفرات الثائر لا من داخل العراق ولا من خارجه). أما الزعيم المشهور الحاج عبد الواحد الحاج سكر فقال جواباً على الأسئلة سالفة الذكر: (فإني أطمنك، وتأكد من قولي بأنه لم يردنا أي شيء من المساعدات المالية أو المعنوية[1] لا من العراق ولا من خارجه) أما جواب السيد علوان الياسري[2]، وهو الزعيم الفعلي للثورة المسلحة، فهو: (أما الإمدادات التي تطرقتم إليها فلم يصل منها شيء لا من بغداد ولا من خارج العراق).

خامساً- تأثير الحركة الكمالية في تركيا: كان للأتراك - بحكم الجامعة الإسلامية- وصلاتهم القديمة في العراق، وبحكم العامل الجغرافي أيضاً نفوذ معنوي كبير في الأقسام الشمالية من العراق، خاصة في المنطقة الكردية من العراق وفي الموصل، وقد دأب الأتراك منذ إعلان الهدنة على تأييد الحركات الرامية لإضعاف النفوذ البريطاني في العراق. وتقول المس بيل إن الدعاية التركية في منطقة البارزانيين والزيباريين كانت تدار بحذق من وان على يد حاكم سابق يدعى حيدر بك.

(وقد شاعت الأخبار في أوائل الشتاء عن وصول أنور باشا إلى وان مع عدد يتألف

(١) ان في كلام الشيخ عبد الواحد مبالغة لا تخفى على القارئ.

(٢) جاء على الص ١١٠ من الجزء الأول من مجموعة تقارير الحكام السياسيين في العراق سنة ١٩١٨ المرموز لها بـ **Reports** (إن السيد علوان السيد عباس كان ممثل الشامية في مجلس الولاية العثماني، وهو رجل ماهر وذو نفوذ واسع ويمكن أن يكون أكثر الناس نفوذاً في منطقة الشامية، وله تأثير على السيد نور (السيد عزيز الياسري) ويجب ألا نثق به وأن تراقب فعالياته). أما عن الشيخ عبد الواحد فيقول كاتب التقريرعلى الصفحة وفي الجزء نفسه: (كان رجلاً ثرياً من زعماء آل فتلة، وهو رجل قدير وذو نظرة بعيدة تفوق نظرة الناس الاعتياديين ومن الصعب على المرء أن يحلل أخلاقه، وهو بكل تأكيد أقوى رجال آل فتلة، وقد يكون أقوى رجل في منطقة المشخاب بعد السيد علوان الياسري).

من الأتراك والروس الهاربين، وعن تراسله مع سيتو آغا في أوراما الواقعة في شمال العمادية ومع البرواري والمسيئين الآخرين). وقد توسط الترك فسووا النزاع بين فارس آغا الزيباري وشيخ أحمد البارزاني. وكان الوكلاء الأتراك (منشغلين في الوقت نفسه في بث المبادئ التي كان الأغوات يعيرونها آذاناً صاغية لأنها تقدم لهم مشروعاً يؤدي إلى سيطرة إسلامية بعيدة غير فعالة يصبح تحتها الأغوات هم أصحاب السلطة الحقيقية، لكن الفلاحين العشائريين الذين سيجبرون على الخضوع التام لرؤسائهم لا يبدو أنهم ينظرون إلى الأمر على الضوء نفسه)[١].

ويذكر الاستاذ علي البازركان أن ضباطاً من الجيش الفيصلي في سورية راجعوا والي ديار بكر فجهزهم بالأسلحة والعتاد على أن يهاجموا الإنجليز[٢].

وقد سبق أن أشرنا في الفصل السابق إلى الرسالة التي أرسلها فرع جمعية العهد بالموصل إلى مركز الجمعية في الشام والتي أظهر فيها معتمد الفرع بأن الموصل ترى في مصطفى كمال أتاتورك منقذ العراق من الإنجليز.

ومع هذا يظهر أن دعاوة الأتراك ومعونتهم كانت مقتصرة على الأقسام الشمالية من العراق، وقد ساهمت هذه الجهات في الحركات السابقة لقيام ثورة العشرين التي قررت مصير العراق، ولكن دورها في تلك الثورة كان ضئيلاً أو معدوماً. يضاف إلى ذلك إن الأتراك كانوا يساعدون العراقيين لا رغبة في معونتهم على نيل الإستقلال، بل ليعود العراق أو ولاية الموصل على الأقل تحت حكمهم كما أثبتت ذلك الحوادث اللاحقة وخاصة مطالبتهم بولاية الموصل التي عدّوها أراضي تركية واغتصبها منهم الإنجليز دون مسوغ. وبالرغم من كل ذلك فإن التأثير المعنوي لنجاح الحركة الكمالية في تركية كان كبيراً لا في العراق حسب بل في الشرق كله.

(١) فصول، ص ١١٦.

(٢) الوقائع الحقيقية، ص ١٨٥.

ب - الأسباب الداخلية للثورة:

أولاً- سوء تصرف الإدارة المحلية: حكمت بريطانية العراق بين سنة (١٩١٨-١٩٢٠) حكماً مباشراً، وكانت السلطة البريطانية في العراق موزعة بين وزير الخارجية ووزير الشؤون الهندية في الحكومة البريطانية، وقد أناطت حكومة الهند إلى ضابط من ضباطها وظيفة الحاكم الملكي العام **"Civil Commissioner"** وجعلته مسؤولاً عن الإدارة المدنية، ولكنها جعلته خاضعاً لسلطة القائد العام للقوات المسلحة، ويختار الحاكم الملكي العام بدوره الموظفين الإداريين وهم مسؤولون أمامه. وقد قسم العراق إلى مناطق إدارية - كما أسلفنا - يحكمها الموظفون الإداريون تحت إسم حكام سياسيين يعاونهم في كل منطقة إدارية عدد من المعاونين حسب الحاجة وأهمية المنطقة. وكان معظم هؤلاء الحكام السياسيين من ضباط الجيش الذين لم يألفوا الإدارة المدنية التي تختلف أساليب الحكم فيها عن الأساليب العسكرية.

وعندما يتكلم الشيخ علي الشرقي عن الإدارة البريطانية في تلك الفترة يقول: (وكان التغيير من الحكم العسكري إلى الملكي قد تم بسرعة وعلى يد ضباط عسكريين ذوي شراسة ولوثة انتقلوا من الخنادق إلى الكراسي الإدارية فساروا في الناس سيرة خشنة وساقوهم سوقاً عنيفاً وصبّوا التكاليف الثقيلة دفعة واحدة... فكانت الترتيبات الإدارية كأوامر عسكرية جبرية لا تقبل التحويل والتبديل فجفل الجمهور العراقي واستقبلته الأحزاب المعارضة فنفخت فيه روح الثورة)[١].

أما العمري فيقول: (وكان الناس يستاؤون جداً من النظامات الشديدة التي طبقها

---

(١) النوادي العراقية، النهضة العراقية، السنة الأولى، العدد (٢٥) ٥ تشرين الأول ١٩٢٧ - ٨ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ.



الحكام السياسيون من دون أن يفكروا في أن أهل العراق غير الهنود، ومن ذلك... جلد البعض من أرباب المصالح... لعدم قيامهم وأدائهم التحية للحاكم أثناء مروره)[١]. ويظهر أن النظرة التي تتصف بالغلظة وسوء الفهم لأخلاق الشعب العراقي لم تقتصر على بعض صغار الموظفين البريطانيين في العراق، بل تعدتها إلى أكبر شخص مسؤول عن البلاد حينذاك وهو الجنرال هالدن الذي كتب يقول: (لقد فات البعض من الحكام السياسيين أن يفهموا بأن رجال القبائل كانوا على مستوى لا يشبهه إلا ما كان موجودا عند سكنة الحدود الشمالية الغربية من الهند وأن حالتهم العقلية لا تبعد كثيراً عن عقلية المتوحشين)[٢]. يضاف إلى ذلك أنَّ سلطات الإحتلال البريطاني في العراق فضّلت إحتياجات الجيش على سواها مما أدى إلى إصدار عدد كبير من البيانات والإعلانات والأوامر المعقدة هيمنت على العلاقات بين الجيش والأهلين، فكانت شديدة الوطأة صعبة التنفيذ بحيث انتقدها العسكريون فضلاً عن السياسيين، فالسخرة وجمع الطعام واشغال العقارات ببدلات ضئيلة واستخدام وسائل النقل وتقييد التجول والأسفار وعدم السماح بنقل الجنائز إلى العتبات المقدسة، كل هذه كانت حالات لم يألفها الناس. وقد أوردتُ تفصيلات عن بعض هذه القضايا في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

وقد لجأت السلطة المحتلة أحياناً إلى الإستفادة من الأساليب التركية وذلك بإثارة الخلاف بين رؤساء القبائل لأسباب إدارية غالباً. عندما غضبت على الشيخ سالم الخيون استبدلته بالشيخ مجيد الخيون ونفت الشيخ الأول للهند[٣]. ولم يقتصر ضرر هذه السياسة على خلق المشاحنات بين أفراد القبيلة الواحدة، بل أدى إلى انتشار الشقاق والنفاق بين رؤساء القبائل الأمر الذي أدى إلى خلق نوع من السخط والتذمر[٤]. ويوضح تقرير

---

(١) مقدرات، ج٣، ص ٦.

(٢) **Haldane, Op. cit, p. 29.**

(٣) **Arab Bureau, The Muntafik Confideracy, p. 5.**

(٤) العمري، مقدرات، ج٣، ص ٣٠٧.

رسمي سياسة السلطات المحتلة تجاه الرؤساء المناوئين فجاء فيه: (لم يرضنا سلوك الشيخ عبد العباس الماضي... ومن الممكن أن نعاقبه الآن ولكن خدماته للحكومة في الرميثة لن تنسى، يضاف إلى ذلك أن قبيلته هي القبيلة الوحيدة المناوئة لقبيلة بني حجيم... إن طريقة التفرقة التي نسير عليها تعني القضاء على نظام القبيلة، وهذه الوسيلة هي الوحيدة التي تساعدنا على السيطرة في الوقت الحاضر...)[١]. وكانت قبيلة بني حجيم سالفة الذكر في الرميثة من أكثر القبائل مناوءة للإنجليز وقد قامت بقسط وافر من النزاع العسكري المسلح عند قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠.

ثانياً- تأييد القبائل للثورة: تتكون الغالبية العظمى من سكان العراق أبان الإحتلال البريطاني للعراق من القبائل[٢]. وقد بيّنتُ في الفصل الأول كيف أن الضرورات السياسية الإجتماعية في العهد العثماني أملت على السكان - بما في ذلك بعض سكان المدن - أن ينتموا إلى قبيلة من القبائل لكي يحافظوا على أرواحهم وأموالهم، وتخضع كل قبيلة إلى رئيس تحكمه في شؤونها وقت السلم وتسير تحت قيادته وقت الحرب، و قد يكون للقبيلة أو الإتحاد القبلي رئيس عام يسمى شيخ المشايخ أو شيخ العموم، وكان معظم القبائل في العهد العثماني يتمتع بنوع من الإستقلال الذاتي مكّنها من إدارة شؤونها حسب العرف والتقاليد القبلية، فهي والحالة هذه لا تخضع إلا نادراً لقوانين الحكومة، وقلّما تدفع الضرائب المفروضة بصورة كاملة لها، كما تتقاعس في كثير من الأحيان عن دفع إيجار الأرض للمالك خاصة إذا كان ضعيفاً أو من سكان المدن. ومن الجدير بالذكر أن ضرورات الدفاع عن النفس وطبيعة النظام القبلي وضعف الحكومة العثمانية جعلت هذه القبائل تهتم بتسليح أفرادها.

---

(١) **Political Officer's Reports, August, 1912, p. 25.**

(٢) لا تزال القبائل تؤلف الغالبية العظمى من سكان العراق ويؤلفون في الوقت الحاضر حوالى ٧٨٪ من السكان، ٧٠٪ منهم متوطنون يزرعون الأرض و ٨٪ بدو رحل وقد أخذ عددهم بالتناقص لكثرة الهجرة من الريف للمدن.

وكانت حروب القبائل فيما بينها وحروبها مع الحكومة تقوم بمثابة تدريب عملي على أساليب القتال. وعندما احتل الإنجليز العراق لم يستطيعوا تجريد القبائل من السلاح بالرغم من الجهود التي بذلوها في هذا الشأن، كما أنهم لم يقضوا على نظام المشيخة، بل ركزوه على أسس أقوى من ذي قبل. ويقول الجنرال هالدن بهذا الصدد: لا أستطيع أن أقول أن خطتنا الرامية إلى تقوية سلطة الشيخ ناجحة أم لا، ولا شك إنه اختيار يتطلب عناية فائقة، وبعض هؤلاء يميلون إلى تقديم مصالحهم الشخصية على حساب مصالح أتباعهم. وعندما تحصل الإضطرابات يصعب عليهم أن يسيطروا على هؤلاء الأتباع. وليس عجيباً أن نرى الشيوخ الكبار في العراق لن يترفعوا عن سلب المبالغ التي تدفع لهم ليوزعوها على الأفراد مقابل قيامهم بالأشغال العامة، وهذه الحالة التي وصفناها جعلت هؤلاء الأفراد حانقين على الوضع الأمر الذي جعلهم يؤيدون الإضطرابات التي حصلت في سنة ١٩٢٠)[١].

أما الحسني فيعلل تنبه القبائل وتأييدهم للثورة بقوله: (لقد بعثت الحرب وسوء الإدارة وعنف الموظفين البريطانيين في رجال القبائل روح التكتل وتناسي الضغائن والعصبيات القبلية....)[٢].

ويلوح لي إن العامل الديني هو الأول في إثارة القبائل ضد الإنجليز وقد ظهر أثر هذا العامل واضحاً في الشعر الشعبي الذي كان يترنم به أفراد القبائل أثناء القتال مع الإنجليز، فقال أحدهم يعاتب الشيخ خيون العبيد رئيس العبودة في قضاء الشطرة لتقاعسه عن قتال الإنجليز بالرغم من أن الواجب الديني وهو الجهاد يفرض قتالهم عليه:

---

(١) **Op. cit, p. 31.**

(٢) الثورة العراقية، ص ٧٩.

يـا خـيـون شـنـهـو المـانـعـك لـلـيـوم
تـنـدلـه[1] فـرض مثل الـصلاة والـصـوم
أظـن ابـلـيـس غـشـك بـالـطـمـع والـنـوم
سـوجـنـة عـاد اسـكـن بـيـهـا[2]
ظـل خـيـون جـاعـد[3] شـنـهـو المعطله
يـكـنـز لـلـدنـيـا أو ديـنـه[4] امبطله
اكـصـورايـريـد فـضـه يـو ذهـب حطله
ايـكـنـزه وبـيـه ايجـونـه

وقال أحدهم يخاطب الذوات الواردة أسماؤهم في الشعر الشعبي التالي:

گـالـولي ثـلاثـة صـايـريـن ايـهـود[5]
ابـن ازويـد مـع مـنـشـد وابـن شـدود
گلت ما ظنتي ايكفرون[6] بيت الجود
يـالـشـايـل بـاصـه ابـزنـد ايـده

وعندما هجم الشيخ شعلان أبو الجون رئيس الظوالم على القوات الإنجليزية في الرميثة قالت إحدى النسوة (هوسة) أي إنشودة التحريض على الحرب رغبة في تحريض قومها على قتال الإنجليز:

(١) تعلم أنه، أي الجهاد ضد الإنجليز، فرض كالصوم والصلاة.
(٢) لقد روى لي هذا الشعر السيد خلف السيد غانم من أهالي الرفاعي.
(٣) أي متقاعس أو متقاعد عن الجهاد.
(٤) أي أنه منشغل بالدنيا وتارك لدينه لأنه لم يقم بالجهاد المفروض.
(٥) إن تقاعس هؤلاء الثلاثة عن الجهاد جعلهم بحكم إليهود.
(٦) إن هؤلاء في نظر الشاعر كفرة لأنهم تقاعسوا عن الجهاد. وهؤلاء الثلاثة هم من زعماء العشائر في الناصرية، وكان أحدهم وهو الشيخ منشد الحبيب من أعضاء البرلمان العراقي في العهد الملكي المباد.

حـــل فــرض الخـــامـــس[١] گـومـولـه

وسنبحث عن أثر فتوى العلماء بالجهاد في رجال القبائل وغيرهم من العراقيين فيما بعد.

وقد ظهرت بوادر روح وطنية تضيق عنها روح القبيلة الضيقة، فذكر الشعراء (العراق) و (الوطن) في شعرهم الشعبي كما ذكروا فكرة التعصب (للعروبة) في شعرهم هذا ووصفوا الخائنين بأنهم يشبهون أبا رغال الذين خان بلاده فدلَّ الأحباش على مكة ورجم الناس قبره كما هو معروف. وسنورد نماذج من شعرهم الشعبي تؤيد ذلك:

وعندما حصلت مراسلة بين عزارة المعجون والحاج عجّه الدلي، وكلاهما من رؤساء عشائر بني إحجيم والبوجياش في الرميثة، حول الثورة على الإنجليز فأرسل الحاج عجّه رسالة إلى عزاره قال فيها:

هـــذا الـعـلـم هـــذا عـــالحـــرب منشور
أو دمنه اعـلى الملاگه ابكل مسيه ايفور
دوك[٢] اسرع يطارش گل[٣] لابن مذكور
يتلگه الـسـوجـر[٤] وحـنـه[٥] اويـــاه[٦]

وعندما وصلت الرسالة إلى عزاره أجابت عليها إمراة من أتباعه شعراً فقالت:

---

(١) أي الجهاد.

(٢) هيا اسرع أيها الرسول.

(٣) قل له.

(٤) الجند.

(٥) نحن.

(٦) يستعمل المهوسون هذه الهوسة على طريقة رد الصدر على العجز، فتكون (وحنه اوياه نتلكه السوجر) فيستقيم حينئذ وزنها. (كما أخبرني الاستاذ إبراهيم وفي، وهو من المطلعين على الشعر الشعبي).

عـد وجـهـك يـعـجّـه الـعـلـم خـلـه ايـرف

أو على روس النشامة[1] ابها لوطن يشرف

عـزاره ايگـول حـاضر والصبح يجشف

الخـــوش ازلام اتــبــين بيـه

وفي مرة صمدت قبائل آل ازيرج والغزي لقوة إنجليزية قادمة إلى السماوة من البصرة فتمكنت من منعها من وصول السماوة وأرجعتها للناصرية. فقال الشاعر الشعبي بهذه المناسبة:

لـبـالـه[2] المـصـخـم سبـع مـا يـنـرد

ويـريـد اعـــراك[3] يـأخـذ بـارد امـبرد

اطبگوا بالناصرية گاطع[4] أو منشد[5]

كـــسروه المـغــتر بـــاطــوابــه[6]

وعندما اشتبك الحاج صلال الفاضل من رؤساء عشيرة الأكرع في لواء الديوانية مع القوات البريطانية هناك، تغلب عليها وطاردها إلى منطقة تقرب من الصويرة في لواء الكوت حيث يسكن الشيخ عمران الزنبور رئيس بني عجيل من قبيلة زبيد، وكان عمران هذا مخلصاً للعدو فآوى جماعة من قوادهم في حصن له أي (جلعه أو قلعة أو طنبيه) كما يطلق على الحصن في تلك المناطق. وقد تمكن الشيخ صلال من مهاجمة القلعة وإحراقها. فقال أحد أفراد الشيخ صلال:

---

(١) المشهورون في الحرب.

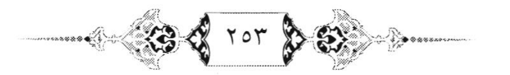
(٢) يعتقد الإنجليز أنهم كالأسود في القوة ولا يمكن التغلب عليهم.

(٣) العراق. أي يعتقدون أنهم يستولون على العراق بسهولة.

(٤) گاطع البطي شيخ الزيرج أو آل ازيرج.

(٥) ورد إسمه سابقاً مقروناً بجماعة تقاعسوا عن حرب الإنجليز، ويظهر أن الرجل لم يثبت على اتجاه واحد.

(٦) مدافعه.



هظيمه اعالعرب يالعرب ما تنشال

مثل عمران يجني اعالعروبة افعال

احيا إسم البواهل بالحرب صلال

احرگها[١] الجان ايضم بيها

وكانت عشيرة البدير برئاسة الشيخ شعلان الشهد تساعد الإنجليز فهاجمهم شاعر شعبي، من قبيلة مجاورة ساكنة في عفك حيث يسكن البدير أيضاً، بقوله:

ليش ابن العرب تفزع اويا العدوان

آل ابدير من دور النبي غبران

ايخدم جفرز[٢] الخاين للعرب شعلان

مثل برغال[٣] مكة اعالوطن صگبان[٤]

خل جلبة[٥] ويب[٦] اتلگ[٧] شيبه

وقد أيدت رواية المس بيل ما جاء عن الشيخ صكبان في هذه القصيدة الشعبية حين نقول: أن شيوخ عفك وآل بدير (وقفوا بجانب معاون الحاكم السياسي إلى حين انسحاب القوات البريطانية من الديوانية حتى أن أبرز شيوخ آل بدير (صگبان أبو جاسم) رافق

---

(١) يقصد أن صلال الفاضل أحرق قلعة عمران التي كان يختبيء بها الإنجليز.

(٢) أحد رجال الإنجليز.

(٣) ابو رغال الذي دل الأحباش على طريق مكة.

(٤) يسميه جعفر خياط مترجم كتاب (فصول من تاريخ العراق الحديث) للمس بيل على الص ١٦١، الشيخ صكبان (أبو جاسم).

(٥) كلبة.

(٦) يقصد المستر **Webb** موظف بريطاني في الديوانية.

(٧) تلحس الكلبة شيب الشيخ لأنها ألفته لكثرة تردده على بيت صاحبها

الرتل الإنجليزي إلى الحلة...)[1].

ولم يكن الشيخ صگبان أبو جاسم الوحيد الذي عاون الإنجليز، بل كان شيوخ البو سلطان المعروفين بأولاد جريان في الحلة من مؤيديهم. وقد ورد ذكرهم في الشعر الشعبي حين يقول الشاعر الشعبي:

يا طارشي تسري امن السوذان[2]
او لجل الركض تركب لك احصان
لسعدون[3] روح اولعد شعلان
أو مظهر[4] اتگله وگله الشمران[2]

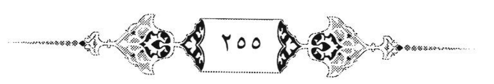
(١) فصول ص ١٦١.

(٢) أي عند أذان الفجر.

(٣) الشيخ سعدون الرسن رئيس عشيرة الأكرع في عفك الذي كان من أشد المناوئين للإنجليز. ويقول الحسني على الص ١٤٩ من كتابه الموسوم بـ (الثورة العراقية) أن حاكم الديوانية الماجور ديلي **Daly** أرسل على الشيخ سعدون ووضع أمامه قطعتين من الورق إحداهما سوداء والثانية بيضاء وقال له: سلوكك مع الحكومة يشبه كثيراً هذه الورقة وأشار إلى القطعة السوداء، في حين أن سياسة الحكومة معك تشبه هذه القطعة من الورقة وأشار إلى البيضاء.

فأجابه الشيخ سعدون (ليس هذا لباسنا يا حضرة الحاكم، فقال له ديلي: بلى إنك تسعى لتقع في الحفرة التي يحفرها لأنفسهم بعض الرؤساء وأنا أُريد أن أُريك شيئاً من بطش السلطة البريطانية. فخشي الشيخ سعدون من بطشه فصانعه وقال ما معناه لو كنا نريد أن نجرب بطش السلطة فينا لما هدمنا الـ (٣٥٠) قلعة من قلاعنا في أطراف الدغارة ولما سلمنا الحكومة زهاء (٣٠،٠٠٠) بندقية، ولما أعطينا الأموال الاميرية عن طيبة خاطر. وقد رأى الحاكم أن يؤجل إعتقاله لأسباب سياسية، وما كاد الشيخ سعدون يفلت من الفخ الذي نصبه له الإنجليز حتى ذهب لتحريض الشيوخ الآخرين على الثورة فما كان من الحكومة إلا أن هاجمته وأحرقت بيته ونهبت أثاثه وأخذت مخشلات زوجاته، وقد قدَّر ثمنها للحسني بمبلغ (٥٠٠٠) آلاف ليرة.

(٤) ٢-٣ أسماء شيوخ من الديوانية



او لـلـمـوح [(١)] راعـــي الــشرف والـشــان
او بـــالــك تمـــر بـــاولاد جـــريـــان[(٢)]
بـــس رد لـــســـلـــمان[(٣)] ابـــن عـبـطـان
او لجــبــورهـــا الـــعـــدهـــم الـــعـــنـــوان
هـــا لا تـــروح الـــعـــرب جـــريـــان
الـــعـــوجـــه[(٤)] اهـــتـــزت عـيـنـوهـا

ومن القبائل التي اشتهرت لا بتأييدها للإنجليز حسب، بل كانت تقاتل الثائرين ضدهم هي قبيلة عنزة ورئيسها فهد بن هذال. وتروي المس بيل أن قبيلة عنزة الموالية للإنجليز هجمت على الحاج عطية أبو كلل قرب السماوة فاضطر لتسليم نفسه للسلطات البريطانية قبل نهاية نيسان سنة[(٥)] ١٩١٨. وكانت قبيلة البو عيسى برئاسة الشيخ علي الحسين الكريم من أكثر القبائل تأييداً للإنجليز في منطقة سامراء، وقد أهدت السلطات البريطانية للشيخ علي هذا ساعة ذهبية في ٢٩ كانون الأول سنة ١٩١٨، تقديرا لخدماته [(٦)]. أما تأييد قبائل الدليم للحكومة الإنجليزية فأنه مشهور. وتقول المس بيل بعد مقتل لجمن (لكن عشائر الدليم برئاسة الشيخ علي السليمان وعنزة برئاسة فهد بك وابنه محروث، الذي تمكن الكولونيل لجمن بواسطتهم من السيطرة على منطقة الفرات من الفلوجة إلى عانة، ظلوا مواليَ للحكومة...)[(٧)].

---

(١) يقصد صلال الموح الذي اشتهر بقتال الإنجليز.

(٢) يقصد الشيخ نايف وعداي وإخوتهما الذين عرفوا بتأييد الإنجليز ويسكنون في لواء الحلة.

(٣) من رؤساء الخزاعل في لواء الديوانية.

(٤) منطقة في الديوانية.

(٥) فصول، ص ٥١.

(٦) **Reports, I, p. 4.**

(٧) فصول، ص ١٦٥.

ولم يظهر أفراد العشائر تحسسهم لأهداف الثورة بشعرهم الشعبي الذي أعدّه أحسن معبر عن شعورهم الحقيقي حسب، بل ظهر هذا الشعور في المضابط التي نظمها رؤساؤهم كوسيلة لإظهار إسهامهم في الحركة الوطنية، وفي المؤتمرات التي عقدوها للغرض نفسه سواء كان ذلك قبل الثورة أو في أثناء الدور العسكري منها. وسنورد نماذج من المضابط والمؤتمرات التي اقتصرت على العشائر دون غيرهم. ومن هذه المضابط والمؤتمرات:

أ. العريضة التي وقعها رؤساء الشامية ودعوا بها الأمير عبد الله بن الشريف حسين أن يقدم للعراق لتسلم زمام مملكته وذلك بعد أن بايعه المؤتمر العراقي المنعقد بالشام في التاسع من آذار سنة ١٩٢٠ بعرش العراق[١].

ب. الإجتماع الذي عقده الرؤساء التالية أسماؤهم في العشرين من شوال ١٣٣٨ الموافق إلى السابع من تموز ١٩٢٠ في دار الحاج مرزوك العواد رئيس عشيرة العوابد: السيد علوان الياسري وسلمان العبطان وعبد الواحد الحاج سكر ومحمد العبطان والسيد نور السيد عزيز والسيد محسن أبو طبيخ وعبادي الحسين وشقيقه عبد السادة ومهدي آل عسل وعبد آل صفوك وعلوان الحاج سعدون وهنين الحنون ومجبل الفرعون، وحضر المؤتمر عن الحكومة الكابتن مان "**Mann**" حاكم الشامية، وقدم له المجتمعون الشروط التالية مقابل محافظتهم على النظام: ١ - أن يمنح العراق إستقلالاً تاماً، ٢، ٣، ٤ شروط تفصيلية[٢].

ج. مؤتمر المصيفي في لواء الناصرية المعقود في منتصف ذي الحجة ١٣٣٨ وعقده الثوار بعد أن احتلوا قلعة سكر ومن شروط هذا الميثاق:

١ - المطالبة بإستقلال العراق إستقلالاً تاماً ناجزاً وانتخاب الأمير عبد الله ملكاً عليه ٢، ٤، ٥، - شروط تفصيلة. ٣ - إتباع ما يأمر به العلماء المجتهدون. ومن أهم الموقعين

(١) بيل، المس، فصول، ص ١٥٦.

(٢) الحسني، الثورة، ص ١٠٩.



عليه: موحان الخير الله، محمد الحاج شلال، السيد دخيل[١] السيد فياض، السيد عبد المهدي، إبراهيم اليوسف، خيون العبيد، صگبان العلي، سلمان الشريف، مزعل الحميدة وغيرهم[٢].

ويستطيع الباحث أن يستنتج مما سبق أن نوعاً من الإحساس بقضية العراق العامة، ذلك الإحساس الذي تعدى حدود الإهتمام بمشكلات القبيلة ومنازعاتها المحلية إلى الإهتمام بمصلحة الوطن عامة، أخذ خلال فترة ثورة العشرين يجد طريقه إلى نفوس الكثيرين من أفراد القبائل وخاصة طبقة الزعماء منهم. وقد أحس المسؤلون الإنجليز بهذا الوعي الوطني وشهدوا آثاره الفعلية، فالجنرال هالدن يقول: (شهدت أشهر صيف سنة ١٩٢٠ نوعاً من اليقظة في الشعور الوطني الذي كان راقداً فيما سبق، في نفوس أبناء القبائل العراقية. وقد وجدت الدعاوة الدينية ودعاوة شرفاء مكة آذاناً صاغية من تلك القبائل فأسفرت جهود الدعاة عن قيام عدد ضخم من الثوار المسلحين ضد قواتنا)[٣].

وهناك نقطة أثارها الشيخ فريق الفرعون[٤] مفادها أن الثورة قامت على أكتاف أبناء العشائر، وهذه فكرة ينقصها التدقيق العلمي إذ أن الثورة ظاهرة إجتماعية معقدة تمتد جذورها إلى ما وراء صيف سنة ١٩٢٠، وأن أدواراً تمهيدية سبقت الثورة المسلحة التي قامت في ذلك الصيف، فحرّكت الوعي الفكري التي بذرت بذورها في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وتأسيس الجمعيات والأحزاب قبل الحرب المذكورة وبعدها، والوسائل السلمية التي استعملها المعنيون بالحركة الوطنية، والحركات العسكرية التي قامت ضد الإنجليز في الشمال، وحركة النجف لسنة ١٩١٨، كلها عوامل ممهدة لثورة سنة ١٩٢٠.

(١) المرحوم الوالد.

(٢) الحسني، ن. م، ص ١٧٠هـ.

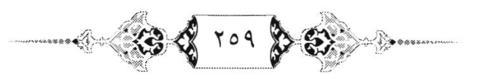
(٣) **Op. Cit, p. 28.**

(٤) الحقائق الناصعة، ج١، ص ٢٢ – ٢٣.

ولم يسهم أفراد القبائل في هذا الدور إسهاماً فعالاً لتخلفهم الثقافي وضعف الوعي السياسي بينهم بالقياس لأبناء المدن وهما أمران لا بد منهما للعمل الحزبي. وبالرغم من كل ذلك فإن أفراداً قلائل من الزعماء البارزين كالسيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد الحاج سكر والسيد كاطع العوادي ومبدر الفرعون ورمضان الشلاش وغيرهم كانوا وثيقي الصلة بالمنظمات السياسية في النجف وبغداد والموصل وغيرهن من مراكز الحركة الوطنية، ولعل ما أورده فراتي يؤيد هذا الرأي، حين يقول: (إن الثورة العراقية أعظم وأنبل من أن تكون حركة قبلية... وإنها ليست مبتسرة، فللثورة العراقية عناصر تأريخية وقومية ووطنية، فلم تدبر بليل ولم تفاجيء العالم على حين غرّة وانها لم تخنق في مهدها، كما يشير إلى ذلك فريق المزهر، بل تلتها نتائج خطيرة وأعقبتها حوادث كبرى خرجت عن نطاقها الضيق إلى مؤتمرات دولية... لم تحتضنها مدينة واحدة من المدن العراقية ولا قبيلة واحدة في أريافه، بل أسهمت فيها سائر مدن العراق وأريافه كل حسب إمكانياتها وظروفها...)[1].

ثالثاً - تأثير الجمعيات والأحزاب السرية: لم تسمح السلطات الإنجليزية في العراق بقيام أحزاب سياسية علنية في البلاد، لذلك لجأ المعنيون في الحركة الوطنية إلى تأسيس جمعيات وأحزاب سرية أهمها فروع حزب العهد العراقي في بغداد والموصل، وحزب حرس الإستقلال، وكان الحزب الأخير في الفترة التي سبقت الدور المسلح للثورة من أنشط الأحزاب وأكثرها فعالية نظراً لما ضم من شخصيات ذات الشأن ونظراً لمثابرة مؤيديه على العمل السياسي. وتظهر أهمية هذا الحزب في أنه استطاع أن يضم إليه كثيراً من أعضاء الجمعيات الأُخرى خاصة كجمعية الشبيبة ببغداد وأعضاء من فرع حزب العهد في المدينة نفسها. يضاف إلى ذلك أن لحزب الحرس صلات في المناطق العراقية الأُخرى خاصة النجف وكربلاء اللتين كانتا من أهم، إن لم يكونا أهم، مراكز الحركة

(١) فراتي، على هامش الثورة العراقية الكبرى، ص ١٥ -١٦.

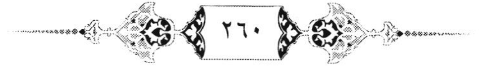


الوطنية في العراق نظراً لوجود علماء الدين ذوي النفوذ الأكبر في نفوس الجمهور في تلك الفترة فيهما من جهة، ولأنهما كانا ملتقى للعاملين في الحركة الوطنية خاصة في المواسم الدينية التي يجتمع فيها مئات الالوف من الناس لأداء زيارة المراقد الشيعية المقدسة. وقد سبق أن فصّلنا دور الجمعيات والأحزاب السياسية في الحركة الوطنية في الفصل الثالث من هذا الكتاب فلا ضرورة للتكرار.

رابعاً – العامل الوطني: لقد حصل تقدم واضح في حركة الوعي الوطني في العراق خلال الفترة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة سنة ١٩٢٠. ويظهر تقدم الوعي الوطني فيما أُلّف من أحزاب وجمعيات سياسية، كما يظهر هذا الوعي فيما قدّمه الوطنيون من إحتجاجات للسلطات البريطانية ومضابط توكيلية للشريف حسين وأبنائه ليقوموا بالدفاع عن قضية العراق بالمؤتمرات الدولية. وبالرغم من كل ذلك لم يبلغ العاملون بالحركة الوطنية قوة تمكنهم من تولى قيادة الثورة، ومردّ ذلك إلى أن الجمهور لم يبلغ درجة من الوعي السياسي يستطيع معها تفهم المرامي العميقة للحركة الوطنية وهي الحصول على إستقلال العراق، وكان من نتيجة ذلك أن لجأ المثقفون للإستعانة برجال الدين لكسب تأييد الجمهور للحركة الوطنية. يضاف إلى ذلك أن الكثيرين من العاملين في الحقل السياسي حينذاك لم يفهموا القواعد الخلقية الصارمة والإلتزامات الأدبية التي يعتمد عليها نجاح العمل السياسي المنظم، فبددوا كثيراً من جهودهم في المنازعات الشخصية، ومن أشهر أمثلة تلك المنازعات الشخصية التي حصلت بين أعضاء فرع جمعية العهد ببغداد فشلّت أعمال هذا الفرع تقريباً في الحقل السياسي خلال الفترة أصبح معها تدخل مركز الحزب في الشام ضرورياً فأوفد المركز لهذا الغرض برئاسة جميل المدفعي إلى بغداد، وبالرغم من الجهود التي بذلها هذا الوفد لم يقض على الفوضى التي كانت تسيطر على أعمال فرع الجمعية ببغداد فعادت المنازعات من جديد بعد عودة الوفد إلى الشام[1].

---

(١) البازركان، علي، ن. م، ص ١٨١.



ويستطيع الباحث أن يستنتج مما سبق أن العامل الوطني في الثورة سنة ١٩٢٠ لم يكن من الخطورة بمكان، وأنه كان ثانوياً بالقياس إلى العامل الديني الذي سنبحثه بعد قليل.

خامساً - كثرة الضرائب وثقلها: لقد عنيت الإدارة البريطانية في العراق خلال الإحتلال بفرض ضرائب ثقيلة على السكان والتدقيق بجمعها، وقد كتب حاكم الديوانية في سنة ١٩١٨ لدائرة الحاكم الملكي ببغداد يقول: (يجب أن نقرّ هنا بأن جزءاً كبيراً من وقت الحاكم السياسي يخصص للقضايا المالية أو القضايا التي ترتبط بها بصورة غير مباشر ة)(١). ويقول ديبرو أن (المانجستر كارديان) هاجمت الإدارة البريطانية في العراق في سنة ١٩٢٠ لا لأنها لم تحقق آمال العرب في الحرية وبالإستقلال حسب لأنها رفعت ضرائبهم لثلاثة أضعاف عما كانت عليه قبل الإحتلال البريطاني)(٢).

وعندما يقارن حاكم سامراء بين حصيلة ضريبة الأرض في سامراء ١٩١٧ - ١٩١٨ وبينها في ١٩١٨ - ١٩١٩ يقول إنها ارتفعت من (٢٩،٧٤٥) روبية في سنة ١٩١٨ إلى (١٦٥،٤٤٩) روبية في السنة التي تليها(٣). وكانت حصيلة ضريبة أشجار النخيل في سنة ١٩١٨ في منطقة الشامية (٩٥،٠٠٠) روبية، ولكن حاكم الشامية يقول: (أننا نأمل أن تكون حصيلة ضريبة النخيل في السنة القادمة بعد أن ننظم تعداد النخيل ونرفع الضريبة على النخلة الواحدة إلى (٨) آنات (كانت ٥،٥ آنات ونصف في ١٩١٨) مائتين وخمسين ألف روبية)(٤)، وأن حصيلة ضريبة الدفنية التي تؤخذ على كل متوفى تجاوزعمره ثلاث سنوات وجلبه للدفن في مقبرة وادي السلام في النجف وفي حضرة الإمام علي عليه السلام كانت (٤٨،٠٠٠) روبية في سنة ١٩١٨، بينما يأمل الحاكم السياسي أن تكون حصيلتها

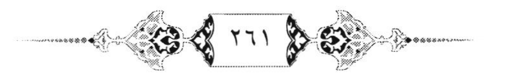
---

(١) **Reports, I, p. 201.**

(٢) **Guardian (manshastir), July24, 1920. P. 8. Cited by Robert E.**

(٣) **Reports, i. p.45.**

(٤) **Ibid, p. 74.**



في العام القادم (١،٢٠٠،٠٠٠) روبية[١]. وإن الإدارة البريطانية في النجف شعرت في تحسن بجمع الضرائب بمنطقتها فكان ما جمعته من الضرائب في الربع الأول سنة ١٩١٨ يزيد على مثيله في السنة الماضية بمدينة النجف ويزيد على ثلاثة أمثاله في مدينة الكوفة[٢] ولم يتضايق العراقيون من ثقل الضرائب حسب، بل أن تطبيق بعض القوانين الإنجليزية في تقديرها وجبايتها كان من عوامل التذمر لاسيما إن الناس لم يألفوا التدقيق في قضايا الضرائب في العهد العثماني، وكتب حاكم الحلة إلى دائرة الحاكم الملكي العام ببغداد يقول: (أهم معضلة تجابه الحكام السياسيين هي جمع أكبر كمية ممكنة من الشعير والقمح لسد حاجات الجيش من أناس اعتادوا ألاّ يدفعوا أو يدفعوا كميات ضئيلة إلى الحكومة السابقة)[٣]، وكانت الضرائب في العهد العثماني على الأرض الزراعية في منطقة الشامية مثلاً تدفع عيناً من المحصول غالباً ولكن السلطات الإنجليزية عملت على استبدالها بالنقد.

وكتب حاكم الشامية في سنة ١٩١٨ يقول: (لقد دفعت الضريبة المحصول الشتوي بدقة في نهاية شهر آب وإن حصيلتها كانت (٤١٨) طناً من الحنطة و (٢،٩٧٥) طناً من الشعير، ولو لم يحصل فيضان أغرق المزارع لازدادت ضريبة المحصول الشتوي (٥٠٠) طناً أُخرى، ونأمل أن تكون حصة الحكومة (٤٠٠٠) طناً في السنة القادمة على أن نأخذها نقداً لا عيناً)[٤].

وكانت الضرائب في ولاية الموصل في العهد العثماني تجبى بطرق عديدة أهمها طريقة الإلتزام حيث تجبى حصة الحكومة بالمزاد الذي يقطع على أعلى المزايدين، وكان كبار

---

(١) Ibid, p. 76.

(٢) Ibid, p. 89.

(٣) Reports, I, p. 121.

(٤) Ibid, p. 74.

الملاكين بصورة عامة يشترون من المزاد حصص قراهم بأسعار تساعدهم على ربح لا يستهان به، وتقول المس بيل: (وكانت الأساليب التي يجب أن نطبقها نحن موضع بحث وتأمل عميقين فقد كان المقصود في بادئ الأمر أن يجرى التخمين بنظر ثم تجبى الضرائب مباشرة)[1].

ويقول ديبروه: (أن المشتغلين بالحركة الوطنية كانوا يعارضون الحكم البريطاني لا لأنه لم يكن عربياً ولا إسلامياً حسب، بل لأن الإدارة البريطانية كانت صارمة وممعنة في التدقيق خاصة في جمع الضرائب)[2].

سادساً – العامل الديني: يعد العامل الديني أهم العوامل وأبعدها أثراً في تحريض العراقيين على الثورة ضد سلطات الإحتلال البريطاني في سنة ١٩٢٠، وقد قام المجتهدون من علماء الشيعة الإمامية الساكنون في العتبة المقدسة في العراق بدور فعال في حث المسلمين العراقيين على قتال الإنجليز إذا امتنعوا عن التسليم بحقوق العراقيين المشروعة بالإستقلال. وكان هؤلاء العلماء يتمتعون بنفوذ كبير على الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ويعتقد الشيعة أن علماءهم نواب أئمتهم فلا يخالفوا لهم أمراً ولا فتوى ولا حكماً من الأحكام الشرعية. (وللمجتهد صلاحية إصدار الفتاوى سواء كان ذلك من أجل الدعوة إلى الجهاد أو التجويز للمريض باستعمال الكحول بمقام الدواء إذا لم يكن هناك دواء شاف آخر، كما أنه يستطيع – وقد صنع ذلك بالفعل – أن يجبر الحكومة الإيرانية الشيعية على إلغاء القوانين وإبطالها)[3]. وقد اختلفت اجتهادات العلماء في كيفية كفاح الغزاة، فكان بعضهم يرى المسالمة في حالة الضعف، وحينئذ تكون مهمة العلماء منحصرة في القيام بالوظائف الدينية، وكان المجتهد السيد محمد كاظم اليزدي من أنصار

(١) فصول، ص ٨١.

(٢) **Op. cit, p. 9.**

(٣) بيل، المس، فصول، ص ٢٧.

هذه المدرسة، لذا كان موقفه فاتراً من الحركة الوطنية التي كانت تستهدف مقاومة النفوذ البريطاني في العراق خلال السنوات التي سبقت ثورة العشرين.

وكان موقفا السيد اليزدي وعبد الرحمن النقيب المؤيدان للإنجليز من الأمور التي فتت في عضد العاملين في الحقل الوطني بالرغم من أن النقيب لا يتمتع بنفوذ ديني مهم في أوساط الجماهير العراقية. وتقول المس بيل بهذا الصدد: (إن الذين اشتركوا منا في الدراما سوف لا ينسون العضد والمؤازرة اللذين قدمهما لنا كل من النقيب والسيد محمد كاظم اليزدي)[١].

وكان الإمام محمد تقي الشيرازي على رأس المدرسة الثانية التي ترى وجوب محاربة الإنجليز، لذا أخذ نفوذه ينمو شيئاً فشيئاً حتى تمت له الزعامة المطلقة بعد وفاة اليزدي في ٣٠ نيسان[٢] ١٩١٩. ويقول البصير إن الإمام الشيرازي رضي (أن يشد أزر الحركة القومية[٣] ليتقوى بها مركز الإسلام وعلى هذا أمكن أن تجتمع الأيدي العاملة فتقوم بعمل سياسي مشترك)[٤]. وفي محادثة بين علي البازركان والسيد محمد علي بحر العلوم قال الأخير: (إن المرزا الشيرازي له مكانة كبيرة وربما تودع إليه زعامة الثورة الروحية في الفرات وهو ذو جرأة وحزم وإقدام لا تصده عن قصد إذا اندفع أية قوة...)[٥].

ويظهر أن الإمام الشيرازي كان يعتقد أن مساندة الحركة الوطنية أمر يمليه عليه الواجب الديني، وإن نجاح هذه الحركة يعني زوال حكم غير إسلامي وإحلال حكم إسلامي محلّه، وعندما طلب جماعة من العاملين في حقل الحركة الوطنية من آية الله

---

(١) ن. م، ص ١٧٥.

(٢) الحسني، الثورة، ص ٥٤.

(٣) لا يخلو كلام الدكتور البصير من خلط بين القومية والإسلام، رغم وجود تعارض بينهما أحياناً.

(٤) ن. م، ج١ ص ٥٣.

(٥) الوقائع الحقيقية، ص ٧٨.

الشيرازي أن يكتب كتاباً للعراقيين كافة يطلب منهم القيام بالمظاهرات تأييداً للعاملين بالحركة الوطنية بغداد، كتب في ١٠ رمضان ١٣٣٨هـ كتاباً جاء فيه: (إلى إخواني العراقيين... أما بعد فأن إخوانكم في بغداد والكاظمية قد اتفقوا فيما بينهم على الإجتماع والقيام بمظاهرات سلمية... طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لإستقلال العراق إن شاء الله بحكومة إسلامية....)[١]. وقد استعمل الإمام الشيرازي نفوذه الديني للتوفيق بين طائفتي السنة والشيعة من المسلمين فنجحت جهوده نجاحاً ظاهراً وتضافرت جهود منتسبي الطائفتين للعمل من أجل مصلحة الوطن[٢]، ولم ينس أن يوصي بغير المسلمين فقال برسالته سالفة الذكر: (وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولا تنالوا أحداً منهم بسوء أبداً....).

وبعد أن فشلت الوسائل السلمية في إقناع السلطات البريطانية بتغيير موقفها تجاه مطاليب العراقيين المشروعة، إستفتى جماعة من الزعماء والرؤساء الإمام الشيرازي في جواز القيام بالثورة ضد السلطات البريطانية فكتب في الجواب العبارة الآتية: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز عن قبول مطالبهم).

وكان لهذه الفتوى الخطيرة وقع عظيم في نفوس العراقيين ووجدوا أنفسهم في قيد وثيق تجاه الحكم الشرعي[٣].

ومن رجال الدين الذين تولوا زعامة الثورة بعد وفاة الشيرازي في الثالث من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ الموافق للثالث عشر من آب سنة ١٩٢٠، شيخ الشريعة الإصفهاني وقد خطب خطبة طويلة بعد إسناد الزعامة الدينية إليه حث فيها الناس على مواصلة

---

(١) البارزكان، علي، ن. م، ص ١١١.

(٢) البصير، ن. م، ج١، ص ١٩٠.

(٣) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ج١، ص٢٦٣.

الجهاد. وكانت الثورة حينذاك قد بلغت مرحلة شملت جميع منطقة الفرات الأوسط، وامتدت جنوباً حتى الناصرية وشمالاً حتى المحمودية، ثم قامت إدارات مؤقتة في أهم المدن التي إحتلها الثوار[١]. وقد رأت الحكومة أن تفتح مفاوضات مع الثوار فوجهت إلى شيخ الشريعة كتاباً سنورد تفصيلات عنه وعن النتائج التي آلت إليها المفاوضات فيما بعد.

وكان الشيخ مهدي الخالصي من المجتهدين الذين آزروا الثورة وعملوا على نجاحها، وكان الخالصي الساعد الأقوى والمفوض المعتمد لآية الله الشيرازي الذي كان يتكل عليه ويستشيره في القضايا الدينية والسياسية [٢]، وكان السيد أبو القاسم الكاشاني الزعيم الإيراني المعروف من بين رجال الدين الذين أسهموا بالثورة، (ولما شبت الثورة في الفرات لحق (الكاشاني) بكربلاء فكان من مستشاري الإمام الشيرازي، ولا بد من الإعتراف بسهره الشديد على الأمن وراحة الأهلين بكربلاء....)[٣].

وكان العلاّمة الشيخ عبد الكريم الجزائري (من الأقطاب الذين دارت عليهم رحى الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، وكان عضداً اعتضدت به الثورة كما كان عوناً لكبار العلماء الذين صدرت عنهم الأحكام المعروفة في وجوب الدفاع عن حوزة البلاد وكرامتها وتحقيق حريتها وسيادتها وحقوقها المشروعة)[٤].

وفي معرض كلامه عن تأثير رجال الدين في الجمهور يقول ولسن: (لقد لزم السيد كاظم اليزدي، كبير المجتهدين، الصمت ولكن المجتهدين الذين هم دونه منزلة قد

(١) الحسني، الثورة، ص ١١٥.

(٢) هيئة مدرسة الخالصي. زعيم الإسلام الخالد المجتهد الأكبر الإمام الخالصي، بغداد، ١٩٥٠، ص ٢١ - ٢٢.

(٣) البصير، ج١. ص ٥٠ - ٥١.

(٤) الشبيبي، الشيخ محمد رضا، (فقيدنا الكبير) الأيام السنة الأولى، العدد ١٢٤، ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢ - ١٠ أيلول ١٩٦٢.

اتفقوا مع قادة الحركة الوطنية فأثروا في الجماهير مستعملين حججاً دينية وجنسية، وتمكنوا بهذه الوسائل أن يخفوا معالم الإحتلال الإنجليزي العسكري للبلاد، وكانت الحجج التي استعملت ضدنا متشابهة على الأغلب مادة وإسلوباً مع تلك التي استعملت لغرض إنقاذ الأراضي المقدسة من الصليبيين في القرن الحادي عشر، وقد امتنع الناس عن القيام بمراسيم الدفن الإسلامية لأولئك الذين بقوا مخلصين لنا، وقد اضطروا في بعض الحالات للعودة إلى خيام آبائهم، وقد عوملوا بشراسة في حالة وضرب أطفالهم في الشوارع [١].

ويعد ولسن (عداء المجتهدين، الذين قاوموا كل الحكومات من بعد الخلفاء الراشدين[٢] من أسباب الثورة الرئيسة[٣].

مقدمات الثورة المسلحة

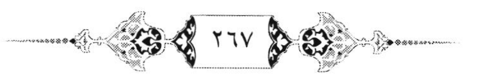
سبق أن بحثنا في أسباب الثورة ورأينا أن أهمها العامل الديني أولاً، وتأييد القبائل ثانياً. وقد عمل القائمون بالحركة الوطنية في الفترة التي سبقت قيام الثورة المسلحة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ على تهيئة الظروف التي تساعدهم على المقاومه المسلحة. ومن أهم الوسائل التي لجأوا إليها تقوية الصلة برجال الدين ليتم عن طريقهم الإتصال بالجمهور العراقي لكسب تأييده للحركة الوطنية. ومن العوامل التي ساعدت الوطنيين على ذلك الإتصال إنتقال الإمام الشيرازي من سامراء إلى كربلاء التي كانت وسطاً بين النجف وبغداد، وهما رأس الحركة الوطنية المفكر في ذلك الحين. يضاف إلى ذلك أن أكثر

---

(١) Op. Cit, I, p. 297-8.

(٢) لا نرى ضرورة للتعليق على صحة هذا الرأي من الناحية التاريخية إذ من المعلوم أن اتباع المجتهدين وهم الشيعة، لا يعترفون إلا بإمامة أئمتهم ويرفضون ما عداهم، سواء كانوا من الخلفاء الراشدين أو من غيرهم.

(٣) الحسني، الثورة، ص ٢٢٠.

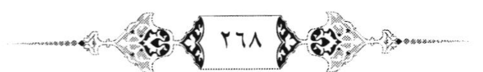


المناسبات الدينية التي يجتمع بها مئات الأُلوف من الناس كانت تعقد في كربلاء وحينئذ يسهل على قادة الحركة الإتصال بأكبر عدد ممكن من أفراد الجمهور لاسيما أفراد القبائل الذين يكوّنون الغالبية العظمى من الزائرين.

وقد لعب المرزا محمد رضا نجل الإمام الشيرازي دوراً رئيساً في العمل للحركة الوطنية وفي توثيق الصلة بين أبيه الإمام الشيرازي وبين قادة الحركة من السياسيين. وتقول المس بيل إن المرزا محمد رضا كان (سياسياً فعالاً لا يستقر على حال ومعارضاً للإتفاقية الإيرانية البريطانية معارضة مرة، وعلى هذا فقد كرس جهوده ومساعيه لمناوئة الحكومة البريطانية في العراق، وكذلك كان يقبض المال من الأتراك، ومع أنه لم يكن يعترف به كعالم فإنه كان يتمتع بالإحترام الذي كانت تعامل به أُسرة المجتهد الأكبر كما أن تأثيره على أبيه جعله مرجعاً أعلى للرأي)[1].

وفي عام ١٩٥٤ زرت طهران وقابلت المرزا محمد رضا في داره وسألته عن امور كثيرة تخص دوره في الثورة ومنها قضية المال الذي قبضه من الأتراك، كما جاء في رواية المس بيل، فنفى الشيخ هذه التهمة. ويلوح لي أن الشيخ محمد رضا كان صادقاً فيما يقول لأن الأتراك في سنة ١٩٢٠ كانوا منهمكين في مشكلاتهم الخاصة ولم يكونوا بوضع يساعدون غيرهم بالمال للثورة على الإنجليز، لا سيما في منطقة مثل مدينة كربلاء حيث لا يتمتع الأتراك بنفوذ معنوي ذي قيمة. يضاف إلى ذلك أن مؤتمر (سان ريمو) كان قد قرر قبيل قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، انسلاخ العراق من الإمبراطورية العثمانية وفرض الإنتداب البريطاني عليه ولذا لم يعد للأتراك أمل بالعودة إلى هذه البلاد حتى ينفقوا أموالهم في تمويل الثوار، ثم أن الإمام الشيرازي والد المرزا محمد رضا كان قد رفض بضعة آلاف من الروبيات الهندية أرسلها له نائب الحاكم الملكي العام بواسطة النواب

(١) فصول، ص ١٥٦.



محمد حسين خان تاريخ ٩ – ٨ – ١٩١٩[١].

وقد أمعنت السلطات الإنجليزية في الفترة التي سبقت الثورة بالتنكيل بالوطنيين فنفت عدداً كبيراً منهم إلى خارج العراق، ومن هؤلاء المنفيين إثنا عشر شخصية من المشتغلين بالحركة الوطنية بكربلاء وكان من بينهم المرزا محمد رضا الشيرازي نجل الإمام الشيرازي، كما نُفي عدد من الوطنيين في الحلة وغيرها من المناطق[٢]، وقد أُرسلت للحكومة احتجاجات من الرؤساء والعلماء أظهر فيها المحتجون سخطهم على إجراءاتها التعسفية ولكنها لم تقلع عن رأيها. وقد ظهر إصرار الحكومة في إجتماع عقده الميجر نوربري حاكم الشامية والنجف ودعا إليه جماعة من العلماء، وكان ذلك على أثر إبعاد فريق من أحرار العراق إلى بعض جزر الخليج العربي وذلك قبيل إعلان الثورة بأيام ومنهم المرزا محمد رضا نجل الإمام الشيرازي سالف الذكر. وقال الحاكم في هذا الإجتماع: (طلبت الإجتماع بكم راجياً أن تهونوا على حضرة الشيخ الشيرازي مصيبته بنفي ولده).

فرد عليه الشيخ عبد الكريم الجزائري قائلاً: (أي ولد تعني من أولاد الشيخ فأحرار العراق المنفيون وغيرهم كلهم أولاده، واعلم أن منزلة الشيخ ومكانته لن ترتفع إلى هذه الدرجة إلا لأنه كان ينظر إلى العراقيين جميعا بهذه النظرة الأبوية)[٣].

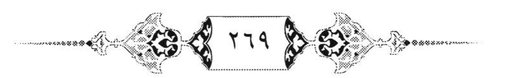
ويظهر أن التذمر بلغ درجة أصبح معها النزاع المسلح وشيك الوقوع، وقد حصل أن اجتمع عدد كبير من الزائرين بكربلاء في الخامس عشر من شعبان سنة ١٣٣٨هـ، وكان من بين هؤلاء الزائرين عدد من الزعماء والمشتغلين بالحركة الوطنية حضروا

---

(١) الحسني، الثورة، ص ٨١ – ٨٣.

(٢) الحسني، ن. م، ص ٩٦ – ٩٧.

(٣) الشبيبي، الشيخ محمد رضا، (فقيدنا الكبير) الأيام، السنة الأولى، العدد. ١٢٤، ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢ – ١٠ ايلول ١٩٦٢.



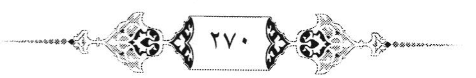
لبسط حالة البلاد العامة للإمام الشيرازي والمداولة في التدابير التي يجب إتخاذها لمعالجة الوضع، وقد عقد إجتماع لهذا الغرض في دار الإمام الشيرازي وبرئاسته في ١٥ شعبان ١٣٣٨هـ، وكان من بين الحاضرين الشيخ عبد الكريم الجزائري ومحمد جعفر أبو التمن والسيد نور السيد عزيز والسيد علوان الياسري والسيد هادي زوين والشيخ شعلان أبو الجون والشيخ غثيث الحرجان والشيخ عبد الواحد الحاج سكر والشيخ شعلان الجبر، وبعد أن أدلى محمد جعفر أبو التمن بإيضاحات عن الحركة الوطنية ببغداد، تكلم عدد من الحاضرين فتعرضوا إلى موضوع الثورة فقال الإمام الشيرازي: (إن الحمل لثقيل، وأخشى أن لا يكون للعشائر قابلية المحاربة مع الجيوش المحتلة) فأجابه زعماء العشائر أنَّ فيهم الكفاءة التامة لهذا العمل الخطير، وقد أثار الإمام ضرورة حفظ الأمن الذي عدَّه أهم من الثورة، بل أوجب منها فطمأنه الحاضرون وأظهروا استعدادهم لحفظ الأمن. وبعد أن ظهر له تصميمهم على الثورة قال: (إذا كانت هذه نواياكم وهذه تعهداتكم، فالله في عونكم).

وفي الليلة التالية، أي في السادس عشر من شعبان، إجتمع الزعماء سالفوا الذكر في حضرة الحسين عليه السلام فعاهدوا الله ورسوله على أنهم لا يدّخرون وسعاً في تحقيق آمال البلاد الوطنية، وقرروا الشروع بالثورة في مواضع مختلفة وبيوم واحد ليشغلوا قوات العدو في ميادين مختلفة، وكلّفوا الشيخين شعلان أبو الجون وغثيث الحرجان أن يستعدا إلى اللقاء في السماوة وأنْ يحرضا بقية الرؤساء على الإنضمام للثورة[1].

وكان استحصال الفتاوى والرسائل من العلماء من الوسائل التي اتبعها المشتغلون بالحركة الوطنية لكسب تأييد الجمهور. ويقول الشيخ رضا الشبيبي أن الطبقة الواعية من طلبة العلم ومن شباب النجف كانوا يهجمون على بيوت القادة لتوقيع بعض الرسائل أو لإصدار بعض البيانات أو لتحرير بعض المذكرات أو لرسم الخطط، وطالما

---

(١) الحسني، الثورة، ص ٨٩ - ٩٠.



فاجأنا أولئك القادة في الظهيرة أو في أوان القيلولة فلا يردون لنا طلباً....)[1]. وفي مرة أوفد المشتغلون بالحركة الوطنية ببغداد محمد جعفر أبو التمن إلى كربلاء لإطلاع الإمام الشيرازي على سير الحركة الوطنية ببغداد، وبعد أن اطلع الإمام الشيرازي على ما كان يجري ببغداد رأى بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٣٨ هـ أن يصدر كتاباً يحرّض فيه العراقيين كافة على القيام بالمظاهرات ومطالبة السلطات بالتسليم بحقوق العراقيين المشروعة في الإستقلال، وعند وصول الكتاب لبغداد طبعت منه آلاف النسخ ووزع في أنحاء العراق كافة هذا فضلاً عن توزيعه ببغداد[2].

وقد ازداد توتر الحالة في النجف والمناطق المجاورة على أثر إجتماع الخامس عشر من شعبان الذي وردت الإشارة إليه سابقاً، (فاغتنم قادة الحركة الفرصة وطبعوا المناشير بالدعوة إلى القيام بالثورة ووزعت في أنحاء الفرات)[3]. وفي النجف كانت (تخاط الأعلام العربية ومنها تنشر في أنحاء الفرات وبها كانت تطبع المنشورات اليومية أو الحاوية لأخبار المناطق والمقالات الشديدة اللهجة والنصايح القيمة وكان يتولى إصدارها الشيخ محمد باقر الشبيبي)[4] وكانت إقامة حفلات المولد النبوي والمآتم الحسينية من الوسائل الفعالة التي أثرت في الجمهور. ومن أشهر خطباء المآتم والمولد السيد صالح الحلي. وتقول المس بيل إن المحاولة التي قصد منها تحريك. (بعقوبة بنفس الأساليب التي اتبعت في بغداد قضي عليها في مهدها بتوقيف السيد صالح الحلي الذي كان قد أُرسل إلى بعقوبة لإقامة حفلات المولد)[5]، ولعل الشيخ محمد مهدي البصير أشهر الخطباء جميعاً إذ أنه فضلًا عن كونه من خطباء المآتم الحسينية البارعين، كان من ساسة ذلك العصر النشطين وله قصائد

---

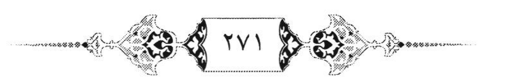
(١) (فقيدنا الكبير) الأيام، العدد، ١٢٤، السنة الأولى، ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢ - ١٠ ايلول ١٩٦٢.

(٢) البازركان علي، ن. م، ص ١١١.

(٣) محبوبة، ماضي النجف، ج ١، ص ٢٦٣.

(٤) محبوبة، ن. م، ج١، ص ٢٦٧.

(٥) الحسني، الثورة، ص ٨٨.



كثيرة في تحريض العراقيين على الثورة ضد الإنجليز، منها قصيدته التي ألقاها في جامع الأحمدية يوم ١٤ رمضان سنة ١٣٣٨هـ:

إن ضاق يا وطني عليَّ فضاكا ... فلتتسع بي للأمام خطاكا
لك قد خلقت ومنك فيك فنسبتي ... تقضي علي بأنني أرعاكا

وكذلك قصيدته التي مطلعها:

أعاد لنا السيف مجد العرب ... ففازت دمشق وعزت حلب[(١)]

وبعد أن أتينا على ذكر أسباب قيام الحركة الوطنية في العراق، والأساليب التي اتبعها الوطنيون لكسب الجمهور العراقي إلى جانب الحركة، نورد رأي المس بيل في هذه الحركة أو بالأحرى تفسيرها لها. تقول المس بيل: (كان هدف الحركة تأسيس دولة إسلامية إلا أن هذا الهدف، فضلاً عن الشعور الوطني الذي انتشر في العالم بعد الحرب والذي لا يمكن التقليل من شأنه، كان يعني مختلف المعاني بالنسبة لمختلف طبقات السكان، فأنه كان بنظر المجتهدين الشيعة تأسيس دولة دينية تسير بموجب الشرع الشيعي، ولذا لم يترددوا في إعلان الجهاد من أجله، كما كان بنظر السنة والمفكرين الأحرار في بغداد دولة عربية مستقلة برئاسة الأمير عبد الله، أما بالنسبة للقبائل فأن الهدف كان يعني عدم وجود حكومة بالمرَّة.... وهناك أدلة تثبت بأنه كانت هناك جمعية متآمرة، أسسها البولشفيك بالتعاون مع الوطنيين الأتراك كانت منذ مدة طويلة على إتصال بالجمعيات العربية السياسية المتطرفة لغرض استغلال الرابطة الدينية المشتركة بين الأتراك والعرب وإحراج وضع البريطانيين في الشرق الأوسط)[(٢)]. وتذكر بيل - على سبيل التخصيص

---

(١) البازركان، ص ١٥٥.

(٢) فصول، ص ١٥٥.



- إسم المرزا محمد رضا نجل الإمام الشيرازي كأحد المشتغلين للبلاشفة فتقول: إن المرزا محمد (رضا) ورد إسمه مذكوراً في برقية صدرت من البولشفيك في رشت بأنه (يشتغل للدعوة البلشفية في كربلاء)(١).

أما الجنرال هالدن فيقول عن تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية في سنة ١٩٢٠: (ويستحيل على المرء أن يقدر مدى تأثير البلاشفة على مبعوثي الفرس الذين كانوا يؤمون كربلاء والنجف والكاظمية لأداء فريضة الزيارة، ولكن إحتلال البلاشفة لمدينة أنزلي EnzeIi قبيل الإنتفاضة في العراق أثر في إنجاح دسائسهم ضدنا)(٢).

وهناك قضيتان وردتا في آراء المسؤولين الإنجليز سالفة الذكر تجدر مناقشتهما وهما:

أولاً - رأي المس بيل القائل بأن مجتهدي الشيعة نظروا للحركة الوطنية على أنها تعني تأسيس دولة دينية تسير بموجب الشرع الشيعي، وأن هؤلاء المجتهدين أعلنوا الجهاد لتحقيق هذا الغرض.

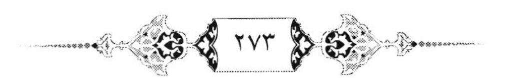
ثانياً - قضية تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية.

أما فيما يخص النقطة الأولى فأقول:

أولاً - إن مجتهدي الشيعة لم يعلنوا الجهاد لغرض تأسيس دولة تسير بموجب الشرع الشيعي وإنما أعلنوه لدفع إمارة غير المسلمين وهو الإنجليز عن بلاد إسلامية وهي العراق، وهذا الموقف الذي اتخذه المجتهدون يحتمه الدين الإسلامي لا العقيدة المذهبية، لأن دفع غير المسلم عن الثغور الإسلامية واجب إسلامي مقدس يستوي فيه الشيعة والسنة على السواء، والدليل على ذلك إن مجتهدي الشيعة أفتوا بالجهاد لدفع غير المسلم عن أرض المسلمين في ظل دولة سنية وهي الدولة العثمانية وذلك في بداية الحرب العالمية

(١) ن. م، ص ١٥٨.

(٢) **Op. cit. p. 27.**



الأولى، وقد أوردت تفصيلات عن ذلك في فصل سابق من هذا الكتاب.

ثانياً – إن مجتهدي الشيعة كانوا في طليعة المنادين بتأمير أمير مسلم مهما كان مذهبه وقد أيدوا ترشيح الأمير عبد الله لملوكية العراق وقد ظهر هذا الترشيح في المضابط التي أرسلت للشريف حسين وللأمير عبد الله بعد أن نودي به ملكاً على العراق في المؤتمر العراقي في الشام وذلك في ٨ آذار ١٩٢٠.

ثالثاً – إن فتوى الإمام الشيرازي التي صدرت على أثر إجراء الإستفتاء في العراق سنة ١٩١٨ كانت تنص على أنْ (ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين) ولم نعثر على أية فتوى أو رأي شخص ذي أهمية من الشيعة يخصص أو يشير إلى ضرورة تأمير رجل شيعي على الدولة العراقية المنتظرة.

أما تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية وإتصال المرزا محمد رضا بهم فهو أمر يكتنفه الغموض فضلاً عن ضعف سنده التاريخي. لقد وردت إشارات عامة عن اهتمام الدولة السوفيتية بشؤون الشرق الأوسط بما فيه العراق قبيل قيام الثورة. وفي مرة جرت محادثات بين أحد موظفي وزارة الخارجية البريطانية ووزير خارجية السوفيت حينذاك (جيجرين) ظهر للجانب البريطاني منها أن الروس يعملون على إبرام (اتفاقات خفية لتكوين إتحاد عام يضم إليه ثوار الأناضول والإيرانيين والمسلمين القاطنين بين بحر الخزر وبحيرة آرال والتركمان، وبعبارة أشمل جميع أقوام آسيا للحركة ضد أوربا عموماً وضد الإنجليز خصوصاً. ولم يكتف جيجرين بهذا القدر بل نشر دعوته في الصين واليابان وأوفد الوفود إلى مصر وممالك افريقية الشمالية يدعوها إلى عين الغاية)[١].

ووردت إشارة إلى وجود دعاوة للبلاشفة في سورية في ذلك العهد. نشرت جريدة (الإستقلال) عن جريدة (رعد) السورية (أن الأفكار البلشفية أخذت تتوسع في سورية

---

(١) العراق، العدد (١٠٨) ٧ تشرين الأول ١٩٢٠.

وأن الوسائل التي كتبها لنين وتروتكسي التي تبين إعترافهما باستقلال البلاد العربية قد انتشرت في جميع أنحاء سورية)([1]). ويقتبس الاستاذ عبد الفتاح إبراهيم جريدة (الازفستا) التي كتب محررها يقول: (أننا لا نستطيع أن نتخذ موقف الحياد تجاه الحركة الوطنية التي انضوى تحت لوائها مئات الملايين من الشرق لأن معنى ذلك انحياز السوفيت إلى معسكر الإستعمار الغربي وتمكين الدول الغربية ولا سيما انجلترا...)([2]).

إن النصوص سالفة الذكر تشير إلى الإتجاه العام في روسية وهو تشجيع الحركات المناوئة للإستعمار الغربي وخاصة البريطاني ومع هذا فقد وجد بينها من يشير إلى وجود دعاوة سوفيتية في سورية ومن المحتمل أنها تسربت للعراق، ولكن المصادر الإنجليزية سالفة الذكر تشير إلى أن التأثير حصل عن طريق إيران لا عن طريق سورية.

وقد وردت إشارة محدودة لنوع من النشاط البلشفي اكتشف في خانقين من لواء ديالى في سنة ١٩٢١ أي بعد انتهاء الثورة بسنة، وجاء في تقرير رسمي أنَّ آثاراً لدعاوة البلاشفة وجدت في خانقين لفترة ما، وقد ظهرت إضطرابات ضئيلة في خانقين في مايس وحزيران قام بها جماعة من أهل المدن وإثنان من الشيوخ أحدهما شخص إسمه محمود بك الديلو **Dilo**، ولم تستمر هذه الحركة طويلاً كما أنها لم تكن قوية)([3]). وبالرغم من إن خانقين من أقضية لواء ديالى الذي أسهم أهله في ثورة العشرين ولكننا لا نستطيع الجزم فيما إذا كانت الحركة التي أشار إليها التقرير كانت موجودة في سنة العشرين وهل تأثر الثوار بها؟ ومع هذا فإن المصادر الإنجليزية وخاصة كتابات المس بيل تؤكد على وجود إتصال للبلاشفة مع قادة الحركة بكربلاء وأهمهم المرزا محمد رضا نجل الإمام الشيرازي.

ويظهر لي إن إتصال البلاشفة بالشيخ محمد رضا خاصة وبتأييد الحركة الوطنية في

(١) الإستقلال، العدد، ٣، ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٢٠.

(٢) على طريق الهند، بغداد ١٩٣٥، ص ٢٨٦ - ٢٨٩.

(٣) **Political Officers Reports, 1921, p. 2.**

العراق عامة أمر مشكوك فيه للأسباب التالية:

أولاً- إن تعميم المصادر الإنجليزية وغموضها تجعل الباحث يميل إلى عدم الإهتمام بما روته عن هذا الموضوع، فالمس بيل - مثلاً - تشير إلى وجود جمعية سرية تعمل للبلاشفة ولكنها لا تعطينا إسم هذه الجمعية ومكان نشاطها بالضبط كما لا تشير إلى المنتمين إليها وكل ما في الأمر أنها تتهم الشيخ محمد رضا بالعمل للبلاشفة. ثم أن لونكريك وهالدن كانا أكثر غموضاً، إذ لم يزيدا على احتمال تعاون بين العرب والأتراك والبلاشفة ضد الإحتلال البريطاني للعراق.

ثانياً - إن جريدة الثورة وهي جريدة الفرات النجفية أظهرت شكها في نوايا البلاشفة فعندما تكتب عنهم تقول: (لا تزال تخامرنا الشبه والشكوك في حقيقة أمر البولشفيك وفي مبلغ إخلاص نياتهم وذلك قبل الإطلاع على مقاصدهم الحقيقية والوقوف على المظهر الذي سيظهرون به في إيران، ومن جملة ما يحملنا على الشك فيهم إستبدادهم الظاهر وعدم سماحهم لكل من حكومات اذربيجان وأرمينية بالتمثيل)[١].

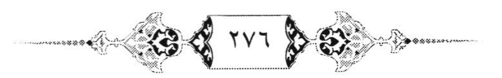
ثالثاً - إن الإستجواب الذي أجراه الحسني عن المساعدات التي وردت للثوار من الخارج بما في ذلك الروس، أثبت إن الثوار لم ينالوا مساعدة من الخارج من أية جهة كانت.

رابعاً - لقد استفسرت من جماعة من المعاصرين ومنهم الاستاذ أحمد حامد الصراف الذي كان بكربلاء حين قيام الثورة عن وجود أثر للبلاشفة وعن إتصال المرزا محمد رضا نجل الإمام الشيرازي بهم فنفوا ذلك نفياً تاماً.

خامساً - لقد زرت المرزا محمد رضا بطهران سنة ١٩٥٤ ووجهت له عدة أسئلة وكان أحدها يتصل بصلته مع الشيوعيين فأجاب على هذه الأسئلة وإليك جوابه: قال المرزا محمد رضا:

---

(١) العدد (٢) ٢٨ ذي القعدة، ١٣٣٨ هـ.



١. لم أتصل بالشيوعيين مطلقاً ولم أعرف شيئاً عن البرقية التي أشارت إليها المس بيل، وأوكد لك أن كلام المس بيل مفتعل محقق.

٢. لم أسمع أنَّ أحداً من الشرطة أو غيرهم ممن تعاون مع الإنجليز ولم يسمح العلماء في الصلاة عليه كما يدّعي ولسن، ولكن التعامل مع الإنجليز ومعاونتهم عدَّه العلماء أمراً محرماً.

٣. إن السبب الذي من أجله قبض علينا هو صدور الفتوى من المرحوم والدي بوجوب قتال الإنجليز.

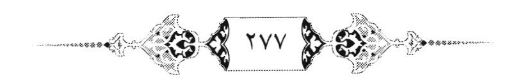
٤. كتب المرحوم والدي إلى أهالي بغداد كتاباً يدعوهم فيه للقيام بالمظاهرات والمطالبة بحقوقهم بصورة سلمية.

٥. عندما صدر أمر القاء القبض عليَّ كان عدد من الرؤساء في بيتنا وحرضوني على عدم إجابة طلب الحكومة ولكنني ذهبت خوفاً من أن يقول الإنجليز أننا أُناس لا نهدف المطالبة بحقوق العراق وأننا ننوي النهب والسلب من حركتنا، ولما علم الشيوخ بذهابي مع مأموري الحكومة، لأني ذهبت خلسة من باب غير الباب الذي يفضي إلى مجلس والدي حيث يجتمع الناس، جاؤوا خلفي لدائرة الحكومة ولاموني على الذهاب معهم وقد بعثوني إلى هنجام وكانوا ينوون إرسالي إلى الهند، ولكن توسط الشاه أحمد جعلهم يسمحون لي بالذهاب إلى إيران.

٦. لم تحدث حوادث سلب أو نهب كما إدّعى الإنجليز أثناء هياج الناس للمطالبة بحقوقهم.

٧. إن الإنجليز تأثروا من دعوة والدي إلى قيام المآتم الحسينية في رمضان، وكانت هذه المآتم عامة وحتى شيوخ العشائر اشتركوا بها.

وبعد أن فندنا فكرة وجود الإتصال المباشر بين الثورة العراقية وثورة الشيوعيين العالمية نقرر أن للشيوعية كحركة عالمية تأثيراً غير مباشر، ويظهر أن الطبقة المثقفة من



الثوار كانت على علم بمرامي الشيوعية وأهدافها ولذا لم يشبّهوا ثورتهم بثورة الشيوعيين. وقد كتبت جريدة (الفرات) النجفية وهي لسان الثورة الرسمي تقول: (ويختلف تأثير الثورة بإختلاف مقاصد الثوار فقد تكون لقلب نظام خاص وإبداله بآخر كثورة الأُمم على حكوماتها، وقد تكون لقلب نظام العالم كله كالثورة البلشفية التي أصبح تأثيرها عاماً هاج الشعوب لطلب حريتها وتبديل نظام الكون... إن الثورة العراقية تشبه اختها الآيرلندية والمصرية من كل الوجوه فقد فجّر بركانها الضغط وأضرم نارها الإستبداد ووسعها القضاء على الحرية والتجاوز على الحقوق...)[1].

ومن هذا يظهر إن الثوار يدركون أن الثورة الشيوعية هيجت الشعوب للمطالبة بحريتها ولكنهم لا يشبّهون ثورتهم بها ويشبهونها بثورات قومية أُخرى كثورة المصريين والآيرلنديين. ونشرت الجريدة نفسها خبراً عن الحالة في إيران جاء فيه: (إستاء الشعب الايراني من الإتفاقية المشهورة (الاتفاق الإنجليزي الايراني المعقود في آب ١٩١٩) بين الحكومتين الإيرانية والإنجليزية، وتهدد هاتين الحكومتين بالثورة الداخلية فانتهز البولشفيك هذه الفرصة وأخرجوا جيوشاً كبيرة في أنزلي واحتلوها... وقد تقهقرت القوة الإنجليزية المرابطة في شمال إيران أمامهم بدون محاربة، فعلى هذا أصبح القطر العراقي مهدداً بغزوات البلشفيك من شرقه وشماله، أما القوات الإنجليزية الموجودة في العراق فأنها ستنسحب أمام تقدم البولشفيك وتترك حبل البلاد على غاربها فليزمنا الآن لتقرير خطتنا النهائية وتأمين مستقبلنا تجاه هذا الموقف الحرج وذلك أما بأن نحارب البولشفيك مع الإنجليز، بعد أخذ الضمانات الكافية من هؤلاء للإستقلال، أو بأن نحارب الإنجليز مع البولشفيك...)[2].

ويظهر من هذا النص أنه لا توجد صلات سابقة للثورة مع البلاشفة وأنهم يعدّون

---

(١) العدد (٢) ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨هـ.

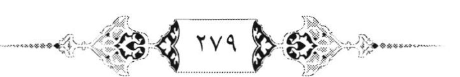
(٢) العدد (٣) ٥ ذي الحجة ١٣٣٨هـ.

أنفسهم طرفاً مستقلاً كان مستعداً للتعاون مع أية جهة تقتضيها مصالحه الخاصة. يضاف إلى ذلك أن الثوار في بغداد طبعوا منشورات هددوا الحكومة البريطانية فيها أنهم سيتعاونون مع البولشفيك إذا لم تمنحهم الحكومة الإستقلال التام.

ذكر السيد صادق بحر العلوم (إن العراقيين حتى الآن على ما كانوا عليه من الطلب بحقوقهم المشروعة...) وإن أهل بغداد (طلبوا من الحكومة الحرية التامة في طبع المنشورات والجرائد وفيها التعريض بالحكومة وتهديدهم بالإتفاق مع الحزب البلشفيكي غن لم تمنحهم الإستقلال التام...)[1].

***

(١) السلاسل الذهبية، المجموعة الثانية، مخطوط في مكتبته الخاصة ص ٣٣٠ - ٣١.



الفصل الخامس:

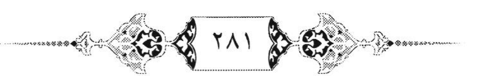
ميادين القتال

قد يكون من الضروري - قبل التحدث عن ميادين القتال - أن أشير إلى ما يأتي:

أولاً - إن الجانب العراقي المقاتل لا يتكون من جيش نظامي، لذا لا توجد لديه سجلات تبين عدد المقاتلين وعدد من اشترك منهم في المعارك المهمة، كما لا توجد إحصاءات عن الأسلحة والعتاد المتوفر في القوات العراقية. وفي ضوء ما سبق لا يمكن أن نأخذ الارقام التي قدمها الثوار أحياناً عن خسائرهم أو خسائر العدو على أنها تمثل الحقيقة، بل يجب أخذها بنوع من الحذر.

وبالرغم من أن الثوار أحياناً يصدرون بلاغات مطبوعة عن العمليات العسكرية المهمة، ولكن هذه البلاغات هي الأُخرى بعيدة عن التدقيق في بعض الأحيان لأنها لا تصدر عن جهة نظامية مسؤولة، بل تصدرها جماعة من العاملين في الحقل الوطني في النجف الأشرف. وكان هؤلاء وعلى رأسهم الشيخ محمد باقر الشبيبي[1] رغم بعدهم عن ميادين القتال الفعالية يعتمدون على الرواية الشفهية التي يتسرب الشك إليها أحياناً. وسنورد نماذج من هذه البلاغات في حينها. ويظهر إنَّ معظم من كتبوا عن الثورة أمثال الحسني والبصير وغيرهما إعتمدوا في الإحصاءات التي أوردوها عن العمليات العسكرية على المصادر الإنجليزية في الغالب الأعم، وشذ عن ذلك الشيخ فريق الفرعون فاعتمد كثيراً على المصادر العراقية فيما قدَّمه من معلومات عن العمليات العسكرية. وبالرغم من أن الشيخ فريق كان بوضع يمكنه من الإتصال بالثورة، وإن

(١) سعيد أمين، ن. م، ج٢، ص ٧٢.



قبيلته أسهمت إسهاماً فعالاً بالعمليات العسكرية للثورة فإن كثيراً من المعلومات بعيد عن التدقيق لذا يصعب الركون إليها في كثير من الأحيان.

ثانياً – إن عدد القوات الإنجليزية العاملة في العراق عند نشوب الثورة كان ٧٢٠٠ بريطاني و٥٣٠٠٠ هندي، وإلى جانب هؤلاء كان في العراق ما يقارب هذا العدد من التابعين الهنود[١]. وكان لدى هذه القوات خمس بطاريات من السيارات المسلحة، واحدة منها مرابطة في إيران. ويشكو الجنرال هالدن من أن السيارات التي ببغداد إبان الثورة كانت من الطراز الثقيل ويصعب استعمالها بسبب رداءة الطرق، يضاف إلى ذلك إن الخبرة علَّمت العراقيين بأن ثقب أطار عجلة السيارة يؤدي إلى تعطيلها عن العمل، لذا كانوا يصوبون رصاص بنادقهم إلى هذه البقعة وحينئذ تصبح السيارة وركابها تحت رحمتهم[٢]. وأما القوة الجوية البريطانية فقد كان منها في العراق عند بدء الثورة سربان: السرب السادس والسرب الثلاثون، ولم يكن في بغداد من هذين السربين سوى ثلاث قطع، وفي ذلك الحين انفصل ثلاثة أرباع السرب الثلاثين إلى إيران، وكان البريطانيون يعتمدون على خطين رئيسين من المواصلات توصلهما بالبحر عن طريق البصرة، أحدهما سكة الحديد الرئيسة وفروعها الممتدة من البصرة إلى بغداد ومنها إلى سامراء شمالاً. أما الثاني فهو طريق دجلة النهري، وقد اعتمد الإنجليز أثناء الثورة على هذا الطريق كثيراً لأن معظم قبائل دجلة التي يمر هذا الخط من أراضيها كانت غير مشتركة إشتراكاً ذا قيمة في الثورة. وكان بالإمكان نقل وتسليم أكثر من ألف طن يومياً من البضائع في الكوت بواسطة طريق دجلة المائي[٣]. وكان السبب الرئيس لاعتماد الإنجليزعلى المواصلات المائية هو إن سكة الحديد التي توصل بغداد بالبصرة، كانت تمر بمنطقة الفرات الأوسط

---

(١) Haldane, Op. cit. p. 64-5.

(٢) Ibid, p. 69.

(٣) Ibid, p. 67.

وهي أهم المناطق الثائرة وأكثرها خطراً، لذا كانت هذه السكة عرضة هجمات الثوار وتخريبهم، وقد بلغ طول سكة الحديد في العراق قبيل الثورة (٨٦٧) ميلاً ولكن قسماً منها تعطل عن العمل أثناء الثورة، وبعضها كان العمل فيه محفوفاً بالمخاطر ما عدا مسافة (١٠٠) ميل تقريباً تقع بين الكوت وبغداد، وهذا الخط هو الوحيد الذي لم ينقطع طيلة مدة الثورة، ومن الجدير بالذكر إن الثوار تمكنوا من الإستيلاء على (٣٢٤) ميلاً من مجموع السكك الحديد العاملة بالعراق. وبعد أن أخذ الوضع العسكري يتطور لمصلحة البرطانيين في بداية تشرين الأول استردوا قسماً من سكك الحديد ولم يبق بيد الثوار إلا (١٨٤) ميلاً[١].

ويظهر أن الثوار كانوا يدركون ما لسكك الحديد من قيمة في مجهود الإنجليز العسكري، لذا صرفوا جهوداً كبيرة في تعطيلها، وقد كتب لي أحد الثوار في الرميثة جواباً على رسالة وجهتها إليه يقول[٢]: (أن الشيخ شعلان رئيس قبائل الظوالم في الرميثة وعندما بدأ بالثورة جمع عشيرته وقال لهم هل إنكم تقبلون خدمة العدو الكافر الذي يبغض العرب والإسلام؟ فقالوا الله أكبر أبداً لا نرضى، فقال الشيخ شعلان إذن إستعدوا لما أطلبه منكم، وعندما أصبح الصباح جاؤوا إليه وقالوا اطلب منا ما تريد، فقال الشيخ إني مستعد لشراء كل خشبة من سكة القطار بقيمة ليرة ذهبية، فنهضت عشيرة الظوالم رجالاً ونساءً إلى سكة الحديد فقلعوها من السماوة حتى الرميثة فحملوا بعض الأخشاب ولاين[٣] (القضبان الحديد) السكة وجاؤوا بها إلى المضيف، وعندما جاء القطار من البصرة وفيه القوة العظيمة والعمال مع القوة فأخذوا يصلحون السكة والقطار يسير رويداً رويداً حتى وصل (أبو الواوية) [٤] فرأت القوة المعادية إمراة من

(١) **Ibid, p. 303-4.**

(٢) أثبت جزء من الرسالة هنا بعد إصلاح بعض أغلاطها النحوية والإملائية

(٣) لاين هي **Line** الإنجليزية.

(٤) أبو الواوية - محطة من محطات القطار في الوقت الحاضر تقع قرب الرميثة.

عشيرة البو حسين من الظوالم فقالت ياعمامي ! قالوا نعم. فهوَّست هوسة عربية: حل فرض الخامس[١] كومولة، فنهضوا على القوة المعادية وأبادوها حتى النهاية....).

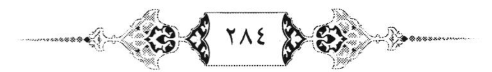
ومن المؤسف إن كاتب الرسالة لم يعطنا تأريخ وقوع هذه الحادثة حتى نستطيع مقارنة ذلك مع المصادر الإنجليزية، ومع ذلك فالذي يهمني من ذكرها هنا هو اهتمام الثوار بتخريب مواصلات الإنجليز وخاصة سكة الحديد.

وجاء في بلاغ أصدره الثوار بتاريخ ٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ وكان مركز إصداره النجف، ما يأتي: (هجم الناهضون بقيادة الشيخ فيصل آل مغير (قائد الجزيرة) على المحمودية ودام القتال من بدء الليل إلى الصباح، وكانت خسائر العدو عظيمة وشوهد في خطوط الأعداء الأمامية أكثر من عشرين قتيل وجريح. وهجموا أيضاً على السكة الحديد ليلة الأربعاء وكانت قوة العدو مشغولة بإصلاح الخط بين (الحصوة والمحمودية) فألجأتها نيران العرب إلى الهرب وتركت عدداً من القتلى والجرحى لم تستطع نقلهم.

وسارت قوة عربية مؤلفة من الفرسان إلى الفلوجة فصادفت في طريقها قطاراً للعدو وقد تمكنت من تخريب مسافة بعيدة من السكة الحديد فقطعت بذلك خط رجعة القطار فنزلت قوة إنجليزية لإصلاح الخط فقاتلها العرب مراراً، واشترك في كل هذه الحوادث فرسان الجنابيين بقيادة خضير الحاج عاصي وقطعت أسلاك البرق ووكل تخريب خط الفلوجة للشيخ ذرب شيخ الحداحدة.

عاد العدو يوم الخميس إلى إصلاح الخط المخروب فقابلته قوات العرب وفتكت به ولم يتمكن من إصلاح الخط ولم يزل كلما أراد التقدم شبراً ليتأخر ميلاً). هذا ما جاء في البلاغ الصادرعن الثوار وسنشير إلى التخريبات التي أحدثوها في سكك الحديد في حينها.

(١) تشير إلى الجهاد المقدس.



ثالثاً - إن أي تقدير للقوات الوطنية التي اشتركت في قتال الإنجليز أثناء ثورة العشرين يعتبر من قبيل التخمين، لأن نفوس العراق لم تُحْصَ يومئذ إحصاء دقيقاً، وقد أظهرت الإحصاءات التي أجرتها سلطات الإحتلال في أوائل سنة الثورة ١٩٢٠ إن نفوس العراق كانت (٢،٨٤٩،٢٨٢) نسمة، ومن المعلوم إن الألوية العراقية التي اشتركت[١] في الثورة كانت كربلاء والحلة والديوانية[٢]. وإن ألوية المنتفق[٣] وديالى وبعض أجزاء لواء بغداد والدليم[٤] أسهمت إسهاماً محدوداً. ويقول الشاعر الشعبي الشيخ علي البازي بصدد من أسهم بالثورة من العراقيين:

لا تظن يعراگي اعراگك نهض　　　عشر منه اوبگت جرثومة مرض
غير هالصفوة العليا الله افترض　　　طاعته واتمثلت ما راده[٥]

أما الضباط العراقيون الذين ساعدوا بعض القبائل في تنظيم شؤون القتال في بعض الميادين والجبهات وساعدوهم على استعمال الرشاشات والمدفع الذي دمروا به الباخرة (فاير فلاي) في شط الكوفة فهم على رواية الحسني:

١-إسماعيل حقي الآغا ٢- شاكر الملا حمادي ٣-الحاج شاكر القره غولي ٤-الحاج محمود رامز ٥-حسين علوان ٦-محمود سامي ٧-سعيد حقي ٨-فؤاد المدفعي ٩-الحاج طالب ١٠-إبراهيم مهدي ١١-سامي النقشلي ١٢-داود الميكانيكي.

---

(١) كان عدد نفوس لواء الديوانية، والحلة، والشامية يبلغ في سنة ١٩٢٠ ٢٠٤،٥٠٠، -،١٧٣، -١٩٠على التناظر. ويقدر هالدن على الص ٣٢٨ من كتابه السابق عدد الثوار الذين اشتركوا بثورة العشرين بـ(١٣١،٠٢٠) رجلاً لديهم (١٦،٦٣٠) بندقية حديثة و (٤٣،١٧٥) بندقية قديمة ولكنها صالحة للإستعمال.

(٢) الحسني، الثورة، ص ١٢٥.

(٣) يسمى لواء ذي قار في الوقت الحاضر.

(٤) يسمى لواء الأنبار حالياً.

(٥) الخاقاني، علي (الناشر) فنون الادب الشعبي، بغداد، ١٩٦٢، ص ٨.

ويروي علي البازركان إن رسالة وردت في ٢٠ آب ١٩٢٠ بصحبة الضابط سلمان الجنابي من علي جودت الأيوبي الذي كان حينذاك مرابطاً في دير الزور يطلب فيها إرسال عشرة آلاف ليرة ليأتي لمساعدة الثوار بجنده المزودين بالرشاشات والمدافع والعتاد، فسُلِّمت الرسالة للمجتهد شيخ الشريعة فشاور جماعة من الزعماء بالأمر (فأجمع الحاضرون على استحالة جمع المبلغ المذكور، ثم أنهم أردفوا وقالوا: إذا كان مرسل هذا الكتاب على جانب من الوطنية فإنه سيأتي مع جنوده للاشتراك في ثورتنا من غير أن نرسل له نقوداً، نحن أحوج ما نكون إليها... ولكنه إذا جاء مع قوته نكفل إعاشتهم فقط...). وقد أخبر البازركان الضابط الجنابي بما دار في مجلس شيخ الشريعة وأفهمه أن مصاريف الثورة كبيرة وجمة وأن أكثر المخلصين من رؤسائها قد رهنوا وباعوا أراضيهم في سبيل الحصول على المال لضمان استمرار الثورة[1].

ويظهر أن قائد القوات المزعومة علي جودت غير جادٍ في رسالته لأنه على فرض حصول هذا المبلغ الجسيم وإرساله إليه كيف يستطيع إرسال قواته لمنطقة الثورة في الفرات مع مدافعها ورشاشاتها كما يقول برسالته مع أن القوات الإنجليزية مسيطرة على جميع المناطق التي تقع بينه وبين الثوار؟

يضاف إلى ذلك إن قبيلة عنزة بقيادة فهد بن هذال كانت تسيطر على الجزيرة وتحميها لمصلحة الإنجليز، فكيف تستطيع قوات الأيوبي إختراق هذه المنطقة؟

ثم كيف تستطيع أن تفلت من الطائرات الإنجليزية وهي تسير في منطقة مكشوفة على ساحل الفرات وقبيلة الدليم هي الأُخرى كانت موالية للإنجليز، فكيف يتجنب قائد هذه القوات الإصطدام بها وهي تسكن على ضفة الفرات من عانة تقريباً إلى الفلوجة قرب بغداد؟

---

(١) الوقائع الحقيقية، ص ١٦١.



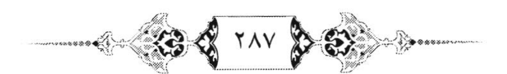
وقد أجريت مقابلات شخصية مع عبد الرحمن خضر(١) وسامي النقشلي(٢) حول دور الضباط الذين اشتركوا في الثورة، فقال لي عبد الرحمن خضر: (إن الضباط الذين اشتركوا في الثورة كانوا في أربع مناطق: الأولى: منطقة دير الزور، وكانوا تحت إشراف الحكومة الفيصلية وجمعية العهد وخاصة عضوها جعفر العسكري. ثانياً - الضباط الذين عملوا في منطقة تلعفر. ثالثاً - الضباط الذين عملوا بالكوفة. رابعاً - الضباط الذين اشتركوا مع الثوار في منطقة السماوة. وكان هؤلاء الضباط من العراقيين الذين سُرِّحوا من الجيش العثماني، واشتركوا متطوعين بلا أجر، ما عدا ما زودتهم به جمعية الحرس الوطني ببغداد من مصاريف نقل. كما أن جمعية العهد أرسلت واحداً على نفقتها). وعدَّد المرحوم عبد الرحمن أسماء الضباط كما أوردتها فيما سبق، ولكنه أثنى بصورة خاصة على خدمات سامي النقشلي في السماوة. وقد أخبرني سامي النقشلي أنه كان ملتحقاً بمنطقة السماوة ويعمل مع جموع السيد هادي مكوطر.

وقد ذكر لي أسماء الضباط الذين اشتركوا بالثورة، وقد أضاف إلى قائمة الحسني، إسمَيْ زكي الكردي وطالب الجدة (ولعله الحاج طالب) الذي ورد إسمه بقائمة الحسني. ومن هذا يظهر إن عدد الضباط كان يتراوح بين (١٣-١٤) ضابطاً. وهذا العدد لا يمكن أن يشرف على العمليات العسكرية للعراقيين فيجعلها تسير حسب الاصول العلمية المطبقة في الحروب. وبالرغم من ذلك كان هالدن يعتقد أن ضباطاً نظاميين كانوا يقودون

---

(١) كان الاستاذ عبد الرحمن خضر المحامي من المشتغلين في الشؤون العامة أيام الإحتلال البريطاني للعراق، وعند إعلان الثورة التحق بالثوار في منطقة النجف والشامية، وكان متصلاً بزعامة الثورة، وقد حضر أحد مؤتمرات الثورة الذي عقد في مضيف عبد الكاظم الحاج سكر في ٢٩ حزيران ١٩٢٠.

(٢) كان السيد سامي النقشلي ضابط رشاش في جنقلعة بتركية واشترك بحرب الإنجليز هناك وعاد إلى بغداد بعد الهدنة فانتسب إلى جمعية العهد. وكانت هذه الجمعية سرية ولم يسمح لكل عضو أن يطلع على أسماء جميع الأعضاء. وبعد أن أُعلنت الثورة في ٣٠ حزيران التحق بها مع آخرين من أعضاء الجمعية. وكانت الجمعية تمدهم بمصاريف السفر. وقد التحق سامي النقشلي بمنطقة السماوة وانتحل لنفسه إسم (محمود التركي) وعُرف بهذا الإسم هناك خوفاً من أن تنتقم الحكومة الإنجليزية من أهله ببغداد.



القوات العراقية التي وقفت ضد الإنجليز في ثورة العشرين. وسنشير إلى الوقائع التي أثار فيها هالدن هذه النقطة في حينها.

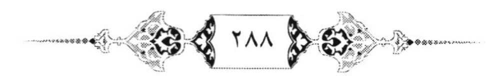
ويقدر الجنرال هالدن البنادق التي استعملتها القبائل الثائرة بـ (٥٩،٨٠٥) بندقية [١]، ويورد هالدن في الملحق التاسع من كتابه سالف الذكر ملاحظات عن أساليب الحرب الحديثة عن الثوار، وقد بنى الجنرال ملاحظاته هذه على خبرته عن الحرب التي وقعت حول الرميثة والديوانية خلال شهري تموز وآب من سنة ١٩٢٠. ويقول الجنرال هالدن: (إن العربي رجل غدار وباستطاعته أن يتغلب على فصيل صغير **Detachment** عن طريق الغدر، ويتظاهر العربي عادة برغبته في السلم ويرفع الأعلام البيض وينهك في أعماله المعتادة في الحقل إذا مرت به قوة كثيرة العدد، وبالرغم من تظاهره بالسلم يخبئ بندقية في مكان يسهل عليه تناولها منه عند الضرورة...).

وقد قدرت قوات العرب الثائرين في هذه المنطقة بما يقارب العشرة آلاف، ولكن الحد الأعلى للثوار الذين اشتركوا في النزال الذي حصل بين الحلة والرميثة لا يزيد عن خمسة آلاف شخص. ويبلغ عدد الفرسان ربع هذا العدد، بينما لا يتجاوز عدد المسلحين منهم ببنادق حديثة الثلث. ويقوم ما بقي من هذا العدد بما تقوم به الوحدات الصحية ووحدات التموين في الجيش النظامي إذ يقوم هؤلاء بجلب المعدات والماء والطعام كما ينقلون الموتى والجرحى، ويقوم بعضهم مقام المدد حينما يستعملون بندقيات الموتى والجرحى.

ويتجمع العرب حالما يرفع علم شيخهم، كما يجمعهم أزيز الرصاص. وتتم حركتهم وتجمعهم بصورة مدهشة، ويتكون منهم حينئذ تحشد كبير يرتفع من بين ثناياه عدد من الأعلام ينضوي تحت كل واحد منها عدد من المقاتلين. وعندما يريدون الهجوم

---

(١) **Op. cit, p. 298**.



يبلغ الهياج منهم مبلغاً يقرب إلى الجنون، فيعلو حينئذ صراخهم ويكثرون من تحريك أعلامهم.

وتقودهم في حركتهم الحاضرة أدمغة مدربة ماهرة تعرف جيداً قيمة البندقية الحديثة التي يحملها أتباعهم، كما يعرفون نقاط الضعف في الجيش الحديث ويعلمون حدود إمكانياته. وتدل تنظيمات العرب الدفاعية على مقدراتهم الفائقة، ولهم حذق كبير في اختيار الزمان والمكان الذي فيه يعترضون تجهيزاتنا من المياه أو يعرقلون سير قطارنا أو خط سيرنا.

ومن الملاحظ إن قلة تنظيمهم وعدم ارتباطهم بالنظام تحدد قدرتهم على تبديل الخطط التي وضعوها ليُحلوا محلها خططاً جديدة اقتضتها ظروف جديدة، اللهم إلا إذا كانت هذه الظروف ظاهرة للجميع، كانسحاب قواتنا مثلاً، وحينئذ يتبع القوات المنسحبة كل شخص على انفراد.

كانت معداتهم الحربية محدودة، حيث كانت الطلقة الواحدة تكلفهم ثماني آنات، ولهذا كانوا كثيري العناية في استعمال طلقاتهم، ولا يطلقون الطلقة ما لم يحتملوا احتمالاً أكيداً أنها ستصيب الهدف، وأنهم سيربحون شيئاً من وراء إطلاقهم للنار، ومن المؤسف أننا لم نقم بتحضير مشروع قابل للتطبيق نلزم جندنا بموجبه إن دفعوا ثمن المعدات التي يستعملونها، أو يدفعوا جزءً من ثمنها على الأقل، وسيؤدي ذلك حتماً إلى تحسن نظام الإطلاق عند بعض وحداتنا. ويظهر العرب شجاعة فائقة ويخاطرون بحياتهم ليهجموا على موتانا ليجردوهم من السلاح أو العتاد في وقت لا يزال فيه القتال مستمراً....)[١]
وسنوافيك بوصف مختصر لأهم العمليات العسكرية التي دارت في ميادين القتال الرئيسة للثورة. أما التفصيلات فتجدها في مظانها[٢].

(١) **Op. cit. p. 332-3.**

(٢) البصير، مهدي القضية العراقية، ج١ و ج٢، بغداد ١٩٢٤؛ الحسني، الثورة العراقية الكبرى، صيدا

أما أهم جبهات القتال فهي:

أولاً: جبهة الرميثة

لقد أطلقت أول رصاصة للثورة في الرميثة[1] في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ على أثر إلقاء الحكومة القبض على شيخ الظوالم الشيخ شعلان أبو الجون[2] وإطلاقه عنوة على يد جماعة من عشيرته. ويقول الشاعر الشعبي الشيخ علي البازي بهذه المناسبة:

اگصد السجن (الرميثة) واستعد　　　لخذ الأخبار اوعليه زيد النشد
اتعرف ما كام إسم وتشيد مجد　　　اله من ذاك السجن مصعاده[3]

وكانت الجماعة التي تولت إطلاق الشيخ شعلان من السجن مكونة من سبعة أشخاص هجمت عند الفجر على سراي الحكومة وقتلت الحراس وأطلقت الشيخ المذكور. ويقول الشاعر الشعبي بهذه المناسبة:

١٩٥٣؛ الفرعون فريق المزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ بغداد ١٩٥٢.

(١) الرميثة ناحية تابعة للواء الديوانية وتقع على فرع الحلة من نهر الفرات على بعد ٢٨ ميلا شمالي السماوة. ويقول هالدن على الص ٧٣ من كتابه السابق إن نفوسها تقدر بـ ٢٥٠٠ نسمة، وتسمى أحياناً الأُبَيِّض (بالتصغير وتشديد الياء) كما يسميها البعض (العوجه).

(٢) كان الشيخ شعلان أبو الجون، فضلًا عن كونه شجاعاً، يعد من شعراء الحرب الشعبيين. فقال مخاطباً الإنجليز:

بيه خير اويجثر عسكر اوريلات
اسواريه وبياده اوفوك طيارات
بعزم الله اوعزم حيدر ابو الحملات
يتوزع واطروح انشيله

(٣) الخاقاني، علي (الناشر). ن. م، ص ٩.

الدولة اتعرف عدهم خوش[1] رسميات
ما يدري العراگ اشبيه زلم آفات
من راحن فجر يمشن سبع تفگات
فكوه[2] وتمدد ناطوره[3]

وتقول المس بيل في معرض كلامها عن بداية الثورة بالرميثة: (كان السبب المباشر للثورة هناك طفيفاً حيث أن معاون الحاكم السياسي - هيات **Hayatt** - في الرميثة إستدعى.... شيخ الظوالم الذي تأخر عن دفع دَينٍ زراعي للحكومة... أبدى كثيراً من الشراسة بحيث اضطر معاون الحاكم السياسي إلى حجزه وتوقيفه)[4]. وقد أجرى الدكتور البصير مقابلة شخصية مع الشيخ شعلان وسأله عن قضية الدَّين الذي بذمته للحكومة فأكد الشيخ له التأكيد بأنه لم يكن آنئذ مديناً للحكومة بأي شيء، ويضيف البصير إلى ما سبق قوله بأن سبب القبض على الشيخ المذكور كان سياسياً وأن الميجر دالي **DaIy** الحاكم السياسي للديوانية أمر بالقاء القبض على الشيخ عندما ظهر له أن عشيرته (الظوالم) كانت قد أعلنت الحرب على الحكومة قبيل بدء الثورة، أي في ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٠ وأن الحكومة رأت بإلقاء القبض على الشيخ شعلان زعيم الظوالم قضاءً على الحركة[5] يضاف إلى ذلك إن إهتمام الشيخ شعلان بالسياسة وحضوره المؤتمر المنعقد في كربلاء برئاسة الإمام الشيرازي في ١٥ شعبان ١٣٣٨هـ، يقوم دليلاً على أن حركته غير طارئة وإن الحكومة بإلقائها القبض عليه عجّلت بقيام الثورة، ولهذا يكون من المستبعد أن نعدَّ الدَّين المزعوم سبباً في مقاومته للحكومة، وفضلاً عن ذلك فأن بوادر الثورة قد

---

(١) كلمة فارسية معناها (جيد... حسن).

(٢) أطلقوه من السجن.

(٣) الحارس.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦١.

(٥) البصير، ن. م ج١، ص ٢٠٢.

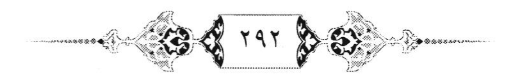
ظهرت قبل قيام الشيخ شعلان بوجه الحكومة وأن الإمام الشيرازي قد بعث رسولاً[١] خاصاً من رجال الدين لمنطقة الرميثه لتحريض الناس على الجهاد[٢].

ولعل فيما أورده الجنرال هالدن عن بداية الحركات في الرميثة تدحض رواية المس بيل التي تجعل سبب إلقاء القبض على الشيخ شعلان هو تراكم دين للحكومة بذمته. يقول هالدن: (لقد سمع الميجر دالي في الخامس والعشرين من شهر حزيران بأن قبيلة الظوالم قد تظاهرت بالحرب ضد الحكومة فرأى أن خير وسيلة هي أن يقبض على الشيخ الجاني، ويظهر أن الإضطراب لم يكن محلياً حيث أن القطار قد قطع في أماكن عديدة جنوب الرميثة وأن أحد الجسور قد خرب، وإن قطار الإستطلاع الذي توجه من السماوة في التأريخ نفسه إضطر إلى الإنسحاب بعد قتال عنيف مع الثوار، ولم ينج من الأسر إلا بصعوبة. أما في شمال الرميثة فقد تعرضت سكة الحديد للقطع في أماكن عديدة، ولكن الثورة لاتزال ذات صبغة موضعية)[٣] وفي الوقت الذي كان القتال فيه مستمراً في الرميثة وغيرها من المناطق، رأى جماعة من المعنيين بالحركة الوطنية أن يعملوا على توحيد الجهاد، وتوسيع الحركة الثورية ضد قوات الإحتلال التي أصبح الثوار وجهاً لوجه معها بعد أن شبت نيران الثورة في منطقة الرميثة، وكانت تسوية النزاعات المحلية من الوسائل التي تذرعوا بها لتحقيق هذا الغرض. ومن الأمثلة على ذلك أن السيد هادي مكوطر توجه في بداية الثورة إلى الخضر فوجد الشيخ معجون الحمادي أحد رؤساء بني حجيم مترئثاً في القيام بوجه السلطات المحتلة بالرغم من إن العشائر المجاورة - كما أسلفنا - قد اشتبكت معها

(١) كان رسول الشيرازي هو الشيخ رحمة أو رحوم الظالمي، وكان الشيخ رحوم من أقارب البطل الشيخ شعلان أبو الجون، وسبق له أن تتلمذ على يد جماعة من العلماء في النجف وأصبح في عداد رجال الدين المشهورين. ويقول الحسني في الص ١٠٧ من كتابه الموسوم بـ (الثورة) إن الشيخ رحمة كان من بين أعضاء مؤتمر الثورة المنعقد في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٢٠ في مضيف عبد الكاظم الحاج سكر، وعند سفره للرميثة زوّده الإمام الشيرازي برسالة جاء فيها: (شيخ رحوم ينوب عني فاعملوا بما يأمركم به).

(٢) فرعون، فريق، ج٢، ص ٤٥٠-٤٥١.

(٣) **Op. cit. p. 74.**



بقتال فعلي، وكان سبب تريثه أنّ فخذاً من عشيرته سبق أن قتلوا ابنه، ولذا كان العداء مستفحلاً بين الفريقين، فتوجه السيد هادي إلى دار الشيخ معجون وأقنعه بأن العمل على مقاومة المحتلين الذين تنكروا لآمال العراقيين بالإستقلال أكثر أهمية من مقتل ابنه وأن فتوى الإمام الشيرازي تلزمه بقتال العدو العام قبل كل شيء، فما كان من معجون إلا ان اقتنع بكلام الوسيط وذهب الجميع للقتلة واصطلح الطرفان واستعدا لمهاجمة مركز الخضر[1]. ونشرت جريدة (الفرات) النجفية في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ الخبر التالي عن (مؤتمر الشامية)،: «عقد العشائر مؤتمرهم وكان مؤتمر سياراً تألف من أبطال النهضة وهم السيد نور والسيد علوان الياسريان، والسيد محسن أبو بطيخ وعبد الواحد الحاج سكر والسيد هادي زويّن، وأخذوا على عهدتهم إصلاح جيرانهم من قبائل (بني حسن) والخزاعل (خزاعة) فقضوا نحو إسبوع في عمل الإصلاح لاستمالة رؤساء خزاعة (الشامية) وبني حسن (الكوفة)، فحضر رؤساء هاتين القبيلتين في (ندوة عبد الواحد)[2] واتحدت كلمتهم، ومن عرف أحوال القبائل يعرف أن مؤتمر الشامية أظهر من ضروب السياسة ما ندر أن يكون له مثيل في تأريخ الفرات، وأن التاريخ سيحفظ له هذا الجهاد السياسي الذي عرقل مساعي الإنجليز، وقضى بالفشل على سياستهم في العراق فلم تجدهم حيلهم ودسائسهم ولم تنفعهم دراهمهم. ومن حسن الحظ أن القبائل التي أغراها الإنجليز بملايين (الروبيات) أصبحت في طليعة الثائرين[3].

هذا ما كان من أمر الثوار، أما الحكومة فإنها أخذت ترسل المدد إلى المناطق الثائرة بناءً على معلومات تلقتها من اللفتنت هيات توقع فيها حصول ثورة عامة في منطقة الرميثة والمناطق المجاورة لها، وكانت النجدات التي ترسلها الحكومة تلاقي صعوبات جمّة لأن

---

(١) فرعون، ن. م، ج١ ص ١٨٥ - ١٨٧.

(٢) عبد الواحد الحاج سكر.

(٣) العدد (٢) السنة الأولى.

الثوار أخذوا يخرّبون سكة الحديد ويصلون الجند ناراً حامية من القرى المجاورة، يضاف إلى ذلك إن تموين جيوش الإنجليز التي تجمعت في الرميثة أصبح من الأمور الشاقة.

وفي اليوم الرابع من تموز ظهرت علامات استنتج منها قائد حامية الرميثة أن الثوار شرعوا في عمل خندق شمال غرب المدينة، وأن النجدات كانت تصلهم باستمرار، وقد حمل ما أظهره الثوار من بوادر الحرب المنظمة الجنرال هالدن على الإعتقاد بأن ضباطاً من ضباط الجيش التركي السابق كانوا يقودون حركاتهم[١]، ورأت القوات الإنجليزية أن تقوم بحملة تأديبية على قرية البو حسن فتصدى الثوار للسريتين اللتين تكونت منهما الحملة، وكلفوهما (٤٣) مفقوداً يعتقد أنهم قتلوا، وجرح ضابط بريطاني وآخر هندي وأربعة عشر شخصاً من ذوي المراتب المختلفة. ويقدر هالدن قوات الثوار بين ١٥٠٠-٢٠٠٠ مقاتل[٢].

وفي اليوم السابع بدأت القوات الإنجليزية تتجه نحو الرميثة، ولكن قوة من الثوار تقدر بين ٣٠٠٠-٥٠٠٠ مقاتل وقفت في طريقها وأصلتها ناراً حامية من داخل قناة جافة كان الثوار قد تحصنوا فيها. وبالرغم مما بذلته القوات الإنجليزية من جهود بغية مواصلة السير إلى الرميثة فإنها فشلت لأن التفوق العددي للثوار حال دون ذلك. وكانت خسائر الإنجليز - على رواية هالدن - تقدر بضابط بريطاني واحد و (٤٧) هندياً من مختلف المراتب، كما جرح ضابط بريطاني و (١٦٦) شخصاً من مختلف المراتب[٣]، أما خسائر الثوار فكانت طفيفة[٤].

وكانت الحامية المحاصرة في الرميثة تهجم على السكان المدنيين في السوق بين آونة

---

(١) Haldane, p. 75.

(٢) Ibid, p.76.

(٣) Ibid, p. 77.

(٤) الحسني، الثورة، ص ١٣١.

وأُخرى لتجمع ما تحتاجه من مواد غذائية، واستطاع المهاجمون أن يقتلوا عشرين شخصاً من السكان دون أن يصابوا بخسائر[١]. ويظهر أن الأهلين لم يقاوموا القوات المهاجمة بدليل أنها لم تصب بأذى، لذا قتلها للسكان المدنيين المسالمين كان دون مبرر.

وقد قلق الجنرال لبقاء حامية الرميثة محاصرة وكان يقول: (لقد أدركت أنَّ أية خيبة أو فشل يبدو منا تستغله القبائل وتبالغ فيه، فأبرقتُ إلى وزارة الحربية كما سبق أنْ أبرقتُ إلى قيادة الجيش في الهند طالباً إرسال المدد، وكان الجواب مخيباً للآمال لأنهم أبلغوني بأن القوات التي طلبتها لا تسافر قبل نهاية تموز)[٢].

وأعد الجنرال هالدن في الوقت نفسه حملة جديدة لإنقاذ حامية الرميثة أوكلَ قيادتها للبريغادير جنرال كوننكهام **F. E. Coningham**. وكان هالدن يشعر بأن خط مواصلاته محفوف بالمخاطر وإن الحملة التي أعدها لإنقاذ حامية الرميثة غير مؤكدة النجاح. وفي السادس عشر من تموز وصلت القوات الإنجليزية إلى المكان الذي فشلت في اجتيازه الحملة الأولى؟ وكان الثوار متحصنين في قنوات جافة يوازي بعضها البعض، ويعتقد هالدن أن لهذا الموقع قيمة عسكرية كبرى، وإن الثوار قد وفقوا لإخفاء تحصيناتهم تماماً الأمر الذي يحمل على الإعتقاد بأنهم كانوا يعملون تحت قيادة ضابط من ضباط الجيش التركي السابق[٣]. ومن الجدير بالذكر أن الجنرال هالدن أثار قضية قيادة ضباط نظاميين لقوات الثوار للمرة الثانية، وقد سبق أن بينّا خطأ هذا الإعتقاد مؤكدين أن الثوار كانوا يعملون تحت قيادة رؤساء العشائر.

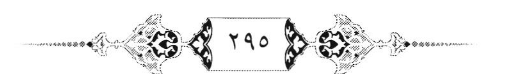
وبالرغم من محاولات الجيش البريطاني الرامية للتقدم فإن الثوار رابطوا بأمكنتهم ولم يغادروها وقد قلق القائد الإنجليزي بسبب الوضع العسكري لقواته، ويقول الجنرال

---

(١) **Ibid, p. 77.**

(٢) **Ibid, p. 80.**

(٣) **Ibid, p. 85.**



هالدن: (ولماذا لا يقلق قائد قواتنا وهو منقطع عن الماء وأمامه قوات صمدت في مواقعها رغم نيران المدافع ورغم الهجمات المتكررة؟ يضاف إلى ذلك إن معداته كانت لا تكفي ليوم آخر، أما الجرحى في جيشه فلا يعرف عددهم...[١]. وبعد فترة وصلت إمدادات جديدة للجيش البريطاني فاحتلوا الموقع الذي فشلوا في إحتلاله في اليوم الماضي لأن الثوار تركوه في الليل.

وفي الأيام التالية تقدم الجيش البريطاني فوصل الرميثة بعد أن خسر (٣٥) قتيلاً و(١٥٧) جريحاً على رواية الجنرال هالدن[٢]، أما الدكتور البصير فيبالغ في عدد القتلى فيجعله (٣٢٦) قتيلاً[٣]. أما خسارة القوات الإنجليزية في الرميثة فقد بلغت (١٤٨) شخصاً بين قتيل وجريح.

وكان لنجاح الإنجليز في الوصول إلى الرميثة أثر حسن في نفس الجنرال هالدن قال: (لقد سررت بنجاحنا في الوصول إلى الرميثة لأن الأوضاع كانت تهدد بالخطر في أماكن أُخرى، وإن ما يقارب (٣٥) ألف رجل من القبائل كانوا يحملون السلاح ضد قواتنا ولعل هزيمة الثوار في الرميثة ستساعدنا على تنفس الصعداء...)[٤].

ويظهر أن تفاؤل الجنرال هالدن لم يكن في محلّه إذ أن الثوار في الرميثة لم ينهزموا واضطروه على سحب قواته من الرميثة في الحادي والعشرين من تموز، وقد كابدت القوات البريطانية مشقات كبيرة خلال انسحابها، فهاجمت جماعة من الثوار مؤخرة الجيش تحت ستار زوبعة رملية فأحدثت فيها إضطراباً شديداً لفترة، ولكن الموقف مالبث أن تحسن ولم تتعرض القوات البريطانية لأخطار مهمة بعد ذلك حتى وصلت

---

(١) Ibid, p. 86.

(٢) Op. cit. p. 88-8.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٩.

(٤) Op. cit. p. 88.

الديوانية في (٢٥) تموز ١٩٢٠.

وقد أصدر الثوار بلاغاً حربياً عن حرب الرميثة (الأُبَيِّض) رأينا أن نذكره هنا لأهمية هذه الجبهة أولاً ولإختلاف الرواة عن المعارك التي دارت فيها ثانياً.

القتال في الأُبَيِّض (الرميثة)

إن أول عمل حربي قامت به عشائر السماوة والأُبَيِّض قطع مواصلات الإنجليز البرقية وقلع السكة الحديد، وقد نسفت ثلاثة جسور كانت ضرورية لمرور القطار وردمت جملة قناطر، وقد قضى الإنجليز في بناء جسر واحد من تلك الجسور وهو المعروف (بجسر العمية) ثلاثة شهور كاملة فانقطع سفر القطر بين البصرة وبغداد وقاتل الناهضون الجند الذي كان يحرس السكة الحديد في عدة مواطن على طرف الخط واستولوا على مواقعهم فطلب حاكم الأُبَيِّض نجدة من الديوانية فأنجد. ولما وصلت أحرقت أحياء الغزاة من (الظوالم والبو حسان) وكانت خالية إلا من النساء والأطفال فهجم الناهضون على النجدة واستمر القتال ثلاث ساعات خسر الإنجليز فيها خمسين جندياً وغنم الثوار خمسين بندقية و(٥) رشاشات وانسحبوا [الإنجليز] إلى بلدة الأُبَيِّض وتحصنوا في الدور وجعلوا يقتلون الأبرياء الذين لا علاقة لهم بالحرب فقتلوا سبعين بريئاً من نساء وأطفال...).

ثم يشير البلاغ إلى محاولات أُجريت لعقد الهدنة ويقول أن العرب تمسكوا بشروطها ولكن الإنجليز لم يتمسكوا بها. (وخرقها «الهدنة» الإنجليز على عادتهم في كل العهود فجهزوا حملة كبيرة إلى الأُبَيِّض فلاقتها جموع العرب وكبدتها خسائر عظيمة فقتلوا ثلاثمائة جندي وأصابوا غنائم كثيرة منها ١٠٠ بندقية و ٧ رشاشات).

المعركة الفاصلة وفوز العرب

(لما وصلت فلول الجيش المنكسر إلى الديوانية جهز قائد الحركات العسكرية (فلكنهايم) -كوننغهام- جيشاً مؤلفاً من ستة آلاف جندي فرساناً ومشاة مجهزاً ببطارية و ٩ طائرات وعسكر في (الحمزة). ثم يشير البيان إلى مفاوضات بين الزعماء والقائد الذي طالبهم بالطاعة فأجابوه بأنْ لا طاعة دون الحصول على إستقلال العراق.

ثم يستطرد البيان (فلم يتريث (فلكنهايم) عن إجراء الحركات العسكرية فزحف بجنده إلى الأُبَيِّض وأحرق منازل بعض العرب وديار السادات الطالقانية وأحياء بني عارض، فاستعرت نار الحرب بين الناهضين وبين جنود أمير اللواء (فلكنهايم) ودامت مستمرة يومين وقد انتهت بفوز العرب وانكسار أعدائهم إنكساراً فاحشاً فولّوا مسافة (٥) ساعات فارّين على أعقابهم وأحاط المجاهدون بهم وحصروهم في «مدين» وقطعوا خط رجعتهم، وتؤكد الأخبار بأن عرب الأُبَيِّض استولت عليهم ولم يفلت منهم[١] أحد.

أما الغنائم فقد كانت (٣٠) رشاشاً وألفي بندقية عدا الخيل والبغال والذخيرة التي لم يتمكن الغزاة من نقلها إلى الآن. أما شهداؤنا فلم يتجاوز عددهم ١٠٠ شهيد). وكان البلاغ سالف الذكر مؤرخاً في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ.

(١) يظهر أن هناك مبالغة وقلة تدقيق في البلاغ إذ أن المصادر الإنجليزية والعربية التي أشرنا إليها سابقاً لا تؤيد هذه النقطة.

ثانياً: جبهة أبو صخير والشامية والكفل[1]

كان رؤساء القبائل في الشامية والمناطق المجاورة من أكثر رؤساء القبائل العراقية إهتماماً بالامور السياسية وذلك لقربهم من النجف التي كانت حينذاك من أشهر مراكز الحركة الوطنية من جهة، ولصلة بعضهم ببغداد وانخراطهم في الجمعيات السياسية من جهة أُخرى. ويقول الشيخ رضا الشبيبي: (كان قادة الرأي في النجف وسقي الفرات القريبة منها لا يعرفون معنى للراحة في مقاومة الإحتلال وسياسة المحتلين...)[2].

وقد عقد رؤساء الشامية في ٢٩ حزيران ١٩٢٠ مؤتمراً في مضيف عبد الكاظم الحاج سكر حضره فضلاً عن كبار الرؤساء جماعة من المشتغلين في السياسة، وكان خطيب المؤتمر السيد محمد باقر الحلي الذي قدم لخطابه أبيات من الشعر:

---

(١) كانت هذه المنطقة قبيل قيام الثورة من أغنى مناطق العراق. وقد جاء على الص ٦٣ من الجزء الأول من مجموعة التقارير الرسمية ١٩١٨ **Reborts** ان المناطق الفراتية الواقعة بين الكوفة وقرية الطرمة على فرع المشخاب وبين قرية ابو شورة والحزم على فرع غماس تعد حديقة العراق يضاف إلى ذلك ان المنطقة الفراتية الواقعة جنوب الحميدية وابو صخير تعد افضل منطقة لزرع الرز في العراق. وكانت منطقة الشامية هذه متاكثفة السكان ويعود ذلك، فضلا عن خصبها، إلى ان جفاف فرع الحلة في بداية هذا القرن جعل السكان يهاجرون من اعالي فرعي الفرات المعروفين بفرعي الحلة والهندية إلى منطقة الشامية. ويقول التقرير سالف الذكر: (ان ثراء الشامية السريع، وبعدها عن بغداد وقربها من النجف حيث تحاك المؤامرات ساعدوا على وجود شعور بالإستقلال والثقة بالنفس لدى شيوخ القبائل في الشامية، أولئك الشيوخ الذين كانوا مبعث خوف وقنوط للحكومة العثمانية).

وفي ١٥ نيسان اجبر النجفيون الأتراك على اخلاء النجف وتلتهم قبائل الشامية. ومنذ هذا التاريخ حتى بداية سنة ١٩١٨، وهي الفترة التي اعقبت زوال الأتراك وقدوم الإنجليز استطاع شيوخ القبائل في الشامية ان يوسعوا سلطتهم إلى درجة كبيرة. وقد تذوقوا خلال هذه الفترة طعم الإستقلال التام والحرية الكاملة، كما امتنعوا عن دفع الضرائب. ان الحالة التي وصفناها جعلت منطقة الشامية من أكثر المناطق العراق تذمراً من الحكم البريطاني ومن أسرع القبائل تلبية لنداء الوطن عندما شبت نار الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠.

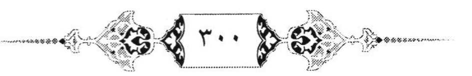
(٢) الأيام، العدد، ١٢٤، ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢.

بني يعرب لا تأمنوا للعدا مكرا
خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة
ويبغون إن حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا
أضاليلهم في الهند والكذب في مصرا

ثم قال يا معشر خزاعة إن لمحمدٍ عليكم ديناً حين قال، حينما ضرب أحلاف قريش أحد الخزاعيين: (لا نصرني ربي إن لم أنصر خزاعة) ومحمد اليوم في حاجة إلى نصرتكم فهل تفون اليوم دَيْنَه. فقام سلمان العبطان رئيس الخزاعل وجرَّد سيفه وهزَّه في وجه الخطيب وقام الجميع فهوّسوا (بس لا يتعلگ بامريكه) فكانت صرخة هاج لها الحاضرون[1]. وكان من نتائج انعقاد هذا المؤتمر أنْ نشب القتال بين القوات الإنجليزية والثوار في هذه المنطقة خاصة بعد أن فشلت محاولة للصلح قام بها حاكم المنطقة الميجر نوربري **P. F. Norbury**. وقد سبق أنْ أشرنا إلى المطاليب التي تقدم بها الثوار لنوربري ومنها طلب الإستقلال التام للعراق.

وقد رفعت راية الثورة في هذه المنطقة في ١١ تموز سنة ١٩٢٠ فخرج السيد علوان الياسري بجموعه وانضم إليه الشيخ عبد الواحد الحاج سكر فضربوا نطاق الحصار على حامية أبي صخير، وقد أرسلت الحكومة باخرة لإنقاذ الحامية التي حاصرت بدار الحكومة ولكن الثوار اضطروها على الهرب. ثم أبقى الثوار جماعة من قواتهم حول أبي صخير وتقدموا نحو الكوفة ورابطوا حولها. وكان حاكم الحميدية الكابتن مان **Mann** يسعى لتشتيت قبائل المنطقة بتوزيع الوعود والمال فسافر الحاج عبد الواحد والسيد علوان لتلك المنطقة ووفقا لحمل قبائل الحميدية على نصح الحاكم المذكور بالإنسحاب

(١) الحسني، الثورة، ص ١٠٧.



وقد انسحب فعلاً فوصل الكوفة بحراسة بعض زعماء القبائل [1].

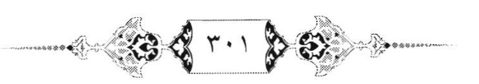
هدنة الكوفة

لقد عرض الميجر نور بري على الرؤساء أن يدخلوا معه في مفاوضات حول فك الحصار عن حامية أبي صخير فقبلوا هذا العرض شريطة أنْ يشترك وفد النجف والشامية في المفاوضات فقبل نور بري وأحضر الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجواهري من النجف لهذا الغرض.

ويحدثنا الشيخ رضا الشبيبي عن هذا الإجتماع فيقول: إنه حصل بعد اندلاع الثورة في الرميثة وأبي صخير والشامية والكوفة....وكان غرض الإنجليز منه المداولة مع قادة الرأي العام في النجف وزعماء الثورة في الإفراج عن حامية أبي صخير الكبيرة التي تعد أكثر من ثلثمائة جندي وضابط المحصورة هناك، ثم إيقاف رحى الحرب إلى فترة مؤقتة. استهل الميجر نوربري هذا المؤتمر بكلمة جاء فيها: (منذ مدة وأنا أود الإجتماع بكم حيث أنَّ حكومتي لا ترغب في سحق الحريات، وأنها عازمة على إعطاء العراق حقه دون حاجة إلى إراقة الدماء، والآن أرجوكم أنْ تعلموني بما تريدون)، فقال الشيخ عبد الكريم الجزائري مخاطباً الحاكم: (وأما قولك إنَّ حكومتك لا ترغب في سحق الحريات فهذا قد يكون صحيحاً ولكن في غير هذه البلاد، وأما في بلادنا فإننا نراها قد تحاملت على الأُمة وخنقت حرياتها في أقوالها وأعمالها، وحسبك دليلاً على ذلك ما فعلته بأحرار الديوانية والحلة وكربلاء وبغداد وبعقوبة من قتل الأبرياء وشنقهم لمجرد مطالبتهم بحقوقهم أو نفيهم إلى خارج العراق، فما هو معنى سحق الحريات وامتهان الكرامات أكثر من هذا)؟! ويستمر الشبيبي بحديثه ويقول: (إن الشيخ (الجزائري)... كان يقصد شنق من شنق من أحرار بغداد ومقتل من قتل وجرح من جرح في مظاهرات بغداد... ونفي أحرار البلاد

---

(١) البصير. ج١، ص ٢١٦-٢١٧.



إلى جزيرة هنجام) وقد أسفر إجتماع الكوفة عن تحرير إتفاقية وقع عليها الطرفان (وقد نصت بعض موادها على الإفراج عن أحرار العراق المنفيين والمعتقلين وإيقاف رحى القتال في الرميثة وإجلاء الحكام السياسيين من البريطانيين عن مناطق الفرات وغيرها ليتسنى إجراء الإستفتاء والمفاوضات مع السلطات البريطانية على أساس منح البلاد حريتها وإستقلالها...) وتعهد رؤساء القبائل في فك الحصار عن حامية أبي صخير. (ويلاحظ أن الجانب العراقي كان وفياً بعهوده فأخرجوا الحامية وفكوا الحصارعنها حتى اشتركت في مقاتلة الثوار بعد ذلك، أما الإنجليز فإنهم نكثوا بعهودهم ولم يفوا بمواثيقهم التي وقعوا عليها في هذه الإتفاقية التي جرى التوقيع عليها في يوم ٢٩ شوال سنة ١٣٣٨هـ، وأواخر حزيران[١] سنة ١٩٢٠)[٢].

أما رواية هالدن عن هدنة الكوفة فتقول: (شعر الحاكم السياسي (نوربري) بأن عملية الإنسحاب من أبي صخير محفوفة بالمخاطر، لذا اتفق مع القبائل على أن تنسحب الحامية دون أن يمسوها بأذى، وبعد مرور يومين على تأريخ الإنسحاب هاجم الثوار عدة زوارق كانت تحمل المعدات إلى حامية الكوفة)[٣]. ومن هذا يظهر إن الجنرال هالدن لا يعد الترتيبات التي تم الإتفاق عليها بين الثوار ونوربري إتفاقاً ملزماً، مع أن المصادر العربية تكاد تجمع على وجود إتفاق نقضه الإنجليز بعد أن سبق لهم أن وافقوا عليه[٤]. ويظهر أن الثوار بحثوا أُموراً سياسية مع جهة غير مختصة. أما فيما يتعلق بالثوار بعد نقض

(١) لايطابق التأريخ الميلادي التاريخ الهجري كما ورد في رواية الشبيبي، ويظهر أن التاريخ الميلادي قد ورد خطأً لأن الثورة بدات في منطقة أبي صخير في ١١ تموز وجرت المفاوضات بعد قيامها وحينئذ تكون جرت حوالي منتصف تموز ويطابق هذا التأريخ التأريخ الهجري.

(٢) الأيام، العدد، ١٢٤، ١٠ ايلول ١٩٦٢.

(٣) **Op. cit. p. 178.**

(٤) الحسني، الثورة، ص ١١٠ - ١١١؛ البصير، ن. م ج١، ص ٢١٧؛ فرعون، ن. م، ج١، ص٢١٦؛ سعيد أمين، ن. م، ص ٦٢.

الإتفاقية، فإنهم شددوا الحصار على حامية الكوفة وتوجه قسم منهم لمهاجمة الكفل، وقد سبق للحكومة أن انسحبت من النجف في اليوم الثامن من تموز سنة[1] ١٩٢٠.

وبعد أن تحررت النجف تأسست فيها إدارة مدنية فعُيِّن السيد نور الياسري قائم مقاماً للنجف تعاون في إدارة المدينة أربعة مجالس: ١-المجلس البلدي[2]، ٢-مجلس الإدارة[3]، ٣-مجلس التنفيذ[4]، ٤-المجلس العلمي وكان أعضاؤه: الشيخ جواد الجواهري، والشيخ علي مانع، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ اسحاق الشيخ حبيب الله، والشيخ موسى تقي زاير ادهام، والسيد محمد رضا الصافي، والشيخ علي الحلي، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والسيد علي السيد حسين، والشيخ مشكور الحولاوي، والشيخ أحمد الملا كاظم الاخوند. وكان رئيس المجلس العلمي المجتهد شيخ الشريعة الأصفهاني.

وكانت وظائف المجلس الأول تتعلق بشؤون بلدية النجف بما فيها جمع الرسوم والضرائب وتنظيم شؤون الصحة. أما اختصاصات مجلس الإدارة فكانت تتعلق بانتقاء الموظفين والشرطة والنظر في الدعاوى ومراقبة حسابات المجلس البلدي، كما يقوم بتمويل الثوار عند الطلب. وكانت إختصاصات مجلس التنفيذ حفظ الأمن وتجهيز المتطوعين وتسفيرهم لساحات القتال.

أما المجلس العلمي فلم تكن اختصاصاته محلية، بل كان بمثابة مجلس إستشاري

---

(١) **Haldane, Op. cit. P. 178.**

(٢) كان أعضاء المجلس البلدي: الحاج عبد الرزاق شمسة، والحاج عباس شمسة، والسيد سعيد كمال الدين، وحسين الظاهر وكردي أبو كلل.

(٣) أما أعضاء مجلس الإدارة فهم: السيد مهدي السيد سلمان، والشيخ جواد صاحب الجواهر، والحاج محسن شلاش.

(٤) وكان أعضاء المجلس التنفيذي: السيد علي جريو، والسيد مهدي السيد سلمان، وغيدان عدوه، والحاج حسون شربه، والحاج عبد الله الحاج حمادي. وكردي أبو كلل، وحسين الظاهر، والحاج محمد الشرباوي.



تنفيذي أعلى للثورة وعليه تعرض أهم القضايا التي تتعلق بسياسة الثورة العامة سواء في النجف أو في خارجها[١]. وبالإضافة إلى ذلك كان للثورة جماعة إرشاد ودعاوة تشرف على إصدار المناشير والبلاغات الحربية كما تشرف على صحافة الثورة. ومن أشهر أعضاء هذه الجماعة الشيخ باقر الشبيبي[٢]. المشرف على جريدة (الفرات)، ومن العاملين بها السيد محمد عبد الحسين المحامي صاحب جريدة الإستقلال والسيد محمد علي كمال الدين وآخرون.

معركة الرستمية [٣]

سبق أن أشرنا إلى أن قسماً من الثوار تركو الحامية الإنجليزية محاصرة في الكوفة وتوجهوا نحو الكفل فاحتلوه في يوم ٢٢ تموز ١٩٢٠، وأصبح الكفل من مراكز الثورة المهمة. وكان السيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد الحاج سكر أبرز قادة الثوار في هذه المنطقة، وقد وردت عليهما أخبار تفيد بأن قوة إنجليزية صغيرة قدمت للإستطلاع إلى جهة الكفل، ولم تشر الأخبار إلى وجود قوة كبيرة كانت تزحف نحو الكفل[٤]. ووصف لنا هالدن كيفية إرسال هذه القوات وبيَّن الغاية التي أُرسلت من أجلها فيقول: (كان قطار الكفل عرضة لهجمات الثوار بصورة مستمرة، وفي اليوم الـ ٢٣ من تموز هاجم الثوار محطة الكفل وقبضوا على موظفيها الأمر الذي حملنا على إعادة القطار المتوجه نحو

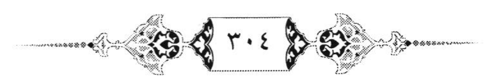
---

(١) فرعون، فريق، ن. م، ج١، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) محبوبة، جعفر، ن.م، ج١، ص٢٦٧.. لقد وردت في كتاب محبوبة سالف الذكر معلومات عن حكومة النجف المحلية، وعن أسماء بعض المشتغلين بها لم ترد في بعض المصادر التي استقيت معلوماتي منها. كما أنه اشار إلى وجود هيئة خاصة بشؤون أسرى الإنجليز الذين بلغ عددهم (١٦٠) أسيراً.

(٣) الرستمية إسم مقاطعة زراعية واسعة تقع بين الحلة و (الكفل) فتبتعد عن الأولى ١٨ كيلو متر وعن الثانية ١٢ كيلو متر. تبلغ مساحتها زهاء (٤٠٠٠) دونم وتخترقها جداول كثيرة، تتشعب من نهر (الشاه) الخارج من عمود الفرات - فرع الحلة.

(٤) البصير، ج١، ص٢١٨.



الكفل إلى مقره في الحلة ولكن الثوار ما لبثوا أن خربوا الخط. أما الكوفة فكانت مطوقة لثلاثة أيام خلت. وفي ضوء هذه الأحوال طلبت من قائد الفرقة السابعة عشرة أن يعزز قواته ويزحف نحو الكفل)(١)، وكان الميجر بولي **Pulley** حاكم الحلة السياسي يلح على القوة الإنجليزية بسرعة التقدم لئلا يحتل الثوار سدة الهندية فيكون أمر الفرات وإنقاص المياه فيه وتعطيل الحركات النهرية بيدهم فيصعب على القوات الإنجليزية الإستفادة من هذا الخط الحيوي(٢).

تحركت القوة الإنجليزية التي عرفت بفرقة منجستر نحو الكفل بقيادة هارد كسل **CastleR. N. Hard** وقد زود بأوامر حددت المكان الذي سيقف به عند المبيت وحذِّر من الإسراع نحو الكفل رغبة في تعزيزه بنجدات قادمة من الديوانية، ومع هذا فقد جدد الحاكم السياسي في الحلة ضغطه على القائد وطلب منه أن يسرع بالتقدم نحو الكفل للأسباب التي بيّنّاها سابقاً، فنجح مسعاه في هذه المرة فصدرت الأوامر إلى القائد بالتقدم.

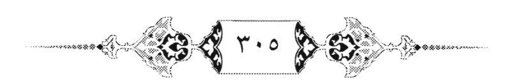
وقد طلبت السلطات البريطانية في الحلة من الشيخ إبراهيم السماوي رئيس خفاجة أن يصحب الجيش الزاحف نحو الكفل، وعندما عسكر الجيش قرب الرستمية أَذِنَ قائده للشيخ إبراهيم أن يمضي ليلته في بيته الذي أصبح على مقربة من معسكر الجيش، وقد عاد الشيخ في اليوم التالي إلى المعسكر ولكنه تركه قبيل هجوم الثوار عليه، وبعد نهاية الثورة حكم على الشيخ السماوي بالإعدام بتهمة إشتراكه مع الثوار بالهجوم على القوات الإنجليزية(٣)، وقد بحث الجنرال هالدن(٤) قصة السماوي وأشار إلى حكمه بالإعدام ولكنه يعتقد أن الدليل ضده ناقص.

(١) **Op. cit. p. 92.**

(٢) الحسيني، الثورة، ص١٣٩.

(٣) الحسني، الثورة، ص ١٤٠.

(٤) **Op. cit. p. 96-7.**



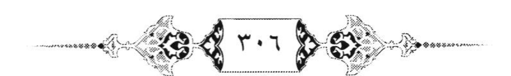
وأفادت خيالة الإستكشاف بأن الثوار يزحفون من ناحية الكفل في الساعة الخامسة والربع بعد الظهر، وكان عددهم لا يزيد على الثلاثة آلاف، رغم أن بعض التقديرات توصل هذا العدد إلى عشرة آلاف مقاتل. وحالما اقترب الثوار اطلقت عليهم مدفعية الجيش نيرانها، ولكنهم واصلو تقدمهم ورابطوا على بعد (١٥٠) ياردة من المعسكر[١]. وقد شرع تبادل إطلاق النار بين الفريقين حوالي الساعة (٧) و(٥٠) دقيقة بعد الظهر، واقترح معاونا الحاكم السياسي اللذين كانا يصحبان الجيش على القائد أن ينسحب إلى الحلة لأن القوة إن أمضت ليلتها في معسكرها يكون من المحتمل أن ينظم العرب بين منطقة الرستمية والحلة إلى الثوار وربما هاجموا الحلة واحتلوها. وقد عقد قائد قوة منجستر مجلساً للحرب لمناقشة الوضع فأسفر إجتماعهم عن ضرورة الإنسحاب، وأورد الجنرال هالدن تفصيلات عن خطة الإنسحاب وحراسة المواصلات[٢].

وبعد مدة من الشروع بالإنسحاب بدأت طلائع الهزيمة تظهر على القوات المنسحبة، وأخذت عجلات العربات ترتطم بالجنود الذين انقسموا إلى جماعات صغيرة، بينما أخذ الثوار يثيرون الذعر في حيوانات النقل ويهجمون على سائقيها بالخناجر. وقد أثّر الظلام وسوء التنظيم في فرقة منجستر فجعلها تضل الطريق ولم تهتد له إلا بعد طلوع الشمس. ووقع الذين ضلوا الطريق بيد الثوار فقتلوا بعضهم وأسروا الآخرين، يضاف إلى ذلك إن نيران الثوار قد أدت إلى خسائر جسيمة في الخيول الأمر الذي أعاق سير الفرسان.

ويقول الجنرال هالدن: (إن خسائرنا قد بلغت عشرين قتيلاً وستين جريحاً وثلثمائة وثمانية عشر مفقوداً، وكثيراً من الحيوانات والعجلات. وتبين إنَّ من بين المفقودين (٧٩ جندياً وضابطاً إنجليزياً و (٨١) هندياً وقعوا أسرى بيد العرب. ويظهر من هذا إنَّ عدد القتلى في الرابع والعشرين من تموز ينقص قليلاً عن الـ ٢٠٠ قتيل. وفضلاً عن ذلك فقد

(١) Ibid, P. 100.

(٢) Op. cit. p. 101.



خسرنا مدفعاً من عيار (١٨) عقدة)[١].

هذا ملخص ما أورده هالدن عن موقعة الرستمية التي أُطلق عليها فاجعة قوة منجستر.

ويظهر أن هذه المعركة ذات أهمية بالغة في نفوس السلطات البريطانية، فكتبت المس بيل في ٢ آب ١٩٢٠، أي بعد وقوع معركة الرستمية تقول: (لا أستطيع التكهن الآن عما سيحدث في المستقبل القريب، إذ إن حادثة كحادثة أبناء منجستر **The Manchesters** ستجلب فوراً قبائل دجلة إلى حدود بغداد. إن الوضع خطرٌ ويمكن أن يصبح أكثر خطورة إذا ما حدث أي تمرجح في الميزان)[٢].

هذا أهم ما ورد عن معركة الرستمية في المصادر الإنجليزية، أما المصادر العربية فقد أوردت تفصيلات وافية عنها. فيقول الحسني: (إن الحاج مرزوگ العواد رئيس العوابد ما كاد يسمع أزيز الرصاص يشنف الإسماع ويرى الجيش مشتبكاً مع الثوار حتى قام بحركة التفاف جداً خطيرة فأصبح (الرتل) بين نارين حاميتين وقد أظهر في حركة الإلتفاف هذه وفي الفنون الحربية والتفنن في القتال ما حيَّر عقول الإنجليز وقادتهم وجعلهم يعتقدون أن الثوار يُدارون من قبل ضباط أتراك وهو إعتقاد باطل فندناه في موضع آخر...، وقد بالغ الثوار في تقدير خسارة الإنجليز في هذه الموقعة حتى زعموا أنها تجاوزت الـ (٨٠٠) بين قتيل جريح وأسير)[٣]. أما البصير فيقول على لسان الثوار عن هذه المعركة: (إن الفئة التي قدَّرت لها السلامة من تلك القوة كانت قليلة جداً، كما أنهم يقولون إن خسارتهم لم تتجاوز العشرين رجلاً...)[٤]، وقد أورد الشيخ فريق

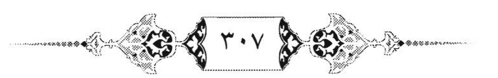
---

(١) **Ibid, P. 102.**

(٢) **The letters, II, p.401**

(٣) الثورة، ص١٤٠.

(٤) القضية العراقية، ج١، ص٢٢٢.



آل الفرعون تفصيلات وافية عن هذه المعركة ورسمت خريطة لساحة المعركة، ثم قال أن الثوار التحموا (من الجهات الثلاث مع الجيش حتى سكتت المدافع والرشاشات والبنادق وحلَّ محلَّها السلاح الأبيض والمقمع (المگوار) و(الفالة) في قلب الجيش فكانت ملحمة سجلها التاريخ بالفخر الشديد للشجاعة التي أبداها الثوار أسفرت عن هزيمة الباقي على قيد الحياة من أفراد الجيش بعد أن تركو خلفهم ما يزيد على الألف قتيل معظمهم من الإنجليز، وغنموا إثنين وسبعين رشاشاً... إن الثوار غنموا كل ما كان بمعية الجيش حتى الخيام لأن الذين بقوا على قيد الحياة هربوا للنجاة بأنفسهم، وأهم ما حصل عليه الثوار مدفع من عيار (١٨) بوند)[١].

هذا ما أورده الذين كتبوا عن الثورة، ولكن بالإضافة إلى ذلك عثرتُ على البلاغ الحربي الذي أصدره الثوار عن هذه المعركة وإليك هذا البلاغ.

من معسكر الجيش العربي في الكفل ٨ ذو القعدة ١٣٣٨هـ. الظفر في الكفل (١٦٠٠) قتيل وأسير، إغتنام ٢٦ رشاشاً[٢] ومدفع صحري.

زحف الناهضون من الكوفة والشامية بعد تطويق الكوفة إلى إسقاط الحلة، فوصلت طلائع الجيش العربي الباسل إلى الكفل... فجرَّد الإنجليز حملة مؤلفة من ألف وستمائة جندي مشاة وفرساناً لمواقعة الجيش الناهض وإذ قاربت الحملة (الرارنجية) (الرستمية) نزلت فحفرت خنادقها... فاشتبك القتال... وقد انتهت الحرب بظفر العرب ولم ينجُ من الحملة الإنجليزية أحد فوقعت بين القتل والأسر... ومن الغنائم ٢٦ رشاشاً... ومدفع كبير...

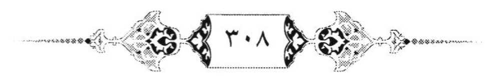
النجف ٩ ذو القعدة ١٣٣٨هـ.

ومن الملاحظ أن المبالغة ظاهرة في هذا البلاغ.

---

(١) حقائق، ج١، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢) يقصد مدافع رشاشة



وقد ورد ذكر معركة الرستمية (الرارنجية) في الشعر الشعبي فقال الشيخ علي البازي:

اوعلى الرارنجيه انشد من تمر   بيها من راواه العد انجوم الظهر
منها غطها[1] اويه العشه اوگبل الفجر   گضت والجيش اوسرو قواده
اوفاتح[2] النهرين منهو اليسره   وبيوم يوم الكوفة كسر منوره
خل يجي الكوفه يشوفه المادره   اويعرف اشصار وسده اعلى اجناده[3]

وقال أحد أبطال الرارنجية، الحاج مرزوگ العواد هوسه، يخاطب الجيش البريطاني:

ودوه[4] يبلعنا او غص بينا

وخاطب أحدهم الحاج عبد الواحد بهوسة مشيراً إلى المدفع الذي أسره الثوار فقال:

جبنالك مدفع يا هيبه[5]

ويظهر من كل ما تقدم عن معركة الرستمية إن المصادر العربية والإنجليزية كانت تختلف إختلافاً كبيراً في تقدير الخسائر التي تكبدها الجيش البريطاني، فالكتّاب الإنجليز الذي كتبوا عن الثورة حاولوا تقليل الخسائر، كما بالغ الكتّاب العرب في تقدير هذه الخسائر، ولهذا أصبح من الصعب على الباحث أن يعطي رأياً قاطعاً في قضية كهذه، ومع هذا فإني ألحظُ المبالغة بين سطور البلاغ العسكري الذي أصدره الثوار، إذ أنه يشير إلى أنَّ عدد أفراد الجيش كانوا بين أسير وقتيل، أما الرواية الإنجليزية ففيها نظر أيضاً، إذ أنَّ الجنرال هالدن يقول إن الجيش قد ظلَّ الطريق ولم يهتد له إلا بعد طلوع الشمس، وكان

---

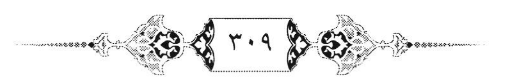
(١) هجم عليها.

(٢) يريد به المدفع الذي مد لجيوش الاحتلال فتح بلاد ما بين النهرين.

(٣) الخاقاني، الناشر، ن. م، ص١٢.

(٤) أي أرسل الإنجليز الجيش ليقضي علينا ولكنه فشل.

(٥) فريق، ن. م، ج١، ص٢٣٤.



الثوار محيطين به ويتعقبونه، فمن المحتمل أنهم أوقعوا به خسائر أكثر بكثير مما دونته المصادر الإنجليزية.

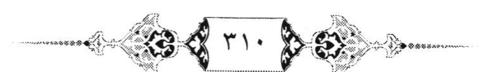
حركات الثوار في الحلة

تقع الحلة على بعد ١٠٤ كيلو متر جنوب بغداد، وتصلها بها سكة الحديد الممتدة بينها وبين البصرة. وتبلغ نفوس الحلة حوالي ٣٥،٠٠٠ نسمة. ومن أهم العشائر المحيطة بها قبائل الجبور والبو سلطان وخفاجة وطفيل وآل يسار وبعض أفخاذ قبيلة آل فتلة. وبعد أن ربح الثوار معركة الرستمية (الرارنجية) توجهوا نحو الحلة ولما اقتربوا منها أخذت الحكومة تدابير إحتياطية[1] صارمة قيَّدت بموجبها حركات السكان، منعت التجوال بعد المساء. ولم يبدأ الثوار هجومهم على الحلة رغبة في إكمال إستعداداتهم من جهة وإحتلال المناطق المجاورة من جهة أُخرى. وفي ٢٧ تموز، ١١ ذي القعدة عبرت جماعة من الثوار نهر الفرات بعد أن احتلت قصبة طويريج، كما هاجمت جماعة منهم في ليلة ٢٧ و ٢٨ تموز مدينة الحلة ولكن القوات الإنجليزية صدَّت هجماتهم، وقد إتجهت جماعة أُخرى منهم فاحتلت سدة الهندية دون مقاومة.

وفي اليوم الأول من آب تمكن الثوار حوالي الساعة الرابعة صباحاً من دخول القسم الجنوبي من مدينة الحلة وأخذ إطلاق النار ينبعث من جوانب المدينة خاصة بعد أن انسحبت القوات الإنجليزية التي كانت عرضة للهجوم. وبعد فترة وصلت نجدة للمنطقة التي دخل فيها الثوار فتمكنت من صد المهاجمين، ويظهر أن سكان المدينة كانوا متواطئين مع الثوار[2] ويقدِّر هالدن خسارة الثوار بمائة وخمسين قتيلًا. ويقول الدكتور البصير أنَّ عدداً من الثوار دخلوا مدينة الحلة فصاروا بحيث لا يمكنهم الخروج من

(١) Haldnne, Op. cit. p. 125.

(٢) Ibid, p. 127.



البلدة فآواهم السكان في منازلهم واستخدموا الحيل في إخراجهم فكتبت السلامة لهم ولم يفقد منهم رجل واحد[١].

ويورد الحسني وفرعون تفصيلات عن إستعداد الثوار للهجوم على الحلة وكيف أنهم عقدوا اتفاقاً فيما بينهم على أن يهجموا عليها من ثلاث جهات وفق خطة معينة، ولكن هذه الخطة لم تنفذ إذ هجمت جماعة من الثوار وتأخر الآخرون. وكان الإخلال بالإتفاق من قبل بعض الثوار سبباً في فشل الهجوم على الحلة[٢].

ويظهر أن فشل الإتفاق لم يكن السبب الوحيد في فشل الهجوم على الحلة، بل إن استعداد القوات الإنجليزية للدفاع عن الحلة رغبة منها في إزالة أثر نكبة موقعة الرارنجية، ووصل مددٌ لها من ما وراء البحار، وعدم إخلاص بعض القبائل المجاورة للحلة كقبيلة البو سلطان، كانت كلها عوامل أثَّرت في فشل الثوار في إحتلال الحلة. ويقول هالدن: (لقد زال قلقي حول الحلة عندما علمت أنَّ حاميتها قوية، ورغبة مني في تقوية معنوية الجند التي تسرب لها بعض الوهن بعد ما حصل في اليوم الرابع والعشرين من تموز «يقصد معركة الرستمية» أمرتُ بتقوية وسائل الدفاع فيها، ومن حسن الحظ إنَّ قطاراً يحمل المؤن قد وصل قبل أن يقوم الثوار بهجومهم)[٣]، يضاف إلى ذلك أنَّ هالدن يحدثنا عن قوة قدرها حوالي (١٧،٦٧٦) بين جندي وضابط كانت قد وصلت إليه من ما وراء البحار قبل نهاية تموز[٤]، أي قبل الهجوم على الحلة.

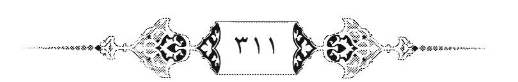
أما موقف البو سلطان وتأثيره في فشل الهجوم على الحلة فيظهر من رسالة أرسلها السيد علوان الياسري للإمام الشيرازي الذي آلمه تقهقر الثوار في الحلة فأرسل السيد هبة

(١) القضية العراقية، ج١، ص ٢٢٣.

(٢) الحسني، الثورة، ص ١٤٢، وفرعون، ن. م، ج١، ص ٢٦٩ - ٢٧٣.

(٣) **Op. cit. p. 127.**

(٤) **Ibid, p. 107.**



الدين الحسيني للوقوف على جلية الأمر، ويقول السيد علوان: (أما حالتنا الحاضرة فكما يحب الله وتحبون، وان مصادمة الجيش العربي مع القوة المعادية في الحلة ليست أخبارها كما بلغتكم... وهناك حقيقتها: مولاي - وردتنا مكاتيب من البو سلطان تريد الهجوم على الحلة.... وطبق خطتهم أن يكون هجومهم مما يليهم ويكون هجومنا مما يلينا حتى يكون الهجوم عمومياً والظفر من الله، وبعد هذا الترتيب نحشد جيوشنا للهجوم، ولكن ويا للأسف، إنَّ الوضعية من البو سلطان تغيرت من دون إشعارنا...)[1].

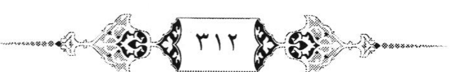
الحالة العسكرية في منطقة سدة الهندية

توجهت جموع الثوار نحو سدة الهندية برئاسة السيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد والحاج مرزوگ العواد والحاج رايح العطية وعلوان الحاج سعدون نحو سدة الهندية ذات المركز العسكري المهم فاحتلتها وأوكلت أمر المحافظة في السدة وتوزيع المياه فيها إلى القبائل المجاورة. ولكن الجيوش الإنجليزية هجمت على المسيب واحتلته بعد معارك دامية، وتقدمت نحو سدة الهندية وأعادت إحتلالها. وكان لتقاعس القبائل المجاورة في المحافظة على سدة الهندية من الأغلاط العسكرية المهمة، وبعد أن احتل الإنجليز السدة أخذوا يهاجمون كربلاء ولكن جموع الثوار تصدت لهم بقيادة عبد الكاظم الحاج سكر فردتهم على أعقابهم بعد أن خسروا (١٢٠) قتيلاً وكبدوا الثوار (٨٢) قتيلاً[2]. وبقيت الحرب سجالًا بين الفريقين حول منطقة السدة طوال مدة الثورة. واتخذ الثوار من الوند مركزاً رئيساً لحركاتهم.

---

(١) الفرعون، فريق، ج١، ص ٢٧٠.

(٢) الفرعون، فريق، ن. م، ج١، ص ٢٧٤- ٢٧٧.



الوضع العسكري في الكوفة

سبق أن أشرنا إلى إخلال الجهات البريطانية بهدنة الكوفة التي عقدوها مع الثوار بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٨هـ، وبعد ذلك تحصنت الحامية الإنجليزية بمدينة الكوفة وبنت لها إستحكامات قوية لتقيها هجمات الثوار. اما الثوار فقد عهدوا إلى قبيلة بني حسن حصار هذه الحامية ومنع الطعام عنها حتى تذعن للإستسلام، وقد علّق كلا الطرفين المتحاربين أهمية كبيرة على مصير هذه الحامية، وعمدت السلطات الإنجليزية إلى مختلف الوسائل لفك الحصار عن حامية الكوفة ولكنها فشلت، كما عمل الثوار كل ما بوسعهم لإجبار الحامية على التسليم ولكنهم فشلوا، وذلك لان السلطات البريطانية كانت تمونها من الجو برمي أكياس الدقيق والأدوية عليها، وكان الثوار قد غنموا مدفعاً من الإنجليز في معركة الرستمية من عيار (١٨) عقدة، وقد نقل المدفع مع قذائفه إلى منطقة الكوفة وسُلِّم إلى الحاج علوان الحاج سعدون قائد الثوار في تلك الجبهة، وكان هذا المدفع غير صالح للاستعمال إذ ينقصه المغلاق (الابرة) حيث انتزعها البريطانيون قبل ان يتركوا المدفع في الميدان وقد استطاع الثوار أن يحصلوا على إبرة عن طريق أحد الجنود الهنود من المعسكرات الإنجليزية. ويروي علي البازركان تفصيلات عن كيفية حصول الثوار على الإبرة وعن استعانتهم بالحدادين المحليين لتثبيتها[1]. وقد تمكنوا بواسطته من إغراق الباخرة فاير فلاي في ١٧ آب ١٩٢٠ فاستراح الثوار من شرورها لأنها كانت مجهزة بمدفعين واثني عشر رشاشاً[2]. وقال الشاعر الشعبي الشيخ علي البازي[3] بهذه المناسبة:

(١) الوقائع الحقيقية، ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) الحسني، الثورة، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) الخاقاني (الناشر)، ن، م، ص١٢.

وفاتح النهرين[١] منهو اليسره
او بيوم يوم الكوفه كسر منوره[٢]

وبعد أن تحطمت الباخرة فاير فلاي لجأت السلطات البريطانية إلى سلاحها الجوي لحماية قواتها المحاصرة في الكوفة، وكان تأثير الطائرات بليغاً لأن الثوار لا يملكون أسلحة لمقاومتها، وكانت هذه الطيارات (تصب حممها على الجموع غير مبالية بما يكون تحتها من مساجد أو معابد أو نساك أو زهاد أو أطفال أو ارامل، ولعل أفجع ما قامت به القاؤها القنابل على النساك والمتعبدين في مسجد الكوفة في يوم ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٨)[٣].

وقد أشارت بلاغات الثوار العسكرية إلى قضية إغراق الثوار للباخرة فاير فلاي بما يأتي: قال البلاغ الصادر في النجف بتاريخ ٢ ذي الحجة ١٣٣٨ تحت عنوان (بشارة): صبيحة هذا اليوم أطلق مدفعنا الضخم نيرانه على حصون العدو في الكوفة فتعطل القروازور (الباخرة) الراسي أمام دار الحاكم المحصور وأغرق...). وقال بلاغهم تحت عنوان (جنايات الطيارات): (ظهر لنا من جملة حوادث إن الإنجليز أعداء الأبرياء والضعفاء فكم أزعجوهم وأقلقوهم وكم فتكوا بهم وأراقوا دماءهم ظلماً وعدواناً فما انتهت فاجعة مسجد الكوفة حتى تجددت أُخرى لا يقل تأثيرها عن الأولى فحلقت للعدو في (٢١) ذي القعدة طيارتان على بلدة (طويريج) فرمتا عليها ١٤ قنبلة (من القنابل المتوسطة) فأصابت ٤ منها عشرين عاجزاً وبريئاً، نساءً وأطفالاً ٨ جرحى و١٢ قتيلاً، أما الست الباقية فقد سقط إثنان منها نحو الجسر ولم تصبه، والأربع الأُخرى حول بيوت الشيخ عمران وكاتبه فإلى مَنْ نرفع هذه الأعمال المخالفة للقوانين الدولية.

---

(١) يريد المدفع الذي مهد لجيوش الإحتلال فتح بلاد ما بين النهرين.

(٢) المنور: الباخرة العسكرية.

(٣) الحسني، الثورة، ص ١٥٦.

ثالثاً: جبهة الدغارة والديوانية

كان معظم رؤساء عشائر عفك والدغارة وعلى رأسهم الحاج مخيف على صلة وثيقة بالعاملين في الحقل السياسي بكربلاء والنجف وقد وصلت أخبار فتوى الإمام الشيرازي لهذه المنطقة، وحدث أن وقعت غحدى رسائل الشيخ الشيرازي بيد الحكومة في الديوانية، كما وصل إلى علم الحاكم إن العشائر يقيمون المظاهرات الوطنية، فرأى الحاكم أن يحثَّ مؤيدي سياسة الحكومة على توقيع مضبطة يؤيدون فيها استمرار الحكم البريطاني، وسبق أن ناقشت قضية هذه المضبطة في مكان آخر من هذا الكتاب. ويرى البصير أن هدف الحكومة من نشرها تخفيف حدة الوطنيين في بغداد ولكن عمل الحكومة لم يثمر لان الوطنيين كانوا على علم من أمر المضبطة. وكان سجن الشيخ سعدون الرسن من بين التدابير التي لجأت إليها السلطات البريطانية في الديوانية، ولكنها عادت فأطلقته لأن بقية الرؤساء امتنعوا عن مراجعة الحكومة. وصادف إطلاق الشيخ سعدون[1] الشروع في الثورة في الرميثة فذهب للوقوف على الحالة هناك. أما الحكومة فقبضت في غيابه على الحاج مخيف وأبعدته للبصرة، ثم أخذت بنصح صديقها الشيخ علوان الچحالي الذي تعهد بمعاونتها، وأحرقت بيت سعدون الرسن ونهبت أثاثه، فما كان من أفراد قبيلته إلا أن هجموا على الرئيس الخائن فقتلوه، ثم هاجموا قوات الحكومة وتمكنوا من إحتلال مخفر الدغارة بعد أن هرب الحاكم منه[2]، وقد ركَّز الثوار اهتمامهم في قطع مواصلات الإنجليز، ففي ٢٧ تموز أخرجوا قطاراً من الخط في محطة قوجان ولم يستطيع الإنجليز

---

(١) كان الشيخ سعدون الرسن من الشجعان المشهورين ومن يجيدون نظم الهوسات فقال مرة في إحدى المعارك: سجيل امطر جيت اعليها (عليها) وقال أيضاً مخاطباً الإنجليز: جم قيصر گبلة اموشمينه، أي كم ناجزنا من الطغاة قبل الإنجليز واثخناهم بالجراح.

(٢) القضية العراقية، ج١، ص ٢٢٤-٢٢٦.

إنقاذه، ويعترف هالدن بأن الثوار سبق لهم ان أخرجوا ستة قطارات عن الخط حاولت أن تقطع المسافة بين الحلة والديوانية(١).

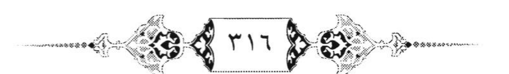
وقد ساءت الحالة ليس في الديوانية فقط بل في كل مكان خاصة بعد موقعة الرستمية، ويقول الجنرال هالدن: إن أخبار هذه الحادثة وصلت بغداد بصورة مكبرة وإن الأخبار التي وصلته تبين أن جميع القبائل حول الحلة امتشقت الحسام وأن قبائل أُخرى كانت على وشك الثورة حالما تنقطع مواصلات الإنجليز مع الديوانية وأن شيوخ الديوانية أخذوا ينضمون إلى قبائل الشامية التي أعلنت عصيانها في الرابع عشر من تموز. وينهي الجنرال هالدن كلامه بقوله أنه أصبح مقتنعاً بضرورة الإنسحاب من الديوانية وتركيز القوات في الحلة (٢).

الإنسحاب من الديوانية

إن تردي الأوضاع العامة بالنسبة لسلطات الإحتلال - كما بينّا فيما سبق - جعل الجنرال هالدن يقرر الإنسحاب من الديوانية إلى الحلة. ولنتركه يتحدث عن الإنسحاب من الديوانية وعن المصاعب التي لاقاها جيش الإحتلال أثناء هذه الفترة. يقول الجنرال في صدد الإحتياطات العسكرية التي سبقت الإنسحاب من الديوانية: (أصدرت أوامري -كإجراء إحتياطي- إلى الجيوش المرابطة في مناطق الفرات الأعلى لتجتمع في الفلوجة وعندئذ تصبح عند متناول يدي عند الحاجة... ومن الجدير بالذكر إن الوضع العام قد تطور بشكل أصبح معه لزاماً علينا إما نقرر الإنسحاب الإجباري إلى بغداد، وإما أن نعرض قواتنا إلى التطويق من قبل الثوار، ومن حسن الحظ أن الشيخ علي السليمان رئيس الدليم قد تعهد لنا بحماية هيت حتى نصبح قادرين على إعادة إحتلالها، وقد كان الشيخ

(١) Haldane, Op. cit. p. 129.

(٢) Op. cit. p. 104.

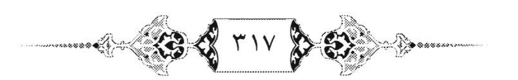


علي وفهد بك بن هذال وابنه محروث من المخلصين للحكومة طيلة أيام الثورة وكانوا يستلمون منا مبالغ من المال تجاه هذه الخدمة كما كافأناهم أخيراً على حسن خدماتهم للحكومة. وقد مكنتنا مساعدة هؤلاء الشيوخ على تركيز جيوشنا في الرمادي والفلوجة يضاف إلى ذلك إن المعلومات التي وصلتني حديثاً أفادت بأن مجموعة المنتفك كانت ترقب الحالة في الدليم باهتمام، فلو أن قبائل الدليم تذبذبت في ولائها لما تأخرت قبائل المنتفك التي كانت بمثابة سيف ديموكليس مصلت على رؤسنا لعدة أسابيع عن الثورة. ولو فرضنا أن قبائل المنتفك اشتركت بالثورة لأصبحت بغداد محاصرة بسهولة، وفضلاً عن ذلك فإن ثورة المنتفك قد تجر وراءها ثورة قبائل بني لام وربيعة، ومن المعلوم إن هاتين القبيلتين الأخيرتين تسكنان على ضفاف دجلة وإن اشتراكهما بالثورة ينجم عنه انقطاع خط مواصلاتنا الوحيد الذي لم يعرقل سيره الثوار)[1].

وفي ٣٠ تموز ١٩٢٠ قرر الجنرال هالدن سحب قواته من الديوانية وكانت الطائرات تحمي الجيش المنسحب، وقد مرَّ اليوم الأول من عملية الإنسحاب دون أن تتعرض فيه القوة المنسحبة إلى الخطر. وما كادت القوة تصل إلى محل يعرف بـ (إبن علي) حتى علمت أن سكة الحديد قد خربت على مسافة (٣٥٠) ياردة وإن الثوار قد خرّبوا جسراً من الجسور التي يمر عليها القطار، وقد لاقت القوة الإنجليزية صعوبات كثيرة، وكلما تقدمت إلى الشمال إزدادت هذه الصعوبات إلى حد أن القطار لم يستطيع أن يقطع أكثر من خمسة أميال في اليوم الواحد، وقد عمدت القوة المنسحبة إلى إحراق القرى المجاورة وعدَّتها مسؤولة عن تخريب سكة القطار، كما أنها قذفت القرى البعيدة بالقنابل. واستطاع قسم من القوات الإنجليزية أن يتقدم، ولكن تجمع الثوار جعله يتراجع إلى (قوجان).

---

(١) يقول آيرلند على الص ٢١٠ من كتابه الموسوم بـ (العراق) (عندما ضغطت الحكومة على امير ربيعة بدفع ما كان مستحقاً عليه من الضرائب في سنة ١٩٢٢، افاد بانه قد وعد من قبل البريطانيين في سنة ١٩٢٠ بان يعفى من الضرائب لقاء مساعدتهم في ايقاف انتشار الثورة في وادي دجلة، وهو وحده الذي حال دون نشوبها هناك).



وفي اليوم الرابع إستأنف الجيش حركتة للأمام وكان طول القطارين اللذين يقلاه حوالي الميلين. وقد ظهر له أن الخط الذي تم إصلاحه في اليوم السابق قد خرَّبه الثوار فكان ذلك سبباً لخروج الناقلات الثقيلة وعربات النقل عن الخط. ومن الجدير بالذكر إن الحرارة الشديدة وسرعة إصلاح الخطوط سببا إعوجاج الخط ثم خروج ماكنة القطار عنه وسقوطها، وكان لسقوط الماكنة آثار بالغة الضرر، لأن الثوار اغتنموا فرصة إنشغال القوات الإنجليزية بإصلاح الخط فخربوا جزءاً جديداً لم يسبق لهم أنْ خرَّبوه، الأمر الذي أدى إلى تأخير سير القوة ليومين. وقد اغتنمت القوات الإنجليزية فرصة التأخير فهاجمت القرى المجاورة، ولم تحدث لجيشهم إصابات في هذا اليوم لأول مرة. وكان السير بطيئاً في اليوم الخامس نظراً لكثرة الأضرار التي أحدثها الثوار في سكة الحديد. وكان قواد الجيش يتوقعون أن يكف الثوار عن هجومهم بعد أن وصلت القوات الإنجليزية إلى الجربوعية، ولكن الثوار استمروا في هجومهم. وحاول الثوار في الرابع والعشرين من تموز أن يحرقوا جسر الجربوعية ولكن محاولتهم هذه كان نصيبها الفشل. وفي صباح هذا اليوم اشتبك الثوار مع القوات الإنجليزية وكبدوها (٧٠) قتيلاً بينما كانت خسائر الثوار حوالي (٥٠) قتيلاً، والتحم الثوار مع الجيش الإنجليزي في الحمزة فقتلوا (١٤) جندياً وجرحوا آخرين.

وفي الوقت الذي كانت فيه عمليات إصلاح سكة الحديد قائمة على قدم وساق كانت القوات الإنجليزية منهمكة في إحراق جميع القرى الواقعة في جوار الجربوعية، واستطاعت القوات الإنجليزية أخيراً أن تصل إلى الحلة[1].

وقبل أن أختم البحث عن جبهة الديوانية أُورد ما قاله الجنرال هالدن في هذا الصدد. يقول الجنرال هالدن: (في الوقت الذي كان فيه تجمع جيوشنا في الحلة يسير بنجاح، تلك العملية التي يتوقف على نجاحها بقاؤنا في العراق وفي الشمال الغربي من إيران، صممت

(١) Haldane, Op. cit. p. 131-38.

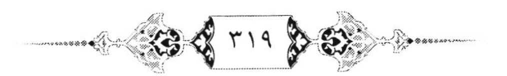
على أنْ أُضحي بكل شيء في الديوانية سوى التجهيزات اللازمة لقواتنا أثناء تراجعها... ومن الطبيعي أن يكون تأخر الجيش أثناء الإنسحاب من الديوانية مدعاة لإثارة القلق في نفسي، لأنني كنت أرغب أن تجتمع جيوشنا في الحلة بأسرع وقت ممكن، يضاف إلى ذلك كنت أخشى أن يتعرض جيشنا إلى الخطر بسبب تأخر عملية الإنسحاب من الديوانية إلى الحلة، لأن الثوار أخذوا يتلفون سكة الحديد في كل مكان. من المحتمل أنَّ العرب ينجحون في إتلاف سكة الحديد الأمر الذي يؤدي إلى إنعزال قوات كوننكهام بين الحلة والديوانية.)[١]، ويقول الجنرال هالدن عن عملية الإنسحاب هذه في مكان آخر: (لم تمر بي فترة مزعجة خلال حياتي العسكرية شبيهة بفترة الإثني عشر يوماً التي مرت بين كارثة قوة منجستر ووصول قوة كوننكهام إلى الحلة... لقد باشرت الحرب منذ ١٩١٤ حتى انعقاد الهدنة في الجبهة الغربية، ولم أترك الجبهة إلا لفترات قصيرة. وكانت جيوشنا في أغلب الأوقات تعمل في ظروف خطرة، ورغم كل ذلك فإن الأيام الإثنا عشر من سنة ١٩٢٠ في بغداد والتي هي بمثابة الإثني عشر سنة، تفوق كل ما حلَّ بي من مضايقات سابقة... وكان الوضع حرجاً ليس لهذه الفترة حسب بل لمدة طويلة. وكانت مناظر حصار الخرطوم وسقوطها ماثلة أمامي في كل حين)[٢].

الحكومة تفاوض الثوار

سبق أن أشرنا إلى انتقال الزعامة الدينية إلى شيخ الشريعة بعد وفاة الإمام الشيرازي في الثالث من ذي الحجة ١٣٣٨هـ - ١٣ آب ١٩٢٠م، فرأت الحكومة أن تبدأ بفتح باب المفاوضة مع الزعيم الديني الجديد. ويقول البصير بصدد المفاوضة: (بينما كانت الثورة بالغة أشدها... إذ بالحاكم الملكي العام يرسل إلى شيخ الشريعة الإصفهاني بمناسبة

(١) **Op. cit. p. 128-9.**

(٢) **Ibid, p. 139.**



تقلده الزعامة المذهبية الكبرى للإمامية على إثر وفاة الشيرازي، كتاباً يطلب فيه الدخول في مفاوضات لحل المشكلة...)[١]. اما الحسني فيعلل رغبة الحكومة بالمفاوضة بأنها ناتجة عما كان يتوقعة الحاكم (من إمتداد الثورة إلى مناطق جديدة، او إلى احتمال اشتراك عناصر اخرى من رجال القبائل[٢] فيها، الأمر الذي يجعل إخمادها أمراً صعباً... بالنظر إلى ما أظهره الثوار من الشجاعة... لا سيما وقد أعلنت بريطانية رأيها في مستقبل العراق، وطريقة الحكم فيه بعد إندلاع لهيب الثورة...)[٣].

وإليك فقرات من كتاب نائب الحاكم الملكي العام المؤرخ في ١٣ ذي الحجة ١٣٣٨ الموافق ٢٠ آب ١٩٢٠.

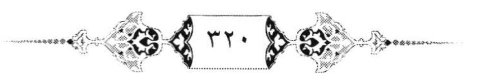
١. (إن المقام الرفيع يستوجب التعزية والتسلية، لا التبريك والتهنئة في هذه الأيام نظراً إلى المصائب التي انتابت العراق وسائر الممالك، وكان هذا من آراء سلفكم المرحوم العلامة المبرور محمد تقي الشيرازي.... الذي... عبر في إحدى مفاوضاته الأخيرة إنه يريد الصلح بين الحكومة والملة...).
٢. أشار إلى أن الحكومة الإنجليزية إعتمدت دائماً على الأركان الثلاثة وهي: الرحمة، والعدل، والتسامح الديني).
٣. يقول إن أهل (العراق قبلوا الدولة الإنجليزية وكانوا مسرورين من إبقاء جيوشها في هذه البلاد... ولكن لما رأى بعض المفسدين (كذا) والمغرضين ذلك التنقيص في جيشها، قاموا يشوشون الاذهان...).

---

(١) البصير، القضية، ج١، ص ٢٥٤.

(٢) يقول هالدن على الص ١٢٤ من كتابه سالف الذكر: إن عدد الثوار قبل نهاية تموز قد ارتفع حتى بلغ (٨٥) ألف مقاتل، وكان أقل من نصف هؤلاء مسلحين ببنادق صالحة للإستعمال، ولكن عدد الاسلحة الحديثة لم يتجاوزعشرهذا العدد، ولم يقف عدد الثوار عند هذا الحد، بل ازداد حتى قدر في ٣٠ آب بـ (١٣١،٠٢٠) مقاتلاً.

(٣) الثورة، ص ١١٥.



٤. أشار إلى قوى الفريقين المتحاربين (وما هي الحالة الآن؟ هي ان العشائر العراقية في حالة الحرب قوية ولكن عددها قليل وليس لها من الدراهم إلا القليل، ولا توجد وسائل لاختراع الآلات الحربية... ولا يمكنها أن تحصل على المعونة من الخارج، وإذا لم ترجع إلى زراعتها فإنها ستتلف وتموت جوعاً... بعكس الحكومة فإن قوتها كانت في مبدء الأمر قليلة.... ولكن الآن ترد المراكب للبصرة في كل يوم حاملة العساكر والمدافع... وسائر ما يلزم للأعمال العسكرية...).

٥. لقد عين ممثل الحكومة في المفاوضة، كما طلب من الشيخ الإصفهاني ان يسمى المندوب او المندوبين الذين سينوبون عن الثوار.

٦. اشار الكتاب إلى أنَّ الحكومة (ستجازي بعض المشايخ وغيرهم الذين ضللوا بالناس...).

التوقيع

اللفتنت كولونيل السير آرنولد ولسن

الحاكم الملكي العام في العراق

وقد طبعت الحكومة المحتلة آلاف النسخ من هذا الكتاب ووزعته بواسطة الطيارات على جموع المحاربين في سائر جبهات القتال كما نشر في الجرائد العراقية[(١)].

ويقول الحسني ان كتاب الحاكم الملكي العام أحدث (ضجة عنيفة في مناطق الثورة وخلق آراء متضاربة لم يكن بالإمكان التأليف بينها، كما لم يكن بإمكان شيخ الشريعة ان ينفرد بالأمر، كأن يجيب طلب الحاكم العام أو يرد عليه بأي شكل من الأشكال ما لم يكن هذا الجواب مستنداً إلى رأي سديد يؤيده الزعماء ويرض به قادة الثورة على السواء) وقد انقسم الناس إلى شطرين: الأول، وكان يرى ضرورة المفاوضة، اما الثاني فكان يصر

---

(١) الحسني، الثورة، ص ١١٨.



على الإستمرار بالحرب. وقد أيد الفريق الثاني معظم زعماء الثورة الذين اشتبكوا مع الجيوش المحتلة، يدفعهم في ذلك الخوف من عقاب الحكومة التي لمحت حول فرض عقوبات على هؤلاء من جهة، وأملهم بالنصر من جهة أُخرى، لاسيما الكثير منهم يجهل قوة بريطانيا وإصرارها على البقاء في هذه البلاد بشكل سافر او بصورة غير مباشرة، كما حصل ذلك بعد التسوية التي تمت بعد إخماد الثورة. ويظهر ان هذا الفريق قد لجأ إلى إثارة العواطف فاتَّهم الجماعة التي تؤيد المفاوضة بالمروق، كما صدر بيانٌ أكد فيه أنْ (لا مفاوضة قبل الجلاء).

وقد رجحت كفة هذه الجماعة بعد ان قرر الزعماء الذين يتألف منهم (المجلس الحربي الأعلى) رفض الدخول في المفاوضات. وما كاد رأي القائلين بمواصلة الحرب يتغلب حتى أجاب شيخ الشريعة الحاكم الملك العام بجواب ذي لهجة شديدة لا يتناسب وإمكانات الثوار قال فيه:

١. إن مطالبة العراقيين بالإستقلال معروفة لديكم ولايمكن تدارك الأمر إلا (بإعطاء العراقيين حقوقهم التي طالبوكم بها مطالبة سلمية، فأبيتم إلا اغتصابها...).

٢. عاتب الحاكم عتاباً مُرّاً حول تعريض الحكومة بسلفه الإمام الشيرازي وحول إعتقادها بأن المصائب التي حلت بالعراقيين كانت نتيجة لآرائه.

٣. فند إدعاء الحكومة البريطانية فيما يتعلق باعتمادها على الأركان الثلاثة: (وهي الرحمة، والعدل، والتسامح الديني) وقال: (فأما الرحمة فهي مقابلتكم الامة العراقية عند مطالبتها بإستقلالها بسوق الجيوش الجرارة عليها وقتل الرؤساء ونفي العلماء... ورمي النساء والأطفال بأنواع النيران وحرق بيوت وأموال ومزارع جميع من امتنع عن الإقرار بوصاية الإنجليز وطالبكم بتأسيس الحكومة العراقية، وهتك الأعراض ومصادرة الأموال خلافاً للقوانين الموضوعة... وأما العدل فالقتل والإعدام بغير جرم وبدون محاكمة... وأما التسامح الديني فهو رمي الطائرات والسيارات المدرعة المساجد وقتل المتعبدين والنساء والأطفال وتشكيل الإدارة العرفية لمعاقبة

من يتصدى إلى عقد مجلس لقراءة منقبة النبيﷺ في المساجد أو مأتم عزاء الامام الحسينعليه السلام...)[1].

٢ محرم، ١٣٣٩هـ

التوقيع

شيخ الشريعة الاصفهاني

ويستطيع الباحث أن يستنتج من مناقشة محتويات رسالة الحاكم وجواب شيخ الشريعة لها أن اللهجة السلمية الهادئة لم يستعملها المرسِل ولا المجيب. فيقول البصير في صدد رسالة الحاكم: (إن ولسن عاد إلى طريقته التي تعود الجري عليها وهي الشدة فشفع ذلك الطلب بالوعيد والتهديد.)[2]. أما الحسني فيقول إن لهجة ولسن كانت بعيدة عن القصد السياسي الذي كان يهدف إليه (فلم يكن من الحكمة أن ينعت الثوار بالمفسدين ولا الزعماء بالمشوشين وإن التهديد والوعيد الذي تضمنه لبعض الزعماء كان سبباً مباشراً لإحباط مشروع المفاوضة).

أما جواب شيخ الشريعة فهو كما يقول الحسني: (خطيئة كذلك إذ كان عليه أنْ يغتنم الفرص ويعتبر الكتاب طلباً صريحاً لمفاوضة الصلح، وينقذ الثورة من هزيمة كانت مؤكدة)[3].

ويقوم جواب شيخ الشريعة السلبي على طلب الحكومة بالمفاوضة كدليل على قلة الخبرة السياسية لدى قيادة الثورة التي أُنيطت بالدرجة الأولى بالروحانيين رغم قلة خبرتهم بأمور السياسة ومراميها البعيدة، يضاف إلى ذلك إن صيغة جواب الثوار تدل على عدم تقديرهم لقوة عدوهم وغزارة موارده بالقياس إلى مواردهم المحدودة.

---

(١) الثورة، ص١٢١.

(٢) البصير، ن.م، ج١، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٣) الحسني، ن.م، ص١٢١.



رابعاً: جبهة الرمادي (الأنبار)

لم تقم في هذه المنطقة حركات عسكرية مهمة، ومردُّ ذلك إلى إن كثيراً من سكانها من البدو الرحل الذين كان تقيدهم بالواجب الوطني والديني ضعيفاً. وكان معظم شيوخ العشائر في هذه المنطقة مخلصين للحكومة. ومن أشهر هؤلاء الشيخ علي السليمان رئيس الدليم والشيخ فهد بن هذال رئيس عنزة. وقد سبق أن أشرنا إلى بعض خدماتهما للحكومة، ولم يقف الشيخ علي وصاحبه موقف الحياد حسب بل ساعدوا الحكومة [(١)]، وقد شكر الجنرال هالدن جهود هؤلاء الشيوخ ومدح خدمتهم للحكومة[(٢)]. ويعزو الحسني قلة مساهمة هذه المنطقة في الثورة إلى عاملين: أحدهما موقف الشيوخ المناوئ، وثانيهما إنشغال الراويين والعانيين بمنازعاتهم الداخلية. وقد استغلوا إنشغال الحكومة بمكافحة الثورة فأخذوا يشنون الغارات على بعضهم البعض.

وبالرغم من كل ماسبق ذكره من عوامل الإنتكاس، فإن بعض أجزاء لواء الرمادي أسهمت في الثورة إسهاماً مهماً. وكان الشيخ ضاري[(٣)] المحمود رئيس عشيرة زوبع على رأس الثائرين في هذه المنطقة. وفي مرة دعاه الكولونيل لجمن **leachman** حاكم لواء الرمادي (الدليم) ومقابلته في (خان النقطة) فحضر الشيخ ومعه ولداه (خميس وسلمان).

وقد جرت في أثناء المقابلة مناقشات بين الحاكم والشيخ وبينما كان الحاكم يتحدث

---

(١) أورد الشيخ فريق الفرعون على الص ٣١٦ من الجزء الأول من كتابه الموسوم بـ (الحقائق...) تفصيلات عن موقف الشيخين علي السليمان وفهد بن هذال من الثورة.

(٢) **op.cit,p.105-6.**

(٣) ذكرالحسني على الص ١٦٣-١٦٤ من كتابه الموسوم بـ (الثورة) أن الشيخ ضاري المحمود كان معروفاً بمناوءته للإنجليز. وعندما أصدر السير برسي كوكس العفو العام بعد الثورة إستثنى الشيخ ضاري من ذلك العفو، فبقي الشيخ ضاري طريداً. وفي ١٩٢٧ قبضت عليه الحكومة وحكم عليه بالإعدام، ثم أبدلت الحكومة عقوبته إلى السجن المؤبد ولكنه لم يلبث طويلاً في السجن حتى توفي فأكبر الناس وفاته.

بلغه إن عصابة مسلحة سلبت سيارة في الطريق فأوكل الحاكم تعقيب الجناة إلى الشيخ ضاري فخرج الشيخ ثم عاد هو وأبناء عمه فأطلقوا النار على الحاكم وقتلوه[١].

وكان لمقتل لچمن أثر سيء في نفس الحكومة ببغداد[٢] لأنه كان مطلعاً على أحوال البلاد إطلاعاً واسعاً. وعلى أثر حادثة مقتل لچمن انقطعت المواصلات بين الفلوجة وبغداد وصار موقف القوات الإنجليزية المرابطة بالفلوجة والرمادي حرجاً للغاية، ورأت الحكومة أن ترسل ثلاث بواخر لحماية الفلوجة، وكانت واحدة منها حربية تصحبها باخرة للحماية واخرى صحية.

وقد هاجم الثوار في ١٥ آب هذه البواخر على مسافة ٥ أميال من الرمادي ولكن رصاصهم لم يؤثر فيها، ثم هوجمت مرة أُخرى قرب الفلوجة فاندفعت واحدة منها نحو الجزيرة واستقرت على رمالها المتراكمة أما الباخرة الدفاعية فإنها واصلت إطلاق النار إلى أن قلَّ عتادها عند الظهر وعندئذ هاجمها حوالي (٥٠٠) من الثوار وأضرموا النار فيها. وبعد هذه الحادثة باتت بغداد مهددة بخطر الحصار، لأن الثورة شملت معظم أنحاء لواء ديالى وخيَّم جماعات من الثوار في الفرات الأوسط على مقربة من المسيب وشرعوا بمهاجمة المحمودية[٣]. وتحت ظروف كهذه أصدر الجنرال هالدن أوامره بإنشاء الحصون حول بغداد[٤] وقد غالت الحكومة في عقاب الشيخ الضاري وعشيرته فهي بعد أن انتصرت عليه أحرقت مزارعه ونهبت بيوته وقتلت النساء والأطفال، ثم سدَّت المياه عن مزارع الشيخ ضاري وعشيرته[٥].

---

(١) الحسني، الثورة، ص ١٦١.

(٢) وهوّس أحد الثوار بهذه المناسبة: هز لندن ضاري وبچاها (أبكاها).

(٣) الفرعون، فريق، ن. م،ج١، ص ٣٠٧.

(٤) البصير، ن. م، ج١، ص ٢٥٣.

(٥) الفرعون، ن. م، ج١، ص ٣١٥. و **Haldane,op. cit, p.174.**

خامساً: جبهة لواء ديالى

لقد كان لتدابير حاكم ديالى السياسي أثر في التعجيل بالثورة في تلك المنطقة. وقد رأى هذا الحاكم أن يجمع رؤساء العشائر في حاضرة اللواء بحجة البحث في قضية سلب بسيطة، وبعد أن حضروا أمرهم ألاّ يتركوا البلدة إلا بإذن منه، ثم ما لبث أنْ أذِنَ لهم ولكنه استثنى الشيخ حبيب الخيزران شيخ قبيلة العزة، وبعد فترة استأذن الشيخ المذكور الحاكم بالذهاب إلى بغداد فأذِنَ له، وهناك اتصل الشيخ حبيب ببعض العاملين في الحقل الوطني فاتفقوا معه على ضرورة القيام بالثورة في ديالى، وحينئذ يصعب على الحكومة نقل الجيوش من بلاد إيران لمنطقة الفرات الأوسط، فما كاد الشيخ حبيب يقتنع بهذه الفكرة حتى سافر إلى منطقته واتفق مع رؤساء العشائر المجاورين على مهاجمة بعقوبة، وقد نجم عن هجومهم هذا إحتلال بعقوبة وإخراج الحاكم منها، وكانت أفكار الأهلين مهيأة للثورة نتيجة للدعاوة التي تولى نشرها السادة حبيب العيدروسي ومحمود المتولي والسيد صالح الحلي الذي قبضت الحكومة عليه عندما كان يهيّج الناس أثناء المولد النبوي كما أسلفنا سابقاً.

أما حاكم دلتاوة فقبض عليه الشيخ حبيب الخيزران وأسره، وقد أخبر الشيخ حبيب الدكتور البصير أن الحاكم المذكور قدم له (٤٠) ألف ربية كرشوة ولكن الشيخ رفضها، ويظهر أن معاون الحاكم السياسي في شهربان رفض التسليم فالتحم مع الثوار ولكنه غلب على أمره بعد ثلاثة أيام وقتل مع عدد من أتباعه[1]. وكان للسيد محمد الصدر جهود في تهييج أهالي ديالى على الثورة، إذ ((إن دلتاوة رضخت مدة لنفوذ السيد محمد الصدر الذي جعلها مقراً له بعد أن حاولت الحكومة إلقاء القبض عليه في بغداد في

(١) البصير، ن. م، ج١، ص٢٣٥-٢٣٧.

١٢آب، ومنها أخذ يشجع الثوار وخصوصاً في سامراء))[١].

وقد أورد عباس علي والشيخ فريق الفرعون تفصيلات وافية عن جهود الصدر في لواء ديالى ولكني لا أميل إلى تأييد كل ما جاء في روايتهما[٢] وكانت معسكرات الآثوريين الذين نزحوا من (اورمية) واقعة بالقرب من جسر ديالى وقد استخدمهم الإنجليز لمحاربة الثوار في هذه المنطقة فلبوا نداء الحكومة وسببوا مضايقات كثيرة للثوار. وفي مرة بعثت لهم الحكومة قطاراً يحمل العتاد والسلاح فنسفه الثوار ولكن الآثوريين حالوا بين الثوار وبين الغنيمة، وقد تكبد الآثوريون خلال هذه العملية (٤٥) قتيلاً، وتقدر خسارة الثوار بمثل هذا العدد. وبعد فترة تمكنت الحكومة من إعادة إحتلال بعقوبة ونكّلت ببعض الثائرين. وعندما علم أحد الضباط إن القاضي كان يحرض الناس على الثورة قصده إلى منزله وقتله هناك[٣]. وتقول المس بيل: أحدثت الثورة في ديالى إنطباعاً سيئاً في نفوس وجهاء بغداد الذين يملك معظمهم مقاطعات زراعية واسعة على جداول ديالى حيث أن القبائل لم تتردد في وضع يدها على مخازن حبوبهم وعلى حاصلات بساتينهم، فأدى عملهم هذا إلى إنقلاب غريب في شعور اولئك الذين اشتركوا في الحركة الوطنية في مراحلها الأولى، ولم يكن نقيب بغداد بعيداً عن الإفصاح عن الرأي العام عندما قال:

((لقد رأينا مالم نره من قبل، وقد تعلمنا من ذلك أشياء كثيرة))[٤].

---

(١) ايرلند، العراق، ص٢٠٨

(٢) علي، عباس، زعيم الثورة العراقية، بغداد، ص٩٣-٩٤. الفرعون، فريق، ن. م، ج١، ص٣٣٠.

(٣) الحسني، الثورة، ص١٦٧.

(٤) فصول، ص١٦٥.



سادساً: جبهة الناصرية (ذي قار)

كانت قبائل المنتفك كثيرة العدة والعدد[1] وكان الجنرال هالدن يخشى أنَّ ثورتها قد تجر وراءها ثورة قبائل بني لام وربيعة وحينئذ يصبح الخط النهري بين بغداد والبصرة في خطر محقق [2]، وبالرغم من أهمية هذه المجموعة من القبائل فإنها لم تسهم إسهاماً فعالاً في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، وتعود هذه الظاهرة لأسباب نجملها بما يأتي:

أولاً: إن بعض هذه القبائل قد أنفقت كثيراً من طاقتها وإمكاناتها خلال الحرب العالمية الأولى سواء باشتراكها في حركة الجهاد بالشعيبة أو في صدها الجيوش الإنجليزية الزاحفة عن طريق الغراف بغية رفع الحصار عن الكوت، وقد نجحت قبيلة الزيرج وغيرها من القبائل الساكنة بين الشطرة والناصرية في منع جيوش الإحتلال من التقدم من الناصرية إلى الكوت. وقد سبق أنْ أشرنا إلى ذلك في فصل سابق من هذا الكتاب. وقد قال شاعر آل إزيرج الشعبي يخاطب أحد قواد الإنجليز هاملتن

يهاملتن تيدب[3] لا تزومش دوم
ذوله افروخ الأزرك موش أهل للوم[4]
بسنكي معاك انريد نصفي اليوم
رد لاتتدهده ابحلكك آفه

وقد يكون السبب في موقف بعض العراقيين هذا خلال فترة الحرب الأولى هو ضعف التوجيه والقيادة عندهم، إذ نراهم يتأثرون بالعواطف الدينية ويبذلون جهوداً

(١) Haldane, Op. 215

(٢) Ibid, p

(٣) أي تأدب ولا تغتر.

(٤) أي أنهم من قبيلة واحدة يشد بعضهم إزر بعض ولا يوجد غريب بينهم.

كان الأولى أنْ يدَّخروها لوقت الحاجة في حركة الجهاد في الشعيبة وفي معاونة الترك بحربهم مع الإنجليز دون أن يتأكدوا من الفائدة التي تعود على قضيتهم من وراء ذلك.

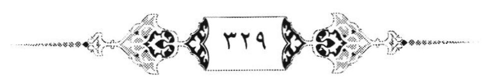
ثانياً: لقد عملت الاموال الإنجليزية عملها في نفوس بعض رؤساء القبائل فوقفوا من الثورة موقفاً فاتراً يشوبه التردد وعدم المبالاة.

ثالثاً: لقد وقف الشيخ خيون العبيد[(١)] رئيس قبيلة العبودة من الثورة موقف المتفرج، وكان لموقفه هذا أثرٌ كبير في شل حركة الثورة في الغراف لأهمية قبيلته العسكرية من جهة، ولأهمية الموقع الجغرافي الذي تحتله من جهة أُخرى. وكانت قبيلة الشيخ خيون تقطن في موقع يفصل بين عشائر الغراف وعشائر الناصرية لذا كان لاشتراكها بالثورة أثر معنوي وعسكري في توحيد بقية القبائل ضد القوات الإنجليزية المحتلة. وعندما سألت المرحوم الشيخ موحان الخير الله عن الأسباب التي حالت دون إسهام قبائل المنتفك إسهاماً فعالاً في الثورة، قال ما معناه إن الشيخ خيون العبيد[(٢)] كان غير مؤيد لفكرة الثورة وعندما طلبنا منه أن يتحد معنا لمهاجمة قاعدة الإنجليز في الناصرية إعتذر عن ذلك ثم لما سألته عن السبب الذي دعاهم إلى عدم تجاهل الشيخ خيون والهجوم على انفراد، قال: اننا تحركنا فعلاً من الرفاعي إلى الشطرة في طريقنا إلى مهاجمة الإنجليز في الناصرية، ولكننا لم نستطع أنْ نتعدى الشطرة (مركز الشيخ خيون) ونهاجم الإنجليز خوفاً على مؤخرتنا من جهة، ومن جهة أُخرى فأن مراكز تموينا ستكون بعيدة ولا نعرف بالضبط موقف عشائر العبودة في حالة إنكسارنا أمام الإنجليز. ولقداستفسرت من الشيخ إبراهيم

---

(١) يقول الجنرال هالدن على الص ٢٢٠ من كتابه سالف الذكر إن الشيخ خيون العبيد لم يصغ لنداء الجهاد الذي أعلنه العلماء ضدنا واحتفظ بولائه لنا حتى الأخير. ويرى الجنرال هالدن على الص٢٩٠، أن جهود الشيخ المذكور كانت السبب الرئيس في عدم توسع الثورة وشمولها لمنطقة شط الحي (الغراف).

(٢) يقول الحسني، على الص١٧٠ من كتابه الموسوم بـ (الثورة) إن رسالة وردته من أحد الثقاة في المنتفق جاء فيها (فلما عادت السلطة البريطانية (يقصد بعد نهاية الثورة) كافأت خيوناً بمائة ألف روبية فأبى قبولها فمنحته مقاطعة الصديقة الأميرية).



اليوسف أحد زعماء بني ركاب عن أسباب عدم إسهام عشائر المنتفك إسهاماً تاماً في قتال الإنجليز فأيَّد رواية الشيخ موحان السابقة حول موقف الشيخ خيون من الثورة ولكنه لم يؤيد مخاوفه حول احتمال إنقضاض عشائر الشيخ خيون على جموعه في حالة الإنكسار. ويعلل الدكتور البصير تقاعس الشيخ خيون بإنشغاله في قضية نزاع محلية نتجت عن قتل الشيخ عبد الله الياسين رئيس قبيلة مياح لأخيه محسن[١]. ويظهر أن تعلل الشيخ خيون بقضية مقتل الشيخ محسن مسألة فيها نظر إذ أن حادثة القتل سالفة الذكر حصلت، كما أشار البلاغ الرسمي الصادر بتاريخ ٢٣ايلول ١٩٢٠، بعد قيام الثورة بأكثر من شهرين فلا يمكن أن تكون سبباً في إشغال الشيخ خيون عن الإسهام في الثورة[٢]. ويظهر أن سيادة الشيخ علي الشرقي الذي كان من مستشاري الشيخ خيون في ذلك العهد كان يشاطر الزعيم المذكور رأيه في عدم الثورة على الإنجليز، وقد قال لي من أثق بروايته إنه كان حاضراً في المجلس الذي دار فيه الحديث التالي بين الشيخ عبيد الخنفر أحد رؤساء بني ركاب وسيادة الشيخ علي الشرقي في بيت الحاج خيون في الشطرة: قال الشيخ عبيد لسيادة الشرقي إني أتهمك في تعطيل حركة الجهاد ضد الإنجليز وإني سأشكوك إن شاء الله عند الإمام الشيخ تقي الشيرازي. ومن غريب الصدف إن الشيخ عبيد الخنفر كان من أوائل القتلى بطائرات الإنجليز قرب الناصرية بعد أن سافر مع قبيلته لجهادهم بعد أيام من هذه الحادثة.

وبالرغم من العراقيل التي وضعت في وجه الثورة، أسهمت بعض مناطق لواء الناصرية إسهاماً غير منكور في قتال الإنجليز أثناء ثورة العشرين. وقد أشار الحسني بصورة خاصة إلى جهود ما أسماهم المبشرين الوطنيين أمثال الشيخ باقر الشبيبي والسيد عبد المهدي المنتفكي والشيخ محمد حسن حيدر وعبد الكريم السبتي وغيرهم[٣]. وقد

(١) ن.م، ج١، ص٢٧٠.

(٢) جريدة (العراق) العدد (٩٧)، ٢٣ أيلول ١٩٢٠.

(٣) الثورة، ص١٧٠.

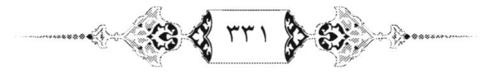
أورد الشيخ فريق الفرعون تفاصيل وافية عن جهود سيادة السيد عبد المهدي المنتفكي في تحريض الناس على الجهاد ضد السلطات المحتلة[1].

حدثني الشيخ إبراهيم اليوسف إنَّ ما يقارب (٣٠٠٠) مجاهد من بني ركاب عسكروا حول الشطرة لمدة إسبوع بانتظار إلتحاق الشيخ خيون وعشائره بحركة الجهاد، ولما ظهر أنه لا ينوي السفر توجه المجاهدون نحو الناصرية بينما رجعت عشائرالشيخ موحان الخيرالله إلى الرفاعي كما أسلفنا. وقد واصل الثوار سيرهم حتى عسكروا بالمناطق المجاورة للناصرية، وبالرغم من أنَّ عشائر الزيرج والحسينات لم تكن جادة في قتال الإنجليز فأنها لم تعرقل جهود الثوار فأباحت لهم الإختباء بمزارعها وسمحت لهم بإطعام حيواناتهم من مزارع الذرة التي كانت على وشك النضج حينذاك.

ويستمر الشيخ إبراهيم بروايته فيقول إن الحاج مرزوك الرويح ومحمد الصالح وعبيد الخنفر الذي كان نصيبه ونصيب زميله محمد الصالح القتل برصاص الإنجليز، كانو أكثر زعماء قبيلة بني ركاب تحمساً للجهاد، ويقول: أننا بقينا هناك حوالي ستة أسابيع نهاجم القوات الإنجليزية المعسكرة بجوار الناصرية في الليل غالباً إذ أن الطائرات كانت تشل حركتنا في النهار ولم نستطع الدخول إلى مدينة الناصرية لأن الشيخ عجيل التويلي وجماعته من رؤساء الحسينات والزيرج حذرونا من ذلك بحجة الخوف على اضطراب الأمن في البلد، وكانت جماعة كبيرة من قبيلة بني زيد برئاسة سليمان الشريف معسكرة بالقرب من بني ركاب، ويقول الحسني أن جماعات من المسلحين من قبائل خفاجة والزيرج وأهل الشطرة وبني سعد مكثوا زهاء أربعة أشهر يهاجمون الناصرية بين الفينة والفينة دون نجاح وكان يصحبهم الشيخ عبد الحسين مطر ذلك العالم الديني الذي ضرب مثلاً في رباطة الجأش[2].

(١) ن.م، ج١، ص٣٤٠

(٢) الثورة، ص١٧٠ (ز).



أما حركة الثوار في مدن الغراف نفسها فكانت مقتصرة على مقاطعة العشائر للحكومة مقاطعة تامة فلم يراجعوا دوائر الحكومة ولم ينفذوا لها أمراً. ويظهر إن الحكام لما شعروا بتأزم الحالة في المنتفك هربوا من المدن خوفاً على أنفسهم. ويقول البلاغ الرسمي الصادر في ٢٨ تموز ١٩٢٠ إن الموقف أصلح قليلاً في لواء الحلة (وقد ظهرت الإختلافات بين القبائل وبدأوا يدركون أنهم آلة صمّاء في يد الآخرين....، وقد غادر معاون حاكم كربلاء السياسي تلك المدينة... والسكون سائد على دجلة وفي ولاية الموصل والحالة حرجة في لواء المنتفق)[١]. ويظهر أن الحالة ازدادت حراجة في هذه المنطقة فنصحت الحكومة حاكم قلعة سكر كرافورد **Crawford** أنْ يترك المدينة في منتصف ذي الحجة ١٣٣٨هـ بعد أن فشل الثوار في إغتياله. وبعد أن ترك البلدة عمد الأهلون إلى دار الحكومة وانتهبوها كما جرّدوا الحرس المحلي (الشبانة) من السلاح، واجتمع لفيف من الزعماء على إثر ذلك في موضع يسمى (المصيفي) ووقعوا ميثاقاً سبقت الإشارة إليه[٢].

أما حاكم الشطرة فقد امّنَهُ الشيخ خيون على حياته وقال له: (صاحب ! كنا غالباً نتعارض في الرغبات ولكنا اصبحنا الآن صديقين منذ الليلة فلا تخشى شيئاً من الغراف)[٣]. وبعد أن ضغط الرؤساء الآخرون على الشيخ خيون بوجوب مقاطعة الحكومة واحتلال القصبة، نصح الحاكم المذكور بالسفر فترك البلدة وانتهب الأهلون سراي الحكومة وأنزلوا العلم البريطاني. وقد حصل في ١٤ محرم ١٣٣٩ أن خرج من الناصرية جيشٌ إنجليزي قوامه (١٥٠٠) جندياً، وما كاد يصل البطحة حتى أحاط به الثوار وقطعوا خط رجعته ثم التحموا معه بمعركة دامت (٢٤) ساعة، وكانت غنائم العرب فيها كثيرة والحصار لايزال يشتد على العدو بتكاثر المجاهدين[٤].

(١) العراق، السنه الأولى، العدد (٥٢) ٣١تموز، ١٩٢٠-١٥ذي القعدة، ١٣٣٨هـ.

(٢) الحسني، الثورة، ص١٧٠هـ.

(٣) الحسني، ن.م، ص١٧٠(و).

(٤) جريدة (الإستقلال) العدد (١) السنة الأولى، ١٨محرم ١٣٣٩ - ١ تشرين الأول ١٩٢٠.

حركات الثوار في سوق الشيوخ:

كانت قبائل بني خيكان القاطنة في منطقة سوق الشيوخ من أشد القبائل عداءً للإنكليز، وقد عزت لهم السلطات الإنجليزية جميع أعمال القرصنة، وكان أفراد هذه القبيلة يشنون هجمات على السفن الإنجليزية ويقطعون أسلاك التلغراف باستمرار(١)، وعند نشوب الثورة اشتركت جماعات كبيرة من قبائل بني خيقان فيها، كما اشتركت فيها قبائل أُخرى. وقالت جريدة (الإستقلال النجفية): (قد اتفقت عشائر المجرة من حجام والعساجرة والمطيرات والحماحمة والعليات وبعض بني خيكان وآل حسن ونهضت في (١٧) ذي الحجة فحاصرت سوق الشيوخ وسقط بأيديهم بعد مضي ثلاثة أيام. وقد سافر الحاكم على باخرة إلى الناصرية. واستولى المجاهدون على محال الحكومة وهي بما فيها لاتزال تحت مراقبة حضرة الفاضل الشيخ محمد حسن حيدر يحتفظ بها لحين إحتياج الامة. وقد انحدرت في (٢١) ذي الحجة باخرتان مدرعتان ذوات سلة نحو سوق الشيوخ فحاربها الوطنيون وقتلوا قائداً برتبة ميجر وأربعة جنود، وقد عارضت قبيلة العساجرة بقيادة الحاج اهليل الباخرة الحربية القادمة من البصرة قاصدة الناصرية فصبت عليها رصاص بنادقها حتى عطلتها وقتلت قائد الباخرة ونفراً واحداً)(٢).

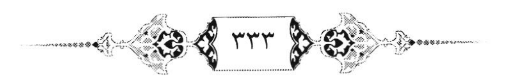
ويقول الحسني: أن الثوار لما تسلموا إدارة القصبة رفعوا العلم العربي على المؤسسات الحكومية على نحو مافعلوه في الشطرة وقلعة سكر، ثم جرّدوا قوة وطنية تمثل سوق الشيوخ والقبائل المحيطة بها، برئاسة الشيخ قاصد رئيس حجام وعسكرت هذه القوة في جهة الناصرية الشرقية لتشديد الحصار على الحامية المتجمعة فيها من أطراف اللواء، واستمرت في المناوشات معها طوال أيام الثورة على شدة القصف الجوي الذي كانت تتعرض إليه(٣).

---

(١) The Muntafik Confederacy, Arab Bureau, Branch Basrah, p. 9

(٢) العدد (٢) ٣ تشرين الأول ١٩٢٠.

(٣) الثورة، ص١٧٠(ز)



سابعاً: جبهة السماوة

كانت السماوة من مدن العراق المهمة، فيها من النفوس نحو ١٣٠٠٠ نسمة، وكانت السماوة من المراكز التجارية التي تموّن سكان البادية التي يؤمونها في مناسبات معينة من السنة. وعندما شبت نيران الثورة في الرميثة سارعت قبائل السماوة لمهاجمة قوات الإحتلال وتخريب سكك الحديد المارة من أراضيها، وكان السيد هادي المگوطر من أهم الشخصيات التي ساهمت إسهاماً فعالاً في مقاومة سلطات الإحتلال في السماوة، وقد عمل السيد هادي كل ما بوسعه لدعوة الناس إلى الجهاد (من أجل هدف واحد هو القضاء على الإدارة الملكية في الفرات الأسفل)[١].

وكانت محطة الخضر من المواضع التي اهتم الثوار في الاستيلاء عليها وقد حاصروها بعد أن خرّبوا سكة الحديد في مواضع مختلفة بالقرب منها، ودام حصارهم لها مدة (١٥) ساعة[٢]. وكانت الحكومة قد خصصت قطارين مدرَّعين لحماية سكة الحديد بين الناصرية والسماوة خشية أن يهاجمها الثوار ويقلعوا قضبانها، فتولى أحدهما حراسة القسم الممتد بين الناصرية والخضر، وتولى الثاني القسم الممتد من الخضر إلى السماوة[٣]. وفي (١٢) آب تمكن الثوار من إرغام القطار القادم إلى الخضر من السماوة على العودة من حيث أتى، وبذلك تمكنوا من تخريب سكة الحديد. ورأت الحكومة تحت هذه الظروف أن تنسحب من الخضر بعد أن مُنيت حاميتها بخسائر كثيرة. وعندما انسحبت حامية الخضر إصطحبت معها ثلاثة قُطر فضايق الثوار هذه القطر ونجحوا في إخراج بعض مركباتها

(١) اير لند، العراق، ص٢٠٨.

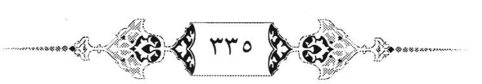
(٢) البصير، ج١، ص٢٦٣.

(٣) الحسني، الثورة، ص١٤٤.

من الخط. وهكذا فَقدَ الإنجليز محطة الخضر وتركوا مدفعين من مدافعهم فاستعملهما الثوار في محاربة القوات البريطانية المحصورة في محطة السماوة وجسر البربوتي[1]. وقد أصدر الثوار بمناسبة إحتلال الخضر بلاغاً مؤرخاً في ١٦ ذي القعدة ١٣٣٨هـ جاء فيه: (وفي هذا اليوم إحتل بلد الخضر شيخ عشيرة الجوابر محمد آل عقيرب واستولى على مركز الحكومة وقتل من فيه من الإنجليز، وننتظر بفارغ الصبر نبأ الإستيلاء على الجند المحصور في الشاطئ واغتنام معسكره المملوء من السلاح والكراع وأنواع الآلات والأدوات).

وحدّثني الضابط سامي النقشلي الذي كان يعمل مع الثوار في منطقة السماوة عن الهجوم الذي شنَّه أحد قطارات قوات الإحتلال على الثوار هناك، فقال: إن القطار المذكور كان قادماً من الخضر إلى السماوة وعندما اقترب من المنطقة التي تجمع فيها عدد من الثوار رأى ربّانُه أنَّ قضبان الحديد قد قلعت على مسافة (٤٠٠) متر تقريباً ولكنَّ ذلك لم يَحُلْ بين استمرار القوات التي يقلّها القطار بإطلاق النار على جموع الثوار، وكانت الطائرات التي تحرس القطار تعاونه في عملية إطلاق النار. وقد هجم الثوار على القطار رغم شدة النيران التي تخرج منه وساعدهم تحصنهم بالحفر الموازية للسكة على تجنب الكثير من الأضرار التي كان بإمكان راكبي القطار أن يحدثوها لولا وجود هذه الحفر. وتمكن الثوار من الإقتراب من القطار وإحداث إصابات عديدة بالجند الذين يقلّهم. ولما استحال على القطار المضي في طريقه إضطر على الرجوع إلى الخضر، وحينئذ تمكن عدد من الثوار أن يركبوا فيه، ودخل القطار في عودته إلى ساحة مسيجة قرب المحطة حيث يوجد عدد كبير من قوات العدو التي وجه عليها الثوار نيرانهم، وكانت القوات المرابطة في الساحة لا تعلم بوجود الثوار في القطار لذا لم تكن مستعده للقائهم الأمر الذي مكّن الثوار من إحداث أضرار كبيرة بهم ولم ينج منهم إلا عدد من الجرحى. وقد نجم عن الإرتباك الذي حصل في المحطة إصطدام القطار القادم بقطار آخر كان واقفاً في المحطة

(١) البصير، ج١، ص٢٤٦.



مما سبب خروج إثنتين من عرباته عن الخط، وبعد ذلك بقليل إستسلمت محطة الخضر بكاملها. وعندما سلم القطار أخذ المدفعي إبرة مدفعه وهرب نحو باخرة إنجليزية كانت راسية على ضفة النهر، ولكن الثوار وجهوا رصاصهم نحوه فقتلوه واسترجعوا الآلة منه وسلموها للضابط سامي النقشلي فوضعها في مكانها في المدفع وصوبه نحو الباخرتين الإنجليزيتين، وبعد طلقات قليلة هربت الباخرتان وابتعدتا عن الساحل، ونظراً لقلة مياه النهر جنحت إحداهما في الجزرة وهربت الثانية، أما الطائرات فإنها هي الأُخرى قللت من هجماتها بعد أن وُجِّه إليها المدفع(١).

وأخبرني السيد سامي النقشلي إن الثوار ما كادوا ينتهون من معركة الخضر حتى نقلوا المدفع الذي غنموه في معركة الخضر إلى محل قريب من الجيش المحاصر في السماوة، وكانت القوات الموجودة في السماوة مرابطة في عدة مراكز أهمها: مركز محطة السماوة الذي كان من بين قواته قطار مسلح. أما المركز الثاني فكان واقعاً على ساحل النهر على مقربة من محل يعرف بـ (البربوتى) ويشارف القسم الأخير على مضخة الماء التي تموّن القوات المحاصرة في المحطة بالماء، وتمكّن الثوار من كسر أنابيب الماء الخارجة من المضخة، وبذا قطعوا الماء عن القوات المحاصرة في المحطة. وقد اضطرت القوات المرابطة في المحطة نظراً لشدة الحر وقلة الماء، أن تلتحق بالقوات الموجودة على الساحل، وبينما كانت القوات المذكورة تزحف نحو الساحل قابلها الثوار فحالوا دون مواصلتها للزحف، وقد وقعت معركة بين الفريقين كانت نتيجتها إبادة القوات البريطانية الزاحفة من المحطة عدا أربعة أشخاص عادوا إلى القطار المدرع واعتصموا به. وقال النقشلي إننا

(١) مقابلة شخصية مع الضابط سامي النقشلي الذي أوردت شيئاً من ترجمته سابقاً. وذكر لي الاستاذ النقشلي أنه بعد استيلاء الثوار على القطار المذكور توفرت لديهم القنابل اليدوية، إذ كان في القطار عربة مملوءة بصناديق القنابل، وقد درب حوالي عشرين شخصاً من الثوارعلى استعمال هذه القنابل، ونجحوا فعلاً باستعمالها لإغراق باخرة كانت راسية في نهر الفرات، كما استعملوها في أماكن أُخرى. وكان إسم الباخرة التي أغرقها الثوار كرين فلاي **Greenfly** وقال الاستاذ سامي إن الثوار استفادوا من رشاشاتها ومدافعها الصغيرة والكبيرة وتجهيزاتها الحربية والطبية.

طلبنا من الإنجليز المعتصمين التسليم ولكنهم ابَوا واستمروا على إطلاق النار. وبعد فترة سكتت نيرانهم فاستولى الثوار على القطار وفتحوا العربة فوجدوهم قد انتحروا. وقد أنهى النقشلي مقابلته لي بالثناء على أبرز قواد الثورة في منطقة السماوة وهو السيد هادي آل مگوطر، مؤكداً الجهود التي بذلها لتوحيد كلمة الثوار وحثهم على مناجزة سلطات الإحتلال.

وقد وردت تفصيلات عن حركات الثوار في السماوة في كتابَي الحسني والبصير جديرة بالإطلاع عليها[١] ومن الجدير بالذكر أن حادثة الإستيلاء على القطار المدرع من قبل الثوار قد أيدها البلاغ الرسمي التالي: (إشتبكت الفصيلة التي في السماوة مرة أُخرى مع العصاة في قتال شديد، وقد أدى إلى خسارة قطار مدرع)[٢]. وقد أورد الجنرال هالدن تفصيلات وافية عن إستسلام القطار المدرع[٣]. يضاف إلى ذلك أنَّ إستيلاء الثوار على المدفع والباخرة (كرين فلاي) تأيد برسالة بعثها زعيمان من زعماء الثوار بتأريخ ٢٠ محرم ١٣٣٩ هـ وهما الحاج جعفر رئيس الجوابر وعبد علي الشيخ حيدر إلى شيخ الشريعة. وقد ورد نص الرسالة في جريدة الإستقلال النجفية[٤].

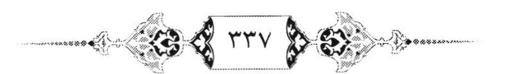
وقد عثرتُ على رسالة موجهة من الإمام شيخ الشريعة الإصفهاني إلى السيد هادي آل مگوطر زعيم الثوار في السماوة، وتلقي هذه الرسالة ضوءاً على أهمية حركات الثوار في السماوة، كما تبين الأهمية التي كانت قيادة الثوار تعلقها على آلات القتال الحديثة التي يغتنمها الثوار من قوات السلطات المحتلة. وجاء في الرسالة سالفة الذكر عدة وصايا موجهة من شيخ الشريعة إلى السيد هادي أهمها: (أولاً: أن تبذل غاية جهدك

(١) الثورة، ص١٤٣-١٤٩؛ القضية العراقية، ج١، ص٢٦٦.

(٢) جريدة العراق، العدد (٨٢)، أيلول ١٩٢٠.

(٣) **Op. Cit. P. 208-213**

(٤) العدد (٥)، ٨ تشرين الثاني ١٩٢٠.



في تأليف المسلمين وجمع كلمتهم حتى تحصل المعاونة والمعاضدة وتتحقق القوة، وكيف لا يتساعدوا وهم في الحقيقة أعضاء جسم واحد، وإني لا أرضى إلا أنْ يكونوا كما قال الله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم. وثانياً- أن تحتفظ بآلات الحرب التي لا توجد عند العشائر كمدافع الدان (مدافع القذائف) وجبخاناتها (عتادها) والقذائف والمكاين والقنابل اليدوية والفلك ذوات الماكنة والعربابين وما يتعلق بها ونحو ذلك من أسباب سرعة النقل وشدة التدمير فإن ذلك أنفع للمسلمين من كل غنيمة لأنه يجر غنائم كثيرة وتتبعه فتوح كبيرة... ثم إنَّ هذه مكاتيب ستة تصلك لفاً (طيا) توصلها وتدفعها إلى مشايخ آل زياد وإني آمل إن كل طائفة تقوم بالدفاع الفعلي وتتأيد بمثل ذلك النصر الباهر أن تعرفني هي بنفسها عما قامت به من الأعمال المشكورة لتختص منا بالدعاء ومزيد العناية من رب السماء وليزداد سروري وسرور جميع المسلمين فأنهم يرتلون على الدوام آيات الثناء والدعاء لمشايخ الدهلة والعشائر المشايعة لهم في وقائع الأُبَيِّض فشكر الله سعي الجميع وجزاهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء... وأما الأرض المقدسة فقريباً تطهر من الأرجاس إن شاء الله. وأما أهل النجف فهم بين واقف في خطط الحرب وبين متهيء للحوق بالمحاربين ولا يبقى على الظاهر غير المعذورين والقائمين بمصالح المسلمين. هذا وإني عازم أن أرسل لك العالَمَيْن العامِلَيْن السيد محمد الخلخالي والشيخ المرزا محمد رضا الإيرواني ليعيناك على تعميم الدعوة وتبليغ النصح....

التوقيع

شيخ الشريعة الاصبهاني

[illegible]

رسالة شيخ الشريعة الاصبهاني الى السيد هادي مكوطر

ويظهر إن خسائر القوات البريطانية في حادثة خسارة القطار المدرع كانت كبيرة. فيقول الحسني: (إن القطار المذكور جاء لسحب الحاميات الأربع المذكورة أعلاه، وإخلاء السماوة من كل قوة إنجليزية، فكم يجب أن يكون عدد القتلى في هذه الواقعة؟ وما هي الذخائر التي يجب أن يكون الثوار قد غنموها فيها؟ إني أترك ذلك إلى نظر القارئ الكريم ولا سيما رجال الجيش المحترمين)[(١)]. ثم أن خسائر الثوار في هذه المعركة كانت كبيرة إذ استشهد منهم ما يقارب الأربعمائة شهيد، ومع هذا كانت غنائمهم كثيرة جداً[(٢)].

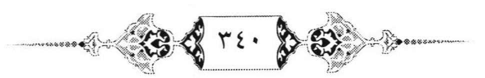
وقد حصلت معارك أُخرى في هذه الساحة ذات أهمية بالغة منها معركة (الدورة) التي دامت ثماني وأربعين ساعة وقتل فيها من الطرفين عدد كبير، وقد استخدم العدو الطائرات فضلاً عن البواخر النهرية. وبعد هذه المعارك دخلت قوات الإحتلال السماوة فأمضت فيها يومين هجمت بعدها على مراكز الثوار فالتحموا معها بمعركة دامت عشر ساعات في مكان يسمى (الزريجية) ولكنها ما لبثت أن انسحبت إلى السماوة فتعقبها الثوار. وكانت معركة (السوير) الأولى وغيرها من المعارك الرئيسة التي دارت في هذه المنطقة. وسنشير إليها بعد قليل.

الهجوم البريطاني العام

بينّا فيما سبق إن القوات البريطانية عند نشوب الثورة لم تكن كثيرة العدد ولكن ما كادت الثورة تشمل مناطق أُخرى غير الرميثة، حيث نشبت لأول مرة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، حتى استنجد الجنرال هالدن بحكومته طالبا منها إمداده بجيوش كافية تمكنه من القضاء على الثورة. وما كان من الحكومة البريطانية الا ان تمده بكل ما يحتاج إليه حتى

(١) الثورة، ص ١٤٨.

(٢) الفرعون، فريق. ن.م، ج١، ص٤٧٦.



بلغ عدد الجيش البريطاني في العراق حوالي (٨٠) ألفاً[١]. يضاف إلى ذلك إن الحكومة البريطاينة رغم المعارضة القوية التي واجهتها في الصحافة والبرلمان، قررت القضاء على الثورة مهما كلفها الأمر. وفي ٢٦ آب ١٩٢٠ أبرق وزير الحربية المستر ونستون شرشل للجنرال هالدن قائلاً: (أغتنم الفرصة لأهنئك على نجاحك في العمل الشاق الذي عهد لك القيام به وأعلمك أن الوزارة قد قررت وجوب القضاء على الثورة وسأعمل جهدي في تلبية جميع طلباتك)، ثم أردف قائلاً: إن الجيوش والطائرات التي طلبها هالدن هي في طريقها إلى العراق وأنه على استعداد بقدر الإمكان أن يرسل ما يطلبه الجنرال هالدن من جيوش وطائرات غير التي أُرسلت فعلاً[٢].

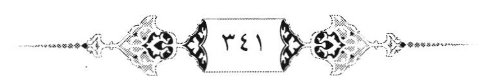
وفي نهاية شهر تموز إنتقلت القيادة البريطانية من كرند في إيران إلى بغداد وبذا تعزز موقف الحكومة وكثر الإحتياطي لديها[٣].

أما الثوار فإنهم قد صرفوا القسم الأعظم من نشاطهم وجهودهم فضلاً عن عتادهم الحربي خلال شهري تموز وآب، ولما كان أمدُ الثورة قد تجاوز الخمسة أشهر كان لزاماً والحالة هذه أن تقل مواردهم المحدودة لا سيما أنهم لم يحصلوا على مساعدات لا من خارج العراق ولا المناطق العراقية التي لم تشترك بالثورة. وقد بدأت الحكومة في إخماد حركات الشيخ ضاري المحمود جوار خان النقطة في لواء الدليم، ثم قضت على الثورة في لواء ديالى. وبعد أنْ تم لها ذلك التفتت إلى مناطق الثورة الرئيسة المثبتة في منطقة الفرات الأوسط، وكانت أول حملة أُرسلت لذلك الغرض هي الحملة التي أُرسلت لإحتلال طويريج (الهندية) بتاريخ ١٢ تشرين الأول سنة ١٩٢٠، وقد وقعت البلدة المذكورة في قبضة القوات المهاجمة في ذلك اليوم نفسه بعد أن دار بينها وبين الثوار قتال عنيف كلّفها

(١) Haldane, Op. cit. p. 66.

(٢) Ibid, p. 215.

(٣) الحسني، الثورة، ص ١٧١.



خسارة تقدر بعشرين قتيلاً. وقد حاول الثوار أن يحرقوا جسر البلدة ولكن القوات الهاجمة أحبطت محاولتهم هذه[1].

وكان لإحتلال مدينة طويريج أثر سيء على الحالة في كربلاء إذ يقول هالدن: (إننا أبلغنا مجلس الإحدى عشر الذي يمثل أعضاؤه حكومة الثوار في كربلاء أن يعلنوا خضوعهم الإسمي وأن يتوجه وفد منهم لمقابلة برسي كوكس المندوب السامي الذي حل محل ولسن، وقد هددناهم بقطع الماء عن كربلاء إن لم يذعنوا لطلبنا، وقد أذعن في ١٦ تشرين الأول عشرة منهم فعلاً وتلاهم في حركتهم هذه كثير من رؤساء القبائل فسلّموا أنفسهم)[2]. ويستمر الجنرال هالدن بروايته السالفة فيقول إن أفراد القبائل أصبحوا أهدافاً جيدة للجيوش الإنجليزية، وإن القوات البريطانية المتقدمة من نهر الطهمازية غرب الحلة تمكنت من تدمير جميع القرى العائدة لقبيلة آل فتلة[3]. وكانت القيادة البريطانية تنوي حينذاك رفع الحصار عن حامية الكوفة، وعندما تحركت في اليوم السادس عشر من تشرين الأول من الحلة نحو الكوفة لم تصادف مقاومة في اليوم الاول ولكن الثوار تجمعوا في اليوم الثاني بأعداد كبيرة ورابطوا في القنوات الجافة على أمل أن يمنعوا القوات الزاحفة من الوصول إلى الكوفة. وبالرغم من إحتفاظ الثوار بمراكزهم لفترة ما لكنهم لم يصمدوا طويلاً[4]. وقد أورد البصير تفصيلات عن الحرب التي دارت بين الثوار والحكومة خلال سير جيوشها نحو الكوفة. وقد وصلت جيوش الحكومة الكوفة في ٣ صفر ٣٣٩ هـ بالرغم من محاولات الثوار اليائسة لإيقافها. وبعد أن باتت الكوفة في قبضة الحكومة إضطرت النجف لإعلان تسليمها للحكومة دون قيد أو شرط. (ولما سلّمت بلدة النجف تشتت شمل رجال الثورة وزعماء القبائل إذ كانت

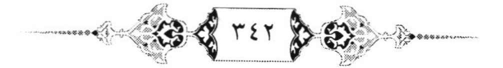
---

(١) البصير، ن.م، ج٢، ص ٣٠٦.

(٢) Haldane, Op. cit. p. 185-6.

(٣) Ibid, p. 184.

(٤) Ibid, p. 182.



مأوى الشاردين وملجأ الهاربين من بغداد وغيرها من البلدان التي احتلتها الجيوش البريطانية. دخل النجف الجيش البريطاني يوم الثلاثاء ٤ ربيع الأول سنة ٣٣٩ بعد أن أخمد نار الثورة في الشامية واستولى على مراكز الثوار هناك وشتت شملهم. دخل النجف وحاصرها وكانت آنئذ مملوءة بالرجال والنساء الذين فروا من الجيش البريطاني الذي دمرهم وأحرق منازلهم بقنابله المتفجرة من طياراته المحلّقة فوق رؤوسهم، ولكثرة النفوس في البلدة ومنع الحكومة من إدخال الأطعمة والأشربة إليها شحت لوازم الإعاشة وأضر بأهلها الجوع والعطش...) وقد فرضت الحكومة على النجف غرامة [(١)] قدرها (٣٠٠٠) بندقية أو بدلها (٨١٠٠٠) ليرة ذهبية، وقد سفّرت عدداً من العلماء من بينهم الشيخ جواد الجواهري والسيد عزيز الله الأسترآبادي والشيخ حسن ابن الإمام شيخ الشريعة الإصفهاني والسيد محمد رضا آل السيد صافي[(٢)]. هذا ما جرى للجيش البريطاني في جبهة الكفل. أما في جبهة السماوة فإن قوات الحكومة تمكنت من إحتلال بلدة السماوة بعد أن خسرت خمسين قتيلاً، ولكن الثوار صمدوا أمامها في جسر السوير واشتبكوا معها في معارك أورد البصير تفصيلات عنها[(٣)].

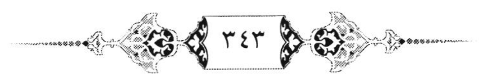
ولنترك الحركات العسكرية جانباً لنلقي نظرة عجلى على التبدلات السياسية التي كان لها أثر كبير في تهدئة هذه الحركات، وكان تعيين كوكس ممثلاً لبريطانيا في العراق بدلاً من ولسن من دلائل هذا التبدل.

---

(١) محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ج١، ص ٢٧٢- ٢٧٣.

(٢) ن. م، ج٢، ص ٣١١.

(٣) يقول هالدن، على الص ٢٦٢ من كتابه سالف الذكر إننا وضعنا غرامات ثقيلة من العتاد والسلاح على مدينتي النجف وكربلاء



تعيين كوكس مندوباً سامياً في العراق

بينما كانت الثورة تسير نحو نهايتها طرأ تحوير على السياسة الإنجليزية نحو العراق فاكتسبت نوعاً من المرونة، ورأت بريطانية أن تحل القضية العراقية حلاً سياسياً بعد أن ظهر لها تصميم العراقيين على رفض حكمها المباشر أو غير المباشر اي عن طريق الإنتداب. وكان لهذا التغيير أسباب متعددة سنوردها بعد قليل. واختارت الحكومة البريطانية السير برسي كوكس لخبرته الطويلة وحذقه السياسي ليقوم بتطبيق السياسة الجديدة في العراق، وقد كتبت جريدة الاستقلال النجفية في ١ تشرين أول سنة ١٩٢٠ عن تعيين كوكس وسياسة انكلترة في العراق ما يأتي: (وصل كوكس (لندن) والنزاع قائم بين حزبي اسكويت القائل بتخلية بغداد والإنسحاب نحو البصرة ولويد جورج الذي يرى لزوم استعمال القوة لإخماد ثورة العراقيين الإستقلالية والإحتفاظ بالعراق أبدياً على الرغم من جميع المعاهدات والتصريحات التي تقضي باستقلاله وتركه لأبنائه، فجاء وصوله هناك بلية كبرى على ليد جورج وأنصاره لما أذاعه من أنباء العراق وحوادثه الجديدة وقوة الحركة الوطنية فيه مما عزز جانب اسكويت المعارض... وها قد قفل كوكس راجعاً من لندن وسيصل قريبا البصرة (وربما وصلها) فما عساه حاملاً للعراقيين؟ وما هي البضاعة التي انتقاها لأهل العراق فإن كانت مما يستطيع العراقيون أن يصنعوا منها ثوب الإستقلال ورداء الحرية فلا شك أنه قد جاء بتجارة رابحة... وإن كان قد أخطأ فجاء متخذاً سياسة وخطة الإستعباد ليرغمهم على اكتساء ثوب الوصاية ذلك الثوب المرقع الخلِق الذي أعده لهم لويد جورج وأنصاره فلا بأس فإن الأُمة العراقية قد اعتمدت في نهضتها على نفسها بعد أن طلبت العون من الله ولا تقابله إلا بما قابلت به سلفه ولسن... ومن ينعم النظر في التبديلات التي حصلت حديثاً في الإدارة الملكية في بغداد، كعزل ولسن «و» استلام كوكس أزمّة الحكومة في البصرة، واستبدال الموظفين الإنجليز الملكيين بموظفين عراقيين، وجعل اللغة العربية لغة الحكومة الرسمية – يتوسم

الخير في سياسة كوكس الجديدة ويرى من خلالها حسن العاقبة. على ان واجب الامة العراقية الناهضة لأخذ حقوقها المغصوبة واسترجاع مجدها السالف ان تبدي نشاطها وتعمل بهمة للاستيلاء على المواقع المعتقل فيها الجند الإحتلالي...)[1].

ويورد الحسني البيان الذي اصدرته الحكومة البريطانية من تعيين السير برسي كوكس وعن مهمته في العراق جاء فيه إن كوكس سيضطلع بمسؤولية (إدارة الحكومة الملكية في البلاد، إلى أن يتمكن من تنفيذ سياسة حكومة جلالة الملك لتأسيس حكومة عربية في العراق...)[2].

وعندما وصل كوكس إلى بغداد في (١١) تشرين الأول ١٩٢٠ رحب به الشاعر المعروف جميل صدقي الزهاوي بقصيدة عنوانها (عد للعراق) نشرت في ديوانه متفرقة[3] أعرب فيها الشاعر عن تأييده لسياسة الإنجليز[4]. وهجم على الثوار هجوماً لا يليق بمكانته رحمه الله. ومما قاله مخاطباً كوكس:

إن العراق لمسعود برؤيته ... أباله من بلاد العدل قد وردا
إرأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا ... إثارة الشر فيه وهو ما قصدا
ما أنسى يوم بدت في القطرحادثة ... من الحوادث تنسي الوالد الولدا

وما كاد السير برسي كوكس يستقر ببغداد حتى اصدر بياناً بتاريخ (٢٦) تشرين

(١) العدد (١) ١٨ محرم، ١٣٣٩-١ تشرين الأول ١٩٢٠.

(٢) الثورة، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٣) الديوان، طبعة القاهرة، ١٩٢٤، ص، ١١٠، ١٤٥، ٣٢٠.

(٤) قال الاستاذ على البازركان، على الص ٢٠٣ من كتابه الموسوم بـ (الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية): (إن ولاء وإخلاص الشاعر المذكور (الزهاوي) للإنجليز غير خاف عن الجميع، فقد كان أحد الستة الذين استقالوا من عضوية المندوبين الخمس والعشرين والذين رشحهم القاضي الحاج على الآلوسي لإعطاء الجواب عن الأسئلة الثلاثة التي طرحها الإنجليز بتاريخ ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩١٩، وما فعل ذلك إلا ليفت في عضدنا...).

الأول ١٩٢٠ موجهاً (الى جميع طوائف العراق وعشائرها) قال فيه: (إن فخامة نائب الملك، السر برسي كوكس يعلن لجميع أفراد العشائر وطوائف العراق بأن حكومة بريطانية العظمى انتدبته ليعود إلى العراق لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابتة بمساعدة رؤساء الامة ولتشكيل حكومة وطنية في العراق بنظارة حكومة بريطانية، ولقد يصعب جداً على فخامته تنفيذ منويات الحكومة البريطانية ما دامت بعض أقسام العشائر والطوائف في العراق تعادي الحكومة... ولا يعلم فخامته غرض العشائر الذين يشغلون أنفسهم بالحرب. فإذا كان هناك سوء مفهومية (كذا) يمكن إزالتها. فيسر[1] فخامته ان يبلّغ العشائر ذلك إليه بواسطة أقرب حاكم سياسي إليهم)[2] وقد أراد كوكس أن يؤيد بيانه سالف الذكر بالفعل فشرع بالعمل على تأليف الوزارة النقيبية. ويقول البصير إن أكثر زعماء العشائر (سلّموا فعلاً بعد صدور هذا المنشور لا لأنه كان عظيم الاثر على عقولهم وعواطفهم بل لأنه لم يكن في طاقتهم أن يقفوا أياماً طويلة أُخرى في وجه القوات البريطانية التي كانت تتقاطر من الهند بعددها الكثير وعُددها الرهيبة مع ما لحق ثورتهم من الإنكسارات في المناطق المختلفة)[3].

وكان تسليم الأكثرية العظمى من الثوار دون قيد أو شرط ما عدا من كانوا في منطقة الرميثة والسماوة فأنهم صمدوا لقوات الحكومة واجبروها على الدخول معهم في مفاوضات أسفرت عن توقيع الإتفاق التالي في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠:

١. أن تكون للعراق حكومة عربية مستقلة.
٢. أن لا تطالب قبائل بني حجيم بكل شيء خسرته الحكومة أثناء الثورة عدا ما تراه رجال الحكومة باقياً في أيديهم.

---

(١) الحسني، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٢) الحسني، ن. م، ص ١٨٤- ٥.

(٣) القضية العراقية، ج٢، ٣١٣- ٣١٤.

٣. أن لا تؤدي القبائل المذكورة شيئاً من الضرائب الاميرية لسنة الثورة لعدم استطاعتهم على أدائها بسبب ما لحقهم من الضرر من جراء القيام بالثورة.

٤. أن يأخذوا على عهدتهم محافظة السكة الحديد التي هي بحدودهم.

٥. أن يتعهدوا بتوطيد الأمن والسلام في جميع أراضيهم.

٦. أن يسلّموا إلى الحكومة ألفين وأربعمائة بندقية.

وهكذا طويت الصفحة العسكرية للثورة بعد أن كلفت البريطانيين (٢٢٦٩) إصابة[١] وكلفت الثوار (٨٤٥٠) إصابة تقريباً على رواية هالدن. وكان جل هؤلاء القتلى والجرحى من نصيب الفرات الأوسط إذ يقدر عدد قتلى العراقيين وجرحاهم في ما عدا الفرات الأوسط والأعلى بـ (٥٥٠) شخصاً فقط. ويقدر انطونيوس مجموع خسائر الثورة في نهايتها نحو ١٠٠٠٠ إصابة، ويقول إن عدد العرب الذين قتلوا لا يعرف بالتأكيد (وربما قارب ٤٠٠٠... وكلفت الثورة الخزينة البريطانية أربعين مليوناً من الجنيهات الإسترلينية، وهو مبلغ يزيد على ثلاثة أضعاف المعونات التي دفعتها بريطانية – ذهباً وأسلحة ومؤناً – لتموين الثورة العربية من بدايتها إلى نهايتها، وكانت الأضرار في الاملاك ومصادر الدخل في البلاد كبيرة فادحة[٢].

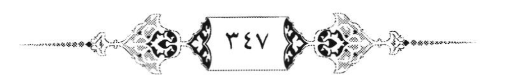
ويقدر كيرك خسائر بريطانية في الاموال بـ (٢٠) مليون ليرة استرلينية وعدد القتلى من البريطانيين والهنود بـ (٤٠٠). ورواية كيرك بخصوص عدد القتلى لا يعتد بها تجاه رواية الجنرال هالدن لأن الأخير هو الذي أدار الحركات العسكرية بالعراق خلال الثورة[٣].

---

(١) يقول هالدن، على الص ٣٣١ من كتابه سالف الذكر: إن عدد القتلى من الهنود والبريطانيين ٣١٢ وإن الذين ماتوا متأثرين من جروحهم ١١٣. وإن معظم المفقودين وعددهم ٤٥١ قتلوا، وإن عدد الجرحى ١٢٢٨، وإن أسرى الحرب ١٦٤، وإن واحداً من الاسرى توفي في الأسر وبذلك يصبح المجموع ٢٢٦٩ بين قتيل وجريح وأسير.

(٢) يقظة العرب، ص ٤٣٠.

(٣) **Op. cit. p. 143.**



ويظهر أن الخسائر المادية التي حلّت بالعراق من جراء الثورة كانت أكثر بكثير مما قدر لأن الجيش البريطاني بعد اندحار الثوار وفي خلال الثورة كان يحرق القرى التي يمر بها أحياناً، وقد أشرنا إلى ذلك في حينه. كما إن غرامات على شكل أسلحة ونقود فرضت على الثوار بعد فشل الثورة. وقد استلمت الحكومة من المنطقة السابعة عشر فقط ٥٢٧٦٩ بندقية في ٣١ كانون الثاني[١] ١٩٢١. وإذا علمنا أن الحكومة قدرت البندقية بعشرين ليرة تركية والطلقة بليرة واحدة[٢] نقدر المبالغ التي تكبدها الأهلون لدفع هذه الغرامات.

ووضعت الحكومة غرامة على مدينة النجف قدرها ٣٠٠٠ بندقية أو بدلها ٨١٠٠٠ ليرة ذهبية، وارتفع ثمن البنادق لكثرة الطلب عليها حتى بلغ ثمن أردؤها ١٥ ليرة ذهبية[٣].

ويظهر إن الحكومة كانت تستعمل القسوة في حالة عجز الثوار عن دفع الغرامات. ويقول هالدن: (إن تاريخ تسليم البنادق والعتاد يحدده قائد المنطقة. وتعد المنطقة دار حرب إذا مر التاريخ المضروب دون أن تُسلَّم الغرامة، وحينئذ يبدأ الجيش بحركاته العسكرية فيدك القرى إلى الأرض، ويخلع الأجزاء الخشبية **Woodwork** من البيوت ثم يمارس أنواع الضغط على السكان فيقطع الماء ويخرّب آلات رفعه الإعتيادية كما يمنع السكان من مزاولة أعمالهم الإعتيادية للزراعة. ثم يعمل الجيش على جمع المؤن من أي نوع كانت بصورة منتظمة ما عدا إحتياجاته الآنية.

ويمكن القول إن المنطقة بكاملها تجرد من ضروريات الحياة... يضاف إلى ذلك أن القوة الجوية الملكية تلقي قنابلها على المنطقة ليلاً ونهاراً)[٤].

---

(١) **Haldane, Op. cit. p. 271.**

(٢) **Ibid. p. 330.**

(٣) محبوبة، ن. م، ص ٢٧٣.

(٤) **Op. cit. p. 330.**

أما مجموع الغرامات التي استلمتها الحكومة من الثوار فكان كما يلي:

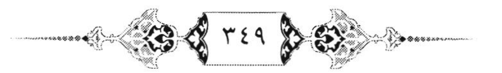
١. استلمت الحكومة ٦٣٤٣٥ بندقية صالحة للإستعمال، وكان ٢١١٤٥ بندقية من بينها حديثة الصنع.

٢. استلمت الحكومة (٣١٨٥٠٠٠) طلقة

٣. استلمت الحكومة (٨٦٧٦٥٠) روبية أي حوالي (٥٤١١٢) ليرة استرلينية [(١)].

وإذا حولنا قيمة البنادق إلى نقود حسب السعر السائد أي (١٠) ليرات للبندقية الواحدة وليرة مقابل الطلقة الواحدة فتكون قيمة البنادق (٦٣٤٣٥٠) ليرة وقيمة الطلقات (٣١٨٥٠٠٠) ليرة. وإذا أضفنا لهذا المبلغ مقدار الغرامة النقدية أي (٥٤١١٢) ليرة يكون المجموع الكلي (٣،٨٧٣،٤٦٢) ليرة. وإذا قسمنا هذا المبلغ على عدد الرجال الذين اشتركوا بحرب الإنجليز، وقدرهم على رواية هالدن سالفة الذكر (١٣١٠٢٠) رجلاً، يكون ما يصيب المحارب الواحد من الغرامة (٢٩،٥) ليرة ونصف تقريباً ويزيد هذا المبلغ كثيراً إذا اتخذنا الثمن الذي قدرته الحكومة للبندقية الواحدة أي عشرين ليرة مقياساً للتقدير، فتأمل !.

(١) Ibid, p. 298.



الفصل السادس:

نتائج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠

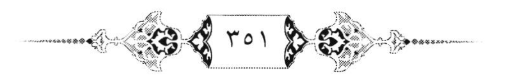
صمد البريطانيون للثورة العراقية سنة ١٩٢٠ فأخمدوها بعد حرب شعواء دامت بينهم وبين الثوار مدة تربو على خمسة أشهر. وقد مني الفريقان المتحاربان من جراء هذه الحرب بخسائر كبيرة في الأموال والأرواح، ويعزو كوتلوف فشل العراقيين في الوقوف إلى النهاية بوجه القوات البريطانية في ثورة العشرين إلى فقدان التكافؤ بين الفريقين المتحاربين في النواحي الفنية والإقتصادية[١] والعسكرية[٢]. وبالرغم من

---

(١) كانت موارد الثوار الإقتصادية محدودة. وكان الثوار ينفقون على الثورة من أموالهم الخاصة غالباً. ويقول الجنرال هالدن على الص ١٢٤-١٢٥ من كتابه سالف الذكر: (إن الأثرياء من السادة (الأشخاص الذين ينتسبون إلى النبي محمدﷺ) وشيوخ العشائر قدموا مبالغ نقدية وعينية لتموين (حرابي - مفردها حربية) أو جيوش الثورة. واستخدمت المبالغ التي قدموها لشراء السلاح والعتاد، ومن الملاحظ إن كل المبالغ التي أُنفقت على الثورة أو جُلّها قدمها العراقيون أنفسهم. وقد لجا الثوار إلى مختلف الوسائل لتوفير المال اللازم لنفقات الثورة. وكانت الوسائل التالية من بين هذه الوسائل: أ - كان الثوار يجبون ضرائب الحكومة من المناطق التي أخلاها البريطانيون.... فجبى الثوار من كربلاء مثلاً (٧٠) ألف روبية أو ما يعادل (٨٧٠٠) ليرة إسترلينية. ب - استمر الثوار على جباية العشور **ToIIs** المقررة بصورة منظمة. جـ - فرضوا ضريبة ثقيلة على الحبوب التي ترد النجف من أجل الإستهلاك المحلي. وبلغت هذه الضريبة (٣٠) ألف ليرة. د - لقد فتح باب التبرع الإختياري في المدن المختلفة وحث علماء كربلاء والنجف الناس على التبرع لهذا الغرض لأسباب دينية ووطنية. وعندما يعمل الثوار في منطقة بعيدة عن بيوتهم يعطى كل فرد منهم روبية واحدة لنفقاتهم اليومية. وكان دفع هذا المبلغ لمدة طويلة يثقل كاهل خزينة الثورة، لذا كان سكان المنطقة التي تجري بها العمليات العسكرية يتبرعون بإطعام الثوار الذين يعملون بمنطقتهم).

وقد أفتى العلماء بصرف الحقوق الشرعية من أجل الثورة. وكان السيد نور الياسري من بين الذين أنفقوا مبالغ كثيرة على تمويل الثوار. وأخبرني سامي النقشلي أن السيد هادي مگوطر أنفق مبالغ كبيرة لتمويل الثورة في السماوة.

(٢) **op. cti, p. 186.**



فقدان التكافؤ بين الفريقين المتحاربين، وبالرغم من أن النصر النهائي كان من نصيب البريطانيين فإن الثوار ألحقوا بقوات المستعمرين خسائر جسيمة بالأرواح والأموال لا تتناسب وإمكانياتهم المحدودة في السلاح والعتاد، كما لا تتناسب هذه الخسائر وقلة خبرة الجانب العراقي بالاصول العلمية للحروب النظامية، وقد يكون مردّ نجاح العراقيين في الوقوف بوجه جيش أقوى دولة في العالم حينذاك لفترة تزيد على خمسة أشهر إلى قوة إيمانهم بحقهم في الحياة الحرة أولاً، وإلى شدة تذمرهم من الضغط السياسي والإقتصادي[1] الذي فرضته سلطات الإحتلال على هذه البلاد خاصة في الفترة الواقعة بين عقد الهدنة في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ بين بريطانية وتركية ونشوب الثورة في سنة ١٩٢٠ ثانياً. وفضلاً عن ذلك فإن الدوافع الدينية لعبت دوراً رئيساً في حث الثوار على مقاومة المحتلين. ويعد التغيير النسبي الذي طرأ على سياسة بريطانية تجاه العراق من أهم نتائج الثورة العراقية، فكانت السياسة البريطانية قبل نشوب الثورة تقوم على حكم هذه البلاد بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أي عن طريق الإنتداب، دون الإلتفات إلى رأي المحكومين أومشاورتهم. وكانت سياسة نائب الحاكم الملكي العام تقوم دليلاً على ذلك. وكان ولسن قد اقترح على حكومتة قبيل نشوب الثورة تعيين مجلس دولة وهيئة تشريعية لإدارة حكومة العراق. وبالرغم من إن إنشاء هاتين الهيأتين كما اقترحهما ولسن، لا يمكن أن يعد خطوة أساسية في سبيل إستقلال البلاد[2]، فأن ولسن وصف مقترحاته هذه بأنها ثورية، وإن وجهاء العراقيين عدّوها سابقة لأوانها. وعندما قدمت هذه المقترحات إلى اللورد كرزن علق عليها منتقداً بقوله: (إن الحكومة التي اقترحها

(١) يقول جورج كيرك على الص ١٤٣ من كتابه سالف الذكر إن الضريبة التي جبتها السلطات البريطانية من العراقيين في سنة ١٩٢٠ تساوي ثلاثة أضعاف ونصف مقدار الضريبة التي جباها الترك من هذه البلاد سنة ١٩١١.

(٢) خوَّل المندوب السامي البريطاني حسب مسودة دستور ولسن حق إعفاء الهيئة التشريعية من العضوية، كما خول المندوب حق رفض قرارات هذه الهيئة. ولكن الدستور أعطى الهيئة حق توجيه الأسئلة للحكومة. أما مجلس الدولة فكان نصف أعضائه من البريطانيين والنصف الآخر من العراقيين.

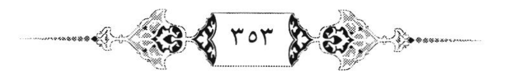
ولسن ليست حكومة عربية تعمل بمساعدة وإرشاد بريطانية بل أنها حكومة بريطانية طعمت بعناصر عربية)[١].

ولما ثار العراقيون سنة ١٩٢٠، معلنين سخطهم على الإنتداب البريطاني في العراق، غيرت بريطانية سياستها في العراق وزودت مندوبها الجديد السير برسي كوكس بتعليمات من شأنها تحقيق بعض مطامح العراقيين السياسية. وعندما قدم كوكس للعراق أعلن الخطوط العامة للسياسة الجديدة، وبيَّن أن العلاقات بين بريطانية والعراق ستنظم في المستقبل بموجب معاهدة جديدة لا بصك الإنتداب القديم. وشفع كوكس أقواله بخطوة عملية حين عين أول وزارة عراقية برئاسة عبد الرحمن النقيب. ويقول جورج انطونيوس: (إن ثورة العراق حققت هدفها الكبير تواً إذا اعتبرناها ثورة ضد إملاءات الدول المتحالفة، ومضت إثنتا عشرة سنة أُخرى قبل أن يلغى الإنتداب ويتم الإعتراف الرسمي في جنيف بأن البلاد أصبحت في منزلة دولة مستقلة ذات سيادة. غير أن البذرة غرست عام ١٩٢٠ عندما قررت الحكومة البريطانية إزاء الثمن المروع الذي كلفتها إياه الثورة أن تغير سياستها أو ان تغير خططها العسكرية في أقل تقدير... وكان التغيير أساسياً من الناحية العملية لأنه أحيا المبدأ المهمل - مبدأ (موافقة المحكومين) ونصَّ على إن موافقة العراق ستكون شرطاً في أي تدبير، وأن بريطانية العظمى ستحاول - في المستقبل - أن تبلغ غاياتها بالمفاوضة بدلاً من الإملاء - كما حدث في سان ريمو -)[٢].

ويظهر إن الثورة لم تحقق هدفها الكبير كما رسمه الثوار وإن الثمرة التي نتجت عنها كانت مبتسرة لأن الحكومة التي تمخضت عنها الثورة، كانت واجهة يكمن وراءها الإنتداب البريطاني. وفضلاً عن ذلك فأن البريطانية حققت بعقدها معاهدة تحالف مع العراق، وتعاونها مع ملكه الجديد أغراضاً عدة منها: إحتفاظها بالوضع الخاص الذي

(١) kirk, Op. cit. p. 142.

(٢) ن. م، ص ٤٨١.



منحه إياها نظام الإنتداب، واقتصادها في نفقات الإحتلال، وحفاظها على مصالحها[١].

ويقول الشيخ محمد رضا الشبيبي عن الدولة الجديدة التي قامت في العراق بعد الثورة إنها (مستقلة ذات سيادة في الظاهر، لكنها لم تكن كذلك في الواقع فالإستقلال كان إستقلالاً ملوثاً أو ناقصاً نقصاً فاضحاً، بل كان الحكم ثنائياً بين الإنجليز وبين فريق من صنايعهم وأعوانهم في غالب الأحيان، وكان الغنم للسلطة البريطانية، وصنايعها والغرم على الشعب العراقي، واتضح لهذا الشعب الكريم أنَّ هناك خطة استعمارية مرسومة اعتبرت الثورة الكبرى بموجبها جريمة منكرة وحركة مضادة لمظاهر التقدم والحضارة، وصرح بذلك مع بالغ الأسف - أكثر من واحد من المحسوبين[٢] على السياسة من أبناء العراق، وهكذا عوقبت المنطقة الثائرة كلها بالحرمان)[٣].

ويقول كوتلوف: (أن الثورة الوطنية التحررية العراقية سنة ١٩٢٠ لم تحقق جميع الأهداف التي عمل العراقيون على تحقيقها. فمطاليب العراقيين المتمثلة بانسحاب الجيوش الأجنبية، والإستقلال التام، وتصفية الحكم البريطاني ما كانت مقبولة لدى الإنجليز ففرضوا نظام الوصاية على البلاد. ولم تكتف بريطانية بهذا بل أنها ما كادت تقضي على الحركة المسلحة حتى اتخذت إجراءات عديدة من شأنها تقوية مركزها المترنح في العراق)[٤]. وكان ترشيح الأمير فيصل نجل الشريف حسين ملك الحجاز للملوكية العراق من أهم القرارات التي اتخذتها بريطانية لتثبيت نفوذها في العراق. ويظهر أنَّ

---

(١) **Debrodt, Op. cit. p. 13.**

(٢) ذكر عبد الرزاق الحسني، على الص ٢١٩ من كتابه سالف الذكر إن فخامة مزاحم الباجه جي قال مخاطبا كوكس: (لا تعتبروا الثورة الحالية، التي قامت بها بعض القبائل الرحالة ثورة وطنية في الواقع تسعى وراء الإستقلال، فإن هذه الحركة لا يمكن أن تعد ممثلة لشعور المجتمع برمته، فالعائلات المتنفذة ببغداد لا تعطف على حركة دمرت بلادها).

(٣) (فقيدنا الكبير) الأيام، العدد ١٢٤، ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢- ١٠ أيلول ١٩٦٢.

(٤) كوتلوف - **Op. cit. p. 188**.

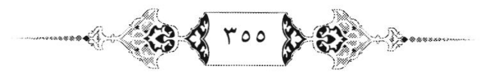
نوعاً من التفاهم حصل بين الإنجليز والأمير فيصل قبل ترشيح الأخير لعرش العراق. ومن الأدلة على ذلك إن المستر ونستون شرشل الذي كان وزير المستعمرات حينذاك قد أجرى محادثات مع الأمير فيصل ولورنس في أوآخر ١٩٢٠، توصل الفريقان خلالها، كما يظهر، إلى نوع من التفاهم حول القضايا التي تهم الطرفين وقد تمخضت هذه المحادثات عن الإتفاق على ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق على أن يتعهد الأخير بتوقيع معاهدة تحالف مع الحكومة البريطانية. وقد برَّت بريطانية بوعدها للأمير فيصل فرشحته لعرش العراق في مؤتمر القاهرة المنعقد في ١٢ آذار ١٩٢١ وبعد انتهاء مؤتمر القاهرة في العراق لتحقيق نجاح الأمير فيصل في الحصول على عرش العراق [١]. وكان إبعاد السيد طالب النقيب الذي كان يرى نفسه أفضل مرشح للعرش العراقي عن العراق، وإخراج المستر سنت جون فلبي **PhiIby** مستشار وزارة الداخلية الذي كان يدعو للحكم الجمهوري في العراق من بين التدابير التي اتخذتها الحكومة البريطانية لإزالة العراقيل من طريق مرشحها الأمير فيصل.

ويقول كوتلوف إن ترشيح فيصل لعرش العراق كان أكثر قبولاً لبريطانية من غيره لأن فيصل برهن منذ زمن طويل على أنه زعيم تابع للجهات الإقطاعية الموالية للإنكليز في الشرق العربي أولاً. ولأن فيصلاً لن يستطيع هضم التعقيدات الكبرى داخل العراق إذ كان عليه أن يواجه معارضة قوية من جانب الجماعات الموالية للإقطاع وخاصة جماعات نقيب أشراف بغداد (عبد الرحمن النقيب) وطالب باشا. وكانت هذه المعارضة بمثابة ضمان يجعل فيصلاً أكثر خضوعاً للإنكليز ثانياً. كما إن تنصيب رجل من السنة على عرش العراق، وهم أكثر من نصف عدد الشيعة، يعطي الإنجليز فرصة كبرى لإشعال الفتنة بين السنة والشيعة)[٢].

---

(١) **Debrodt, Op. cit. p. 18.**

(٢) كوتلوف، **Op. cit. p. 188.**



ويقول محرر جريدة المستقبل إن منح الإنجليز عرش العراق لفيصل كان لعبة استعمارية. وعرف جعفر أبو التمن هذه اللعبة الإستعمارية، وعندما حاول فيصل أن يستميل إليه أبا التمن (طالباً منه أن يصحبه معه إلى العراق، مستعيناً بذلك بالسمعة الحسنة التي يتمتع بها أبو التمن لدى أبناء الشعب العراقي، أبى أبو التمن ورفض ذلك بجرأة قائلاً له: (أرجو أن تعفيني من أن أكون من زفافة هذا العرس، وفي قول أبي التمن هذا ألف معنى ومغزى)[١].

ويظهر إن جماعات كبيرة من العراقيين لم يرضوا عن التدابير التي حسبتها بريطانية ومؤيدو سياستها من العراقيين مطمنة لآمال العراقيين حول مستقبل العراق. وكانت جماعة توفيق الخالدي التي تؤيد فكرة الحكم الجمهوري في العراق من بين الجماعات التي استمرت في معارضتها للوضع الجديد. وبالرغم من إن مقاومة هذه الجماعة قد ضعفت بعد اندماج جماعة عبد الرحمن النقيب الذي كان يقول (أُفضل عودة الترك ألف مرة على أن أرى الشريف أو أحد أنجاله يحكمون هذه البلاد) في زمرة المؤيدين للسياسة الإنجليزية، وتنحية السيد طالب باشا، فأنها لم تخمد إلا بعد أن قتل توفيق الخالدي عام[٢] ١٩٢٤. واستمر أفراد وجماعات على معارضتهم للوضع الجديد، وكان فهمي المدرس، رغم قبوله مناصب خطيرة في الدولة الجديدة، من بين المعارضين للوضع الجديد. وقد ظهرت معارضته فيها كتب من مقالات نشر بعضها في الجرائد والمجلات في حينها. وكان الشيخ عبد الكريم الجزائري ((يمثل المثابرة والمحافظة على روح الثورة ومبادئها ويهاجم عملاء الخيانة والفساد وسياسة العنف والإستبداد ويواجههم بأقسى اللوم والتوبيخ، وكان فذاً في المثابرة والمحافظة على ذلك، حتى في المرحلة الأخيرة من شيخوخته المباركة، وقد عبَّر عن سخطه على النتائج المؤلمة التي أسفرت عنها سياسة

---

(١) العدد (٦٠٥) السنة الثالة. ٢٢ جمادى الآخر ١٣٨٢ - ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٢.

(٢) الحسني، الثورة، ص ٢٣٩.

الحكم في العراق بعد الثورة الكبرى بكلمات حسنة، منها قوله في جواب من مسألة عن النتائج المترتبة على الثورة وانتقال الحكم إلى أيدي أبناء البلاد: (إن الغاية التي قصدناها بنهضتنا ومجازفاتنا ما حصلت، فالحالة الدينية والحالة الإجتماعية إلى ضعف بل إلى اضمحلال، أسأله جل شأنه أن يغير حالنا إلى أحسن حال)).

وبعد ان توج فيصل ملكاً على العراق سنة ١٩٢١ أنشأ جعفر أبو التمن مع عدد من صحبه حزب حرس الإستقلال السري. وتزعم جعفر هذا الحزب وبدأ يجمع صفوف أبناء الشعب لمقارعة الإنجليز وطردهم وتخليص الوطن من أرجاسهم [١] ويقول الشيخ محمد رضا الشبيبي إن الأحرار المجاهدين ثابروا (على التنكر لتلك الخطة الإستعمارية المرسومة بعد الثورة وتعددت الإنتفاضات والثورات طوال الحكم الأهلي وندد قادة الرأي بأساليب الحكم والحكام ووقفوا منها موقف المعارض من الأول إلى الأخير)[٢].

وبالرغم من كل سيئات الحكومة التي تكونت بعد ثورة سنة ١٩٢٠ فإن قيامها يعد نتيجة مهمة من نتائج الثورة وحدثاً ذا أهمية في تاريخ العراق. فالبلاد التي خيَّم عليها الحكم التركي الفاسد طيلة أربعة قرون شعرت بأن جماعة من أهلها أخذوا يشتركون ولو بصورة نسبية بإدارة بلادهم. وشعر سكانها بأنهم نالوا شيئاً من صفة المواطنة بعد أن كانوا رعايا. وكانت فكرة إنشاء دستور للبلاد وسلطة تشريعية من بين الأفكار التي تعد ثورة بالنسبة لتاريخ هذه البلاد. يضاف إلى ذلك أن وجود مجلس تأسيسي في البلاد أولاً ومجلس اُمة ثانياً، رغم تزييف الحكومة السابقة لانتخاباتها في الغالب، هيأ لبعض أفراد الطبقة الواعية فرصة للتنديد بسياسة الحكومة الخاطئة.

ولم تقتصر نتائج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ على الأمور التي لها علاقة بالعراق بل كان لها تأثير في الوضع العام في مناطق متعددة من الشرق الأوسط. فالاتفاق الإنجليزي

---

(١) المستقبل البغدادية، العدد (٦٠٥) السنة الثالثة، ٢٢ جمادى الآخر ١٣٨٢ - ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٢.

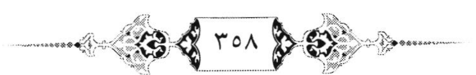
(٢) الشبيبي، الشيخ محمد رضا، الأيام البغدادية، العدد، ١٠، ١٢٤ ربيع الثاني ١٣٨٢ - ١٠ أيلول ١٩٦٢.

الإيراني المعقود في آب ١٩١٩ الذي كان من بين أغراضه المحافظة على النفوذ البريطاني في العراق، أصبح قليل الأهمية بعد التسوية التي تمت في العراق بعد قيام ثورة العشرين. وكان من نتيجة اضطراب الأوضاع السياسية في روسيا وتركيا، فضلاً عن الثورة في العراق، أنْ تخلصت إيران من قيد الإستعمار الذي أرادت فرضه بريطانية عليها.

أما تأثير الثورة العراقية في البلاد العربية المجاورة فلا يقل عن تأثيرها في الاوضاع العامة في إيران. ويقول انطونيوس (دلّت الثورة على أنّ الوعي العربي القومي كان قوة يحسب حسابها - وإن كانت على السطح علامات من التصدع والتعصب الحزبي - وإن السياسة المؤسسة على القسر باهظة التكاليف وربما أثبتت أنها معدومة الجدوى، وأن المصالح البريطانية قد تنتعش على صعيد الإتفاق والرضى المتبادل ويكون ذلك أجدى عليها وهو درس دلّت الدلائل على أن فرنسة تعلمته في سورية وأن على انجلترة أن تتعلمه في فلسطين)[1].

وبعد فهذه الحركة التحررية في العراق، قصصت عليك قصتها في بداية هذا القرن يوم كانت قليلة الأنصار غامضة الأهداف. ورويت لك حوادثها يوم اشتد ساعدها ولّمت شعث أنصارها في الفترة الكائنة بين نهاية الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة. وشرحت لك أهدافها ومراميها البعيدة يوم أتت أكلها في ثورة العشرين الخالدة.

(١) المصدر السابق، ص٤٨١.



الملحق (أ)

نماذج من الشعر الذي قيل في الثورة باللغتين الفصحى والعامية

روى الشيخ جعفر محبوبة[1] إن الأستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي نظم قصيدة عنوانها (شكوى وعتاب) على أثر جلاء الأتراك من البلاد الفراتية ضمّنها شكواه من هفواتهم وعاتبهم فيها عتاباً لاذعاً نذكر منها الأبيات التالية:

لا الجبن ثار فاطغانا ولا البخل ... الثائر الحقد بالأقوام والدخل
لو كان ما بهم جبناً لما انتقموا ... وفي طريق بلوغ النقمة الأجل
السيف قرب منا كل قاصية ... لا المنطق الفصل من قوم ولا الجدل
ماذا نؤمل في إدراك غايتنا ... من السياسة كلا إنها حيل
يا من يعز علينا أن نؤنبهم ... في حيث لا ينفع التأنيب والعذل
تأبى الحوادث إلا أن نملكم ... ولا ودين التآخي ما بنا ملل
كم تنبذون لنا ذنباً فنعذركم ... لقد تقطعت الأعذار والعلل
أما صفحنا عن الماضي لأعينكم ... أما اديلت لكم أيامنا الأُول
أما استجشات كما شئتم كتائبنا ... حتى تفايض منها السهل والجبل
قيضتم لحفاظ الملك طائفة ... لغيرها الملك والأجناد والدول
قوم من العرب وخز النحل حظهم ... وحظ قوم سوانا الاري والعسل
لم يفعلوا ما أردتم من ثباتهم ... وكان في عكس ما يهوون لو عقلوا

(١) ماضي النجف وحاضرها، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

خانوا ضمائرهم في بذل طاعتهم	من قبل فالآن ما خانوا ولا خذلوا
عند المغانم تنسونا ويفدحنا	من المغارم ثقل ليس يحتمل
أين الرهين بأموال لنا ذهبت	ومن يقيد بإخوان لنا قتلوا
أما شهيد معلى فوق شاهقة	أو موثق بحبال الأسر معتقل
يا من بظل بني عثمان قد نشأوا	أضحيتم إن ظل القوم منتقل
وارحمتاه لمن غابوا فما حضروا	من الثغور ومن ساروا فما قفلوا

روى الاستاذ محمد طاهر العمري[1] قصيدة بعنوان (صيحة السماء) قدَّم لها بما يأتي: (قد وددنا أن نزين كتابنا بالقصيدة العصماء التي نظمها أحد أفاضل الحدباء المعروفين بالعلم والفضل والنبل يعبر فيها عن عواطف الشعب العراقي عامة وعن عواطف إخواننا الجعفريين خاصة إزاء القطر المظلوم واستقلاله المنشود بلسان أحد عظماء جلدتنا الجعفرية في النجف الأشرف).

صيحة السماء

و

صدى الضمير

الصرخة الأولى

أيها الغرب جئت شيئاً فريا

ما علمنا غير الوصي وصيا

قسماً بالقرآن والإنجيل	ليس نرض وصاية لقبيل
أو تسيل الدماء مثل السيول	أفبعد الوصي زوج البتول

(١) تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج٣، بغداد ١٩٢٥، ص ٤١٨ -٤٢٢. ونقلت القصيدة كما وردت بكتابه رغم ما في بعض أبياتها من ضعف.

نحن نرض بالإنجليز وصيا؟

دون ملك العراق بين الطلول　　لأبي عبد الله ابن البتول

قد اريقت دماء خير قتيل　　أفبعد الحسين سبط الرسول

نحن نرض بالإنجليز وصيا؟

كم إمام من آل طه تردى　　دون ملك العراق قد مات وجدا

وشهيداً قضى وما نال قصدا　　أفبعد الرضا وموسى المفدى

نحن نرض بالإنجليز وصيا؟

قد ظلمنا العراق يا ساكنيه　　إن دمع النساء لا يجديه

حين نبكي السبطين أو نبكيه　　أفمن بعد المجتبى وأخيه

نحن نرض بالإنجليز وصيا؟

يا محبي آل النبي الكرام　　أيكون العراق ملك اللئام

وهو ميراث آل خير الأنام　　أفبعد الأئمة الأعلام

نحن نرض بالإنجليز وصيا؟

مثل وادي السلام وادي العقيق　　كم لنا من عهد هناك وثيق

وعقوق الأوطان مثل العقوق　　أفبعدالصديق والفاروق

والذي صاهر النبيا

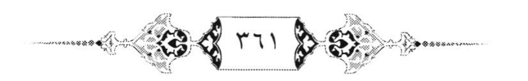
نحن نرض بالإنجليز وصيا؟

الصرخة الثانية:

إشهدوا يا أهل الثرى والثريا

قد أبت شيعة الوصي وصيا

قد نكثنا عهد النبي لدينا　　واحتملنا إثماً وعاراً وشينا



إن قبلنا وصاية وغوينا أفلا يسخط الوصي علينا

إن رضينا بالإنجليز وصيا؟

ما عسى أن نقول يوم الجزاء لنبي الهدى أبي الزهراء

والشهيد المظلوم في كربلاء وإمام الهدى بسامراء

إن رضينا بالإنجليز وصيا؟

نحن أهل العراق أُسد العراق لا طيور تصاد في الأشراك

بعد تحريرنا من الأتراك قد رضينا بالكفر والإشراك

إن رضينا بالإنجليز وصيا؟

أنت أعمى يا غرب أم تتعامى نحن لسنا أراملاً ويتامى

لنعاني وصاية ونظاما لافقهنا للكائنات نظاما

إن رضينا بالإنجليز وصيا؟

نحن مثلكم يا رجال رجال لا نساء تضمهن حجال

بل كماة يوم الوغى أبطال يا بني العرب خابت الآمال

إن رضينا بالإنجليز وصيا؟

بدماء الآباء والأجداد قد شرينا تراب هذي البلاد

نحن أدنى الأقوام شر العباد وأعق الأولاد والأحفاد

وبنار الجحيم أولى صليا

إن رضينا بالإنجليز وصيا؟

الصرخة الثالثة

لستَ منا ولم نكن منك شيئاً

فلماذا تكون فينا وصيا

لم تكن يا بن لندن علويا هاشميا ولم تكن قرشيا

لا ولا مسلماً ولا عربيا　　من بني قومنا ولا مشرقيا

فلماذا تكون فينا وصيا

ليس ما بيننا وبينك جامع　　وطن أو قومية أو (جامع)

فرَّقت بيننا جميع الجوامع　　حين شأن المتبوع التابع

فلماذا تكون فينا وصيا

في سبيل إستقلالنا قد نكثنا　　عهد إخوان ديننا يوم ثرنا

كم دماء منا ومنهم سفكنا　　غير نجم إستقلالنا ما رصدنا

فلماذا تكون فينا وصيا

ما تركنا إخواننا الأتراكا　　وخذلناهمو وآزرناكا

شغفا يا بن لندن بهواكا　　بل لنيل إستقلالنا بولاكا

فلماذا تكون فينا وصيا

لا تقل جعفرية حنفية　　لا تقل شافعية زيدية

جمعتنا الشريعة الأحمدية　　وهي تأبي الوصاية الغربية

فلماذا تكون فينا وصيا

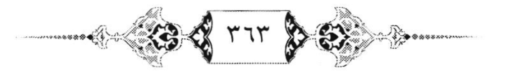
قد سئمنا سياسة التفريق　　واهتدينا إلى سواء الطريق

يا عدواً لنا بثوب صديق　　أنت بين الوصي والصديق

لست إلا مزوراً أجنبيا

فلماذا تكون فينا وصيا

وروى السيد محمد علي كمال الدين أن المرحوم السيد سعيد صالح قال عندما فرَّ إلى بعض الأقطار العربية المجاورة عقيب الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ بعد أن روَّعه وأصحابه قصف المدفعية الثقيلة ومنظر مئات الألوف من الثوار واللاجئين إلى النجف بعيالاتهم



وأطفالهم ومواشيهم من قبائل المسيب وكربلاء وطويريج والكفل:

سئمتُ العيش في وطن يضام يذل يضطهد
محتهُ يدُ القضاء فراح لا روح ولا جسد
عفت تلك الربوع فلا قديمات ولا جدد
رياض صوحت ومها ذعرن ومجمع بدد
مرابع في الحمى لم يبدق من آسادها أسد
ربوع غير سرح الوحش لا يأوي لها أحد[1]

نشرت جريدة (العراق)[2]. البغدادية رباعيات للشيخ علي الشرقي تقتبس منها ما يتعلق برأيه في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠:

يا ثورة أعقبتها ندامة الثوار
كم في سراري عتب لو تسمعون سراري
هذا اختياري ولكن بالجبر أصل اختياري
تدارك الله شعباً يهم بالانتحار

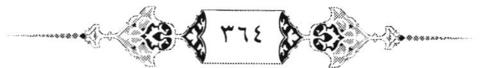
* * *

بالذي أملى على الأمة صك الإنتداب
والذي عدل في بغداد مجرى الإنتخاب
والذي أبقى له في سورنا سبعين باب
علمونا كيف نرجو عمراناً من خراب

* * *

(١) سعد صالح، بغداد، ١٩٤٩، ص ١٣٦.

(٢) العدد، ١٨٥٣، ٣ حزيران ١٩٢٦ - ٢٢ ذي القعدة ١٣٤٤هـ.



أرى بـنـاءً ولـكـن مـهـدداً بـالـطـواري
أرى وجـوهـاً ولـكـن مخطوفة بإصفرار
أرى عـيـونـاً ولـكـن تـقـادحـت بـشرار
فـكـم يـداري عـراقـي بـغـداده ويجـاري

وقال الدكتور مصطفى جواد قصيدة يصف فيها جانباً من ثورة الخالص في لواء ديالى يقول فيها:

ثـبـتـنـا في مـواقـف محـرجـات ... ولاقـيـنـا مـدافـع وانـفـجـارا
وذدنـا عـن حمـى وطـن مـبـاح ... ورمـنـا في مـعـاركـنـا انـتـصـارا

ويستمر بقصيدته فيقول:

شـبـاب اعـرسـوا بـالمـوت مـرداً ... وكـان رصـاص قـاتـلـهـم نـشـارا
وتـابـعـهـم كـهـول الـقـوم زفـاً ... فـوا حـزنـاً لمـن تـركـوا الـديـارا[1]

(١) عز الدين، يوسف، الشعر العراقي الحديث، ١٩٦٠، ص ١٦٠ - ١٦١.

نماذج من الأدب الشعبي الذي قيل بالعامية

قال أحدهم يهجو الميجر ديلي Daly[(١)] لما هرب من الديوانية بعد أن احتلها الثوار:

شـــارد مـــن أهـــل الـــفـــوس[(٢)] مـــالـــك يـــديـــلي
جـــربـــت يـــوم الـــكـــون حـــيـــلـــك اوحـــيـــلي

وقال أحد عشائر بني حجيم يخاطب (نايف العاجل) أحد رؤساء عشيرة بني حجيم:

حـــاربـــت الحـــكـــومـــة الـــعـــودي اوجـــــدي[(٣)]
وخـــلـــيـــت الـــلـــشـــاش المخـــالـــفـــه أبـــحـــدي[(٤)]
واويـــــكـــــم يـــــنـــــايـــــف جـــــانـــــه أيجـــــدي[(٥)]
هـــــنـــــــــــدو حـــطـــولـــــــــه ابـــكـــشـــكـــولـــه

وعندما أسقط الثوار طائرة بريطانية قال أحدهم بهذه المناسبة:

يـلـــتـــرعـــــد بـالجـــــو هـــــز غـيـــــري

ولما انهزم الجيش البريطاني في الرارنجية قال أحدهم مخاطباً الجيش المنهزم.

---

(١) حاكم لواء الديوانية السياسي.

(٢) مفردها فاس الآلة المعروفة ويشير الشاعر هنا الى ان الثوار لا يملكون الأسلحة الحديثة.

(٣) يقول الشاعر حاربت بريطانية من أجل تراث أبي وجدي.

(٤) ثم يقول انتصرت عليهم وتركت موتاهم مكدسين بعضهم فوق بعض.

(٥) ان أبن آوى الذي يسكن بأطرافكم قدم علينا يستجدي لحوم الموتى فأطعمناه من لحوم الهنود القتلى.

رد مـالـــك مـلـعــب ويـانـــــه(١)

وقال الحاج مرزوك العواد بطل الرارنجية مخاطباً الجيش البريطاني.

ودوه يـبـلـعـنـا اوغـــص بـيـنـه(٢)

وعندما استقبل الشيخ شعلان ابو الجون وعشيرته الملك فيصل الأول هوس العشائر رغم ممانعة الملك فيصل:

إهـــنـا كـصـبـنـا اخـــوة ذولــــة(٣)

اهـــنـــا عـــلـكـنـا الـــكـــنــارة

وقالت إمرأة من (بني عارض) الساكنين في الرميثة وقد اشترك في الثورة زوجها وأولادها الثلاثة، وحين قتل ولدها الأكبر ألقت بنفسها عليه وتخضبت بدمائه وأخذت تحييه بقولها:

عـفـيـه اولـــدي شـيـال راسي   ردتـــك تـــرد ذولـــه الجـــواسي

وبـــمـــوتـــك كـــويـــت بـــاسي

وحين استشهد زوجها في معركة أُخرى وقفت تحييه بقولها:

عـمـرك كضيته ابعز يميمر(٤)   **او لا واحـــد الـيـدنـاك يـكـدر**

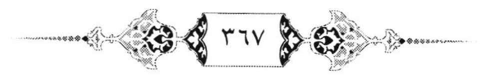
---

(١) أي ارجع أيها الجيش لأنك لا تستطيع لقاءنا.

(٢) أرسلت الحكومة جيشها لتقضي علينا ولكنه فشل وانكسر.

(٣) يقول الشاعر المهوال اي المتمرس في أُغنيات الحرب (الهوسات) في هذا المكان قتلنا بني قوم هؤلاء الإنجليزالذين يرافقونك يا فيصل وهنا علقنا آلة القصاب التي يعلق عليها ذبائحه.

(٤) الميمر البطل إي انك قضيت حياتك الغالية بعز ولم يستطيع احد ان يعتدي عليك وقد قابلت جنود بريطانية **Soldiers** وقتلت في سبيل عز وطنك. وطوبى لك أيها الشهيد لأنك ستجار حيدر الكرار علي بن أبي طالب عليه السلام في الجنة كشهيد.



وبعزمك اتعارج الصوجر ولموطنك معرض مگنطر
الفخر لك جاورت حيدر

وحين استشهد ولدها الثاني (جبر) في معركة العارضيات الثانية، حيته بأبيات رائعة منها:

شلتك إبطني تسعه إصحاح
يلبين كومك كمر وضاح
ردتك لمثل اليوم سفاح
أتطارد (الصوجر) أهل الارماح
شيال راسي يوم الصياح

وعندما وقع أحد الابطال شهيداً اقتحمت امه (انجيده) النيران وحملت جثته عائدة بها إلى جانب الثوار وهي تهوس:

((عربيد إسم أمك يا هيبة))

وقد جمع الأديب علي الخاقاني كثيراً من الشعر الشعبي الذي قيل في الثورة ونشره في كتاب خاص إسمه (فنون الأدب الشعبي) وهو جدير بالإطلاع عليه لا سيما وأنه تضمن روائع من القصائد الشعبية قيلت في الثورة قالها شعراء شعبيون معروفون أمثال الشيخ علي البازي وغيره.

الملحق (ب) :

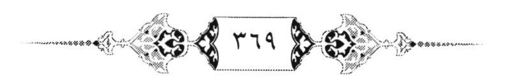
توصيات لجنة كنج - كراين الخاصة بالعراق ٢٨ آب ١٩١٩

بالنظر للقرارات التي أصدرها مؤتمر الصلح في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ - في عشية الهدنة - وكل من هذه الوثائق يصنف سورية والعراق في مقام واحد ليعالج أمرهما بطريقة واحدة، كما يقطع لكل منهما الوعود والتأكيدات ذاتها فإن عضوي اللجنة يوصيان مؤتمر الصلح بأن يتبع تجاه العراق سياسة توازي بشكل عام تلك التي أوصى باتباعها حيال سورية حتى لا يتحول التصريح الإنجليزي - الفرنسي إلى (قصاصة من الورق).

١. ووفقا لذلك فأننا نوصي، إنسجاماً تاماً مع التعليمات الصادرة إلينا، وباعتبار أن ذلك يجب أن تأتي العراق ليس كدولة مستعمرة بالمعنى القديم لهذه الكلمة، بل كدولة منتدبة من عصبة الأُمم، مشفوعة بإدراكها الجلي بأن (رفاه الشعب وإنماءه) يؤلفان بالنسبة إليها أمانة مقدسة. ومن أجل هذه العناية يجب أن يكون للإنتداب أَجَلٌ محدود، وأنْ تقرر موعد انتهائه عصبة الامم، في ضوء جميع الوقائع كما ترد من عام إلى آخر، سواء في التقارير السنوية للدولة المنتدبة المرفوعة إلى العصبة أو بطريق أُخرى.

إن النص الكامل للتوصية الأولى بشأن سورية مشفوعاً بالتوصيات الملحقة بها، ينطبق نقطة نقطة على العراق بالصحة ذاتها التي ينطبق فيها على سورية.

وإذا ما قام مؤتمر الصلح وعصبة الأُمم والدولة الموكل إليها الإنتداب بتنفيذ سياسة الإنتدابات المتجسدة في ميثاق عصبة الامم، تنفيذاً مخلصاً، فأن أهم مصالح العراق الأساسية تصان بذلك تماماً - ولا تصان بغير هذا.



٢. ونوصي، في المقام الثاني، بأن تصان وحدة العراق، وأنْ تخطط حدوده المضبوطة بواسطة لجنة تخطيط للحدود، بعد تعيين الإنتداب عليه. وعلى وجه الإحتمال يجب أن يشتمل (العراق) على الأقل، على ولايات البصرة وبغداد والموصل. كما يمكن إلحاق المناطق الكردية والآشورية الجنوبية بالعراق. فالحكمة من ايجاد قطر موحد هي في حالة العراق في غنى عن النقاش.

٣. ونوصي في المقام الثالث، بأن يوضع العراق تحت إشراف دولة منتدبة واحدة، باعتبار ذلك السبيل الطبيعي لتأمين وحدة حقيقية وفعالة كما أن مهمة إنماء الشعب اقتصادياً وإجتماعياً وتعليمياً تستدعي مثل هذا الإنتداب الموحد. وليس خليقاً بأن ينجم عن محاولة تقسيمه وتجزئته إلى (مناطق نفوذ) من جانب عديد من الدول، إلا تعريض مصالح الشعب إلى الهدر والإضطراب والإحتكاك والأذى. وهذا يتضمن أنه ليس للدولة المنتدبة أن تكون دولة مستثمرة إنما أن تحافظ حقوق الشعب كاملة مقدسة.

٤. لما كان من المرغوب فيه بوضوح أن يكون ثمة انسجام عام في المؤسسات السياسية والإقتصادية والتدابير المتعلقة بسورية والعراق، ولما كان يجب أن يكون للشعب الكلمة الأولى في تقرير شكل الحكومة التي سيعيش في ظلها، فأننا نوصي بأن تكون حكومة العراق، إنسجاماً مع الرغبات السافرة لشعبها، ملكية دستورية كالحكم المقترح لسورية، وبأن يعطى شعب العراق فرصة يعلن فيها ملكه المختار وأن تراجع عصبة الامم إختياره هذا وتثبته. ويمكن الإفتراض بما يقارب الصواب إن الـ ١٢٧٨ عريضة الواردة من سوريين بطلب الإستقلال للعراق وتعادل ٦٨ بالمائة من مجموع العرائض الواردة تعكس الشعور في العراق بالذات، كما أن الإتصالات التي استطعنا تأمين عقدها مع العراقيين تدعم هذا الافتراض وتجر إلى الإعتقاد بأن البرنامج الذي رفعه في حلب الممثلون العراقيون برئاسة جعفر باشا الحاكم العسكري لمنطقة حلب، والذي يوازي عملياً البرنامج المرفوع في دمشق، خليق بأن يؤيده الشعب العراقي بشكل عام. وسواء كان يشمل تعيين ملك من أبناء ملك الحجاز، فليس لدينا من المعلومات الكافية للفصل في الأمر، ولهذا أوصينا بإجراء

استفتاء على هذه النقطة. هذا على الرغم من وجود بينات بريطانية على أن العراقيين قد عبروا عن تحبيذهم لواحد من أبناء عاهل الحجاز كأمير يولى عليهم.

٥. يعلن البرنامج العراقي عن إختياره أمريكة كدولة منتدبة من غير بديل ثان. ولا شك إنه كان في العراق قسط كبير من الإنفعال الساخط ضد بريطانية العظمى، فالعرائض تتهم على وجه التعيين السلطات البريطانية في العراق بتدخل كبير في حرية الرأي والتعبير (الكلام) والإنتقال - وقد يبرر الكثير منه في وقت الإحتلال العسكري، ولكن المشاعر المهيجة بذلك القدر قد تنتج بالطبع عدم استعداد للتعبير عن الرغبة في اختيار بريطانية العظمى دولة منتدبة. ومن جهة أُخرى فأن مادة الكتيب المسمى: (نسخ وترجمات التصاريح وغيرها من الوثائق المتعلقة بتقرير المصير في العراق) قد استدعتها محاولة من جانب الحكومة البريطانية في العراق لتأمين آراء الزعماء المتقدمين في كل جماعة فيما يتعلق بتقرير المصير. أما هذه المادة، نظراً لأنها مرفوعة مباشرة إلى المسؤولين البريطانيين، فهي بلا ريب أميز لمصلحة البريطانيين مما لو كانت خلاف ذلك، ولكنها تدلل بما لا يقبل الشك على أن قسطاً كبيراً من الرأي (العام) من شأنه أن يختار الإنتداب البريطاني - وعلى كل حال فأن مجال اختيار دولة منتدبة ذات قدرة وتجربة كافيتين ومتميزة بالعدالة الأساسية هو مجال محدود ولابد. وأنه ليس مما لا يقبل الإحتمال، إن العراقيين إذا جبهوا برفض أمريكا قبول الإنتداب على العراق خليقون بأن يجعلوا بريطانية موضع خيارهم الثاني على الأقل، كما فعلت الأغلبية السورية. وهنالك شواهد إضافية كذلك على هذه النقطة.

ولما كان لا يبدو محتملاً أنَّ أمريكا تستطيع أنْ، أو خليقة بأن تتقبل إنتداباً على العراق، بالإضافة إلى إمكان قبول إنتداب على سورية وآسية الصغرى، فأن عضوي اللجنة يوصيان بأن ينيط مؤتمر الصلح الإنتداب على العراق ببريطانية العظمى للأسباب العامة الآنف ذكرها في معرض التوصية بجعلها دولة منتدبة على سورية في حالة عدم قبول أمريكا ذلك، أنها قد تكون أنسب الدول للمهمة الخاصة المنطوية في ذلك، ونظراً

لعلاقاتها العريقة مع العرب، كعرفان لجميل تضحياتها التي بذلتها لإنقاذ العراق من الأتراك، هذا مع عدم الإقرار لها بحق الفتح، كما تعبر بياناتها هي عن إسقاطها لادعائها بهذا الحق، ونظراً للمصالح الخاصة التي لها، طبيعيا، في العراق بسبب من قربه الى الهند وصلاته الوثقى مع شبه الجزيرة العربية، وبسبب مما سبق أن قامت به من عمل في الأقليم (العراقي).

وإن تلك الأسباب لتجعل إنتداباً بريطانياً أحسن ما يكون، على وجه الاحتمال، لخدمة المصالح الكبرى للشعب العراقي ككل، على الرغم من أنه الأحسن لبريطانية وللعالم، من وجهة نظر المصالح العالمية الكامنة في الحليولة دون إثارة الغيرة والشكوك والمخاوف من سيطرة دولة مفردة، ألاّ يضاف أي أقليم جديد إلى الامبراطورية البريطانية. وعلى كل حال فإن إنتداباً بريطانياً سيتمتع بميزة مقررة هي النزوع إلى دعم الوحدة الإقتصادية والتعليمية في كل من أرجاء سورية والعراق، سواء كانت سورية تحت إنتداب بريطانية أو أمريكا، وهكذا فإن (الإنتداب) سيعكس بشكل أكثر مما سبق العلائق الوثقى في ميدان اللغة والعادات والتجارة بين هذين الجزئين من الإمبراطورية العثمانية السابقة. وفي بلد كالعراق وافر الغنى بالإمكانات الزراعية والبترول وغيره من المصادر سيلوح حتمياً، رغم توفر النوايا الطيبة، خطر الإستثمار والسيطرة الإحتكارية من قبل الدولة المنتدبة عن طريق فرض سيادة المصالح البريطانية وخاصة عن طريق هجرة هندية واسعة النطاق. فهذا الخطر يتطلب احترازاً متزايداً ونزيهاً. وإن العراقيين ليشعرون شعوراً قوياً بحدة هذا الخطر وبخاصة خطر الهجرة الهندية، حتى ولو اقتصرت الهجرة على المسلمين الهنود. فهم يتخوفون من التمازج بشعب آخر من عرق متباين كلية وعادات مختلفة كلية باعتباره يهدد حضارتهم العربية.

مع الإحترام

هنري س. كنج

تشارلس ر. كراين

قرار[1] المؤتمر العراقي العام المنعقد بدمشق في ٧ إذار[2] ١٩٢٠

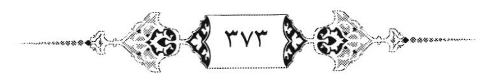
قرر المؤتمر العربي العراقي العام الذي يمثل الشعب العراقي تمثيلاً قانونياً في جلستة المنعقدة في دمشق الشام بتاريخ ٨ إذار ١٩٢٠ و ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٨هـ إعلان القرار الآتي:

بإسم الشعب العربي العراقي...

خاضت الامة العربية غمار الحرب الماضية في جانب الحلفاء لرفع نير الأجانب عن عاتقها واسترجاع سالف مجدها واستئناف مهمتها الطبيعية في تمدين الشرق وتحقيق آمالها القومية بالوحدة والإستقلال التام إسوة بغيرها من الشعوب التي نالت إستقلالها وهي دونها حضارة ورقياً. وكان الحلفاء الكرام قد قطعوا لها العهود على الأخذ بنصرتها في هذا السبيل وأعلنوا بلسان رؤساء حكوماتهم ومجالس نوابهم أنْ لاغاية لهم من الحرب إلا إستقلال الشعوب وترك الخيار لها في بت مصيرها وتعيين شكل حكوماتها فأبرمت بريطانية العظمى مع جلالة الملك حسين تلك المعاهدة المعروفة التي اعترفت فيها بإستقلال العربي من جبال طوروس وشمال ولاية الموصل إلى خليج فارس « العربي» والأوقيانوس الهندي والبحر الاحمر، وأيّد الرئيس ولسون ذلك بما أعلنه من المبادئ السامية التي وافق عليها الحلفاء قاطبة واتخذوها أساساً للصلح الدائم كما جاء في بيان اللورد غراي وزير خارجية انجلترا أمام لجنة الامور الخارجية في ٢٣ تشرين الثاني سنة

(١) أخذ نص هذه الوثيقة عن كتاب محمد طاهر، (تاريخ مقدرات العراق السياسية)، ج٣ ص ٤٠٧.

(٢) رسم المؤتمر العراقي في صدر هذا المنشور العلم العربي المربع الألون ووضع في اللون الأحمر نجمتين بدل من نجمة واحدة كما هي الحال في العلم السوري. وقد تقرر رسمياً لدى المجلس التأسيسي العراقي المنعقد في صيف سنة ١٩٢٤ قبول ذلك العلم الذي قرره المؤتمر العراقي محافظة في قيمته التاريخية.



١٩١٦ وتصريح المسيو بريبان رئيس وزارة فرنسا في ٣ تشرن الثاني ١٩١٥ وردود الحلفاء على مذكرة الدول الوسطى التي أُرسلت على يد السفير الأمريكي في باريس وجوابهم على مذكرة الرئيس ولسن في ٢٢ آيار ١٩١٧، وبيان مجلس النواب الفرنسي في ٥ حزيران ١٩١٧ وبيان مجلس الشيوخ في ٦ منه وتصريح المستر لويد جورج في غلاسكو في ٩ حزيران ١٩١٧ وما شاكل ذلك من البيانات القائلة بتحرير الشعوب الكبيرة والصغيرة وإستقلالها وترك الخيار لها في بت مصيرها وإلغاء المعاهدة السرية المجحفة بحقوقها.

وقد كان « لبعض قادة العرب « الفضل الأكبر في تحرير الأُمة العربية وإنقاذها من نير العبودية والذل وإحراز النصر المشترك على الأعداء في الشرق فأبلوا في الحرب أحسن بلاء وقادوا الأُمة من نصر إلى نصر ثلاث سنوات متواصلة أراقوا فيها دماء زهرة أبناء العراق وسورية والحجاز وكانوا موضع إعجاب الحلفاء والأعداء على السواء ذلك فضلاً عما تحملته الأُمة في الأقطار العربية المختلفة من المصائب والأهوال وما قلت به من جليل الأعمال تأييداً لقضيتها الحقة وانتصاراً لجلالة الملك وحلفائه الكرام.

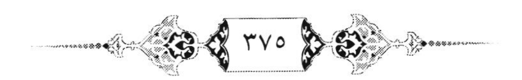
وقد أسفر هذا الجهد المشترك المتواصل عن اندحار الأعداء وجلائهم عن العراق ودخول الجيوش البريطانية إليه بصفة حلفاء ومحررين فأعلنوا حينئذ أنْ لا مطمع لهم في البلاد ولا غاية إلا إستقلال الأُمة وترك الخيار لها في البت بمصيرها وتعيين شكل حكومتها.

على أن الحرب العظمى قد وضعت أوزارها منذ نحو عام ونصف عام والبلاد لا تزال تئن تحت رزء الإحتلال الأجنبي الذي ألحق بها أضراراً جسيمة مادية وأدبية وأوقف سير أعمالها ومصالحها الإقتصادية والإدارية بشكل كاد أن يزلزل موقفها السياسي، فعيل صبر الشعب من هذه الحال وانقض في أماكن مختلفة على الحكم العسكري الأجنبي مطالباً بإستقلاله التام.

فنحن أعضاء هذا المؤتمر الذي يمثل الشعب العربي العراقي تمثيلاً قانونياً صحيحاً رأينا الآن أن نجهز بإرادته ونخرج البلاد من هذا الموقف الحرج والحال المبهم المضطرب فاستناداً إلى حق الأُمة الطبيعي بالحياة الحرة والإستقلال التام وإلى المبادئ السامية التي أعلنها الحلفاء العظام أكثر من سبعين مرة في خلال الحرب الماضية وإلى الرغائب التي أعربت عنها الأُمة العربية العراقية في ١ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ بوثائق رسمية وقعها الأمراء والرؤساء والزعماء والمفكرون وسائر طبقات الشعب وإلى ما شاهدناه ونشاهده كل يوم عن عزم العرب العراقيين على نيل إستقلالهم التام والتوسل بكل الوسائل الممكنة التي تؤدي إليه، وبصفتنا ممثلي الشعب المكلفين بالإعراب عن إرادته أعلنا الآن بإجماع الآراء إستقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالي ولاية الموصل إلى خليج فارس إستقلالاً تاماً لا شائبة فيه وأيدنا إستقلال سورية التام وأعلنا اتحاد العراق بها اتحاداً سياسياً واقتصادياً ونادينا بحضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله ملكاً دستورياً بلقب صاحب الجلالة ملك العراق وعهدنا في نيابة الملك إلى صاحب السمو الأمير زيد المعظم وأعلنا انتهاء الحكم الإحتلالي العسكري الحاضر على أن تقوم حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب.

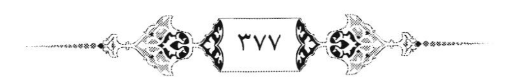
وأننا بإسم الامة العربية العراقية التي أنابتنا عنها وعهدت إلينا تقرير مصيرها نعلن محافظتنا على صداقة الحلفاء الكرام وعزمنا على احترام مصالحهم ومصالح جميع الدول الأجنبية في بلادنا راجين أن يعترفوا بهذا الإستقلال ويجلوا عن بلادنا العراقية ليحل محلهم فيها الجند الوطني والإدارة الوطنية فتتمكن دولتنا حيئنذ من أن تكون عاملاً من عوامل الرقي في العالم المتمدن. هذا وأن الحكومة العراقية التي تشكل عاجلاً مكلفة بتنفيذ قرارنا هذا.

تحريراً في ٨ آذار ١٩٢٠ و ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٨هـ.



فهرست الاعلام

(أ)



(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

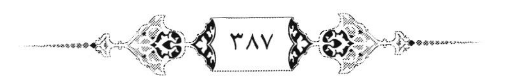
(ط)

(ع)

(ق)

(ك)

(ل)



(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

المصادر

١. ابراهيم، عبد الفتاح - على طريق الهند، بغداد ١٩٣٥.

٢. احد اعضاء الجمعيات العربية - ثورة العرب، القاهرة ١٩١٦.

٣. انطونيوس، جورج - يقظة العرب (ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس) بيروت، ١٩٦٢.

٤. آيرلند، ويلارد - العراق (ترجمة جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩.

٥. بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية، الجزء الرابع، بيوت ١٩٥٠.

٦. آل بازركان، علي - الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد ١٩٥٢.

٧. البصير، محمد مهدي - تاريخ القضية العراقية جزآن، بغداد ١٩٤٢.

٨. بيل، المس - فصول من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩.

٩. الحسني، عبد الرزاق - تاريخ الصحافة العراقية، بغداد ١٩٥٧.

١٠. الحسني، عبد الرزاق - الثورة العراقية الكبرى، صدا ١٩٥٢.

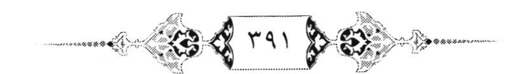
١١. الحسني، عبد الرزاق - العراق في دوري الإحتلال والإنتداب، الجزء الاول، صيدا ١٩٣٥.

١٢. الحكومة العراقية - تقرير وليم ويكلوكس، بغداد ١٩٣٧.

١٣. الحكومة العراقية، الاصلاح الرزاعي واعمار الأرض، بغداد ١٩٥٦.

١٤. الخاقاني، علي - شعراء الغري، الجزء السابع، النجف ١٩٥٥.

١٥. الخاقاني، علي (الناشر) - فنون الادب الشعبي (الحلقة الرابعة) بغداد ١٩٦٢.دائرة الاستخبارات البريطانية - تقرير سري عن العشائر والسياسة (ترجمة عبد الجليل الطاهر) بغداد ١٩٥٨.

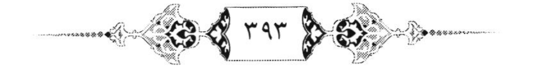


١٦. الدباغ، عبد الوهاب - النخيل والتمور في العراق، بغداد ١٩٥٦.
١٧. زكي، امين - خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، الجزء الاول، بغداد ١٩٦١.
١٨. الزهاوي، جميل صدقي - الديوان، القاهرة ١٩٢٤.
١٩. سركيس، يعقوب - مباحث عراقية، جزءآن، بغداد ١٩٤٨ و ١٩٥٥
٢٠. سعيد، امين - الثورة العربية الكبرى، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٣٥.
٢١. شاكر، صابر - موجز تاريخ التركمان، الجزء الاول، بغداد ١٩٦٠.
٢٢. شكارة، ضياء - الحياة الإجتماعية والإقتصادية في العراق (تقرير رسمي مطبوع على الآلة الطابعة).
٢٣. الصايغ، سليمان - تاريخ الموصل، الجزء الاول، بيروت ١٩٢٨.
٢٤. الطاهر، عبد الجليل - البدو والعشائر في البلاد العربية، بغداد ١٩٥٤.
٢٥. الظاهر، عبد الرزاق - الاقطاع والديوان، القاهرة ١٩٤٦.
٢٦. عز الدين، يوسف - الشعر العراقي الحديث، بغداد ١٩٦٠.
٢٧. العلاف، عبد الكريم - بغداد القديمة، ١٩٥٠.
٢٨. علي، عباس - زعيم الثورة العراقية، بغداد ١٩٥٠.
٢٩. العمري، محمد امين - تاريخ حرب العراق، الجزء الاول، بغداد ١٩٣٥،
٣٠. العمري، محمد، طاهر - تاريخ مقدارت العراق السياسية، ثلاثة اجزاء، بغداد ١٩٢٥.
٣١. الغملاس، ابن - ولاة البصرة ومتسلموها، بغداد ١٩٦٢.
٣٢. غنيمة، يوسف - تجارة العراق قديما وحديثا، بغداد ١٩٢٢.
٣٣. فائق، سليمان - تاريخ بغداد، بغداد ١٩٦٢.
٣٤. فراتي - على هامش الثورة العراقية الكبرى، بغداد ١٩٥٣.

٣٥. الفرعون، فريق المزهر - الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، جزءآن، بغداد ١٩٥٢.
٣٦. الفياض، عبد الله - مشكلة الأراضي في لواء المنتفك، بغداد ١٩٥٦.
٣٧. فيلبي، هـ. سنت جون - أيام فلبي في العراق (ترجمة جعفر خياط) بيروت ١٩٥٠.
٣٨. كمال الدين، محمد علي - التطور الفكري في العراق، بغداد ١٩٦٠.
٣٩. كمال الدين، محمد علي - سعد صالح، بغداد ١٩٤٩.
٤٠. لونكريك، ستيفن همفري - اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط) بغداد ١٩٥٤.
٤١. محبوبة، جعفر - ماضي النجف وحاضرها، الجزء الاول، صيدا ١٣٥٣.
٤٢. نصري، القس بطرس - ذخيرة الاذهان، الجزء الثاني، الموصل ١٩١٣.
٤٣. هيئة مدرسة الخالصي - زعيم الإسلام الخالد المجتهد الاكبر الامام الخالصي، بغداد ١٩٥٠.
٤٤. الهلالي، عبد الرزاق - تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني. بغداد ١٩٥٩.

الجرائد والمجلات:

١. الإستقلال: العدد (٣) ١٠ تشرين الاول ١٩٢٠، (٢) ٣ تشرين الاول ١٩٢٠، (٥) ٨ تشرين الثاني ١٩٢٠.
٢. الأيام: العدد (١٢٤) ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢ - ١٠ ايلول ١٩٦٢، (١٠٠) ١١ ربيع الاول ١٣٨٢.
٣. البلاد: العدد (٤٨٧٢) ٣١ كانون الثاني ١٩٥٧.
٤. تنوير الافكار (مجلة): العدد (٧) ج١ ربيع الاول ١٣٢٩، (١) شعبان ١٣٢٨.



٥. الرقيب: العدد (١٠) ١ نيسان ١٩٠٩، (١١) ٥ نيسان ١٩٠٩، (٤) ٢٧ محرم ١٣٢٧، (٣) ٢٠ محرم ١٣٢٧، (١٢) ١٧ ربيع الاول ١٣٢٧، (٨) ٢٨ صفر ١٣٢٧، (٦) ١١ صفر ١٣٢٧، (٥) ٤ صفر ١٣٢٧، (٢) ١٣ محرم ١٣٢٧.

٦. الشرق: العدد (١٨) ٢١ ايلول ١٩٢٠، (١٦) ١٨ايلول ١٩٢٠.

٧. صدى الاحرار: العدد (٢٠٤) ١٩ رجب ١٣٧٢، (٢١٢) ١٥ رمضان ١٣٧٢.

٨. صدى الإسلام: العدد (١١٤) ٢٨ محرم ١٣٣٤، (٥٦) ١٧ ذي القعدة ١٣٣٣، (٤٤) ذي القعدة ١٣٣٣، (٤٩) ٩ ذي القعدة ١٣٣٣.

٩. صدى بابل: العدد (١٨) ١٠ كانون الثاني ١٩٠٩، (١٠) ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩، (٩) ٨ تشرين الاول ١٩٠٩، (٧٥) ٢٨ محرم ١٣٢٩، (٢٠) ١٨ ذي الحجة ١٣٢٧، (١٧) ٣ كانون ١٩٠٩.

١٠. العراق: العدد (١٠٨) ٧ تشرين الاول ١٩٢٠، العدد (٦٢) ١٢ آب ١٩٢٠، (٢٥) ٣٠ حزيران ١٩٢٠، (٣) حزيران ١٩٢٠، (٤) ٤ حزيران ١٩٢٠، (٣٦) ١٣ تموز ١٩٢٠.

١١. العرب: العدد (١١٢) ١١ مايس ١٩١٨ (١١٣) ١٣ منه (١١٤) ١٥ منه (١١٦) ١٦ منه والاعداد ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٨٦، ٨٧ سنة ١٩١٨ بتواريخ مختلفة.

١٢. العلم (مجلة): العدد (١) مج ١ ٢٩ مارت ١٩١٠، (٥) مج ١ ١٠ تموز ١٩١٠، (٢) مج ١ ٢٩ نيسان ١٩١٠.

١٣. لغة العرب (مجلة: العدد (٣) ايلول ١٩١١.

١٤. الفرات: العدد (٢) السنة (١) ٢٨ ذي القعدة، ١٣٣٨ هـ، (٣) ٥ ذي الحجة ١٣٣٨هـ.

١٥. مجلة غرفة تجارة بغداد: العدد (٨) ٤ تشرين الاول ١٩٤١.

١٦. المستقبل: العدد (٦٠٥) ٢٢ جمادى الآخر ١٣٨٢.

١٧. المعرفة (مجلة): العدد (٣٩) ١٥آب ١٩٦٢.

١٨. النهضة: العدد (٢٥) ٥ تشرين الاول ١٩٢٧، (٢٣) ٣٠ ايلول ١٩٢١، (٢٢) ٢٨ ايلول ١٩٢٧.

المصادر الاجنبية:

1. -Barlow، E.the Egyptian crisis، 1918-1922،(typed copy).
2. -Bell، lady Florence، the letters of Gertrude I & II، London،1947.
3. -Birge، j. k. A guide to Turkish area study، Washington، 1949.
4. -British Government، Administration report of the Baghdad wilayat 1917.
5. -British Government، Arabs of Mesopotamia، 1916.
6. -British Government، the Muntafik confenderacy.
7. -British Government، political officers، reports from Iraq، august 1919.
8. -British Government، reports of Administration for 1918 of divisions and districts of the occupied Territories in Mesopotamia، I.
9. -British Government، reports of political officers of the Occupied Territories.
10. -Browne،E. G.، The literary History of Persia، IV، London، 1909.
11. -Browne،E. G.، The press and poetry of modern Persia، Cambridge، 1914.
12. -Debrodt R.E.، the British Attempt at Colonial Rule in Iraq 1918-1921،1959،(Typed Copy).
13. -Gibb،H.A.R.،The modern trends in Islam، Chicago، 1950.



14. -Haldane، A. L.، the insurrection in Mesopotamia 1920، Edinburgh، 1922.

15. -House of Commons debates، 5th series، 127 (1920)،662، 663،cited by Robert E. Debrodt"the British Attempt at Colnial Rule in Iraq، 1918-21".

16. Ireland، P.w.، Iraq: A study in Political Development، London، 1937.

17. Kirk، G.E، A short history of the middle East، London 1959.

18. كوتلوف، ل.ن، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق تر:

19. عبد الواحد كرم (بغداد، 1971).

20. Lawrance، T. E.، Seven Pillars of Wisdom، New york، 1938.

21. Longrigg، S. H.، Iraq،1900- To 1950، London، 1953.

22. ملكزاده، مهدي، تاريخ إنقلاب مشروطيت إيران، 6مجلدات، طهران 1330.

23. Moberly، F. J.، The Campaign in Mesopotamia، vols I، II & III، London، 1924.

24. Wilson، A.T.، A Clash of Loyalties، 2 Vols، London، 1939.

25. Ziadeh، A. Nicola، ''Recent Arabic literature on Arabism'' The Middle East Journal Vol IV، 1952.

مؤلفات الفياض

١. تاريخ البرامكة (نفد).

٢. تاريخ بلادك وأمتك ألّفه بالاشتراك مع أحد الزملاء

٣. تاريخ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ الطبعة الثانية.

٤. تاريخ العرب ألفه بالاشتراك مع أحد الزملاء.

٥. الجغرافية المتوسطة ألفه بالاشتراك مع لجنة.

٦. مرشد طالب البكالوريا إلى الجغرفية المتوسطة ألفه بالاشتراك مع أحد الزملاء.

٧. مشاهداتي في تركيا.

٨. مشاهداتي في إيران.

٩. تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع لجنة.

١٠. الاجازات العلمية عند المسلمين.

١١. مشكلة الأراضي في لواء المنتفك (الناصرية).

١٢. محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الاموية.

١٣. تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري.

١٤. تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة.

١٥. مشاهداتي في ألمانيا الديمقراطية.

١٦. التاريخ فكرة ومنهجاً.

١٧. الحركة الفدائية في الإسلام قديماً وحديثاً.

١٨. مجموعة مقالات نشرت في مجلة الاستاذ التي تصدرها كلية التربية – جامعة بغداد.

دراسات في المجلات

١. (تدوين التاريخ عند المسلمين) مجلة الاستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد. المجلد الرابع ١٩٥٥م.

٢. (أ) (تدوين التاريخ عند المسلمين) مجلة الاستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد. المجلد الخامس ١٩٥٦م.

(ب) نقد وتعليق على كتاب (محاضرات في تاريخ العرب) للدكتور صالح أحمد العلي.

٣. (الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الإسلام) مجلة الاستاذ. تصدرها كلية التربية - جامعة بغداد. المجلد العاشر ١٩٦٣م.

٤. (الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر) مجلة الاستاذ. العدد الحادي عشر، ١٩٦٣م.

٥. (التعليم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين) مجلة الاستاذ العدد الثاني عشر ١٩٦٤م.

٦. أضواء على مشكلات الاصلاح الزراعي في لواء الناصرية. من الابحاث المقدمة إلى المؤتمر الشعبي لمناقشة مشاكل الاصلاح الزراعي ومعالجاتها ١٥-١٧ آب ١٩٦٣م.

٧. (العقل عند الغزالي) مجلة رسالة الإسلام - تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العدد الثالث ١٩٦٦م.

٨. (دور الامام الصادق في التربية والتعليم عند الامامية) رسالة الإسلام - تصدرها كلية أصول الدين ببغداد العددان الخامس والسادس ١٩٦٦م.

٩. (كتب الامالي عند الشيعة الامامية) بحث القي في مؤتمر الثقافي لجمعية الرابعة الأدبية في النجف الأشرف. نشر ملخصه بكراس اصدرته الجمعية المذكورة (النجف، ١٩٦٦).

١٠. (الخلافة العباسية في العهد البويهي) مجلة رسالة الإسلام. تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان الاول والثاني ١٩٦٧م.

١١. (الخلافة العباسية في عهد السلاجقة) مجلة رسالة الإسلام. تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان الثالث والرابع ١٩٦٧م.

١٢. (دور الامامين الكاظم والرضا في التربية والتعليم عند الامامية). مجلة رسالة الإسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان السابع والثامن ١٩٦٨م.

١٣. (التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس) القسم الاول، مجلة رسالة الإسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان الثالث والرابع ١٩٦٩م.

١٤. (التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس) القسم الثاني، مجلة رسالة الإسلام. تصدرها كلية أصول الدين ببغداد العددان الخامس والسادس ١٩٦٩م.

١٥. (الفدائيون من أهل الثغور وواجبنا نحوهم) مجلة رسالة الإسلام. تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان التاسع والعاشر ١٩٦٩م.

١٦. (الغلو والغلاة وموقف الشيعة الامامية منهما) مجلة رسالة الإسلام. تصدرها كلية أصول الدين ببغداد. العددان الثالث والرابع ١٩٧٠م.

THE IRAQI REVOLUTION OF 1920

By

ABDULLAH FAYYAD

B. A.، M. A.، PH. D. (A. U. B.)

Faculty of arts of the university of Baghdad

PREF ACE

The author would like to take this opportunity to express his sincere appreciation and cordial thanks to all those who helped him during the preparation of this study. He expresses special thanks to His Highness the Sege al-Shaykh Muhammad Rida al-Shabibi who wrote the in troductory preface of this study. He also expresses his sinsere appreciation to professor Abdul Aziz al-Duri who read this book and offered many worthy and constructive suggestions.

THE AUTHOB.

AI-Thawrah al-lraqiyyah al-Kubra Sanat 1920 is a study of Iraq`s cultural revival and political awakening which culminated in the revolution of 1920.

Originally an M. A. thesis submitted to the American University of Beirut، this study assumed the proportions of a book after the author had collected important informa-tion on the subject. Different sources، both oral and written، were used.

The study consists of an introduction، six shapters، two appendices and an introductory preface by al-Shaykh Muhammad Rida al Shabibi، a veteran politician and thinker who had participated personally in the events under discussion.

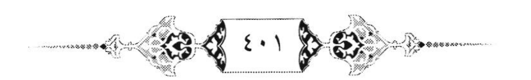
The introduction listing the major sources which were used، gives the outline the main ideas covered in detail in the body of the book. The introduction، furthermore، reflects the author`s conceptin of the Iraqi revolution of 1920 and how it developed.

The first chapter deals with the socio-economic condi-tions which were prevailing in Iraq at the end of the 19th centry.

The country was underdeveloped، agriculthural production was low، large areas of cultivable land were left uncultivated and floods were uncontrollable.

the author also refers to the wide-spread tribal system، its degeneration and midhat pashas land tenure poliey and its impact on the interrelations between the peasants and the landlords.

Midhats policy، not only was responsible for causing conflicts between the land lord and the peasant but it also led to the creation of the absentee land-lord system which became no serious that the british occupation



authorities were forced to tackle it.

The chapter also includes a general survey of the increase in Iraq trade which resulated from the opening of the suez canal and the improvmant of the land and the sea transportation facilities.

Other elements such as foreign banking system، which was introduced by the british commercial companies، and which facilitated iraqs international trade، are also mentioned.

The second chapter deals with with the Iraqi cultural revival and political awakening during the first two decades of the twentieth century، an awkening which was produced by the following factors: the impact of western civilization، the opening of some modern native schools، the enlightened، though limited، press activites، the strong propaganda campaign for the revival of the arab heritage، especially the Arabic language، the activites of the political parties and the influence of the Iranian and Turkish constitution movements.

Needless to say، the above mentioned factor were confined to a limited group of educated individuals، who were to prove themselves by rea-lizing some of their goals.

Their main problem was how to win over to their side the illiterates.

They work hard and they pointed out that the turks were not serious in their pan-islamic propagranda.

Seeking the peoples of support، the educated group first sought the ulamas help، some of whom had sympathized and supported the national alms.

However، the majority of the ulama، due to their lack of political training and their firmly held feeling for a pan-islamic movement، issued fetwas supporting the jihad call against the british.

It is interesting to note that many of the Iraqis who had responded to the jihad، lost their lives and property in helping the turks who did not sympathize with the arab national aims.

The first part of the third chapter surveys the major economic، territiorial and strategic causes which led to the british occupation of Iraq.

The grate britains commercial interests which went back to the nineteenth century was added the confirmation of oil deposits.

The government of india coveted Iraq especially the wilayat of basra، where india wanted to ship out three million muslim Indians.

Added to these was Britains plan to control all the coun - tries lieing astride the british life line to the far east.

Furthermore، Russian and german plans to build railways and to spread their influence in this part of the word worried the british.

The second part of the third chapter is restricted to the socio-economic changes which resulted from the british occupation of Iraq.

Administrative measures by the occupa-tion authorities are discussed.

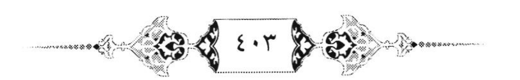
The people were heavily taxed.

The british were unsucceeful in their attempts to solve the land tenure problem.

They tried to replace the land lords، especially in the nasiriyyah (muntafik) lewa، by the shaikhs and the serkals.they did little or nothing for the peasants.

For political reasons، they deprived some families، such as the sadun، from their immense estates and they gave the land، in practice but it not in law، to the serkals.

The third part of the third chapter deals with the 1918-1920 armed



uprising against the british.

The Iraqis، resisting british occupation and seeking their inde-pendance، demonstrated، protested and fought with the british authorities، with little success.

Sir Arnold Wilson، the acting high-commissioner، recommended british pro-tection instead of independence and the turned a deaf ear-to all the Iraqi demands.

Failing to convince the british government of their just demands، the Iraqi nationlists worked hard to win the uneducated large segment of the population and they influenced the ulama، who understood and sympathized with the national aims، to issue their fetwas against occupation.

The fourth chapter discusses the causes of the revolu-tion of 1920.

The important but not decisive nationalist sentiment، the abuses of the british officials، heavy taxation and religious factor، namely where non-muslims have not to rule muslims، led to the revolt of 1920.

Other factors، such as the shurafa government in Syria، the slight success of the Egyptianuprising of 1919 and the success of the Turkish revolution under Mustafa kemal، encouraged the iraqis revolutionists.

The fifth chapter deals with the military side of the revolution.

Inspite of the fact that the Iraqis did not have modern arms، sufficient money to finance the military operations، they were able to inflict heavy damages on the british forces.

British casualties were 2269 killed or wounded and the british government spent three times as: much money in putting down the revolt as had spent in helping the sharif of makka revolution of 1916.

The sixth chapter covers the general conclusions which were reached by the author.

المحتويات